

عدنان عبدالمنعم قاضي

# الأهلة

نظرة شمولية ودراسات فلكية

٥. عامًا

لأهلة رَمَضانَ وَشَوَّالَ وَذِي الحِجَّةِ



لاَهْلِي

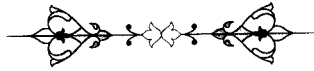
نظرة شمولية ودراسات فلكية

# حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

Copyright © 2010 Adnan A. Gadi



الموزعون

**مؤسسة علوم القرآن**

دمشق هاتف: ٤٩٠٢٢٢٤٩٩٠ فاكس: ٢٢٣٨٤٩٠ ص.ب ١٣٢٧٧ موبائل: ٠٩٦٦٥٠٥٦٥١٣٩٩، بيروت تلفاكس: ٠٠٩٦١١/٦٤٠٨٣٢

E-mail: [uloom.alquraan@gmail.com](mailto:uloom.alquraan@gmail.com)

**مكتبة كنوز المعرفة**

جدة تلفون: ٤٢٢٢-٦٥١(٢) عمارة أبا الخيل، شارع الستين، ص.ب ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

# لأهله

نظرة شمولية ودراسات فلكية

٥. عامًا

لأهله رمضان وشوال وذو الحجة

عدنان عبد المنعم قاضي

توزيع

مكتبة كنوز المعرفة

مؤسسة علوم القرآن

ح) عدنان عبد المنعم قاضي، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قاضي، عدنان عبد المنعم

الأهلة: نظرة شمولية ودراسات فلكية. عدنان عبد المنعم قاضي

الرياض، ١٤٣٠هـ

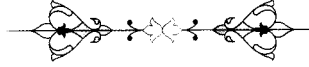
٢٨٢ ص، ٢١ اسم

ردمك: ٢-٢٧٠٠-٠٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الأهلة ٢- رؤية الهلال ٣- الإسلام والفلك، أ.العنوان

١٤٣٠/٣٦٣١

ديوي ٥٢٣،٣



هذا الكتاب "الأهلة: نظرة شمولية ودراسات فلكية: خمسون عامًا لأهلة رمضان وشوال وذى الحجة" مشمول أيضًا بقانون الحماية الفكرية © ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ و ٢٠٠٥ عدنان ع. قاضي (المادة ١٧، مجموعة قوانين الولايات المتحدة الأمريكية) كل الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إنتاج أو نشر أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل أو بأي طريقة (إلكترونية، تصوير، تسجيل أو شيء آخر) ولا بإضافته إلى كتاب آخر إلا بالإذن المسبق من المؤلف. كان اسمه قبل الطبع: دور ظواهر طبيعية في تحديد تكاليف شرعية، ثم عدل إلى الاسم الحالي.

This book "Crescent Moons: A Comprehensive View and Astronomical Studies: Fifty Years of Crescent Moons of Ramadan, Shawwal, and Thu al-Hejja" is additionally copyright © 2001, 2002 and 2005 by Adnan A. Gadi, (Title 17, U.S.Code) all rights are reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form, by any means (electronic, photocopying, recording or otherwise) or by augmenting the book to any other book without the prior written permission from the author. The book title before printing was: Role of Natural Phenomena in Determining Islamic Obligation, then changed to the current title.

The author can be reached at: [adnangadi@yahoo.com](mailto:adnangadi@yahoo.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِهْدَاء

إِلَى أَسْتَاذِي الْفَاضِلِ غ. ع. قُ.  
إِلَى مَنْ عَلَّمَنَا قُدْسِيَّةَ الْكَلِمَةِ، فَوَعَيْتُ؛  
إِلَى مَنْ عَلَّمَنَا حُبَّ التَّعَلُّمِ وَالتَّغْلِيمِ، فَتَهَلَّتْ؛  
إِلَى مَنْ عَامَلَنَا وَعَلَّمَنَا اخْتِرَامَ الْإِنْسَانِ لِذَاتِهِ، وَجَاهَدْتُ؛  
إِلَى مَنْ جَسَدَ الْحِلْمِ وَالْأَنَاءَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ فِي مُعَامَلَاتِهِ، وَسَعَيْتُ؛  
إِلَى مَنْ أَضَاءَ لِي شَمْعَةً وَشَدَّ مِنْ أُرْرِي فِي أَوْقَاتِ عَصِيبَةٍ، ثُمَّ اهْتَدَيْتُ؛  
أَحْبَبَكَ وَاللَّهُ مَا صَحَّوْتُ وَمَا غَفَوْتُ. وَمَدِينٌ لَكَ يَا سَيِّدِي، مَا بَقِيَتْ.  
فَجَزَاكَ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْعَلِيمُ عَنِّي خَيْرًا بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ،  
وَزَادَكَ رِفْعَةً وَشَرَفًا بِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ.

اللَّهُمَّ آمِينَ،

آمِينَ.

وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ  
بِذَاتِ  
الْعَرْشِ  
الْعَظِيمِ

## تزكيات الطبعة الأولى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الرقم :  
التاريخ : [١٥-٤-١٤٢٦هـ]  
المرقات :



المملكة العربية السعودية  
وزارة الداخلية  
إمارة منطقة المنورة  
مكتب الأمير

**بِسْمِ اللَّهِ الْغَافِلِ فِي مَحْكَمِ التَّنْزِيلِ (وعلامات وبالجم هم يهتدون) ..**

فقد اطلمت على كتاب " دور ظواهر طبيعية في تحديد تكاليف شرعية " لمؤلفه الاستاذ عدنان عبد المنعم قاضي فوجدت نظرة شمولية ليس فقط لمشكلة الأهلة بل وتقديم قاعدة جوهرية لمسائل فلكية تعاصرها الأمة . ورغم أن الكتاب يضم بين جنباته مشكلة الأهلة - التي تكررت على الأمة الإسلامية قرونا عديدة بدون اتفاق حولها - إلا أنه يقدم فرضيات واقتراحات تساعد كثيرا في هذا الجانب .

ولسنا هنا بصدد تقييم الكتاب من الناحية الفقهية - خصوصا أنه ضم توصيات من الأزهر الشريف وكثير من المرجعيات الدينية - ولكنني كأحد المهتمين بعلم الفلك وجدت فيه دراسات وشروحا فلكية مفصلة مفيدة لمسألة الأهلة تثري طالب العلم وتفيد المختص - مثل شرح الآليات الفلكية للأهلة والدراسة الفلكية لحديث الصحابي كريب والدراسة التاريخية لأهلة رمضان وشوال لمدة تقارب الخمسين سنة وغيرها .

بدون شك هذا الكتاب يثري المكتبة العربية بنظرته الفقهية الشمولية وربط ذلك بعلم الفلك وبالعلوم الفلكية المستفيضة والأدلة الشرعية التي يعرضها بأسلوب علمي رصين وسهل .

أتمنى أن أرى هذا الكتاب قريبا على رفوف مكتباتنا العربية والإسلامية ليسهم في إثراء المختصين بهذا المجال - وأتمنى للمؤلف المزيد من التوفيق والعطاء لإبراز محاسن ديننا الحنيف وريادة علماءنا الأوائل بأسلوب علمي وعصري .

والله ولي التوفيق

مقرن بن عبد العزيز

أمير منطقة المدينة المنورة



الأزهر الشريف  
مجمع البحوث الإسلامية  
الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة  
\*\*\*\*\*

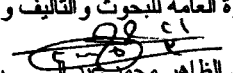
٣٠٤٨

السيد الأستاذ/ عدنان عبد المنعم قاضي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..... وبعد :-  
فردا علي كتابكم المؤرخ في ٢٠٠٥/٣/٦ والوارد إلينا في ٢٠٠٥/٣/٩ بشأن  
فحص كتاب بعنوان ( دور ظواهر طبيعية في تحديد تكاليف شرعية ) تأليف سيادتكم .

تفيد الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بأنه بعد فحص الكتاب المذكور عاليه بعد إضافة  
الفصلين الخامس والسادس تبين أنه صالح للنشر والتداول وليس بالكتاب ما يخالف ما هو معلوم  
من الدين بالضرورة علما بأن الكتاب المذكور اصبح عدد صفحاته ٢٢٥ صفحة فقط لا غير .  
هذا للعلم .  
وانه الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير عام  
الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة  
(  )  
عبد الظاهر محمد عبد الرزاق

محمود  
٢٠٠٥/٤/٢١

أمانة البحوث والنشر  
٢٠٠٥/٤/٢١  
٤

## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأخ الكريم الأستاذ عدنان قاضي حفظه الله .

الحمد لله رب العالمين، خالق السماوات والأرضين، وجاعل الآيات فيها عبرة ونعمة للخلق أجمعين. والصلاة والسلام على سيد الخلق وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان. وبعد.

فقد قرأت هذا الكتاب الموسوم بـ(دور ظواهر طبيعية في تحديد تكاليف شرعية) من أوله إلى آخره، فأحسست فيه الحرقلة التي تساور الأخ المؤلف بسبب تفرق الأمة وتشذمها وصيرورتها إلى التبعية والانهازمية.


وقد عرض المؤلف فيه واحدًا من أسباب كثيرة يمكن أن تكون رمزًا لوحدتها وعودتها ثانية إلى قيادة العالم في ظل الشريعة الإسلامية الحكيمة. ولكن ليس انطلاقًا من فكرة مجردة وغير طائفة على الدين والأمة، بل انطلاقًا من نصوص شرعية في قضية باتت تقلق أذهان الكثيرين من العلماء والمصلحين الإسلاميين، ألا وهي اختلاف مطالع القمر، وأثر ذلك على بدء وانتهاء كثير من التكاليف الشرعية كالصيام والعيد والوقوف بعرفة.

وقد عرض الأخ الكريم أثر تلك الفكرة سلبيًا على حياة المسلمين ووحدتهم، ثم ذهب إلى تقرير فكرة وحدة المطالع من خلال النصوص الشرعية والدلائل العقلية بأسلوب رصين وعرض جميل. فجزاه الله عن جهده وغيرته وتحقيقه العلمي في هذه المسألة خير الجزاء.

أخيراً أقول، إن هذا البحث لجدير بأن يطلع عليه كل مسلم غيور فضلاً عن أن يكون عالماً أو داعية إصلاح.

والله القدير أسأل أن ينفعه بما كتب، وأن ينفع المسلمين بذلك وأن يحقق لهم هذا الواحد من الأسباب في طريق وحدتهم وجمع شملهم، إنه على ما يشاء قدير.

د. عبد العزيز عمر الخطيب



١٥ / ١ / ١٤٢٧

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد العزيز عمر الخطيب،

أستاذ الفقه وأصول الدين

كلية الشريعة، جامعة الملك خالد

أبها، المملكة العربية السعودية

KINGDOM OF SAUDI ARABIA  
Ministry of Higher Education  
KING ABDULAZIZ UNIVERSITY  
Faculty of Science  
Astronomy Department

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة الملك عبد العزيز

كلية العلوم

قسم العلوم الفلكية

الرقم ..... ٣٠٦ / ٤٤٤ / ٤٤٤

التاريخ ٢٠١٢ / ٤٤٤ / ٤٤٤

Ref. ....

Date .....

إلى من يهمه الأمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

لقد اطلعت على الكتاب ( دور ظواهر طبيعية في تحديد تكاليف شرعية )  
تأليف الأستاذ عدنان عبدالمنعم قاضي، وأجده كتاباً متميزاً علمياً لما يحتويه لبعض  
الأفكار الجديدة والتي ستثري المهتمين بهذا العلم بمد كبير.  
لذا فبعد ما أطلع عليه أعضاء هيئة التدريس بالقسم لدينا نوصي بطباعته ونشره  
لما به من فائدة كبيرة.

والله ولي التوفيق،،،

رئيس قسم العلوم الفلكية

د. ياسين بن محمد أحمد المليكي

١٤٣٤ / ١٢ / ١٤



د. محمد عادل حسن

د. محمد عادل حسن

د. محمد عادل حسن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Ministry of Higher Education

King Fahd University of Petroleum &amp; Minerals

DEPARTMENT OF PHYSICS



وزارة التعليم العالي

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

قسم الفيزياء

١٤٢٦/٣/١٠

حفظه الله

سعادة الأستاذ الأخ العزيز / عدنان عبدالمنعم قاضي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ...

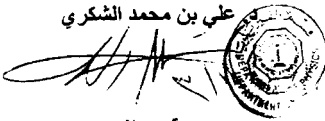
تجدون برفقته مؤلفكم "دور ظواهر طبيعية في تحديد تكاليف شرعية". وكما طلبتم ،  
قمت بمراجعة ثانية للكتاب بعد التنقيح والإضافات المهمة والمفيدة فيه. أرجو التكرم بالرجوع  
إلى صفحات الكتاب للملاحظات والتعليقات والتصويبات وبعض الأخطاء المطبعية.

وأود أن أعبر عن خالص تقديري على مجهودكم غير البسيط في إظهار الكتاب  
بالصورة العلمية المشرفة وأعتقد إنه مرجع وإضافة مهمة وقيمة للمكتبة العربية والإسلامية  
وخاصة لندرة المؤلفات في موضوع مهم كموضوع الأهلة.

والله أسأل لكم التوفيق في الدارين وأن يجزيكم خير الجزاء عن مؤلفكم القيم ويجعله في

ميزان حسناتكم.

علي بن محمد الشكري



رئيس قسم الفيزياء

## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية طيبة وبعد

فقد اطلعت وقرأت المؤلف " دور ظواهر طبيعية في تحديد تكاليف شرعية " الذي أعد من قبل الأستاذ عدنان قاضي. ووجدت فيه موضوعات متنوعة مهمة ذات فائدة كبيرة للقارئ العام والمختص على حد سواء.

تطرق المؤلف إلى موضوعات علمية فلكية وشرعية مهمة، باتت تقلق أذهان الكثير من العلماء، وخاصة فيما يتعلق بمطالع القمر وأثر ذلك على بدء وانتهاء العديد من التكاليف الشرعية "كالصيام والحج". ثم تطرق إلى فكرة وحدة المطالع من خلال نصوص شرعية ثابتة ودلائل فعلية لازمة بأسلوب علمي رصين وفقهي مهم وفني بسيط بعرض جميل فجزاه الله خيراً على جهوده.

ونحن بدورنا إذ نقول في هذه الموضوعات:

الحمد لله رب العالمين، فاطر السماوات والأرض، جاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً، الذي فرض الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وولاهم قبلة يرضونها.

لقد فرض الإسلام من خلال فروضه وأحكامه على المسلمين استخدام العلم وتوظيفه في حياتهم اليومية ليس على مدار السنة والشهر واليوم فحسب، وإنما على مدار الساعة، بل الدقيقة وأجزائها. وقد أمر الإسلام بالعلم وجعله فريضة على كل مسلم، وأقسم الله ﷻ بالقلم وما نسطر به، ورفع الذين أتوا العلم درجات وجعلهم قرناء لله والملائكة بالشهادة على وحدانيته وقيومته بالقسط. فانسحبت هذه الفروض والأوامر على جميع المسلمين عامة، وعلى

أهل العلم خاصة، فالمسلم يجب أن يتجه (أيًا كان موقعه على هذه الأرض) إلى القبلة خمس مرات كل يوم وليلة. والقبلة محددة بموقع واحد فقط على هذه الأرض، ألا وهي كعبة المسلمين وقبلتهم. وليس سهلاً أن يتعرف الإنسان على اتجاه وقوفه نحو القبلة وهو في مكان متغير ومتباعد من غير دراية أو علم. وقد ربط الإسلام فروض الصلاة بحركة الشمس الظاهرية ومدارج الليل، فجرًا وزوالًا وعصرًا وغروبًا وعشاءً. وربط الصوم والحج، وهي أركان بُني الإسلام عليها، بحركة القمر ودورانه ومطالعه، موقعًا وزمانًا وحركة. وما كان من السهل على أبناء الجزيرة العربية في صدر الإسلام أن يتعرفوا على موقع القبلة واتجاهها مثلًا لو لم يكونوا متمرسين في معرفة مواقع النجوم والاهتداء بمواقعها. ثم إن اتساع رقعة موطن الإسلام وامتداده في القرن الأول من الهجرة على مساحة ثلثي المعمورة، استوجب على المسلمين كافة أن يحسبوا الحساب الدقيق لأداء فروضهم برؤية صحيحة وسليمة ودقيقة. فتوجه الخلفاء والأمراء إلى العلماء يشجعونهم على طلب العلم أولًا، وتوظيفه في خدمة الشريعة ثانيًا، ليوحدوا أداء المسلمين لها ثالثًا. حتى نهل العلماء المسلمون، باختلاف مناهجهم ومجالات علومهم، من مناهل المعرفة الوضاعة، وهم يبتغون وجه الله، وتأدية فروضه من كل ما سبقهم من علم أو معارف للاطلاع عليها، وللتثبت من مصداقيتها من ناحية، وتوظيفها في حياتهم اليومية والشرعية من ناحية أخرى، مما تطلب الإبداع والريادة، ثم توسيع قواعد العلوم ومعارفها، وابتكار الأجهزة والآلات المعينة لهم، وتحقيق أهدافهم فضلًا عن بناء المراصد الفلكية، وإعداد الأزياج، والجداول الفلكية، والتقاويم على اختلاف أنواعها وأغراضها، بغية إدراك الفروق القائمة بين التقويمين القمري والشمسي إذ هم أول من أدركها، وابتكر النظام الستيني لحسابها. وتابخوا كل التغيرات الفلكية التي تؤدي بهم إلى ضبط حساب الأيام والسنين ﴿لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس: ٥، وإلى أكثر من ذلك فيكونوا أكثر عشقًا للعلم ليتقربوا إلى الله به.

من هنا كان الإسلام منطلقًا ثوريًا رائدًا، ودافعًا للعلم بعامة، ولعلوم

الفلك بخاصة، راسمًا منهاجًا علميًا دقيقًا للمسلمين للغوص في هذا العلم والتبحر فيه بغية تقديم المنفعة العامة للمسلمين في تأدية فروضهم ومناسكهم من جهة، والتفكير في خلق السماوات والأرض تعزيزًا لإيمانهم بالله ﷻ من جهة أخرى.

وحسب اعتقادنا فإن الذي يدفع العلماء والمؤلفين الأخيار، ومن ضمنهم مؤلف هذا الكتاب، إلى التفكير في الكتابة في هذه الموضوعات يعود إلى الأسباب التالية:

**أولاً:** ما عليه حال الأمة الإسلامية من الاختلاف في تعيين أوائل الشهور العربية بين الدول الموزعة على سطح الكرة الأرضية، وبخاصة عند تعيين مواقيت المواسم الإسلامية المتصلة بالعبادات (رمضان وشوال وذو الحجة وربيع الأول وبداية العام الهجري شهر محرم). إذ يبدو هذا الاختلاف واضحًا بين حين وآخر لدى الأمة الإسلامية، وهي الأمة المعروفة بعراقتها في التقاويم والمشهورة بريادتها في علوم الطبيعة والرياضيات والفلك وغيرها، وما زالت بصمتها واضحة إلى يومنا هذا في مجالات هذه العلوم. وقد يكون الاختلاف طبيعيًا، بسبب تباعد المواقع الجغرافية على سطح الأرض، وفي ذلك شيء من المنطق لا غبار عليه، ولكن عندما يكون الاختلاف نتيجة عدم دقة الحساب أو التوهم بالرؤية، فذلك أمر يجب الاحتياط له والأخذ بأسباب العلم وسيلة لتوثيقه واعتماده.

**ثانيًا:** الاختلاف في مواعيد الأذان لمواقيت الصلاة في المحافظة الواحدة. وقد يكون هذا الاختلاف ناتجًا عن طريقة حساب هذه المواقيت سواء أكانت علمية أم فقهية، لذلك رأينا من المفيد استخدام الطرق العلمية الفلكية الدقيقة لحساب مواقيت الصلاة في كل موقع معلوم فيه خطوط الطول والعرض آخذين بنظر الاعتبار انكسارات ضوء الشمس في الغلاف الجوي الأرضي وارتفاع أو انخفاض أي موقع عن مستوى سطح البحر.

وبناء على ما جاء أعلاه فقد وفق الزميل عدنان قاضي بربط الظواهر



الطبيعية المتعلقة بالشمس والقمر والأرض في تحديد تكاليف شرعية مرتبطة بحياة الإنسان المسلم، من خلال فصول كتابه الستة، التي تحدث فيها عن الشمس والقمر والأرض والنجوم وربطها الإسلامي بالأحكام الشرعية معتمداً على آيات قرآنية كريمة ثابتة توجه المسلم إلى الصيام والعيد والحج والصلاة وقوانينها السماوية والأرضية.

كما تحدث أيضاً عن موضوع حساس جداً ألا وهو الفرق الكبير بين علم الفلك وفن التنجيم. إذ كان المؤلف موفقاً فيه من حيث التمييز بين هذين الموضوعين، وأشار إلى علمية الفلك ودلالاته الفيزيائية والرياضية الدقيقة والعلمية. فيما أكد على أن التنجيم ما هو إلا موضوع لا علمية له مشيراً إلى ادعاءات المنجمين المضلين غير العلمية والذين يعتمدون على الأبراج القديمة جداً التي تغيرت في يومنا هذا موقعاً وشكلاً وحساباً من حيث الدقة الفلكية. ونحن من موقع تخصصنا "الفيزياء الفلكية" نؤيده كل التأييد لأنه وفق في العرض والتقديم فبارك الله جهوده الخيرة.

وأخيراً، أود أن أقدم شكري الجزيل وتقديري الجميل للأستاذ عدنان قاضي على جهوده العلمية والدينية القيمة، وخاصة وأن المكتبة العربية تفتقر إلى مثل هذه الكتب. متمنين له الموفقية ومزيداً من العطاء المثمر.

وافه ولي التوفيق  
٤٠٣٠٥٥

أ. د. حميد مجول النعيمي

أستاذ الفيزياء الفلكية

نائب رئيس الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك

رئيس قسم الفيزياء/جامعة الإمارات العربية المتحدة

عضو الاتحاد الفلكي الدولي

[halnaimiy@uaeu.ac.ae](mailto:halnaimiy@uaeu.ac.ae)

## فهرس

الموضوع	الصفحة
الجداول	٢٠
مصادر الصور	٢١
شكر وتقدير	٢٥
مقدمة الطبعة الثانية	٢٩
مقدمة	٣٥
الفصل الأول: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الظواهر الطبيعية	٤٩
العلاقة بين الخلق والتشريع	٥١
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَيْنِ﴾	٥٥
دور الظواهر الطبيعية	٥٦
سببية الظواهر الطبيعية	٥٧
نسبية الظواهر الطبيعية	٥٩
استخدام ظواهر طبيعية	٦١
الأدلة على أن الظواهر الطبيعية وسائل	٦٣
الفصل الثاني: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي﴾ مواقع الشمس والهلال	٩٤
مواقيت الصلاة: الرؤية و/أو الحساب	٩٤
الهلال: الرؤية و/أو الحساب	٩٩
معنى (رُؤْيَيْتِهِ)	١٠١
الشرع لم يبين محددات الرؤية	١٠٧
آلية الرؤية وتطبيقها	١٠٩
الفصل الثالث: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ﴾ اختلاف المطالع	١١٥
اتفاق/اختلاف المطالع	١٢٦
الهلال: الشمولية والحل	١٣٦
الفصل الرابع: ﴿وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ آلية القمر	١٤٣

## الصفحة

## الموضوع

- ١٥٤ ..... الاقتران المركزي والاقتران السطحي وكسوف الشمس
- ١٥٦ ..... متى يبدأ اليوم والشهر؟
- ١٥٧ ..... التوقيت الغروبي المنهجي والتوقيت الزوالي
- ١٥٩ ..... أين يبدأ اليوم والشهر؟
- ١٦٢ ..... مكة المكرمة مركز التوقيت
- ١٦٥ ..... مطالع الشمس ومطالع القمر
- ١٦٨ ..... اختلاف المطالع: مرة أخرى
- ١٧٠ ..... أولاً: تأثير كروية الأرض
- ١٧١ ..... ثانياً: تأثير ميل محور الأرض
- ١٧٣ ..... ثالثاً: تأثير فلك القمر
- ١٧٤ ..... الهلال والبدر والمطالع
- ١٧٦ ..... ولكنهما يشتركان في جزء من الليل
- ١٨٠ ..... فلك وأوجه القمر
- ١٨٩ ..... ولكن الهلال كبير!
- ١٩٠ ..... ولكن الهلال قريب!
- ١٩١ ..... الاقتران وغروب الشمس والقمر
- الفصل الخامس: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ أهلة رمضان وشوال وذو الحجة:**
- ٢٠١ ..... دراسة
- ٢٠١ ..... تقويم أم القرى
- ٢٠٣ ..... دخول رمضان
- ٢٠٧ ..... هدف الدراسة
- ٢٠٧ ..... منهجية الدراسة
- ٢٠٩ ..... الحسابات الفلكية لتحديد بداية الشهر المفترض
- ٢١٠ ..... نتائج الدراسة
- ٢١٨ ..... إلى أين من هنا؟
- الفصل السادس: ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ علم الفلك والتنجيم**
- ٢٢٩ ..... هل هناك علاقة؟
- ٢٣٠ ..... اثنتا عشرة أم ثلاث عشرة شخصية؟
- ٢٣٢ ..... تأثير! أي تأثير؟
- ٢٣٥

الصفحة	الموضوع
٢٣٩	نظرة تاريخية
٢٤٢	الفرق بين العلم والهوى
٢٤٤	﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾
٢٤٦	الخاتمة ﴿وَمَا آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾
٢٥٦	الملحق أ
٢٦٧	المراجع
٢٦٧	المراجع العربية
٢٧١	المراجع الإنجليزية
٢٧٥	الملاحظات

## الجداول

## الجدول

## الصفحة

- الجدول ١ : مدى توافق رؤية أهلة رمضان وشوال وذي الحجة ..... ٣٢
- الجدول ٢ : رمضان والأعياد ..... ١١٨
- الجدول ٣ : ذو الحجة ١٤٢٨ هـ : الوقفة وعيد الأضحى ..... ١٢٢
- الجدول ٤ : الاقتران وغروب القمر ..... ١٩٥
- الجدول ٥ : مدى توافق رؤية هلال رمضان مع المعايير الفلكية ..... ٢١١
- الجدول ٦ : مدى توافق رؤية هلال شوال مع المعايير الفلكية ..... ٢١٣
- الجدول ٧ : مدى توافق رؤية هلال ذي الحجة مع المعايير الفلكية ..... ٢١٥
- الجدول ٨ : أول أيام رمضان للأعوام ١٣٨٠-١٤٢٩ هـ ..... ٢٢٠
- الجدول ٩ : أول أيام شوال للأعوام ١٣٨٠-١٤٢٩ هـ ..... ٢٢٢
- الجدول ١٠ : أول أيام ذي الحجة للأعوام ١٣٨٠-١٤٢٩ هـ ..... ٢٢٤
- الجدول ١١ : التأثير النسبي لجاذبية الكواكب على الأرض ..... ٢٣٨
- الجدول ١٢ : البروج والتواريخ ..... ٢٤١
- الجدول ١٣ : الأهلة في دمشق والمدينة ..... ٢٦٤
- الجدول ١٤-أ والجدول ١٤-ب : التوقيت الغروبي المنهجي ..... ٣١٣

## مصادر الصور

- الشكل ١: كوكب الزهرة وهو يبدو كالهلال، في صفحة ١٤٤، مقتبس من مجلة:
 

Ratclie, Martin, "Sky Show" in Astronomy magazine, (March 2001): p. 70.
- الشكل ٢: خط التوقيت، في صفحة ١٤٥، أنتج جزئياً (ثم عُرب) ببرنامج:
 

J. R. Ahlgren, USA, GeoClock v. 8.4, a Windows-based program, 2002.
- الشكل ٣: زوايا مواقع الشمس والقمر، في صفحة ١٤٧، أنتج جزئياً (ثم عُرب) ببرنامج:
 

Bisque Software, TheSky6 Professional Astronomy Software, Version 6.0.0.61, 2008.
- الأشكال ٤-أ و٤-ب و٤-ج: إمكانية رؤية الهلال، في الصفحتين ١٥١ و١٥٣، أنتجوا جزئياً (ثم عُربوا) ببرنامج:
 

Imaginova Canada Ltd., Starry Night Pro Plus, version 6.2.3, 2008.
- الشكل ٥-أ خط كسوف الشمس، في صفحة ١٥٤، أنتج جزئياً (ثم عُرب) ببرنامج:
 

Google Earth, <http://xjubier.Free.fr/en/site-pages/SolarEclipsesGoogle-Earth.html>
- الشكل ٥-ب: كسوف كلي للشمس فوق مكة، في صفحة ١٥٦، أنتج جزئياً (ثم عُرب) ببرنامج:
 

Imaginova Canada Ltd., tarry Night Pro Plus, version 6.2.3, 2008.
- الشكل ٦: ولوج الليل في النهار، في صفحة ١٦٧، مقتبس من كتاب: كلين ديليو كيلبي، محرر، الكوكب الوطن، (نيويورك: أديسون - ويسلي للطباعة والنشر، لا يوجد تاريخ)، لا توجد أرقام صفحات. النسخة العربية.

- الشكل ٧: الشتاء والصيف، في صفحة ١٧٠، مقتبس (ثم عُرِّب) من كتاب: Kaufmann, William, Universe: Second Edition, (New York: W. H. Freeman and Company, 1968), p. 22.
- الشكل ٨: ميل محور الأرض، في صفحة ١٧٢، مقتبس (ثم عُرِّب) من كتاب: Universe, p. 21.
- الشكل ٩: نور البدر على الأرض، في صفحة ١٧٦، أنتج جزئياً (ثم عُرِّب) ببرنامج: Zephyr Services, USA, Moon Tracker, a DOS based program, 1990.
- الأشكال ١٠-أ: خط الضوء الفاصل في الشتاء، و١٠-ب: خط الضوء الفاصل في الربيع والخريف، و١٠-ج: خط الضوء الفاصل في الصيف، في صفحة ١٧٧، و١٠-د: خط الضوء الفاصل في الشتاء، و١٠-هـ: خط الضوء الفاصل في الربيع والخريف و١٠-و: خط الضوء الفاصل في الصيف في صفحة ١٧٩، أنتجوا جزئياً (ثم عُرِّبوا) ببرنامج: J. R. Ahlgren, USA, GeoClock ver. 8.4, 2002.
- الشكل ١١: الأرض والقمر في صفحة ١٨٢ مقتبس من موقع ناسا NASA <http://search.nasa.gov/search/search.jsp?nasalInclude=earth+moon>
- الشكل ١٢: مدار القمر الحقيقي نسبة إلى الأرض في صفحة ١٨٣ مقتبس ومعرَّب من كتاب: Mitton, Jacqueline, A Concise Dictionary of Astronomy, (New York: Oxford, 1991), p. 287.
- الشكل ١٣: مسطح القمر في صفحة ١٨٥ مقتبس (ثم عُرِّب) من كتاب: Kaufmann, p. 39.
- الشكل ١٤: أوجه القمر في صفحة ١٨٧ مقتبس جزئياً وبِتصَرُّف (ثم عُرِّب) من كتاب: Kaufmann, p. 35.
- الأشكال ١٥-أ، و١٥-ب، و١٥-ج سرعة غروب الهلال ودائرة البروج: في صفحة ١٩٣ أنتجوا جزئياً (ثم عُرِّبوا) ببرنامج: Imaginova Canada Ltd., Starry Night Pro Plus, version 6.2.3, 2008.
- الشكل ١٦: دائرة البروج في صفحة ٢٣١ مقتبس من كتاب: علي فاغور وحسان حامد وإبراهيم محمد الشطي، الأطلس الجديد للعالم، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٦)، ص ٥.

- الشكلاڻ ١٧-أ: ستة أبراج و١٧-ب: سبعة أبراج في صفحة ٢٣٣ أنتجا جزئياً (ثم عُرِّبًا) ببرنامج:  
Imaginova Canada Ltd., Starry Night Pro Plus, version 6.2.3, 2008.
- الشكلاڻ ١٨-أ و١٨-ب: الهلال بعد غروب الشمس في الصفحتين ٢٥٩ و٢٦١ أنتجا جزئياً (ثم عُرِّبًا) ببرنامج:  
Starry Night Pro Plus.





## شكر وتقدير

هناك العديد الذين قرؤوا وصححوا هذا الكتاب. وأخص من أولئك الذين وثقوا فيّ وشجعوني مرارًا للتأليف الباحث العلمي المهندس لطف الله قاري، ومن الذين رعوا هذا الكتاب حين كان مقالة الشيخ والمهندس مصطفى سوّاس، ومن الذين راجعوا وصححوا المادة الفقهية والفلكية القاضي والمحامي الشريف مرتضى محيي الدين راسخ والأستاذ الأديب الدكتور عصام خوقير والأستاذ والشيخ مروان حسن حمّود الباحث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ومعد ومقدم برنامج "آية وإعجاز" في التلفزيون السعودي لمدة تزيد عن ٩ سنين، والدكتور محمد بن سعد المقرري الأستاذ المشارك بكلية الملك عبد العزيز الحربية والذي قال: "الكتاب يطرح قضية مهمة جدًا. وهي قضية تستحق الدراسة والمناقشة، فهو إذًا يثري جانبًا مهمًا في الثقافة الشرعية... وهو كتاب يناقش قضية مهمة والحاجة إلى مثله ماسة". وأشكر الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الحلوة أستاذ العلاقات الدولية السياسية بجامعة الملك سعود في الرياض وعضو مجلس الشورى السعودي، والأستاذ الأزهرى الشريف جمال محمد البدرى المصحح اللغوي، والأستاذ الدكتور محمد عادل شرف أستاذ علم الفلك والدكتور السيد حسن باصّرة أستاذ علم الفلك المشارك والدكتور ياسين المليكي أستاذ علم الفلك المشارك في جامعة الملك عبد العزيز في جده، وغيرهم من المتخصصين في الشريعة وعلم الفلك. أشكر العلماء الأفاضل في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف (أقدم وأكبر صرح إسلامي على وجه الأرض) لتفضلهم بتقييم وتزكية الكتاب وللمرة الثانية. كما أشكر فضيلة القاضي الشيخ الدكتور عبد الملك بن دهبش لتقديره للكتاب وملاحظاته القيمة. وأشكر الأستاذ الدكتور المربي الفاضل

عبد الله نصيف مدير جامعة الملك عبد العزيز سابقًا ورئيس رابطة العالم الإسلامي سابقًا ونائب رئيس مجلس الشورى السعودي سابقًا على حُسن استقباله وتشجيعه وإعجابه وتقديره للكتاب والذي قال عنه " أنه كتاب جيد وجريء ". وأشكر الأستاذ الدكتور العلامة الشيخ الرباني عبد الله بن بيّه وزير الشؤون الإسلامية الموريتانية السابق على حُسن خُلقه ومعاملته ووزير علمه لتقييمه وإطرائه الكتاب واحترامه لشخصي الضعيف . كما أشكر سعادة الدكتور علي الشُّكري رئيس قسم الفيزياء بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران لملاحظاته وتصويباته العلمية الدقيقة ولتقديره العلمي الكبير للكتاب . كما أشكر فضيلة الدكتور عبد العزيز الخطيب أستاذ الفقه وأصول الدين في كلية الشريعة، بجامعة الملك خالد في أبها لمراجعتها الكتاب وتزكيته له . كما أشكر سعادة الأستاذ الدكتور حميد مجول النعيمي أستاذ الفيزياء الفلكية ورئيس قسم الفيزياء بجامعة الإمارات العربية المتحدة لحسن تقديره الكبير للكتاب وتزكيته له .

ورد في الحديث الشريف الذي أخرجه أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا زَعِيمٌ بِنَيْتٍ فِي . . . أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ ». وهناك من أحسبه، والله حسيبه، من ينطبق عليه هذا الحديث الشريف . لقد شرفني بمقابلته في مكتبه حتى انصرفتُ . وكنت قد هيأت نفسي لمقابلة مهيبة، ولكنني وجدت نفسي أمام إنسان على درجة عالية من التواضع وحُسن الخلق، إنه صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة، على صاحبها أفضل صلوات ربي وسلامه . المعروف عن سموه حبه لعلم الفلك . وقد تفضل سموه الكريم بكتابة تزكية للكتاب .

إلى كل هؤلاء ومن نسيت أن أذكره، جزاهم الله عني خير الجزاء . لقد أفادوني بمناقشاتهم ونقدهم وحتى اختلاف وجهة نظرهم وأحيانًا تحديهم للطرح الذي أنتهجه في هذا الكتاب، لهؤلاء جميعًا أقول: لقد أثريتموني بعلمكم وغمرتموني بفضلكم وقوّمتموني بتسديدكم .

أخيراً، حوّل هذا الكتاب من أعلى مؤسسة دينية رسمية إلى علماء scientists أكاديميين "لدراسته وإبداء المراثيات نحوه من الناحية الفلكية"، فاختار الأكاديميون أن يلبسوا "ثوباً دينياً" في حضرة المفتي العام، فأظهر تقريرهم مدى تأثير التدريب الأكاديمي الذي تلقوه والأمانة العلمية التي وُكِّلوا إليها. يقول الحق ﷻ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿٧٦﴾﴾ آل عمران، ويقول خيرُ الحاكمين: ﴿... فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ...﴾ الرعد: ١٧، وأخيراً يقول العزيز الحكيم: ﴿... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ سبأ. أسأل الله لي ولهم ولكافة أمة سيدنا محمد ﷺ العفو والعافية.



## مقدمة الطبعة الثانية

منذ صدور الكتاب في طبعته الأولى في رجب ١٤٢٦هـ (أغسطس/آب ٢٠٠٥م) حصل حراك فقهي غير عادي - ليس بسبب الكتاب، وإن كنت أرجو أنه ساهم فيه - على صفحات جرائد محلية ودولية وفصائيات دولية أثرى فقه الأهله؛ ولكن الوضع بعيد عن الكمال. من هذا النقاش العام، كان هناك تفاعل بين رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية. تجد هذا الطرح في ملاحظات الفصل الثاني.

لا ينطلق هذا الكتاب من أن رؤية الهلال واجبة شرعاً ويعادي ما عدا ذلك. ولا ينطلق من أن الحسابات الفلكية العلمية يجب استخدامها ويهمل تراثي الهلال كنقطة مرجعية شرعية. يستكشف الكتاب مسألة الأهلة بالحجة الرئيسية التالية: لكي يكون الإسلام لكافة الناس حتى تقوم القيامة، فلا بد من شريعة صالحة لهم، ولا بد أيضاً من وسائل طبيعية لتطبيق هذه الشريعة، علماً أن الإسلام لا يشترط أن يكون المسلم متعلماً. هذه الوسائل هي ظواهر طبيعية. إن قبول الإسلام أن يكون المسلم أمياً يُحتم استخدام ظواهر طبيعية في الشريعة الإسلامية. هذه الظواهر الطبيعية التي استخدمتها الشريعة الإسلامية ليست جزءاً من العبادة التالية. (ممثلاً، الوسيلة: التراب، الماء، مواقع الهلال، والحيض؛ والعبادة التالية لكل وسيلة هي: التيمم، الوضوء أو الطهارة، الصيام والحج، والطلاق أو العدة، على التوالي). من هذا النظرة الشمولية، تلتقي حجة الكتاب مع عدم إبطال مرجعية الأهلة، وتلتقي أيضاً مع استخدام كل الوسائل العلمية الثابتة لمعرفة بدء زمن أيّ عبادة أو تنظيم عبادات أو معاملات شرعية أخرى، لأن عصرنا يحتم ذلك (مثلاً، تنظيم الزواج والطلاق والنسب بشكل رسمي موثق ومن قبل مختصين ووضع بعض القيود).

هل الأهلة هي بزوغ الهلال في وقت معين ومكان معين؟ هل هي إهداء شخص أو أكثر رؤية الهلال؟ هل هي جداول فلكية علمية لوقت ومكان وإمكانية رؤية الهلال؟ هل هذا وأكثر. إنها ظاهرة طبيعية لتحديد زمن، حيث إن وحدات الزمن الطبيعية هي اليوم (دوران الأرض حول محورها) والشهر (دوران القمر حول الأرض) والسنة (دوران الأرض حول الشمس). كما أنها فكرة، أحدثتها واستخدمتها عدة أديان سماوية (اليهودية والإسلام وغيرهما) وغير سماوية (صينية وهندية وغيرهما). وما هذا إلا لأن الهلال - رؤية أو تحققًا - رُبط بعبادة أو شعائر تالية لتحقيقه. فالهلال الحقيقي ظل يظهر لملايين السنين وعلى ملايين المواقع واستخدمه ملايين البشر، كما أن ظاهرة الأهلة موجودة على كواكب أخرى. فأى عبادة تُعزى إليه؟ وفكرة الهلال بمعانيها وانفعالاتها وتطبيقاتها أثرت في حياة ملايين آخرين مسلمين ما يزيد على ١٤٠٠ عام، وغير مسلمين لمدد أطول. والفكرة تحتوي على عناصر فقهية وكونية. وفي عالمنا المعاصر يجب أن تكون هذه الفكرة متماسكة ومتكاملة، لتأثيراتها المباشرة على تعاملات اقتصادية ومالية ومدنية لأفراد ومؤسسات وحتى دول. بمعنى، فكرة متناسقة في عنصرها الفقهي ومتناسقة في عنصرها الكوني ومتناسقة كونيًا وفقهيًا معًا؛ أي نظرة شمولية. وهي شمولية، لأن فكرة الأهلة (في كونها ظاهرة طبيعية) تُحدّد الغرض من استخدام الأهلة: لتحديد بدء زمن عبادة، شعيرة أو سلوكًا. مثلها مثل النطق بالشهادة، ومواقع الشمس للصلاة، والبلوغ لبدء التكليف الشرعي، والحيض للطلاق والعدة، والماء للتطهر، وغير ذلك كثير.

يجب أن نعرف مغزى قول سيدنا رسول الله ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ». لا كحديث مفرد منفصل، فهذه انتقائية لا ينبغي أن تمارس ضمن دين سماوي لكافة الناس حتى نهاية الزمن. بل كحديث ضمن منظومة تشريعية متكاملة متناسقة مع نفسها ومع الخلق، ﴿... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٥٤. وأي اجتهاد لا يأخذ في اعتباره أن الشريعة الإسلامية منظومة متكاملة متناسقة، وأن الإسلام هو الدين الخاتم، وأنه كافة

للناس مع اختلاف مواقعهم وأزمنتهم وأعراقهم وأحوالهم الحضارية، وما يترتب على هذه الحقيقة الجوهرية، يكون اجتهادًا يَنْتَقِصُ من دين صُمِّم ليكون متكاملًا ومتناسقًا لكافة الناس. ببساطة، وكمنهج الإسلام لإعطاء دور لطواهر طبيعية لتحديد بدء تكاليف شرعية، يظهر وبوضوح أن علة الحديث هي معرفة بدء وانتهاء شهر رمضان. وأي محاولة تعطي ثقلًا تعبديًا للرؤية البصرية بحد ذاتها لمعرفة بدء وانتهاء شهر رمضان، أو أي شهر آخر، فقد فاتتها النظرة الشمولية للشريعة الإسلامية. إن الإسلام باق والفقهاء متغير والأفراد زائلون.

ما المشكلة إذاً، وأين؟ المشكلة فقهية وليست علمية فلكية. الفقه لغةٌ يعني فهم القول (أي النص، سواء سمعًا أو قراءة)، يقول الحق ﷻ: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء: ٧٨، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ...﴾ الأنعام: ٢٥، ﴿قَالُوا لَا يَسْعَىٰ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا وَمَا نَقُولُ...﴾ هود: ٩١، ﴿سُيِّحَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْحَبُ بِحَبْرِهِ. وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾ الإسراء: ٤٤، لأننا لا نسمع ما يقولون، لذا لا نفقهه. وما يقوله أي فقيه يعكس مدى فهمه للنص الذي يستدل به ليستخرج نتائج، وهي نتائج تتبلور بعلّة النص وتكوين الفقيه الحضاري والثقافي واللغوي. ويحدد فضيلة الشيخ عبد الله المنيع، قاضي التمييز السابق وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية ومهتم بعلم الفلك، المشكلة في: الشهادة، وموقف البعض من علم الفلك. أولاً: هناك خلل في فقهه وتطبيق النص الشرعي: "هل مخالفة الشرع في رد شهادة لم تنفك عما يكذبها من حيث الحس والواقع؟ أم إن مخالفة الشرع في قبول شهادة لم تنفك عما يكذبها؟ فأبي الفريقين أولى بالمخالفة؟ هل شهادة الشاهد على الرؤية مقبولة مطلقًا أم أن قبولها مشروط بشرطين: أحدهما أن تكون الشهادة ممكنة الوقوع، والثاني أن يكون الشاهد عدلاً؟". ثانيًا: النظرة الخاطئة لعلم الفلك عند بعض علماء الشريعة، فهو "علم له مقوماته وقواعده وأصوله ونظرياته، التي وصلت بالإنسان إلى أن يتخطى الأرض وغلافها ويصل إلى آفاق من الكون وغرائب الفضاء، واستكشاف الكثير من خصائص الكون وتركيباته؟



ونحن تجاه التشكيك في هذا العلم أو إنكاره كالنعامة تدفن رأسها في التراب وتنكر ما حولها". هذه النظرة الخاطئة هي نتاج خلفية ثقافية واجتماعية وبيئية وسياسية محلية وسائدة على الفقيه وحتماً تؤثر وتظهر فيما يراه. ففي بيئة متشددة لا تعرف للتسامح نصيباً كبيراً نجد أن التحيز للرأي هو المسيطر. هذا الخلل في فقهه وتطبيق نص شرعي أدى إلى انعدام التوافق تقريباً بين بدء شهور رمضان وشوال وذي الحجة للفترة ١٣٨٠-١٤٢٩هـ حسب الإعلان الرسمي، وبين بدء نفس الشهور حسب معايير فلكية علمية. إن أسوأ حالات إدعاء الرؤية هي حال وجود الهلال تحت الأفق وبالرغم من ذلك يُعلن بدء الشهر في اليوم التالي. الجدول ١ يوضح مدى التوافق.

#### الجدول ١: مدى توافق

#### رؤية أهلة رمضان وشوال وذي الحجة

الشهور	الفترة	مرات التوافق	مرات التعارض	الهلال تحت الأفق
رمضان	٥٠	٦	٤٤	٢٨
شوال	٥٠	٧	٤٣	٣٢
ذو الحجة	٥٠	١٢	٣٨	١٥

التوافق أو عدمه يستلزم مقارنة بين قيمتين: الادعاء برؤية الهلال (وهذا يحتم وجوده فوق الأفق ثم رؤيته، وهما مسألتان مستقلتان. فقد يكون الهلال موجوداً فوق الأفق ولكن لا يمكن رؤيته لأسباب مختلفة، وقد لا يكون موجوداً فوق الأفق على الإطلاق ولكن يُدعى رؤيته)، وبين كونه موجوداً حقاً فوق الأفق ليلة ادعاء الرؤية. علم الفلك يعلم يقيناً إذا كان الهلال موجوداً فوق أو تحت الأفق ويُعطي مُحدّدات على درجة فائقة من الدقة عن موقعه وحيثيات أخرى عن الهلال، كما يعلم يقيناً إذا أتم الهلال دورته الفلكية أم لا - أي إذا ولد الهلال أم لا - وكل هذا لا خلاف فيه بين كل علماء الفلك.

ولكن هناك طروحات أو معايير مختلفة بين علماء الفلك حول إمكانية رؤية الهلال في حال وجوده فوق الأفق (وليس تحت الأفق، فهنا يستحيل رؤية الهلال وإن شهد على ذلك مئة وإن سُموا عدول). ويرجع الاختلاف في هذه المعايير لدخول العنصر البشري لتحقيقها ووجود عوامل طبيعية أخرى تُحد من صحة الرؤية. هذا الكتاب يأخذ بمعايير اتفقت عليها ٥٢ دولة إسلامية مثلها علماء في الشريعة الإسلامية وعلماء فلك مسلمون في مؤتمر تحديد أوائل الشهور القمرية الذي انعقد في اسطنبول، تركيا في الفترة ٢٦-٢٩ ذي الحجة ١٣٩٨هـ (٢٧-٣٠ نوفمبر ١٩٧٨م). الفصل الرابع يشرح هذه المسألة لمن لا خلفية علمية له في علم الفلك.

إذاً، هل المعايير المستخدمة لرؤية الهلال والمتبعة لإعلانه تحتاج إلى إعادة نظر، أم إن المعايير الفلكية العلمية تحتاج إلى إعادة نظر؟ نلاحظ أن الفرق في التطبيق كبير جداً بحيث أحدهما وليس كليهما يجب قبوله، بعد فحص المعيارين وتقدهما بطريقة منهجية. إن حقيقة الرؤية البصرية هي في كونها فردية التبليغ ومحلية التطبيق وُبنيت على فقه تقليدي آحادي ولا يثق في علوم تطبيقية حديثة، هذا يجعل من المستحيل فحص أي ادعاء. بينما حقيقة المعايير الفلكية هي في كونها علمية المنهج وعالمية التطبيق، وبالتالي يمكن فحصها والتدليل عليها. إن الاستمرار في تطبيق المعيار التقليدي يؤدي فقط إلى زيادة المشاكل التي ظل يعاني مسلمون منها لمدد طويلة، من هذه اندثار التوقيت الغربي الإسلامي واحتضار التقويم الهجري. إن اختلاف دخول الأهلة بين المسلمين، وما ينتج عنه، وتأيد كل جانب بموقف فقهي يناصر فيه نفسه ويُخَطئ به غيره وربما ينزع عن الآخر حق الاجتهاد، ينعكس سلبيًا ليس عليهم فقط بل على الإسلام نفسه. هل يعكس فقه ما حقًا كون الإسلام لكافة الناس، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨﴾ سبأ؟ لا يظهر ذلك جليًا في العالم الإسلامي. رسالة الإسلام العالمية أجهضت بتعصب لفقه فردي أو نُصرة مذهب فقهي أو تفسير آحادي محلي. لقد أفسد فقه السيادة وحادثة المسلمين وجمال وشمولية الدين.

هذا الكتاب لن يُنهي الاختلاف في مسألة الأهلة، ليس لعجز بنيوي فيه ولكن لطبيعة البشر، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩) يونس، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إلا من رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمَلَانِ لَهُنَّ مِنَ الْحِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٩) هود. لكنني أسأل الله الكريم أن يساهم في إثارة فقه متجدد في مسألة الأهلة بشكل خاص، وفهم دور استخدام ظواهر طبيعية في الشريعة الإسلامية بشكل عام. أَدْعُو الله العليم أن أكون قد وُفِّقْتُ. كما أسأل الله الكريم أن يجزي عني كل من ساهم في تصحيح واقتراح أي فكرة أو فقرة في الطبعة الأولى أو له فضل في أن يرى الكتاب النور. لهم الشكر والفضل، ويرجع إليَّ أي تقصير أو خطأ يظهر في هذا الكتاب. ولكن أخص بالذكر سعادة الدكتور عبد العزيز داغستاني أستاذ الاقتصاد الذي له فضل في أن ترى الطبعة الأولى النور والذي يلبي من يطلب مساعدته بكل رحابة وحرص، وسعادة الدكتور عبد الله شاووش، أستاذ الفيزياء، الذي يملأ وقته في البحث العلمي والنفعة الاجتماعي، ويُسَعِدُ بمساعدة غيره. له اهتمامات بعلم الفلك، منها متابعته وتحقيقه لإعلانات الأهلة وصحتها العلمية. ولقد روجع جدول أهلة ذي الحجة معه. فللدكتور عبد الله الشكر والفضل.

روجع الكتاب في طبعته الثانية وأضيفت ووسعت مواضيع وأفكار جديدة، منها: مُدَّت فترة دراسة أهلة رمضان وشوال من ٤٦ سنة إلى ٥٠ سنة (من العام ١٣٨٠ إلى ١٤٢٩هـ)؛ وأضيف دخول هلال ذو الحجة إلى الدراسة وللفترة الجديدة؛ وموضوع لكن الهلال قريب؛ وشرح الاقتران المركزي والسطحي وكسوف الشمس (كمثال، كسوف مكة المكرمة في يوم الاثنين ٢٩ صفر ١٤٤٩هـ الموافق ٢ آب/أغسطس ٢٠٢٧م) بشكل موسع وخرائط توضيحية؛ وأضيفت جداول وأشكال جديدة؛ وأعيدت صياغة أفكار أو سُرحت؛ فشرح مثلاً موضوع "ولكنهما يشتركان في جزء من الليل".

## مقدمة

يشعر طلبة في مراحل دراسية بتناقض بين ما يقوله بعض أساتذة الجغرافيا وعلم الفلك والفيزياء والكيمياء والأحياء وعلوم أخرى من جهة وبين ما يقوله بعض أساتذة مواد الدين من جهة أخرى، وكأن الأمرين لا تناسق بينهما أو، أسوأ من ذلك، إنهما على طرفي نقيض. هذا "التناقض" الظاهري في التعليم يمكن لمسه أيضاً في أمور أخرى في الحياة أذكر منها اثنين: الازدواجية في استخدام أدلة رسمية وشرعية لإقامة معاملات أو حدود شرعية، وفي تأسيس تقويم قمري إسلامي وعلاقة ذلك بإقامة تكاليف شرعية.

ف نجد أن مسؤولين في محاكم يطلبون شاهدين وربما مُزكّين لكل من المُدعي والمُدعى عليه والشهود لإثبات أن شخصاً ما هو فلان بن فلان ولا يكتفون بوثيقة رسمية لإثبات الشخصية بأن هذا الشخص هو فعلاً ما تُظهره الوثيقة الرسمية. ويقوم ذلك المسؤول بإقرار الشاهدين والمُزكّين شفويًا بذلك. إن آلية الشهادة الشخصية والتعريف الشخصي وردت فيهما نصوص شرعية، فهل كان الغرض هو الشهادة والتعريف الشخصي لذاتهما أو كان الغرض التحقق والإثبات - علماً أن للشهادة ركنين: العلم بشيء والدليل عليه؟ الحقيقة، أن كلاً من الشهادة والتعريف الشخصي كالوثيقة هي وسيلة للإثبات، تماماً مثل صورة (أو بصمة) العين والقيافة وبصمة الأصابع والصبغة أو البصمة الوراثية الجينية DNA test وتُسمى أيضاً genetic test، أو إثبات الأبوة paternity test. والمرء قد يعجب، لِمَ لا يأخذ ذاك المسؤول الرسمي في المحكمة وثائق الإثبات الشخصية الرسمية من صاحب القضية ويربحه من عناء اصطحاب أصدقائه إلى المحكمة لأن الوثيقة الرسمية التي تفي بالغرض تأخذ بها كل الدوائر الحكومية الأخرى لإثبات الشخصية؟ ولكن التعجب يتحول إلى

إشكال عندما يقوم ذاك المسؤول في المحكمة، وبعد أخذ التعريف الشفوي وتدوينه في سجلات المحكمة الرسمية، بأخذ الوثائق الرسمية لصاحب القضية والشهود والمزكين وتدوين أسمائهم وأرقام تلك الوثائق في نفس السجلات (وهو تدوين لا تفرضه الشريعة الإسلامية على أي حال) ولكنه سلوك يُظهر ازدواجية. إلا أن هذا التعجب والتساؤل يزداد إلى حيرة حينما يلجأ صاحب قضية إلى أفراد في صالة المحكمة، لا يعرفهم البتة، ويريهم وثائقه الرسمية ويطلب منهم أن يشهدوا له عند هذا المسؤول، ليجد صاحب القضية أن الآخر يطلب منه نفس الشيء. ويقوم كل منهما بالشهادة للآخر، وأمام نفس المسؤول! والحقيقة المرة، ليس فقط أن قصد الشرع في الإثبات لم يتحقق بل أيضًا أن آلية الشهادة قد التفت حولها.

وهناك وجه آخر لهذه الازدواجية، الزواج والطلاق؛ يتم الزواج شرعًا بلفظ (إيجاب وقبول) ويقع الطلاق شرعًا بلفظ. حاليًا، يجب أن يُبرم الزواج من خلال مأذون شرعي رسمي ويحرر في عقد رسمي ثم يوثق العقد لدى محكمة والتي تُصدر وثيقة رسمية بذلك. وقد توجد مُتطلبات قانونية في الزواج أو الطلاق لا توجد في الإسلام أو لا يقرها وتأخذ بها محاكم. وليس أي من هذه المتطلبات ركنًا أو شرطًا شرعيًا لإبرام عقد الزواج في الشريعة الإسلامية. ومن لم يُوثِّق زواجه أو طلاقه بوثائق رسمية، فإنه يواجه مشاكل رسمية لا قبل له بها. ومثال آخر هو النسب. فالإسلام لم يشترط تسجيل اسم مولود وتوثيق نسبه. وحتى قبل حوالي مئة سنة لم يتم تسجيل أسماء المواليد ويوثق نسبهم. وهالة التناقض الذاتي تكون بالمقابلة بين متطلبات الزواج الرسمية ومتطلبات رؤية الهلال في عصرنا الحاضر. في الزواج يجب وجود مأذون شرعي بشهادة جامعية في الشريعة لإبرام الزواج، بينما في رؤية الهلال ترفض نفس الهيئات الدينية الرسمية شهادات علمية عن رؤية الهلال من خريجين جامعيين من قسم الفلك، ولا تُعتمد بشهادة متخصصين رسميين فلكيين، وتأخذ شهادة أهل رعي وإبل.

هذا السلوك المزدوج يتكرر في قضايا الإثباتات المدنية والجنائية

والإجرامية بين الأخذ بالأدلة المادية والعلمية الحديثة والتي توفرها مراكز البحوث العلمية والدوائر الأمنية والمختبرات العصرية (مثل وسائل علم الجريمة وفحص البصمة الوراثية)، وبين الأخذ بتفسير ظاهري وحرفي لنص شرعي. كمثال على ذلك، استخدام الشهادة الشخصية أو اللعان كوسائل إثبات/نفي ممارسة جنسية غير شرعية أو تحديد/نفي النسب، ضد كل الوسائل العلمية الحديثة الأخرى.

هذه الازدواجية سائدة في أمور حياة كثير من المجتمعات الإسلامية (أفرادًا وهياكل اجتماعية ومجتمعات ومؤسسات رسمية - مثل الفرق بين سن البلوغ الشرعي والرسمي، ودخول شهر رمضان "شرعيًا" ورسميًا). هذه الازدواجية سببت في بعض الأحيان معاناة لملايين المسلمين وتشتت وحدتهم. هذه المعاناة، الناجمة، عن الترقب والقلق، تحصل في أوقات دخول رمضان الكريم وعيد الفطر المبارك. فقبل ليلة إلى ليلتين من دخول رمضان يعيش مسلمون فترة ترقب وقلق: هل غدًا رمضان أم لا؟ الحساب الفلكي القطعي يحدد الوقت؛ ورأي آخر لا يثق بالقوانين الطبيعية ولا بحسابات علمية ولا بثورة أو برامج الكمبيوتر. وقد يستنتج غير المسلم أن الشريعة معادية للعلم science والتكنولوجيا. وفي خضم كل ذلك يصبح أفراد ومصالح اقتصادية وتغييرات سلوكية واجتماعية على كف مجهول. فترات الترقب والقلق تزداد وطأة في آخر رمضان؛ فالعيد له مستلزماته والناس في تساؤل وحيرة وغضب غير معلن ثم لا مبالاة. أما دخول شهر الحج، فتترتب عليه حجوزات مسبقة والتزامات مالية وعقود قانونية. وهكذا تذهب كل دولة إسلامية (وجماعة وأفراد) برويتها لقضاء شعيرتها على حساب وحدة الأمة الإسلامية وإظهار عدم تناسق دينها. الغريب أن البلوغ قُنن رسميًا بسن محددة بينما دخول وخروج شهر رمضان لم يُقنن، وكلاهما ورد فيهما نص شرعي. فهل هناك انفصام بجانب الازدواجية؟ أم أنها انتقائية النص لتغليب فقه السيادة؟

ثم تظهر هذه التفرقة مرة أخرى في تفرّد يوم الوقوف بعرفة ولكن تعدد

صومه وتعدد عيد الأضحى في بقية المجتمعات المسلمة - شعيرة واحدة يفصل بين مناسبتها يوم واحد في حساب الزمن، وهوة عميقة وتفرقة في حساب الاتجاه المذهبي وتأصيل فقه السيادة. وكأن المسلمين أمم متعددة متفرقة وليسوا أمة وسطًا، وربهم جل وعلا يقول: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا...﴾ البقرة: ١٢٨ ثم يكرمهم المولى سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾ البقرة: ١٤٣، ولكننا عكسنا الآيتين فكننا أممًا شتى وشهد الناس على تفرقنا (وحتى تخلفنا وبعثوا به ديننا) وتداعت علينا الأمم. فهل الخلل في الشرع أم في الشرح؟ في النصوص أم في النفوس؟

إن السؤال هو: لماذا هذه الازدواجية؟ لماذا يجب أن توجد هذه الازدواجية بين الوثيقة والتعريف الشخصي، والعلم والتراثي البصري؟ هل الهدف هو قِطْعة أن فلان هو فلان بن فلان - أي العلم بذلك؟ أم الهدف هو ما يقوله آخر إن هذا فلان بن فلان - أي الوسيلة بذاتها؟ كذلك، هل الهدف هو عبادة الصوم - تحقيق العبادة؟ أم ما يدعيه شخص ما (أو أكثر) بما يرى - أي الوسيلة بذاتها؟ أم هي تلازم الاثنين معًا والذي يعني بالضرورة أن الهدف لن يتحقق إلا بهذه الوسيلة فقط؟

هناك اجتهادات للإقرار بـ/ وتفسير هذه الازدواجيات في حياة المسلم بين ما خَلَقَ اللهُ ﷻ وشرع. وبرغم من أنه لا توجد بالمرّة نصوص شرعية تبين أن هناك تناقضًا بين خلق الله وشرعه، إلا أن تطبيق البعض له قد يوحي بذلك. إن الوضع الراهن هو اختلاف في الفهم والسلوك بين البشر؛ ولكن الله هو الخالق الحق القيوم والوكيل على ما يخلق، وأنه سبحانه المُشَرِّعُ الخبير، وأنه تقدير العزيز الحكيم؛ أي لا تناقض بين الخلق والشرع مِنْ لدنه.

هذا الكتاب ينقسم إلى جزأين: الجزء الأول فقهي ويمثله ثلاثة الفصول الأولى، والجزء الثاني فلكي ويمثله ثلاثة الفصول الأخيرة. الجزء الأول يقدم نظرة فقهية شمولية جديدة نحو إلغاء هذا التناقض الملموس في حياة المسلم وفي مجتمعه وهياكله. ويجادل الكتاب في أن هذا التناقض يظهر في طريقة

فهم نصوص شرعية و/أو قوانين طبيعية وليس في الشريعة ذاتها أو في الخلق. هذه النظرة التي يقدمها الكتاب تُظهر - بالدليل الشرعي والعلمي - تناسقًا وتطابقًا ليس فقط في الشريعة الإسلامية ذاتها أو الكون بذاته، بل تناسقًا وتطابقًا أيضًا بين ما خلق الله ﷻ وشرع. إنها وحدة المصدر. هذا التناسق يجب أن ينعكس على أي باحث في الشريعة بالألا يكون انتقائيًا وظاهريًا في تفسير نصوص شرعية. تقديم هذه النظرة تُحدّد اتجاه الكتاب: دراسة مسألة فقهية بنظرة شمولية. إن هذا الكتاب ليس عن علم الفلك أو عن الإعجاز العلمي في القرآن أو السنة المُطهّرة، وإن استخدم مواضيع فلكية وعلمية. والجزء الثاني يُبسّط أمورًا فلكية لعامة المسلمين ولمن من الله عليه بعلم في كتاب الله المسطور (الشريعة الإسلامية) أكبر من علم في كتاب الله المنظور (الكون وقوانينه) وبالذات علم الفلك الحديث حتى يتبن لعامة المسلمين الربط بين ما خلق الله وشرع وحتى يبني علماء مسلمون فقههم على علم وبصيرة لما خلق الله.

تتجلى وحدة المصدر في التناسق والتطابق بين الخلق والشرع في استخدام الشرع نفسه للخلق كأداة تربية وتعليم من الرب العليم إلى خلقه، وكأداة تفعيل للإيمان، وكأداة تحفيز لاستنباط علوم للإنسان، وكأداة تحديد لبدء زمن عبادات وأركان.

... الخلق كأداة تربية وتعليم. هذه تكون من الله لخلقه: إما بإرسال الرسل والوحي (وهذا ما لا أقصده). أو بطريقة الله أعلم بها، مثل قول الحق سبحانه: ﴿... وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٨٢، ﴿الرَّحْمَنُ ۝ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ (٤)﴾ الرحمن، وقول الحق: ﴿... عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ۝ (٥)﴾ العلق. أو بتعرض البشر لما خلق الله فيتعلم بها ومنها الإنسان (وهذا ما أقصده) مثل قول الحق سبحانه: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ. كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُؤْتِلْتَنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ۝ (٣١)﴾ المائدة. ومن الواضح أن الغراب أو أي شيء خلقه الله ليس له أي ثقل تعبدي.



- الخلق كأداة تفعيل للإيمان. إن القرآن يلح في عدة آيات أن يسير الإنسان في الأرض وينظر كيف كانت عاقبة من كان قبله<sup>١</sup>. في إحدى هذه الآيات حدد الله سبحانه أدوات السير والنظر، وهي العقول والآذان والأبصار<sup>٢</sup>. إن السير والإنسان والأرض والعقول والآذان والأبصار أدوات (طاقة ومادة وقوانين طبيعية) يستخدمها الشرع للوصول إلى هدف إيماني دون أن يكون لهذه الطاقة أو المادة أو القوانين الطبيعية بذاتها أي ثقل تعبدي، بل القصد هو العبادة التالية. السنة أيضًا تحث على السير أو المشي لأداء عبادات، بدل ركوب أداة نقل طبيعية أو صناعية. وتحث السنة على استخدام سلامي (مفصل) الإنسان للتسيح والتهيل والحمد والتكبير. ولا يستقيم لعقل أو لفته سليم أن المشي أو عظام أصابع اليدين جزءًا من تلك العبادة.

- الخلق كأداة تحفيز لاستنباط علوم للإنسان. إن مطلق السير في الأرض يختلف هدفه باختلاف فاعله. فعالم الآثار يبحث عن شيء غير الذي يبحث عنه عالم التاريخ أو الجغرافيا أو الطبيعة أو الكيمياء أو الأحياء، على سبيل المثال لا الحصر. هذا يقودنا إلى أن السير في الأرض هو أيضًا أداة تحفيز لاستنباط علوم<sup>٣</sup> للإنسان، وهذا ما حصل وحاصل في التاريخ البشري. كما أن استخدام الشرع للخلق لا يقتصر أمره على السير في الأرض بل يتعداه إلى النظر في السماء<sup>٤</sup> وما فيها من أجرام سماوية للعبارة والاستدلال والعلم دون أن يكون لأي جرم سماوي أي ثقل تعبدي.

- أما استخدام الشرع للخلق كأداة تحديد لبدء زمن عبادات فهو موضوع هذا الكتاب.

الله ﷻ هو خالق كل شيء ومُشرِّع هذا الدين، والتناسق بينهما حاصل. إن لم يُر التناسق (أي ظهر تناقض بين الخلق والشرع)، فهناك خلل في فهم ما خَلَقَ اللهُ ﷻ أو في فهم ما شرَّعَ أو في فهم كليهما، ولكن قطعًا ليس في المصدر - وهو ما يُدين به أي مسلم. إذا قُبِلت هذه الفرضية، فما على المسلم إلا أن يسأل نفسه: ما مدى علمي لما خَلَقَ اللهُ ومدي فهمي لما شرَّعَ اللهُ

ومدى مهارتي في الربط بينهما؟ هذا الكتاب هو عن موضوع يجمع بين العناصر الثلاثة السابقة: الخلق والشرع والتناسق بينهما. مدخل هذا التناسق هو نظرة شمولية لما خلق الله وشرع: قضية استخدام وسائل طبيعية أو غيرها لتنفيذ عبادات (أي شرح دور ظواهر طبيعية تستخدمها الشريعة الإسلامية كوسائل لتحديد بدء زمن تكاليف شرعية). بعد تثبيت هذه القضية، نعطي مثالين لتنفيذ عبادتين: الصلاة والصيام، وتوسع في الأخير.

الله الخالق ﷻ هو الله المُشرِّع والله أن يستخدم ما خلق لتحديد آلية وإقامة ما شرع. فاستخدام ما خلق الله (أو ما يطلق عليه الآن الطبيعة Nature، أو حتى كل الكون Cosmos، بكل ظواهرها وأدواتها) لتوصيل رسالة ما شرع الله يجعل من الدين الإسلامي دينًا طبيعيًا في عملية اتصاله بالبشر، ما دامت الطبيعة؛ ولذلك ينتهي الإسلام بانتهاء الطبيعة أي يوم القيامة. فاختيار بشر (وليس ملائكة أو أي وسيلة أخرى) ليكونوا رُسلًا وأنبياء هو إجراء أو مُحدّد طبيعي، وكون رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ أميًا هو إجراء طبيعي (حيث إن الكتابة والقراءة سلوكان مكتسبان)، وبعثه في أمة أمية هو إجراء طبيعي، ونزول القرآن الكريم لفظًا لا كتابة (مثل ألواح نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام) هو مُحدّد طبيعي، والتلفظ بالشهادتين لاعتناق الإسلام هو مُحدّد طبيعي، وحفظ القرآن في الصدور لا كتابته هو مُحدّد طبيعي، واستخدام مواقع الشمس والقمر لتحديد بدء أوقات الصلاة والصوم والحج وعبادات أخرى هو مُحدّد طبيعي، واستخدام الأذان كأداة نداء وتجمع للصلاة هو مُحدّد طبيعي، واستخدام مرور سنة أو حَراج الأرض (يوم حصاده) لتحديد وقت إخراج الزكاة هما محددان طبيعيين، واستخدام بقول كمقياس لإخراج زكاة الفطر وكفّارات أو معادن كمقياس لإخراج زكاة المال هما مقياسان أو مُحدّدان طبيعيين، واستخدام البلوغ لتحديد بدء التكليف الشرعي (بما في ذلك سن الزواج والقتال) هو مُحدّد طبيعي، واستخدام الحيض لتحديد بدء عبادات (وحتى معاملات، مثل الإيلاء والعِدَّة) وتوقف أخرى هو مُحدّد طبيعي، واستخدام أنعام (جمال وأبقار وغيرها) ككفارات ودية للقتل

الخطأ هو تحديد طبيعي، ووقوف كل البشر عرايا في المَحْشَر هو إجراء طبيعي، واستخدام الماء والتراب للوضوء هو إجراء طبيعي. بل إن الله ﷻ يستخدم أمراضًا وكوارث طبيعية، كأدوات طبيعية لامتحان أي فرد أو جماعة لعلمهم يرجعون إليه ﴿وَلَنذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٦١) السجدة، ﴿... وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الأعراف: ١٦٨. وهكذا في كل التكاليف الشرعية نجد أن الأساس هو استخدام ما خلق الله (ظواهر أو أدوات طبيعية، الحسن منها والسيئ) لتحديد آية وإقامة ما شرع الله. أي إن هذه المُحدِّدات الطبيعية موجودة في/ أو لكل إنسان، إما في بيئته أو في بيئته لكي لا يحتاج الإنسان إلى شيء لا طاقة له به، يقول الحق ﷻ: ﴿... لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ البقرة: ٢٨٦. يقول الإمام القرطبي<sup>٥</sup> في تفسير هذه الآية "نصَّ الله تعالى على أنه لا يكلف [أي الأمر بما يشق] العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهي في وسع [أي طاقة وجدَّة] المكلف وفي مقتضى إدراكه [أي في بيئته] وبيئته [أي في نفسه]". لماذا؟ لأن الحق سبحانه يقول: ﴿... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ...﴾ النساء: ١٦٥. ومن البدهي أن هذه الاستخدامات والظواهر والأدوات الطبيعية، وحتى النعم أو الحسنات، ليست مقصودة لذاتها بل لوظيفتها؛ أي: ليس لها ثقل تعبدية.

بعبارة أخرى، هناك ثلاثة أمور في الأمثلة السابقة: العبادة وهي أمر توقيفي، وبدء زمن العبادة وهو أمر توقيفي، وكيفية تحديد بدء هذا الزمن وهو أمر غير توقيفي لأنه أمر يخص الإنسان وبيئته. في أغلب الأحيان تتم الكيفية عن طريق استخدام ظواهر أو أدوات طبيعية أو حتى مجرد أرقام، وهو استخدام وسائل وليس تعيين عبادة. كيف؟ إنه من المستحيل عملياً تحديد وإقامة عبادات أو معاملات بدون وسيلة، سواء كانت الوسيلة ظاهرة طبيعية أو غيرها. بعبارة أخرى، العبادات أو المعاملات تكليف قائم بذاته، والوسيلة لأداء هذه العبادات أو إقامة تلك المعاملات ليست جزءاً من أي منها، فالوسائل مُتغيرة، وبالتالي فهي ليست قائمة بذاتها. هذا لا يعني إطلاقاً إبطال

دور هذه الوسائل، فبقى هي إطار المرجعية لأنها مُشَرَّعة من عند الله. أخيراً، حينما تُستخدم الشريعة الإسلامية ظواهر طبيعية كوسائل فإنها تقيم الحُجَّةَ على البشر، لأن معرفة الظواهر الطبيعية لا تحتاج إلى علم مُكتسب؛ فالأُمِّي والمُتعلّم يعرفها، كما أنها تتسم بالثبات النسبي في كل مكان وزمان، وهي لكل البشر صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى. ولو أن الشريعة الإسلامية حدّدت نقوداً كمقياس لكانت مقياساً جيداً في وقتها (ربما لنحو ١٠ سنين) ثم تقل فعالية هذا المقياس بفعل التضخم وعوامل أخرى. باستخدام مقياس وظواهر طبيعية، يُثبت الإسلام أنه دين عالمي باختلاف الناس والمكان والزمان.

بقي أن نثبت أنه وإن كانت الشريعة الإسلامية تستخدم ظواهر/أدوات طبيعية كوسائل، إلا أن الشريعة الإسلامية تريد ألا تجعل من الطبيعة الأساس الذي تركز عليه، فهي خلقٌ من خلقِ الله، والله الأمر والخلق. ولهذا ترى الشريعة الإسلامية تارة تجلُّ ظاهرة طبيعية مكان أخرى لنفس العبادة، وتنص تارة أخرى على إزالة أشياء طبيعية لأن إزالتها من الفطرة (فهي وإن وُجدت بشكل طبيعي إلا أن بقاءها/استعمالها بدون ضوابط يؤدي إلى مضاعفات صحية) مثل، التثاؤب، الختان وحلق العانة وتقليم الأظافر؛ وتارة تهذب أشياء طبيعية أخرى مثل الجنس وفضلات الإنسان الطبيعية ودفن الميت؛ وتارة لا تُربط الظاهرة الطبيعية بأي عبادة واجبة مثل، البراكين والزلازل والرياح والنيازك والشهب وانفجار النجوم. وبهذا تخبرنا الشريعة الإسلامية أن شرع الله فوق خلق الله.

هذه النظرة الشمولية الجديدة، التي تجمع بين الخلق والشرع، تشرح بشكل كُليٍّ ومتناسق المنهجية الطبيعية للشريعة الإسلامية لتحديد بدء زمن عبادات. فلذلك اختارت الشريعة الإسلامية وسائل طبيعية مثل البلوغ لبدء التكاليف الشرعية للفرد المسلم (والنطق لغير المسلم) ولين الزواج وسين القتال، واستخدام البقول كمقاييس لإخراج زكاة أو كفارة، وضرب العنق لفصل الرأس عن الجسد لتنفيذ حد القتل، والأنعام كدية للقتل الخطأ وككفارات، وهكذا. كما تتنبأ هذه النظرة الشمولية بأن أحداثاً أُخبرت عنها

الشريعة ولم تقع بعد سوف تقع مكاناً و/ أو زماناً بشكل طبيعي فمثلاً، موقع خروج الدجال هو الدائرة القطبية الشمالية<sup>٦</sup>، وانتفاخ الأهلة<sup>٧</sup> وكثرة الكسوف<sup>٨</sup> كأحد علامات يوم القيامة ترجع لأسباب فلكية مُيسرة لكل من أراد معرفتها وأيضاً لنشر حدوثها بشكل آني وحتى العلم بها قبل حدوثها.

هذا الطرح جديد وجريء وقد يصدم البعض لأنه يُظهر مدى تعصبنا لفقهِ السيادة أو لمذهب ما، ومدى تناقضنا نحن المسلمين مع أنفسنا، ومدى علمنا لكون الله وقوانينه أو، قل إن شئت، سُنة الكونية (نحن نتفاعل مع الكون قبل أن نُكلف شرعاً)، ومدى فهمنا لشرع الله ومقصده، ومدى قدرتنا لمعرفة العلاقة بين الخلق والشرع. لا بأس. دَعُونَا لا نزيد هذا التناقض الذاتي في فهمنا للشريعة بتخطئة من اختلف معنا، ونُقَلِّل تناقض أفهامنا بتوضيح وجهات نظرنا للآخر وليس مصادرتها أو حتى إرهابه باسم الدين، ولا نُضيقُ واسعاً. إننا يجب أن نمارس التسامح أولاً فيما بيننا نحن المسلمين وليس فقط نبلغه لغيرنا. إن الله جلاً جلاله تحاور مع أعدائه وسجله لنا (بما في ذلك حجج أعداء الله عليه، جلت قدرته) قرأناً يُتلى إلى يوم القيامة. إن "الإكراه كان سبباً لتقهقرنا لأننا دائماً نلغي الآخرين وحتى من يخالفنا من المسلمين نلغي رأيهم ونمارس الاضطهاد ضدهم والإرهاب الفكري. وحرينا ضد العقل قديمة وليست جديدة، ولهذا تجمدت عقولنا في مكانها ولم تتطور. اعتمدنا الإكراه، ولو كان الله يخاف على دينه من الهزيمة لما قال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ البقرة: ٢٥٦. إن الله أول ما خلق القلم وأول ما أنزل من القرآن هو اقرأ، فلماذا نعتمد على السيف أكثر من القلم؟ هذا سؤال يجب أن نجد إجابة عليه<sup>٩</sup>. أود أن أهدي أفكار هذا الكتاب إلى الذين لا يجتهدون ويضايقهم أن يجتهد الناس.

يناقش الفصل الأول الدور الذي تقوم به ظواهر طبيعية، من حيث بعدها الزمني أو تركيبها الطبيعي، كمحددات لتكاليف شرعية؛ أي من حيث كون الظواهر الطبيعية وسائل لتحديد بدء وإقامة شرع الله ﷻ وهدى رسوله سيدنا محمد ﷺ. سوف تُوضَّح الأسباب التي جعلت الإسلام يستخدم هذه الظواهر

الطبيعية كوسائل في تشريعاته، وأن القصد هو العبادة وليس الوسيلة؛ أي: أن استخدام ظاهرة طبيعية مُحدّدة لتكليف شرعي ليس واجبًا شرعيًا. سيتم الدفاع عن الفرضية الرئيسة الجديدة في هذا الكتاب. حيث يَسْتَبْدَل هذا الكتاب النظرة الأحادية لنص شرعي، وليس النص الشرعي بذاته، بنظرة شمولية للتشريع وللخَلْق؛ أي بإظهار أن الشريعة الإسلامية هي نظام كلي متماسك بذاته من جهة، وبإظهار تناسق الشرع مع الخَلْق من جهة أخرى.

يستعرض الفصل الثاني التطبيق الأول لهذه النظرة الشمولية وهو حركة الشمس الظاهرية وعلاقة الحركة بركن من أركان الإسلام وهو الصلاة وموقفنا نحن المسلمين من هذه الظاهرة. يستعرض التطبيق الثاني وهو حركة القمر الظاهرية وعلاقة حركة وأوجه القمر بركنين آخرين من أركان الإسلام وهما الصيام والحج. سوف نناقش الطريقتين المُستخدَمتين لبدء وانتهاء شهر الصيام وهما الرؤية والحساب. سوف نُطبّق النتائج التي توصلنا إليها سابقًا في إظهار أن الظاهرة الطبيعية المُستخدَمة لبدء الصيام وانتهائه وبدء الحج؛ أي: الهلال، ليست جزءًا من الصيام أو الحج، كما لم تكن مواقع الشمس جزءًا من الصلاة ذاتها.

يفحص الفصل الثالث مشاكل كبيرة نتجت عن عدم توحيد بداية شهر رمضان وعيد الفطر لكل المسلمين ومقارنة ذلك بالحج. ثم نقدم شرحًا فقهيًا موجزًا لمصطلح "اتفاق مطالع القمر أو اختلاف المطالع". ثم نستعرض حلًا لهذه المشاكل مُستخدِمين نظرة شمولية لاستخدام الظواهر الطبيعية.

يقدم الفصل الرابع شرحًا علميًا موجزًا لآلية وأوجه القمر وبعض الحقائق الكونية الثابتة عن القمر. هذا الشرح العلمي المُبسّط والضروري (وما ورد في الفصول التي تليه)، هو لمن من الله عليه بعلم في كتاب الله المسطور أكبر من علم في كتاب الله المنظور وبالذات علم الفلك الحديث. يُظهر بعض المشائخ في الشريعة الإسلامية ليس فقط جهلاً بعلم الفلك (وهذا مفهوم) أو حتى خلطًا بينه وبين التنجيم (وحتى هذا قد يكون مفهومًا)، بل موقفًا عدائيًا منه، وهذا لا عذر لهم فيه. كما يهدف هذا الفصل أيضًا إلى تنوير المسلم

العادي بالأسباب التي دعت الشريعة الإسلامية إلى استخدام ظواهر طبيعية تعتبر من صميم مواضيع علم الفلك وبالتالي موقع هذا الاستخدام في الشريعة.

سُنْظهر متى وأين يبدأ اليوم والشهر طبقاً للشريعة الإسلامية. سنوضح ونُدلّل أنّ الله ﷻ هو الذي أراد لنا أن تكون مكة المكرمة، زادها الله شرفاً، خط تغير الوقت أو خط التوقيت الدولي International Date Line، وهو شرط ضروري لتوحيد الأهلة (وبالتالي توحيد بداية رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى). سنشرح طريقة جديدة لجعل التوقيت الغروبي توقيتاً منهجياً وعالمياً أساسه خط طول مكة المكرمة. سنشرح حديث الصحابي كريب رضي الله عنه بشكل كمي فلكي وكيف أن اختلاف الرؤية لرأي الهلال في دمشق والمدينة المنورة كان لأسباب غير فلكية؛ أي: يستحيل أن يُرى الهلال في دمشق ولا يُرى في نفس الليلة في المدينة المنورة في ظرف معين. سنشرح بإيجاز الأساس الفلكي لمصطلح اختلاف مطالع القمر أو بصيغة أدق، اختلاف مغارب الهلال. سنوضح أثر دوران الأرض حول نفسها وأثر ميل محور الأرض وأثر فلك القمر وميل هذا الفلك على مواقع الهلال. سنوضح أن المعرفة العلمية في العصر الحاضر لمواقع القمر وأوجهه ومواقع كل الأجرام السماوية ولأزمة حقيقية، في الماضي والمستقبل، هي من الدقة والصحة المذهلة مما يجعل تحديدات علم الفلك المعاصر positional Astronomy لهذه الأجرام علماً قطعياً، يقينياً. سنشرح لماذا في بعض الشهور القمرية يكون الهلال كبيراً ومرتفعاً في أول ليلة من الشهر. أخيراً، نلقي ضوءاً على ظاهرة فلكية نادرة الحدوث لشهر رمضان للفترة ١٣٧٠-١٤٥٠هـ (١٩٥٠-٢٠٢٩م) ولكنها تتكرر في شهور قمرية أخرى (يبرزها من يريد أن يُقلل من دور علم الفلك وعلمائه) وهي: أن تغرب الشمس ثم يغرب القمر ثم يحدث الاقتران.

يُظهر الفصل الخامس الاختلاف الذي يظهر سنوياً في جميع العالم الإسلامي لدخول الشهر القمري وبالذات دخول وخروج شهر رمضان وذلك من خلال دراسة ميدانية لدخول أشهر رمضان وشوال وذو الحجة في المملكة

العربية السعودية للسنوات ١٣٨٠-١٤٢٩هـ، كما أعلن عنه رسمياً ومقارنة ذلك فلكياً. سوف نرى أن نسبة الخطأ في إدعاء الرؤيا لهلال رمضان وشوال وذو الحجة كانت ٨٨٪ و ٨٦٪ و ٧٦٪، على التوالي.

يبرهن الفصل السادس وبصيغة علمية فلكية أن التنجيم، وليس علم التنجيم، ليس من العلم من شيء وإنما هو دجل وزيف واغتناء على حساب نفوس جوفاء. كما أشرت إلى بعض الكتب والمراجع في علم الفلك فيما يخص الموضوع لمن أراد الاستزادة.

(الملحق أ) عبارة عن دراسة علمية تشرح حديث الصحابي كريب شرحاً فلكياً كميّاً وتوضح بدلالة علمية أن أي استدلال فقهي بهذا الحديث لإثبات وجود ما يسمى اختلاف المطالع هو استدلال ليس له ما يؤيده علمياً. وأخيراً نوجز في خاتمة.

بين فينة وأخرى وخلال هذا الكتاب أقدم فكرة هنا وتوضيحاً هناك. قد لا يكون لأي منها صلة مباشرة ولكن لأي منها فائدة ثقافية تتعلق بموضوع الكتاب. وهي كما قال الشاعر بشار بن بُرد:

ولا تجعل الشورى عليه غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم  
أخيراً، لقد أثرت في هذا الكتاب اتباع أسلوب عصري يفهمه شباب اليوم المهتم بالإسلام وبالعلم والثقافة لأن هذا الكتاب لم يُكتب لمُتخصص في الشريعة الإسلامية أو علم الفلك أو ليكون كتاباً مقررّاً. لم ألجأ إلى أسلوب مُتحدجر أو مُتخصّص لا يفهمه الكثير وينفر منه أكثر. كما أثرت اتباع منهج علمي من حيث الجُملة القصيرة والفكرة المُبسّطة والمعلومة الموثقة - ولكن هناك الكثير من المعلومات والمعرفة العلمية، والتي أرجو ألا تدفعك إلى ترك القراءة. (اصطلاح منهج علمي قد يختلف تعريفه باختلاف بعض الأفراد. فمنهم من يحصر "علم" بالعلم الشرعي فقط، وليس هذا المراد هنا، فالعلم بمعناه الواسع يشمل أكثر من العلوم الشرعية. وما أقصده هو منهجية البحث العلمي الموثق). كما استخدمت الملاحظات بشكل مكثف، إما للتوثيق



أو لشرح فكرة أو معلومة علمية بشكل أوسع. ففي توثيق هذا الكتاب وعند القيام بعمليات اقتباس، يجد القارئ رقمًا صغيرًا في أعلى ونهاية كلمة كهذا الرقم ١ على هذه الكلمة<sup>١</sup> أو هذا الرقم<sup>١٧</sup> وليس<sup>(١٧)</sup>. هذه طريقة معروفة في الأوساط العلمية للإشارة إلى ملاحظة بدون الـ(أقواس) فهي لا تضيف أي معنى. كل رقم يعني ملاحظة، وتجدها في نهاية الكتاب نظرًا لكثافتها وطول بعضها. فأرجو الرجوع إلى كل ملاحظة في نهاية الكتاب، وشكرًا.

عدنان عبد المنعم قاضي

مكة المكرمة



## الفصل الأول

﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

### الظواهر الطبيعية

هل تقوم ظواهر طبيعية بأي دور في الشريعة الإسلامية؟ تحديداً، هل لظواهر طبيعية أي دور في تحديد بدء زمن وكيفية تكاليف شرعية: عبادات ومعاملات؟ وهل لهذه الظاهرة الطبيعية أو تلك وطريقة تطبيقها أي ثقل تعبدي؟ بمعنى، هل استخدام ظاهرة طبيعية لتحديد بدء زمن عبادة هو جزء من العبادة نفسها؟ في الصفحات القادمة سوف نوضح هذا الدور. كما سنبين وندلل أن أي ظاهرة طبيعية نصت عليها الشريعة الإسلامية لتحديد بدء زمن تكليف شرعي ليست مقصودة لذاتها بل للعبادة التي جاءت الظاهرة لتحديد بدايتها وأن هذه الظاهرة الطبيعية أو تلك ما هي إلا وسيلة أو أداة لأداء تلك العبادة. سيتضح أن من مسببات استخدام أي ظاهرة طبيعية يستخدمها الإسلام لتحديد بداية تكليف شرعي ليس لأن الإسلام أتى قبل أكثر من ١٤ قرناً أو لأنه ظهر في منطقة صحراوية أو لأنه أتى لقوم أميين غير ذوي حضارة، بل لأسباب مختلفة تماماً.

نحن المسلمين نعتقد أن الله ﷻ هو الذي خَلَقَ الكون (فضاء ومادة وطاقة)، يقول الخالق ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾ الفرقان: ٥٩. والله خَلَقَ أيضاً كل السنن الكونية والتي تسمى في عصرنا بالقوانين الطبيعية التي تسيّر وتضبط هذا الكون بإذنه ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ (٥) طه؛ أي: أن ما يَخْلُقُ الله (من طاقة ومادة وفضاء وغير ذلك) هَامِدٌ بذاته إلى أن يُودِعَ الله ﷻ فيه أو يُسَلِّطَ عليه ما يشاء من القوانين

الطبيعية. ولكن الأمر لا ينتهي عند ذلك، فالله ﷻ ليس فقط الخالق لكل شيء بل والحافظ والقيوم لكل شيء ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٦٢) الزمر؛ أي: أن الله ﷻ خالق أي مستمر في خلق كل شيء، والله ﷻ أيضًا وكيل أي حافظ وقيوم مستمر في وكالته على كل شيء. هذه القيومية ليست فقط مستمرة بل ولا تشق عليه في الحفظ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (١٦٥) البقرة.

إن هذا الكون 'Cosmos، المُنظَّم والمُتناغم مع بعضه البعض والجميل في شكله، يُظهر نفسه ليس فقط عبر بلايين السنين من عمره وحجمه الهائل والأنواع المختلفة والمنتشرة من الحياة، بل أيضًا عبر قوانينه الكونية المُحكَّمة والمتناسقة والبسيطة والثابتة ﴿... فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر: ٤٣، والجميلة والمتاحة لكل البشر ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِبَاتٍ لِّلنَّظِيرِينَ﴾ (١٦٦) الحجر، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا...﴾ (١٦٧) الكهف: ٧. على الجانب الآخر، إن الله ﷻ هو الذي أنزل هذا الدين ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ آل عمران: ١٩. هذه الوحدة في المصدر للخلق والتشريع تجعل من البدهي للحق تبارك وتعالى أن يستخدم ما يشاء من آياته (من ظواهر طبيعية وغيرها) لتحديد وإقامة شرعه. إن استخدام ظواهر طبيعية كوسائل لتحديد بدء زمن تكاليف شرعية يُظهر منهجية الإسلام الطبيعية ودليل على أن رسالته فطرية وعالمية لكافة الناس أين ومتى وجدوا. إن إيمان المسلم بوحدة المصدر تجعل من المستحيل أن يكون لديه تضاد (أو حتى تنافر) بين صنع الله وشرعه. إذا ظهر التضاد، فإنه يكون إما في فهم ما صنع الله أو في فهم ما شرع أو في كليهما ولكن قطعاً ليس في المصدر. إن كون الله (مادة وطاقة وفضاء وقوانين وحياة) متقن ﴿... صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ (١٦٨) النمل: ٨٨، ودين الله كامل ﴿... أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ (١٦٩) المائدة: ٣،

وشريعة الله يُسْر ﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ...﴾  
البقرة: ١٨٥.

## العلاقة بين الخلق والتشريع

ما هي العلاقة حقًا بين الخلق والشرع؟ من يهيمن على من؟ أم هما متكافئان؟ الحقيقة أن الشرع (بمعنى العبادة) يهيمن على الخلق، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) الذاريات. ونحن نعلم أن كل ما خلق الله في السماوات والأرض مسخر للناس ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ...﴾ الجاثية: ١٣. فأى قُدسية لأي خلق أتت بما أضفى الشرع على الخلق، وليس العكس. حتى الكعبة المشرفة قبله المسلمين جميعًا ليست بأشد حُرْمَةً عند الله من حُرْمَةِ المسلم. ولكن المسلم يُعاقب وحتى حين يقتل يقتل بأمر من الشرع. أي نظام متكامل يُصمم للتطبيق والدوام، سواء كان نظامًا دستوريًا أو اجتماعيًا أو سياسيًا أو دينيًا، لا بد أن يحتوي على ركيزتين. أولاً: مواد تشريع مرنة وشمولية. ثانيًا: آليات وأدوات تطبيق مواد التشريع (أحيانًا تعرف باللوائح التنفيذية). وكلما كانت النية لإطالة زمن تطبيق مواد التشريع (مثلًا، ألف سنة وأكثر)، كلما تم اختيار آليات وأدوات تطبيق تتسم بالديمومة وسهولة الفهم. وإذا أضيف إلى ذلك أن الهدف هو كافة الناس (باختلاف أعراقهم وأجناسهم وألوانهم وسكنهم في كل أركان الأرض على مر الزمن) وكان أغلبهم أميين، فليس هناك من وسيلة إلا استخدام الظواهر الطبيعية كآليات وأدوات لمواد التشريع، بل هي الأحسن على الإطلاق. لماذا؟ ليس لعبادتها أو التعبد بها (كما قد يجادل البعض)، ولكن لأسباب جوهرية وموضوعية خاصة بالظواهر الطبيعية نفسها والتي سنذكرها في الفقرة ما بعد التالية: دور الظواهر الطبيعية. فقط تخيل لو أن الشريعة الإسلامية حددت قبل ١٤٠٠ سنة زكاة الفطر أو المال بنوع معين من العملة، كيف يكون إخراجها الآن؟ مستحيل. إذًا، هذا يعد فشلًا في استخدام آليات أو أدوات مواد التشريع. وهكذا لو لم تُحدد أوقات الصلاة بمواقع الشمس والحج

ورمضان بمواقع القمر. هدف الشريعة الإسلامية استخدام أدوات محسوسة (الظواهر الطبيعية) يفهمها كافة الناس أينما كانوا وحيثما كانوا ﴿لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ...﴾ النساء: ١٦٥.

إن من المستحيل مادياً تنفيذ أي تكليف شرعي (سواءً في العبادات أو المعاملات) بدون استخدام ظواهر أو أدوات طبيعية أو غير طبيعية أو غيرها. الإنسان ذاته وكل جوارحه وكل ما حوله في هذا الكون ليسوا إلا وسائل أو أدوات مسخرة له لتحقيق مراد الله. في نفس الوقت، إن كل الخلق من مادة وطاقة وفضاء وقوانين طبيعية (الأمر) وتشريع يحكمه قول الحق ﷻ... ألا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿الأعراف: ٥٤. ومن الأمر أن يستخدم الله ما يخلق لتنفيذ ما يُشَرِّعُ، إيجاباً وسلباً. إيجاباً، باستخدام ظاهرة (أو سلوك أو أداة) طبيعية كوسيلة لتحديد بدء زمن عبادة وكيفية معاملة (مثلاً، الشهادة بالنظر والوصية باللفظ)، وسلباً بعدم استخدامها أو حتى تحريم ذلك.

هذه العلاقة تظهر في استخدام الإسلام لأربع مجموعات مما خَلَقَ اللهُ لتحديد بدء زمن ما شَرَّعَ:

١- أولى هذه المجموعات هي ما يُعرف اليوم بظواهر طبيعية natural phenomena وهي حدث أو حقيقة طبيعية في الأرض أو في السماء تعرفها نسبياً جميع طبقات البشر في كل مكان وزمان. فكل ركن من أركان الإسلام الخمسة يستخدم ظاهرة طبيعية واحدة أو أكثر لتطبيقه. فلكي يُصَبِّحَ غيرُ المسلم مسلماً لا بد له من أن يكون قادراً على النطق وبالتالي التلفظ بالشهادتين، ويصلي المسلم حسب مواقع الشمس، ويزكي بحلول الحول (تمام سنة قمرية) أو عند خَرَاَجِ الأَرْضِ، ويصوم ويفطر المسلم ويحج حسب مواقع الهلال والشمس، وقبل كل ذلك يُكَلِّفُ المسلم عند البلوغ. إن المقدرة على النطق ومواقع الهلال ومواقع الشمس ودورة الأرض حول الشمس وخَرَاَجِ الأَرْضِ والبلوغ، كلها ظواهر طبيعية. والشريعة الإسلامية لم تستخدم ظواهر طبيعية في تحديد عبادات فقط وإنما استخدمتها أيضاً في تحديد معاملات - تطبيقاً وعقوبة. فالحيض، كظاهرة طبيعية مثلاً، استخدم في تنظيم الطلاق والعدَّة.

كما استخدمت الشريعة الإسلامية الكوارث الطبيعية كأدوات تحفيز للرجوع إلى الله وردع لمعصيته وإثبات وحدانيته ﷻ وكونه القاهر فوق عباده .

٢- أدوات طبيعية natural tools وهي أدوات موجودة أصلاً بشكل طبيعي ويمكن لأي إنسان استخدامها لتحقيق غرض ما، مثل: شهادات الأفراد في الحقوق والرضاعة، واللّعان لإثبات أو نفي ادعاء الزنا أو النسب في الحياة الزوجية، وعود الأراك للتسوك، والماء للوضوء والتطهر، وغير ذلك .

٣- مددٌ زمنيةٌ بحثةٌ أو أعدادٌ مجردة لتحديد أمورٍ شرعيةٍ إما بحد ذاتها كأداة أو لعدم تحقق ظواهر (أدوات) طبيعية أو كبديل لها. مثال ذلك: الرجال - ولكن ليس النساء - الذين يقسمون على أزواجهم ألا يقربوهن ﴿لَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ رَبِضُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ...﴾ البقرة: ٢٢٦، بعض الكفارات الزمنية التي شرّعت في القرآن أو السنة ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ...﴾ المجادلة: ٤، والصلوات المفروضة (عددتها وعدد ركعاتها) والسنن الرواتب وعدد مرات الطلاق وصيام التطوع ومدة الرضاعة وخمس عشرة سنة للبلوغ وغيره كما سيتضح بعد قليل .

٤- أدوات مصنّعة (غير طبيعية، وهي أدوات مُصنّعة من قبل الإنسان) تستخدمها أو حتى أحياناً تُقدمها الشريعة الإسلامية على أدوات طبيعية مثل البيّنة ﴿... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ...﴾ البقرة: ١١١، وتقديم الكتابة وهي أداة مصنّعة في الدّين والبيع ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْتَبَوْهُ...﴾ البقرة: ٢٨٢، على الشهادة وهي أداة طبيعية ﴿... وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنْ أَلْشُّهَدَاءِ...﴾ البقرة: ٢٨٢. حتى الكتابة لها بديل وهو الرهن ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنُ مَقْبُوضَةً...﴾ البقرة: ٢٨٣. إن القصد ليس الوسيلة هذه أو تلك بل وضع آلية لأداء الأمانة .

على الجانب الآخر، نجد أن الشريعة الإسلامية تريد ألا تجعل من الطبيعة (وكل ما فيها من مادة وطاقة وفضاء وقوانين طبيعية) الأساس التي

ترتكز عليها، فالطبيعة خلُق من خلقِ الله. ولهذا ترى الشريعة الإسلامية تارة تحلُّ ظاهرة طبيعية مكان أخرى لنفس العبادة، وتنص تارة أخرى على إزالة أشياء طبيعية لأن إزالتها من الفطرة (فهي وإن وُجدت بشكل طبيعي إلا أن بقاءها/استعمالها بدون ضوابط يؤدي إلى مضاعفات صحية) مثل، الختان وحلق العانة وتقليم الأظافر. وتارة تهذب الشريعة أشياء طبيعية أخرى مثل الجنس وفضلات الإنسان الطبيعية ودفن الميت والتثاؤب. وتارة لا تربط الشريعة الظاهرة الطبيعية بأي عبادة واجبة مثل، البراكين والزلازل والرياح والنيازك والشهب وانفجار النجوم. وبهذا تخبرنا الشريعة الإسلامية أن شرع الله يهيمن على خلق الله. وبهذا نعلم أن القمر بوجوهه المختلفة (من هلال إلى بدر إلى هلال) وآياته (من حيث الموقع والزمن)، ليس لأي منها أي ثقل تعبدي. فتكوُن الهلال لأول مرة مُسخر لنا نحن البشر لكي نعرف بدء العبادة التالية.

نستخلص، أن هناك تكاليفَ شرعيةً رُبطَ أداؤها بظواهر طبيعية أو أدوات طبيعية أو فترات زمنية محددة أو حتى أدوات عُرْفية. إن الزمان والمكان، بالنسبة للمسلم، مربوطان ربطًا جذريًا بتكاليفَ شرعية. فإساءة فهم دور وآلية هذه الظواهر الطبيعية ينعكس سلبيًا على مفهوم الإسلام بين أتباعه ومن قَبِل غير المسلمين، فيسبوا<sup>٢</sup> الإسلام ظنًا منهم أن الإسلام دين ضد العلم أو حتى الإنسانية. فمثلاً، "... متى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي ﷺ أو الله ﷻ، فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم ولا يتعرض لما يؤدي إلى ذلك لأنه بمنزلة البعث على المعصية"<sup>٤</sup>. هذا التعرض لما يؤدي إلى ذلك، كما قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ، قد يأتي أيضًا من إنكار أو قلة فهم آيات كون الله ﷻ فيسب غير المسلمين ديننا جهلاً منهم بحقيقة ديننا ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ الأنعام: ١٠٨. ولكن هذه المرة يسبُّ الكفرة الإسلام بسبب موقف ومدى علم بعض أهله بكون الله وسننه الكونية من جهة وإعمال فقه السيادة أو التعصب المذهبي من جهة أخرى. فقلة أو خطأ فهم فرد لسنن الله الكونية أو

حتى لدور ظواهر طبيعية وآلياتها يضيفي بأثره على فهم هذا الفرد للشرع وتطبيقه. ومن لم يعلم حقيقة ودقة القوانين الطبيعية التي خلقها الله ﷻ أتى بغيرها وطوّع نصوصاً شرعيةً على حسب ما يرى. فمن ظن، مثلاً، أن آيات النظام الشمسي (الأرض، القمر، الشمس وغيرها) على غير ما هي عليه، أو أن معرفة مواقع أجرامه (مواقع الشمس ومواقع القمر بالذات) هو من قبيل حساب النجوم أو التنجيم، أو أن حسابات علم الفلك غير قطعية (لأنه جاهل بعلم الفلك)، أو حتى لديه علم زائف pseudo science، أو أي أمر آخر ثبت علمياً وقطعياً ولكن حسب ظنه غير ذلك، طوّع النصوص الشرعية حسب ظنه وفهمه. وإن عذّر المجتهدون في العصور السابقة - لقلّة في علم الفلك ودقته وآلاته في تلك العصور\* مقارنة بهذا العصر الذي أظهر الله ﷻ فيه آياته لكثير ممن شاء من خلقه وفي جميع أرجاء أرضه - فالعذر صعب إيجاده في عصر انتشرت فيه علوم الكون التجريبية وسهّلت لغير مختصيه وتحقق فيه قول الله جلّت قدرته ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ فصلت. ولكن نرجو أن لا يفوتهم أجر المجتهد المخطئ.

### ﴿الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَابَّيْنِ﴾

هناك عدد من الظواهر الطبيعية التي يستخدمها الإسلام في تحديد بدء زمن تكاليف شرعية مختلفة. إلا أن الظاهرتين الطبيعيتين موضوع هذا الكتاب هما:

- حركة الشمس الظاهرية. إن ما يظَهَر لمشاهد من دوران الشمس حول الأرض هو في حقيقته دوران الأرض حول محورها وبه يتحقق الليل والنهار ومن ثَمَّ حساب اليوم والشهر والسنة (المقاييس الثلاثة الطبيعية التراكمية للزمن).

- حركة القمر الظاهرية. إن ما يظهر لمشاهد من دوران القمر حول الأرض هو أعقد من ذلك. سوف نشرح هذه الآلية في الفصل الرابع "والقمر



بحسبان: آية القمر". يشكل القمر الظاهرة الطبيعية الوحيدة لتحديد الشهر مما يجعل من التقويم الهجري تقويمًا طبيعيًا.

وهكذا تتعامل الشريعة الإسلامية مع مواقع الشمس والقمر بحسب حركتهما الظاهرية لا الفعلية. ويرجع هذا لأن أي بشر على سطح الأرض يرى الشمس والقمر يدوران حول الأرض وليس العكس، ولأن لمواقعهما علاقة مباشرة بأركان الإسلام. فمواقع الشمس تحدد مواقيت الصلاة والصيام والحج، ومواقع القمر تحدد زمن إخراج الزكاة (الحَوْل) وبدء شهر رمضان وشوال وذو الحجة وبقية الأشهر.

### دور الظواهر الطبيعية

يظهر دور هذه المجموعات الأربع السابقة التي يستخدمها الإسلام لتحديد بدء زمن تكاليف شرعية في كونها وسائل وليست هدفًا بحد ذاتها، وأنه يمكن شرعًا استخدام وسائل أخرى بديله لتحديد بدء زمن تكليف شرعي، وإن لم يوجد نص شرعي باستخدام البديل. فتعدد استخدام ظواهر طبيعية، إما لتكاليف شرعية مختلفة أو لنفس التكليف الشرعي لاختلاف الظروف، هي طريقة المُشرِّع لإرساء قاعدة القياس من جهة، وللإشارة إلى أن هذه المجموعات الأربعة ما هي إلا وسائل لتحديد التكليف الشرعي من جهة أخرى. فالغاية من التكليف الشرعي هي العبادة ذاتها أما الوسيلة إلى تحديد وقت العبادة فليست جزءًا من العبادة؛ أي: لا يشترط اتباع الوسيلة لذاتها. هذه النظرة الشمولية تعتمد على الركائز التالية:

- أن الظواهر الطبيعية تتواجد بشكل دائم ويتم استخدامها من قبل كل البشر، كما أنها سابقة للوجود البشري ذاته،
- أن وظائف الظواهر الطبيعية محايدة بذاتها، فهي تعمل سواء وجد بشر أم لا، ووجودها سبق الشريعة الإسلامية. وهو سبق من حيث التسلسل الزمني على وجه الأرض وليس سبقًا لعلم أو إرادة أو كلام الله ﷻ... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿الأعراف: ٥٤.

- أن بعض الظواهر الطبيعية يعتربها اختلال طبيعي (مثلاً، احتجاب الشمس بالكسوف والقمر بالخسوف أو غيوم في السماء تحجب الهلال أو تفاوت سن البلوغ وتفاوت فترة الحيض أو انقطاعه)، أو شرط تكميلي (مثل اشتراط كون البالغ مسلماً عاقلاً)، بينما العبادات ثابتة ولا تسقط إلا بنص شرعي. هذا يُظهر أنه ليس لأي ظاهرة طبيعية أي ثقل تعبدي،
- استحالة القيام بأي تكليف شرعي إلا بوجود وسيلة (سنرى لاحقاً عدة أمثلة)، علماً أن هذه الوسائل ليست قائمة بذاتها بل منصوص عليها شرعاً إما مباشرة أو قياساً،
- أن المُشرِّع ذاته يستخدم أحياناً بدائل أخرى لنفس التكليف الشرعي (وسنرى لاحقاً عدة أمثلة)،
- أن العبادة هي كيفية محددة في توقيت محدد وفي/ل مكان محدد ولأفراد مكلفين. ولا أجادل هنا في هذا التعريف، لكنني أجادل في أن وسائل تحديد بدء زمن العبادة، مثل الصلاة والصيام والحج، ليست جزءاً من العبادة،
- أن من المستحيل لبعض الظواهر الطبيعية (مثلاً، الحيض والبلوغ) أن تكون تكليفاً شرعياً أو عبادةً بحد ذاتها (يُتعبَّد بها) وإن استخدمها الشرع، و
- أن القرآن (والسنة الشريفة) ليس فقط متناسقاً مع بعضه البعض ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢) ﴿فصلت،﴾ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَفْقَرَأْنُ وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) النساء، بل هو متناسق أيضاً مع ما خَلَقَ الله. إن إدراك وجود هذا التناسق بشكل تجريبي empirically هو نقطة محورية للنظرة الشمولية لهذا الكتاب.

### سببية الظواهر الطبيعية

ولكن لماذا يستخدم الإسلام ظواهر طبيعية لتحديد بدء زمن تكاليف شرعية؟ إن السبب يكمن في أن:

- الظواهر الطبيعية من صنع الخالق ﴿... رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه: ٥٠، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى﴾ (٢) ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (٣) ﴿الأعلى، ﴿... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾ الأعراف: ٥٤، ولذلك سُميت بظواهر (أو قوانين) طبيعية أو، إن شئت فقل، سُنن كونية.

- الظواهر الطبيعية مُشرَّعة من عند الله فهي إطار المرجعية، مثلاً ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ...﴾ الإسراء: ٧٨، وغيرها كثير في القرآن والسنة. وحيث إن الإسلام هو دين الله فإن من البدهي أن يستخدم الإسلام ظواهر طبيعية خلقها الله لتحديد شرع الله - إنها وحدة المصدر.

- الظواهر الطبيعية تتميز بالعمومية أي بساطة التعرف عليها ظاهرياً في أي مكان وزمان واستخدامها من قبل أي إنسان متعلماً كان أو أمياً، كبيراً أو صغيراً، رجلاً أو امرأة ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...﴾ النحل: ١٢، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ...﴾ الجاثية: ١٣.

- الظواهر الطبيعية تتميز بالثبات والاستمرارية فلا تتبدل نسبياً بتقادم الزمن وبالتالي فهي متاحة للاستخدام في أي مكان وزمان ﴿... فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر: ٤٣، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ...﴾ إبراهيم: ٣٣.

- الظواهر الطبيعية يَحْرُمُ أن تُعبَد لذاتها. إن وظائف بعض مواقع الشمس والقمر هي في تحديد مواقيت الصلاة والصوم والحج وغيرها من العبادات. بمعنى، هذه الوظائف ليست لذات الشمس أو القمر أو مواقعهما أو آلياتهما ولكن لما يليها من عبادة، يقول الخالق ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) ﴿فصلت.

الأسباب السابقة تظهر بوضوح أن الظواهر الطبيعية التي استخدمها

الإسلام كانت لطبيعة وظائفها ولم تكن لأن الإسلام نزل قبل أربعة عشر قرناً أو لأنه ظهر في منطقة نائية أو لأنه نزل على أناس غير متعلمين. والإسلام، على خلاف أديان أخرى، حين يأتي بنص لاستخدام هذه الظاهرة الطبيعية أو تلك فإنه يُعامل كل هذه الظواهر الطبيعية بدون أي قداسة لذاتها لأنها من مخلوقات الله وأنها وسائل مُسَخَّرة متعددة الأغراض لكل البشر. وهذا هو الدور الذي يجب أن ننظر به إلى كل الظواهر الطبيعية، سواءً ما يُحدّد منها بدء زمن أي تكليف شرعي أو لا يُحدّد. فحينما تُستخدم الشريعة الإسلامية ظواهر طبيعية كوسائل فإنها تقيم الحجة على البشر، لأن معرفة الظواهر الطبيعية لا تحتاج إلى علم مكتسب، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجْمٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٦٠﴾ النساء.

### نسبية الظواهر الطبيعية

إن شمولية الظواهر الطبيعية تأتي من نسبية حدوثها أو تحققها في كل مكان وزمان ومعرفة الناس لها. ويقصد بنسبية تحقق أي ظاهرة طبيعية هنا أن الظواهر الطبيعية يعترتها أحياناً عدم انتظام، وهي حالة من عدم الانتظام معلومة. مثال ذلك، أن الشمس يعترتها الكسوف، والقمر يعتره الخسوف، والكسوف والخسوف قد يحجبه سحاب والذي قد يحجب شروق أو غروب الشمس أو القمر، ولا تشرق الشمس ولا تغرب كل "يوم" في كل مكان، ولا تتحقق آلية أوجه القمر على كل بقاع الأرض وعلى مدار الشهر، كما أن بلوغ كل فرد يتحقق في أعمار وأشكال مختلفة، وهكذا.

هذه النسبية تجعل ربط الظواهر الطبيعية بالتكاليف الشرعية نسبياً أيضاً. بمعنى، أن الشريعة الإسلامية علمت نسبية تحقق الظواهر الطبيعية وجعلت لهذه النسبية منهجاً وهو البديل. هذا البديل قد يأتي في استخدام ظاهرة طبيعية أخرى لنفس التكليف الشرعي أو استخدام أي وسيلة أخرى لنفس التكليف الشرعي. وهناك العديد من النصوص الشرعية التي توضح هذا المنهج كما ورد بعضها في هذا الفصل. هذا البديل قد يأتي به الشرع أو قد يتركه لتقدير أي

مسلم لسبب ما، كما يشرح ذلك الحديث التالي: «عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ عَدَاةٍ، . . . قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبِثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَتْهُ وَيَوْمٌ كَشَهَرٌ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَتْهُ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: لَا أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ. . .» أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه وأبو داود وأحمد عن النواس بن سمعان وهذا لفظ مسلم. هذا التوجيه من الشارع الكريم باستخدام التقدير ليس حكرًا على الصلاة فقط بل وردت نصوص شرعية أخرى باستخدام التقدير (في دخول وخروج الصيام، وتقدير عُمر الجارية حديثة السن الحريصة على - أو التي تسمع - اللهو عند رغبتها في ذلك، وتقدير الناس بأضعفهم عند إمامتهم، ودعاء الاستخارة، وإن كانت هذه الأخيرة تقديرًا من الله للعبد)، وباستخدام بدائل وسائل لعبادات أخرى كما سيتضح عندما نسرد الأدلة على أن الظواهر الطبيعية وسائل.

نسبية تحقق الظواهر الطبيعية تظهر في آلية استخدام ظواهر طبيعية لتحديد بدء زمن تكاليف شرعية. هذه الآلية تظهر في: علة استخدام ظواهر طبيعية لإقامة تكاليف شرعية، وفي علاقة استخدام ظاهرة طبيعية كوسيلة لتكليف شرعي، وفي مكانة استخدام ظاهرة طبيعية في أي نص شرعي. سوف نرى في صفحات لاحقة كيف يُستخدم حديث النواس بن سمعان كمنهج ليس فقط لتحديد بدء أوقات الصلاة بل أيضًا، قياسًا، لتحديد بدء وقت شهر الصيام، لأن السبب الذي ذكره رسول الله ﷺ ينطبق على الشمس والقمر وبالتالي تكون طريقة الحل واحدة لركني الصلاة والصيام.

ولكن لا تدع هذه النسبية في حدوث الظواهر الطبيعية تخدعك. وبالرغم من أن بعض الظواهر الطبيعية قد لا تظهر أو حتى قد لا تستمر في الظهور خلال عمر إنسان، إلا أن العلم الحديث يعلم كثيرًا متى وأين وكيف تحدث هذه الظواهر الطبيعية (مثل علم أجدنا بمكان وزمان شروق الشمس وهو في غرفة نومك). بل يستطيع الإنسان المعاصر، بما من الله عليه من علم وتمكّن

في هذا الجزء من الكون، أن يعلم ويتنبأ بوقت ومكان وشكل حدوث بعض هذه الظواهر الطبيعية بدقة مذهلة لسنين في الماضي وأخرى في المستقبل. فهو علم متاح لمن أراد وثابر، وميسر لمن فهم وعاصر. علم ليس فيه من التنجيم شيء ولا للدجل إليه طريق. وهذا يُسهل إقامة العبادات المطلوبة في وقتها لمن أراد الهداية والتوفيق.

### استخدام ظواهر طبيعية

إن علة استخدام ظواهر طبيعية لإقامة تكاليف شرعية هو أنه من المستحيل عملياً إقامة أي تكليف شرعي إلا بوسيلة - وهذا يُظهر التكامل بين الخلق والشرع. وحيث إن الله ﷻ هو خالق الأكوان ومنزل القرآن فكانت إرادته جلت قدرته أن يستخدم ما خلق لتحديد ما شرع (أي أن الإسلام باستخدام الظواهر والأدوات الطبيعية جعل من نفسه ديناً طبيعياً سهل فهمه من كل البشر): فمن القدرة على النطق بالشهادتين لغير المسلم، أو البلوغ لبَدْء التكليف الشرعي للمسلم، إلى غسل وتكفين ميت، يوجد عددٌ لا يحصى من ظواهر طبيعية ووسائل أخرى لإقامة تكاليف شرعية. بعبارة أخرى، إن وحدة المصدر بين الخلق والشرع أدت إلى هذا الترابط، أو إن شئت فقل التطابق، بين الوسيلة والأداء. هذا الترابط الظرفي يحتم السؤال التالي: ما هي علاقة استخدام ظاهرة طبيعية بتكليف شرعي؟ بمعنى: لماذا يستخدم الإسلام ظواهر طبيعية لتحديد بدء زمن تكاليف شرعية؟ وهل القصد هو التكليف الشرعي فقط أم أن الأمر يتجاوز إلى وجوب استخدام الظاهرة الطبيعية أيضاً لكل تكليف شرعي، وفي كل الأحوال؟ إن من يزعم أن استخدام أي ظاهرة طبيعية بحد ذاتها لتحديد بدء زمن تكليف شرعي هو واجب شرعاً، يجعل من هذا الاستخدام عبادة والعبادة لا تثبت إلا بدليل شرعي. بعبارة أخرى، إن من يزعم أن اتباع ظاهرة طبيعية لتحديد بدء زمن تكليف شرعي هو واجب شرعاً لورود نص شرعي و/أو لأن النص ورد بصيغة الأمر (أي اتباع الظاهرة الطبيعية عمل تعبدية) فعليه أن يكون متناسقاً مع نفسه في تطبيق هذه القاعدة

لكل النصوص الشرعية وعليه أن يشرح: كيف يكون بعض تلك الظواهر الطبيعية عملاً تعبدياً وهو يستوجب الطهارة أو قد يكون نجساً مثل دم الحيض والولادة وشعر العانة ومني الاحتلام، وهي كلها تستخدم لتحديد تكاليف شرعية؟ وبينما لا خلاف في كون التكليف الشرعي هو المقصود بالعبادة، فإن أي تكليف شرعي لن يتحدد إلا بوسيلة وبالتالي فوسائل تحديده ليست هي المقصودة في حد ذاتها. ثم على من يزعم ذلك، أن يوضح: لماذا استخدم المشرع نفسه بدائل أخرى لنفس التكليف الشرعي؟ إن إحلال المشرع بدائل أخرى لنفس التكليف الشرعي هو إقرار منهجية القياس للمسلمين في علاقة الظواهر الطبيعية بالتكاليف الشرعية (مثلاً، ثلاثة أشهر بدلاً من ثلاثة قروء، أو إكمال عدة شعبان ثلاثين أو التقدير للهلال بدلاً من رؤية الهلال) وإيحاء للمسلمين أن مراد المشرع هو العبادة بذاتها وليس أي ظاهرة طبيعية بذاتها. هذه العلاقة (وليس انتقائية النص أو حرفية التمسك باستخدام الظاهرة الطبيعية بذاتها كعبادة) هي التي تفسر اختلاف الفقهاء في جواز استخدام ظواهر طبيعية أو عرفية أخرى و/أو بدائل أخرى في إثبات التكليف الشرعي (مثلاً، استخدام الساعة في تحديد أوقات الصلوات والإمساك والإفطار، وعدد السنين لتحديد البلوغ، وجواز إخراج النقد في زكاة الفطر بدلاً من الحبوب، وغير ذلك كثير كما سيتضح في حينه ويدل عليه).

إذا لم يكن استخدام ظاهرة طبيعية كوسيلة واجباً شرعاً، فهل الطرق التي استخدمت لتحقيق ظاهرة طبيعية (مثلاً، شراك، نعل، كتابة، رهان مقبوضة، خيط، عين مجردة، مقدار قراءة كذا آية أو ورد، أو أي طريقة أخرى، كما وردت في القرآن والسنة) هي طرق ملزمة؟ أم أن الطرق تختلف باختلاف الأزمان والأماكن والناس؟ هنا إثبات العبادة أوسع. فالذي يزعم ذلك، عليه أن يثبت أن الظاهرة الطبيعية موضع السؤال وطريقة استخدامها كلاهما عبادة. وعليه أن يُجيب: كيف يكون النعل عبادة؟ إذا كان، فلم لا يُتمسك به؟ وإذا لم يكن، فهل هو خروج على النص الشرعي أم إقرار بكونه وسيلة؟ ثم إذا كانت أي ظاهرة طبيعية غير واجبة الاتباع دائماً لتحديد بدء زمن

تكليف شرعي ويمكن استبدالها بظاهرة أخرى طبيعية أو عُرفية، إذا الطريقة لتطبيق ظاهرة طبيعية تكون من باب أولى غير واجبة.

أخيراً، ما هي مكانة استخدام ظاهرة طبيعية في أي نص شرعي؟ هل استخدام ظاهرة طبيعية أو عُرفية بديلة معناه إلغاء لنص شرعي؟ كلا. إن من يجيب بنعم فهو يؤيد أن التكليف الشرعي يسقط بعدم تحقق الظاهرة الطبيعية التي حددها الشرع. وبإمكان القارئ أن يتابع القراءة لكي يعرف بعض التكاليف الشرعية التي لن تتحقق ظواهرها الطبيعية. هل استخدام ظواهر بديلة، طبيعية أو عُرفية، يلغي ظواهر طبيعية أصلية مُشرعة؟ لا. تبقى هذه المجموعة الشرعية لطبيعتها وبساطتها واستمراريتها وشموليتها وفوق ذلك لمرجعيتها. إطار المرجعية هذا باق ما بقيت الشريعة، وهذا الكتاب لا يطالب إطلاقاً بإبطال أي ظاهرة طبيعية تستخدمها الشريعة الإسلامية بل يناقش فقط فهم دورها في الإطار الشامل للشريعة.

### الأدلة على أن الظواهر الطبيعية وسائل

إن النظرة الشمولية لاستخدام الإسلام لظواهر طبيعية كوسائل تُظهر منهجية مُنظمة. تتضح هذه المنهجية في كون الإسلام يُستخدم بشكل أساسي كل ما هو طبيعي (ما خلق الله) كوسائل لإيصال رسالته ابتداءً من أركان الإسلام الخمسة إلى العبادات والمعاملات وحتى أشراف الساعة والمَحشر، كما تتضح من أن الظواهر الطبيعية محايدة ووجودها الفعلي على سطح الأرض سبق التشريع ذاته. بعبارة أخرى، إن الظواهر الطبيعية تُطبَّق على غير التكاليف الشرعية الإسلامية وعلى غير المسلمين. وهناك أدلة شرعية عديدة تُظهر هذه المنهجية بأن قصد المُشرِّع بالتكليف الشرعي هو العبادة وأنَّ الظواهر الطبيعية التي تستخدمها الشريعة - بالرغم من مرجعيتها - هي وسائل قابلة للتغيير لتحديد بدء زمن وفعالية تلك العبادة. الأدلة التالية تُقدِّم نظرة شمولية لكيفية استخدام الشريعة الإسلامية لظواهر طبيعية (في أنها وسائل)، وطبيعة الاستخدام (في أنها من صُنْع الله)، ولتحقيق هدف (في أن الإسلام نزل لكافة الناس).



١- كان كل الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله ﷺ إلى كل البشر بشرًا مثلهم، وهذا هو الإجراء الطبيعي. فمن سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام إلى سيدنا محمد ﷺ كان الأنبياء والمرسلون بشرًا وكثير منهم سجلوا هذه الحقيقة في كتاب الله: يقول الحق ﷺ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ...﴾ إبراهيم: ١١، ويقول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ...﴾ الكهف: ١١٠، وفصلت: ٦. ولو كان الأنبياء والمرسلون غير بشر لحصل انقطاع في الاتصال، يقول الحق سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَفِضَى الْأَمْرِ تُرَّ لَا يُظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾﴾ الأنعام. هذا النهج الطبيعي باستخدام جنس الرسل من نفس جنس المرسل إليهم تأكد بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْسُوكَ مُظْمِئِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ الإسراء. فهل أصبح الرسل يُتعبد بهم (كما يقال في رؤية الهلال) وقد أتوا بكل العبادات وليس فقط رؤية الهلال؟ إن العبرة هنا هي: لكي يعلم ويفهم البشر الرسالة السماوية لا بد من استخدام وسيلة طبيعية لتبليغها لهم؛ فإن آمنوا/كفروا بها كانت الحجة لهم/عليهم ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦﴾﴾ النساء. هذه البديهية يؤكدتها حقيقة تعدد وموت كل الرسل وبقاء الرسالة. فالتبشير والإنذار لعبادة الله وحده وليس لعبادة الرسل، بالرغم من عظيمهم وقُدسية مكانتهم ومُخورية دورهم.

٢- الأمية حالة طبيعية في الجنس البشري. فرسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ كان أميًا ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ...﴾ الأعراف: ١٥٧، وقومه كانوا أميين ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ...﴾ الجمعة: ٢، وكل البشر يولدون أميين ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...﴾ النحل: ٧٨، وطريقة تعليمهم هي التلاوة أو الإلقاء أي القراءة ارتجالًا، كما وصفها الله سبحانه ﴿... يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ...﴾ الجمعة: ٢، أما الكتابة والقراءة فهما سلوكان مكتسبان. هذه الطبيعية تظهر أيضًا في أن الإسلام لا

يشترط الكتابة والقراءة لكي يكون الفرد مسلماً وإن كان يحث عليهما. رغم كل ذلك، لا يمكن الاستنتاج من هذه الحقائق القرآنية أن الأمية واجبة شرعاً، وأن الإلقاء (التلاوة) هي الطريقة "الشرعية" للتعلم التي لا تجوز غيرها. وفي هذا الإطار الطبيعي يُفسّر الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيُونَ لَا نَحْسُبُ وَلَا نَكْتُبُ...» أخرجه أحمد؛ أي: أن سيدنا محمد ﷺ يقر حالة ولا يُشرع أمراً وهي حالة من صميم المنهج الطبيعي للشريعة الإسلامية. ولا يدعو سيدنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث أو غيره إلى نبذ الحساب والتعلم بالرغم من أن أسلوبه ﷺ لإرشاد أمته كان أسلوباً طبيعياً؛ التلاوة. وأما من يُفسّر هذا الحديث بـ "وأوضح العلماء معنى لا نكتب ولا نحسب أي أننا لا نعتمد لعباداتنا الحساب والكتابة وإنما نعتمد ما أمرنا به الصادق المصدوق طاعة الله سبحانه واعتقاداً منا أنه الحق...» فقد استبدل النظرة الشمولية لشرع الله سبحانه وللصادق المصدوق ﷺ بنظرة انتقائية أحادية ظاهرية لا تشرح كيف قُبِلَ ويُمارَس الحساب لأوقات الصلوات والسحور والإفطار، كما أنها تناقض آيات وأحاديث أخرى تُلزم الحساب (كحساب الموارد) والكتابة (كتابة الدين) والأخذ بأسباب القوة وعمار الأرض. كما أن هذه النظرة الانتقائية الأحادية الظاهرية غير متناسقة ذاتياً في تفسير النصوص الشرعية في قبول الأمية مرة (قبول دخول الشهر القمري بالرؤية فقط) ورفض التلاوة عملياً مرة أخرى، (قبول القراءة والكتابة والحساب في أمور شرعية أخرى). والحق ﷺ جمع بين الأمية والتلاوة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٢٩﴾﴾ الجمعة، ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٠﴾﴾ البقرة، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٣١﴾﴾ آل عمران. أي أن الوسيلة الطبيعية لتعليم الأميين هي التلاوة. وورود كلمة التلاوة في هذه الآيات لا يجعل عملية التلاوة بمعناها اللغوي أمراً شرعياً أو

مقدسًا، لأن النطق ظاهرة طبيعية لكل البشر؛ كحال الهلال وكل أوجه القمر في كونهم ظاهرة طبيعية لكل البشر. وسنرى في الفقرة ٥ التالية تفسيرًا للفعل تلا في القرآن والسنة الشريفة؛ كما سنرى في نهاية الفصل الثاني تفسيرًا آخر للحديث السابق.

٣- جَهَّزَ اللهُ ﷻ الأُميين بثلاثة وسائل طبيعية للتعلم: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) النحل. هذه ثلاثة الوسائل الطبيعية التي جهز الله سبحانه بها كل البشر (هناك استثناءات قليلة) ومخلوقات أخرى هي أدوات التعلم الطبيعية لمعرفة بدء زمن العبادات، ولا يمكن أن تكون هذه الأدوات (السمع والبصر والفؤاد) والوسائل التي يسمعونها (الأذان، مثلًا) أو يرونها (مواقع الشمس والشفق للصلاة أو مواقع القمر للصيام أو الحج، مثلًا) أو يعونها جزءًا من العبادة التالية (أي تتعبد بها؛ هل تُتَعَبَّدُ بالبلوغ؟). ولم يطلب الله ﷻ في كتابه الممكنون أو نبيه الكريم ﷺ الكتابة والحساب في أمر من أمور الدين، إلا في كتابة الدِّين وتوثيق بعض العقود وحساب الموارث، وإلا فالشهادة هي الوسيلة. أما القراءة فتأتي بمعنى التلفظ بما هو مكتوب أو محفوظ في الصدور. فهل يقول أحدٌ إنه لا يجوز استخدام أي وسيلة أخرى، غير هذه الوسائل الثلاث، للتعلم؟ إن أي فرد يستنتج أن وسائل التعلم هذه حصرية شرعًا، لأن هناك آيات تنص على ذلك، يسيء إلى الله ورسوله ودينه والمسلمين.

٤- تستخدم كل أركان الإسلام ظواهر طبيعية لتحديد بدء فعاليتها أو زمنها. فالنطق للركن الأول (الشهادة)، ومواقع الشمس للركن الثاني (الصلاة ومواقيتها)، ومواقع القمر والشمس للركن الثالث (الصيام، دخول الشهر والسحور والإفطار)، ودورة الأرض حول الشمس أو خراج الأرض أي يوم الحصاد للركن الرابع (الزكاة)، ومواقع القمر والشمس للركن الخامس (الحج، دخول الشهر وأداء المشاعر). الآن، إذا القمر أو جزء من فلكه أو منزلة من منازلها أو النظر إلى وجهه من أوجهه يُتَعَبَّدُ به لأن هناك نصًا شرعيًا، فكذلك بقية الظواهر الطبيعية لبقية أركان الإسلام والعبادات والمعاملات لأنه أيضًا

وردت نصوص شرعية فيها، هذا إذا أردنا أن نكون متناسقين وغير انتقائيين. فالنطق<sup>٥</sup> عند البشر ظاهرة طبيعية، واستخدام الإسلام التللفظ بالشهادة شرطاً لدخول غير المسلم في الإسلام حيث لا يشترط الإسلام، كما هو منهجه، القراءة ولا الكتابة لدخول الإسلام، فقط النطق بالشهادتين، «عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...» أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد، وهذا لفظ البخاري.

لكن ماذا عن غير الناطقين باللغة العربية؟ ألا يجدون صعوبة في نطق الشهادة؟ ألا ينطقونها مكسرة؟ ومع ذلك تقبل كلمة التوحيد منهم. إن الغرض ليس النطق بذاته أو اللغة العربية بذاتها أو مخارج حروفها بل الإيمان بوجود الله وتوحيده وبأن سيدنا محمد ﷺ هو رسول الله حتى وإن نطق الشهادة بغير اللغة العربية. وماذا عن الأبكم غير المسلم أو من في حكمه؟ هنا لن نتحقق الظاهرة الطبيعية وهي النطق التي يستخدمها المشرع للتلفظ بالشهادتين. هل يُمنع هذا الإنسان أن يصبح مسلماً لأنه لن يستطيع طبيعياً أن ينطق (بالشهادة أو غيرها) ولا يمكن أن يُقبل منه ظاهرة مكتسبة؟ قطعاً لا. إن من يرى أن لفظ الشهادة (لذات اللفظ) للدخول في الإسلام هو أيضاً عبادة لكل البشر (لأن هناك نصاً شرعياً) فقد استبعد البكم ومن في حكمهم من أن يكونوا مسلمين وهذا مخالف لقصد المشرع - وهو الإيمان - ومنهجية وبساطة التشريع الطبيعية. إن إسلامه حاصل وإن لم تتحقق الظاهرة الطبيعية له لأن هناك بديلاً، وهو في هذه الحالة الإشارة أو الكتابة وكل منها ظاهرة مكتسبة وأداة للإيمان. إن من يرى - لورود نص - أن النطق بحد ذاته عبادة عليه أن يشرح: لماذا ورد الوعيد الشديد على عدم حفظ اللسان؟ ولماذا غير المسلمين ينطقون؟

لننظر للنطق بشهادة التوحيد من زاوية أخرى. إن كل من نطق بشهادة التوحيد دخل الإسلام ولا يطلب الإسلام بتسجيل تلك الشهادة في بطاقة ولا بتمحيص الناطق ولا بفترة اختبار ولا بأي شرط إداري آخر، وهذا ما يتحقق في المجتمعات التعددية الديمقراطية. إلا أن دولاً إسلامية جعلت من النطق

بشهادة التوحيد لمعتنقي الإسلام الجدد عملية مؤسسية institutionalized (إجراءات إدارية وقضائية وأمنية ودعوية بما في ذلك إصدار بطاقات رسمية تثبت إسلامه وشهادات رسمية بحضوره دورات) ولم يعترض أحد. استخدم الإسلام النطق أيضًا لبدء عبادات ومعاملات أخرى، مثل: رفع الأذان وأداء الشهادة وانعقاد الزواج وإيقاع الطلاق ورجعة المرأة المطلقة (استدامة الزواج أثناء عدة الطلاق الرجعي) والدعوة والتبليغ. والآن يُرفع الأذان تسجيلًا ويذاع حسب جدول زمني معد سلفًا وليس حسب العلامات الشرعية، ويصاحب ويدلّل على الشهادة اللفظية إثباتات مادية وتقنية معقدة.

لننظر للوصية (وهي شهادة سمعية) كما وردت في كتاب الله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (١٨١) ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٨٢) البقرة. فقول الحق سبحانه: ﴿سَمِعَهُ﴾ تدل على أن الوصية لفظية؛ هذا هو النص الشرعي. ولكن الشريعة الإسلامية ليست نصوصًا جامدة، فردية، غير متناسقة لا هدف لها، بل نظام كلي متناسق في ذاته ومع الخلق وحتى مع الأفراد المُكَلَّفِينَ ﴿... لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ البقرة: ٢٨٦. وليس من الفقه أخذ نص شرعي واحد وبشكل ظاهري وغض النظر عن: نصوص شرعية أخرى، مقاصد كلية للشريعة الإسلامية، معاني لغوية، أو إجراء طبيعي. فالنطق إجراء طبيعي، وهذا يفسر قول الخالق: ﴿سَمِعَهُ﴾؛ أي: قاله الموصي وسمعه الموصى. لم يكن مقصد الشريعة جعل الوصية بالنطق فقط (وجوبها)، بل يجوز أن تكون الوصية كتابة، وتسجيلًا (صوتًا وصورة وإلكترونيًا) وتوثق رسميًا، و"شرعيًا". وللمرء أن يعجب: كيف قبل فقهاء ذلك ولم يقبلوا توثيق الأهلة بدون الخوف من عدم التناسق الذاتي. وللمرء أن يقارن بين صيغة الأمر في الوصية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ...﴾ وصيغة التوصية في الإرث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ...﴾ النساء: ١١، ولوجد أن ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ...﴾ في الوصية عند الموت ليست واجبة شرعًا، بينما ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ...﴾ في الإرث واجبة. هذا

يُظهر لنا فقه النصوص الشرعية. وهو نفس الفقه الذي يجب أن نفهم به دور الأهله في بدء عبادة ما.

لننظر للزواج والطلاق والرَّجعة بشيء من التفصيل. اتفق الفقهاء على أن الإيجاب والقبول ركن من أركان الزواج (السادة الحنفية جعلوه الركن الوحيد، وجمهور الفقهاء أضافوا أركاناً أخرى). والإيجاب، في الأصل، هو اللفظ الصادر من من يملك الزواج، والقبول هو اللفظ الدال على الرضا بالزواج (السادة الحنفية أجازوا اللفظ والكناية إذا وجد ما يدل عليها، وجمهور الفقهاء قالوا باللفظ. والمعاصرون أجازوا اللفظ والكتابة والإشارة). والطلاق أيضاً يقع شرعاً باللفظ (صريحاً أو كنايةً)، وبلفظ كذلك تستمر الحياة الزوجية للمطلقة طلاقاً رجعيّاً (طلقة أو طلقتان) أثناء العِدَّة، كأن يقول الزوج: راجعتك. ولكن ماذا يحصل الآن في حياتنا المعاصرة (الاجتماعية والقانونية والسياسية والدولية) المعقدة؟ الآن يُشترط لإبرام الزواج حضور مختص رسمي يُسمّى المأذون الشرعي أو المُمِّلك (وهو اصطلاح مستحدث) مُؤهل بشروط معينة: ترخيص رسمي، شهادة جامعية في الشريعة الإسلامية، حسن السيرة والسلوك، لم يصدر بحقه حكم شرعي، وأن يكون عمره خمساً وعشرين سنة، على الأقل. ثم يُسجّل الزواج ويوثق، (وكذلك الطلاق ولكنه يُسجّل لفظه أولاً في محكمة أمام قاض) في سجلات رسمية لدى (وصكوك من) محكمة شرعية؛ وليس فقط لفظاً كما ورد شرعاً. كما تصدر المحكمة دفتر عقود أنكحه والذي يحمله الزوج ليثبت أنه متزوج ومن هذه المرأة. وإذا أرادت امرأة مطلقاً أن تتزوج فيجب عليها (أو على وليها) أن تثبت بأوراق رسمية أنها مطلقه، وإلا فلن يعقد مملك أو قاضي عقد النكاح. كل هذه الإجراءات لم يأت بها الإسلام ولكنها شرّعت إدارياً وقيلت دينياً. ومن لم يوثق زواجه أو طلاقه حالياً بمعاملات ووثائق رسمية من محكمة شرعية، فإنه يواجه مشاكل رسمية محلية (قد يتعرض للمسائلة والتوقيف) ودولية لا قبل له بها وقد يعتبر زواجه باطلاً. ولجأت كثير من المجتمعات إلى عدم الاعتراف بالزواج أو الطلاق اللفظي إذا لم يُسجل ويوثق رسمياً. وأول من يطلب ويُنجز هذه

الوثائق هي المحكمة نفسها، في الزواج والطلاق. وهناك بعض الدول الإسلامية، والتي يأخذ فقهاؤها برؤية الهلال، لديها قوانين تتطلب شروطًا لإبرام عقد الزواج أو إنجاز الطلاق لا توجد في الإسلام أو لا يقرها (مثل: تحديد سن الزواج، اشتراط زوجة واحدة، حق الطلاق لكلا الزوجين، تقسيم الثروة في حالة الطلاق وتقسيم الإرث في حالة الوفاة). وتحصل إجراءات لتسجيل المواليد وتوثيق النسب. علمًا أن الإسلام لم يشترط تسجيل اسم المولود وتوثيق نسبه ويوم ميلاده. وحتى قبل حوالي مائة سنة لم يسجل اسم المولود ويوثق نسبه في سجلات رسمية، مدنية أو قضائية، ولا يوم ميلاده. ومن لا يتم الآن تسجيل اسمه وتوثيق نسبه عند الولادة ويوم ميلاده، فلا رعاية صحية ولا تعليم ولا توظيف ولا جنسية ولا حقوق أخرى له. وقد قُبِلت "شرعًا" إجراءات الزواج والطلاق والنسب المستحدثة، ولم يُقبَل "شرعًا" توثيق مدعي (مدعوا) رؤية الهلال، "لأن الشرع لم يأت به"!

وقد يجادل البعض أن تسجيل وتوثيق الزواج والطلاق والاسم والنسب ضرورة عصرية، و/أو أن ولي الأمر شرعها، لأنه يترتب على توثيق الزواج والطلاق والنسب أمورٌ كثيرة. هذا صحيح. ولكن هذا سبب يُدحض حجة النصوصية الانتقائية، التمسك بظاهر النص، ويظهر عدم التناسق الذاتي، فقهيًا وفكريًا. ألا يترتب أيضًا على إعلان دخول رمضان وعيد الفطر والحج وعيد الأضحى تأثيرات اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية على حياة ملايين من الناس، وليس فقط فردين؟ ألا يترتب على عدم تسجيل الاسم وتوثيق النسب إسقاط كامل حقوق كل مواطن؟ إذا، لم قَبِلت دوائر شرعية رسمية توثيق وتقنين إجراءات الزواج والطلاق والنسب، التي لم تنص عليها الشريعة الإسلامية، ورَفَضت أي توثيق علمي لرؤية الهلال بحجة مخالفته لنص شرعي؟ إن الشريعة الإسلامية لم تشترط حضور مُمْلِكٍ عوضًا عن حمله شهادة جامعية وفي الشريعة الإسلامية، ولكن دوائر شرعية رسمية تقبل شاهدًا أميًا لا يقرأ ولا يكتب لرؤية الهلال ويقال عن كفاءته أنه "أهل رعي وإبل"! إن مشاكل الأمة الإسلامية لاختلاف دخول عباداتها (رمضان والحج) وأعيادها (الفطر

والأضحى) يُبرر لها فقهياً بما يُسمى "اختلاف المطالع" و"إن في الأمر سعة"! وهكذا نوجد لأنفسنا تبريراً لهذا السلوك وتبريراً لذلك، ولكننا لا نجد تناسقاً ذاتياً مع أنفسنا، دع عنك تفكيراً منهجياً. لا عجب أن يهجر مسلمون التقويم الهجري ويستبدلوه بالتقويم الميلادي الغربي، ويوصم غيرهم شريعة الله بالتناقض والتخلف.

ورغم كل هذه "المخالفات" لظاهر النص الشرعي، قبل بعضنا انتقائياً كل ذلك، وأصرَّ على حرفية نص شرعي آخر (مثلاً، رؤية الهلال الظنية، والتعريف بالفرد شخصياً) وعارض بديلاً (الدليل العلمي القطعي). أيصح أن يقول قائل: ولو علم رسول الله ﷺ في الكتابة خيراً لأمته لأمر بها في الزواج والطلاق والرجعة وهو الذي أتى بالرسالة كاملة وتركنا على المحجة البيضاء؟ أيصح أيضاً أن يقول قائل: ولو كانت الكتابة أوسع من اللفظ لكان الصحابة أفهم لها منا، ولرجعوا عند الحاجة إلى الكتاب؛ لوجودهم بين أظهرهم، وإن كانوا قلة؟ قد يكون هذا استنتاجاً يأخذه البعض من باب الاجتهاد الشخصي لتأييد رأي فقهي، إلا أنني أرجو أن لا يكون افتتاتاً على رسول الله ﷺ أو على صحابته، أو حمل الغير على ما يراه. إن هذا النوع من الاستنتاج لا يأخذ في حسابه النظرة الشمولية للشريعة الإسلامية ومقاصدها الكلية.

أخيراً، قام الإسلام وانتشر على الدعوة والتبليغ أي اللفظ، يقول الحق ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ...﴾ ﴿فُصِّلَتْ: ٣٣، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ المائدة: ٦٧، ويقول رسول الله سيدنا محمد ﷺ عن عبد الله بن عمر: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...» أخرجهم الترمذي وأحمد وهذا لفظ البخاري. هل القول والدعوة والتبليغ - لورود هذه النصوص - هي الوسائل "الشرعية" الحصرية وتُتعبَّد بها؟ إذا كان جوابك نعم، فقد لَغيت كل الوسائل العلمية الحديثة. وإذا كان جوابك لا، فقد أبديت عدم تناسقك الذاتي بشأن فقهك لنصوص شرعية أخرى. فقط انظر لما يجري الآن في حياتنا المعاصرة المعقدة. إن الكتابة والتسجيل الصوتي والصورى والرقمي ووسائل أخرى عصرية لم يرد فيها أي دليل



شرعي تُستخدم في الدعوة والتبليغ ونشر الدين، وباركه الجميع .

٥- نزل القرآن باللغة العربية تلاوةً أي نطقًا (على عكس ألواح سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام) والمُستلِم كان مُستمِعًا وحافظًا، والنطق والاستماع والحفظ ظواهر طبيعية بشرية، وهذا تماشى تمامًا مع اللغة العربية - حينئذ - حيث إنها كانت لغة محكية ولم تكن لغة مكتوبة لأن قومها كانوا أميين وحفظوا لغتهم بالشعر الذي كان يُحفظ ولا يُدَوَّن ثم يُتلى أي يُقرأ. وَرَدَ الفعل تلا في القرآن، بتصريفات مختلفة، ٦١ مرة؛ وكلها تدل على الظاهرة الطبيعية للنطق؛ أي: القول أو القراءة سواءً للقرآن الكريم أو الكتب المنزلة الأخرى. وهذا المعنى (التلاوة أو القراءة عن ظهر قلب) وَرَدَ أيضًا في السنة النبوية المطهرة، «عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ...» أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد. كما أن طبيعة تلاوة وتجويد القرآن تجعل من النطق والاستماع الطريقة الطبيعية لحفظه في الصدور ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ العنكبوت. وهذا ما حصل، حيث إن القرآن كله لم يدون ويجمع في كتاب (أي ظاهرة عُرفية) في عهد سيدنا رسول الله ﷺ. ورغم تلك الطريقة الطبيعية لنزوله وحفظه، قبلنا أن يكتب، وحين كُتِبَ لم يُشكَل ولم يُنقَط ولم يُجزَّأ ولم يُرقم ولم تكن عليه أي شروحات أو تفسيرات أو كل ألوان وأدوات التجويد كما هي موجودة الآن. ثم قبلنا أن يُطبع القرآن ويضم في دفتي كتاب، ثم قبلنا أن يُسجل على أشرطة. ثم قبلنا أن تُشكَل حروفه وتلَوَّن كلماته لكي تساعد قارئه الحديث على تجويده. ثم قبلنا أن يُطبع إلكترونيًا ويبث في الإنترنت ويوضع في قرص مرن وصلب وأسطوانات CD ROM, DVD ورقائق chips وأجهزة إلكترونية نقالة وربما وسائل رقمية أو ضوئية أخرى. بل حتى شكل الأبجدية التي يُطبع بها الآن ليست مطابقة لشكل الأبجدية أيام سيدنا محمد ﷺ. وكل هذه وسائل بغير الوسيلة التي نزل بها القرآن وعُرف بها في عهد رسول الله سيدنا محمد ﷺ كما ورد في الآية السابقة، ومع هذا قبل المسلمون كل ذلك. والقرآن نزل

باللغة العربية ولم يترجم إلى لغات أخرى إلا حديثًا وقبلنا أن يكون للقرآن ترجمة وإن سُميت ترجمة معاني القرآن. فحفظ القرآن بكل الطرق الحديثة لا يعتبر جحودًا وحافظيه بهذه الطرق لا يعتبرون ظالمين. وهو ما حصل للسنة النبوية أيضًا، حيث إنَّ السنة النبوية نفسها كانت تُحفظ ولم تدون في عهد سيدنا رسول الله ﷺ ثم كُتبت بعد ذلك. في كلتا الحالتين، القرآن والسنة، قبلَ المسلمون استخدام أدوات عُرفية بدلًا من ظواهر طبيعية "شرعية".

٦- تستخدم الشريعة الإسلامية البلوغ (وهو ظاهرة طبيعية والسن الطبيعي للإنجاب) كمُحدّد لبدء كل التكاليف الشرعية، بما في ذلك سن الزواج والقتال. أو بعبارة عصرية: جعل الإسلام من البلوغ سن التكليف الشرعي (وهناك من يجادل، بداية الرشد والمساءلة القانونية) بدون تحديد عُمر لهذا السن. ودلائل البلوغ لدى الجنسين هي الاحتلام أو شعر العانة أو تغير الصوت أو الحيض و/أو بروز الثديين. فهل لو كان عُمر شاب ١٨ (أو شابة ١٦) سنة، أو أكثر أو أقل، ولم يحتلم أو لم ينبت له شعر عانة، أو لم تحض أو لم تظهر عليه/عليها أي من علامات البلوغ الجسدية بعد، يقال له إنه لم يبلغ وبالتالي لا يكلف بأمور دينه؟ قطعًا لا. «عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: عُرِضْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَيْشٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ فَلَمْ يَقْبَلْنِي. فَعُرِضْتُ عَلَيْهِ مِنْ قَابِلٍ فِي جَيْشٍ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ فَقَبِلْنِي. قَالَ نَافِعٌ: وَحَدَّثْتُ بِهِذَا الْحَدِيثِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ: هَذَا حَدُّ مَا بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ... قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، يَرَوْنَ أَنَّ الْعُلَامَ إِذَا اسْتَكْمَلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَحُكْمُهُ حُكْمُ الرَّجَالِ وَإِنْ احْتَلَمَ قَبْلَ خَمْسِ عَشْرَةَ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الرَّجَالِ. وَقَالَ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ: الْبُلُوغُ ثَلَاثَةُ مَنَازِلَ بُلُوغُ خَمْسِ عَشْرَةَ أَوْ الْاِحْتِلَامُ. فَإِنْ لَمْ يُعْرَفْ سِنُهُ وَلَا احْتِلَامُهُ فَالْإِنْبَاتُ يَعْنِي الْعَانَةَ» أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد والترمذي واللفظ له. إن السلف الصالح استدلوا بفعل رسول الله ﷺ هذا على أنه يجوز استبدال

ظاهرة طبيعية مُسرَّعة بعُمُر محدَّد؛ أي: حساب. فقصد المُسرَّع لم يكن الظاهرة الطبيعية (البلوغ) بحد ذاتها بل كان بدء التكليف الشرعي هو القصد. والدليل على ذلك هو أولاً: أنه ليس كل من بلغ يُكلَّف شرعاً: فيجب أن يكون مسلماً عاقلاً واعياً (فالمجنون والنائم والذي في غيبوبة ومن في حكمه يقف عنه التكليف ما دام في حاله ويقضي بعده). ثانياً: أن من يرى أن البلوغ هو أيضاً عبادة (لأن هناك نصاً شرعياً) فعليه أن يشرح كيف يكون الاحتلام والمني وشعر العانة والحيض وانقطاع الدم عبادة. فالبلوغ ما هو إلا إشارة لبدء الإدراك والعقل والمقدرة على الإنجاب والدفاع عن النفس، والمُسرَّع اتخذ من البلوغ (كظاهرة طبيعية) بدءاً للتكليف الشرعي. فالتكليف حاصل وإن انتفت الظاهرة الطبيعية له لأن هناك بديلاً وهو التقدير، وهو في هذه الحالة عُمُر محدد وهو اصطلاح أو عرف. وقد شرَّعت كل الدول الإسلامية سنًا محدداً (١٦ أو ١٨ أو ٢١ سنة) لبدء مرحلة المُساءلة القانونية للفرد ولم يعترض أحدٌ على ذلك لسبب شرعي.

٧- استخدم الإسلام الحيض (وهو ظاهرة طبيعية عند النساء) كمُحدَّد لبدء التكليف الشرعي وبدء وانتهاء عبادات. ومدة الحيض الطبيعية مقرونة به وليس بمدة زمنية محددة سلفاً. ولكن الحائض (أو النفساء) التي طال محيضها (نزول دمها) عما اعتادته تؤدي عبادتها، من صلاة أو صيام، بعد مرور أيام الحيض وإن اُختلِف في عددها. هنا أُستعِض بأداة عُرفية (عدد أيام الحيض أو نزول الدم) مكان ظاهرة طبيعية (مكوث الحيض). قارن تقدير مدة الحيض بقول رسول الله سيدنا محمد ﷺ: «أفدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ...». فهل أصبح الحيض جزءاً من التكليف الشرعي لأن الشرع أمر به؟ إن الحيض وسيلة (استخدام ظاهرة طبيعية) للعبادة التالية وليس مقصوداً لذاته.

٨- استخدم الحيض أيضاً كوسيلة لتنظيم أحكام معاملات مثل أن لا يرى من أعضاء المرأة إلا وجهها وكفيها وسن الزواج والطلاق والعدة. فهل أصبح الحيض يُتعبد به لأن الشرع أمر باستخدامه؟ إن الحيض هو العلامة الطبيعية للأنثى لتأهلها للزواج (هذه الحقيقة تعطي تفسيراً طبيعياً لزواج سيدنا

رسول الله ﷺ من السيدة عائشة رضي الله عنها لكونها بلغت سن الزواج الطبيعي) يقول الحق ﷻ: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ...﴾ النساء: ٦. كذلك استخدم الحيض للمطلقة غير الحامل والتي لم ينقطع حيضها بأن تنتظر عددًا معينًا من الحيضات، يقول الحق سبحانه: ﴿بِأَيِّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ...﴾ الطلاق: ١، ويقول الحق ﷻ: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾ البقرة: ٢٢٨. فالحيض، والذي هو ظاهرة طبيعية، استخدم كمحدد للطلاق. ولكن ماذا تفعل المرأة التي لم تحض أصلاً أو الصغيرة أو التي انقطع حيضها أو اختل بعد الطلاق؟ إنها تستخدم الزمن كبديل لحساب عدتها، يقول الحق سبحانه ﴿وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ...﴾ الطلاق: ٤. هنا الظاهرة الطبيعية (القروء؛ أي: الحيض ومدته) استعويض عنها بمدة زمنية محددة في عدة المرأة المطلقة. أما عدة الوفاة لغير الحامل فحددت أصلاً بالزمن ولم تحدد بالحيض بالرغم من أن الأرملة قد تحيض، ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾ البقرة: ٢٣٤؛ أي: مدة زمنية محددة. هذا للنساء لأنهن يحضن، أما الرجال الذين يقسمون على أزواجهم ألا يقربوهم فكانت الوسيلة مدة زمنية ﴿لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ...﴾ البقرة: ٢٢٦. أليس الله هو خالق الإنسان والزمان؟ أليس الزمن حساباً؟ انظر قول الخالق ﷻ: ﴿...وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ...﴾ الإسراء: ١٢. إن العبرة هنا هي: بالرغم من أن الإسلام استخدم أصلاً ظاهرة طبيعية (الحيض) كوسيلة لتحديد معاملة/تكليف شرعي، فهذا لا يعني بالضرورة أن للوسيلة ثقلاً تعبدياً لأنها استبدلت بمدة زمنية، بالإضافة لكونها نجسة. أليس الله استخدم ما خلق لتحديد ما شرع؟ بلى. لننظر للموضوع من زاوية أخرى. لم يُستخدم الهلال فقط لمعرفة بدء زمن عبادات جماعية كالصوم والحج، بل أيضاً لمعرفة بدء زمن معاملات فردية. فالإيلاء والعِدَّة، سواءً للمطلقة أو الأرملة، وبعض الكفارات تحسب بالشهر القمري. فهل ترائي الهلال في العبادات الجماعية يُتعبد به، بينما ترائي الهلال في معاملات فردية لا يُتعبد به، وكلاهما وردت

فيه نصوص شرعية؟ إن ترائي الهلال في كليهما لم يكن غير وسيلة لمعرفة بدء الزمن لبدء واجب إسلامي.

٩- نَظَمَ الإسلام الجنس (وهو ظاهرة طبيعية عند البشر) بنصوص من الكتاب والسنة. هل الجنس عبادة بحد ذاتها لأن هناك نصوصاً كثيرة تحت على الجماع إما لغرض التكاثر أو لمجرد أن يستمتع الزوجان ببعضهما؟ ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ...﴾ آل عمران: ١٢، والبنين لا يأتون إلا بالجنس، ولكن القرآن في غاية الرُقي وفي غاية الأدب؛ وعن أبي ذر قال سيدنا رسول الله ﷺ... «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ». أخرجه مسلم. ويؤجر المتزوجون لفعل الجنس لأنه مُباح لهما ومدعاة ألا يقعا في الحرام. على الجانب الآخر، الطلاق السني هو الطلاق الذي يقع بعد طهر وبدون جماع. إذا، يستخدم الشرع الجنس كأداة سلوكية نوعية بدون أي ثقل تعبدي.

١٠- تُصَلَّى الصلاة المفروضة إما في وقتها؛ أي: حَسَبَ الظاهرة الطبيعية الأصلية، أو تُجمع في وقت آخر أو تُقضى في وقت آخر. كذلك المريض والمرأة الحائض والنفساء في رمضان فإنهم يقضون في وقت آخر. هنا الظاهرة الطبيعية الأصلية (الزمن الأصلي) استعيض عنها بظاهرة طبيعية أخرى (زمن آخر)؛ أي: أن الوسيلة تغيرت والعبادة بقيت.

١١- هل المسلم الذي في القطب الشمالي أو الجنوبي (عند خط العرض ٩٠ فقط) يؤدي صلاتي الظهر والعشاء فقط مرة واحدة في السنة لأن الشمس في كبد السماء لمدة ٦ أشهر أو مظلمة لمدة ٦ أشهر أخرى لأن مواقع الشمس الأخرى لم تتحقق؟ هل يسقط الصيام في مناطق خطوط عرض عليا لأن الهلال لا يظهر شتاءً ويكون معلقاً في السماء صيفاً لمدة معينة؟ هل يقال لرائد فضاء مسلم في فضاء سحيق: ليس عليك صلاة أو صوم مثلاً، لأنه ليس عندك مكان ولا اتجاه ولا زمان ولا مواقع شمس وهلال؟ قطعاً لا. إن التكليف

الشرعي حاصل وإن انتفت ظواهره الطبيعية التي حددت بنصوص شرعية لأن هناك بدائل «عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ... قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لَبِئْتُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمَ كَسَنَةِ وَيَوْمَ كَشْهَرٍ وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَتْهُ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: لَا. أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ...». أخرجته مسلم والترمذي وابن ماجه وأبو داود وأحمد وهذا لفظ مسلم. هذا دليل لتقدير أوقات الصلاة، أما أدلة تقدير دخول رمضان ف«عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ: لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلَالَ وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ». أخرجته البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وأحمد ومالك والدارمي. رسول الله ﷺ حدد وسيلة رئيسة (رؤية موقع للهلال) وأتى بديل لها وهو التقدير (معرفة ذلك الموقع). هذا التقدير يُحدده علم قطعي بكون الله وسننه الكونية مُستعينًا بأجهزة تحديد الزمن أو المواقع<sup>١</sup> والاتجاه لمكان معلوم عن طريق الأقمار الصناعية وهو ما يعرف بنظام المواقع العالمي (GPS) Global Positioning System وبرامج الفلك، أو أي تقنية أخرى. بعبارة أخرى، استخدام أدوات عُرفية بدلا من ظواهر أو أدوات طبيعية؛ أي: أن العبادة بقيت وإن انتفت ظواهرها الطبيعية التي حددت بنصوص شرعية لأن هناك بدائل.

١٢ - تستخدم الشريعة الإسلامية مواقع للشمس وللقمر (وكل آلياتهما الفلكية) وهما جرمان طبيعيان، كمحددات لبدء زمن عبادات دون أن يكون للشمس أو للقمر أو لآلياتهما الفلكية (مواقع أي منهما) أو النظر إليهما أي ثقل تعبدي. الشمس والقمر هما الجرمان السماويان الأكثر وضوحًا وتأثيرًا على حياة كل البشر وجميع أنواع الحياة الأخرى. وحين حدّد الشرع "الفِيء مثل الشِّرَاك" و"كل شيء مثل ظله" و"وجبت الشمس" و"غاب الشفق" و"برق الفجر" كمحددات لبدء الصلوات و"الهلال" لبدء رمضان و"الخيط الأسود من الخيط الأبيض" و"غربت الشمس" كمحددات لبدء الإمساك

والإفطار، فإنه أشار إلى هدف وهو الصلاة وحدد وسيلة وهي مواقع للشمس لأداء الصلاة ومواقع للهلال لبدء الشهر. بمعنى، لم يضيف الشرع أي ثقل تعبدي على هذه المواقع المُحدَّدة من فلكي الشمس والقمر ولا لكامل الفلكيين ولا للشمس أو للقمر ولا للنظر إليها، فجميعها وسائل. بل جاء النهي بتقديس الشمس والقمر؛ انظر إلى دقة قول الحق سبحانه ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ آيَاتٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧) فصلت. أي أن هذه الأجرام السماوية مسخرة لمصالح البشر (أمور دينكم ودنياكم) فلا تجعلوها مُتَعَبِّدَةً بل اعبدوا الخالق الذي خلقهن". والسجود هو قمة الخضوع التعبدي ولا يقصد به هنا السجود الحركي فقط ولكن أيضًا أي نوع من أنواع التعبد لهذه الأجرام و/أو آلياتها. تدبر أيضًا قول الحق ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ آيَاتِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ...﴾ النحل: ١٢؛ أي: أن الأرض والشمس والقمر مُذَلَّلَةٌ لمصالح ومنافع كل البشر، والمُسَخَّر لا يمكن أن يُقَدَّس في نفسه أو في آياته.

١٣- تعتبر النجوم ظاهرة طبيعية كونية تتميز بالثبات النسبي لسكان الأرض ولذلك أُسْتُخِدِمَتْ ولا زالت تُسْتُخَدَمُ، ضمن أشياء أخرى، كوسيلة لتحديد الاتجاه لمسافرين، ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَعَلَّمَتِ الْبَلَدَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (١٦) النحل. فهل يقول عاقل أو عارف إنه لا يجوز استخدام وسائل أخرى غير النجوم (أي وسيلة عصرية وعلمية مثل الخرائط والبوصلة وأجهزة الملاحة الجوية والبحرية وأجهزة الـ(GPS) للاهتداء بها في مسالك السفر لأن الله ﷻ ذكر النجوم؟ إذا كان الجواب نعم لا يجوز، فليس هذا مخالف للواقع فقط ولكنه أيضًا مخالف لمقاصد الشريعة الإسلامية نفسها. انظر قوله ﷻ: ﴿وَعَلَّمَتِ﴾، فسواء فُسِّرَتْ (عَلَامَاتٍ) بمعالم الطريق في النهار أو الجبال أو النجوم أو الرياح أو غيرها<sup>١٣</sup>، فكلها وسائل وبدائل لوسيلة النجوم. فماذا يفعل المرء في ليل ملبد بالسحب؟ وفي نهار صحراء ليس بها معالم؟ إنه يحتاج إلى وسائل عصرية علمية للاهتداء بها وإلا هلك. ولكن على القائل بنعم أن يقول أيضًا نعم لقوله تعالى: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا...﴾ النحل: ٨؛ فلا

يجوز أن يركب سيارات أو طائرات أو قطارات أو حتى دراجات. هذا هو التناسق الذاتي.

١٤- تستخدم الشريعة الإسلامية كوارث طبيعية كونية (شهب، نيازك، انفجار نجم، دخان من السماء، وغيرها)، وكوارث طبيعية أرضية (طوفان، أعاصير، أمطار، الريح، الصيحة، الصواعق، برق، رعد، زلازل، براكين، وغيرها)، وكوارث طبيعية بشرية (أمراض، مجاعات، وغيرها) كوسائل إما لمعاقبة فرد أو جماعة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾ الأعراف، أو لمثوبتهم ﴿... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْفُونَ مَوْطِنًا يَعْزِمُ الْكُفَّارُ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٥﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ التوبة. ولم تكن لأي من هذه الكوارث الطبيعية أي ثقل تعبدي على الإطلاق لا في تحرّيها ولا في مشاهدتها، رغم ورود نصوص شرعية.

١٥- تستخدم الشريعة الإسلامية معالم طبيعية (شجر وأراض ووديان وجبال) كمعالم ومُحدّدات لشعائر. ولا يوجد نص ولم يأت أحد يستشهد أن هذه المعالم يُتعبّد بها لأن القرآن الكريم أو السنة المطهرة جعل من أيّ منها معلماً أو مُحدّداً لعبادة. فالشام وفلسطين وسيناء (بجبلها وشجرتها) أراض مباركة. وطوى وادي مقدس ﴿... إِنَّكَ يَا لَوْلَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَى ﴿١٣٧﴾﴾ طه؛ وجبل الرحمة في عرفات «وَقَفْتُ هَا هُنَا بِعَرَفَةَ وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ» أخرج أبو داود؛ وجبل أحد في المدينة المنورة «عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةٌ وَهَذَا أَحَدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» أخرج البخاري؛ وجبل الصفا وجبل المروة



في مكة ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ سَاكِرٌ عَلَيْهِ﴾ (١٥٨) البقرة، فهذه أراض ووديان وجبال وردت بالتعيين والاسم في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، ولا يُتَعَبَّدُ بها بذاتها، بل هي مُحَدَّدَاتٌ للعبادات التالية. فكيف يقول قائل إن ترائي الهلال يُتَعَبَّدُ به لورود نص شرعي؟ إما أن نَتَعَبَّدُ بالشجرة المباركة والبقعة المباركة والوادي المقدس والجبال التي من شعائر الله وغيرها لورودها في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، أو نفهم حقاً إرادة الله وكليات شرعه ونُظهِرُ تناسق الشريعة الإسلامية وبالتالي نكون أيضاً متناسقين مع أنفسنا. هذا هو الفقه.

١٦- تستخدم الشريعة الإسلامية الأنعام (وهي مخلوقات طبيعية سواء كانت من إبل - البُذْنُ أو الجمال - أو بقر أو ماعز) كوسائل ومعايير لأمر شتى. فدية القتل الخطأ، مثلاً، حُدِّدَتْ بأنعام وليس بالنقود، والهدي في الحج حُدِّدَ بأنعام، وبعض الكفارات حُدِّدَتْ أيضاً بأنعام. فهل هذه الأنعام، والتي حدد القرآن المجيد والسنة الطاهرة أنواعها وأسماءها، يُتَعَبَّدُ بها لأن الشريعة الإسلامية حددت صنفها؟ إذا كان الجواب نعم، فلم لا تُنْفَذَ في أمور القتل في المحاكم، مثلاً؟ إذا كان الجواب لا، فأين التناسق الذاتي؟ لِمَاذَا لا هنا، ونعم للأهلة؟ الحقيقة، أنه حتى أكثر الناس تشدداً بإظهار تمسكهم بالشريعة قبلوا بدائل للأنعام (النقد) وبذلك أظهروا انتقائية للنصوص وعدم تناسق ذاتي في فقههم.

١٧- استخدمت كل شعوب الأرض على مر العصور المعدنين الذهب والفضة، وبشكل رئيسي، كوسيلة للتداول ومعياراً للقيمة وأداة للادخار؛ أي: أنهما نقد وثروة. وقد نص القرآن الكريم والسنة المطهرة على هذه الوظائف الثلاث للذهب والفضة. وتوسَّعت السنة المطهرة في التعامل مع الذهب والفضة وحددت زكاة النقد بهما. والسؤال هو: هل هذه النصوص الشرعية عن استخدام الذهب والفضة لذات المعدنين أم لأنها وسيلة للتداول ومعياراً للقيمة وأداة للادخار؟ والجواب هو: لأن كلاً منهما وسيلة وأداة. انظر لكل

الدول الإسلامية تجد أن الذهب والفضة لا يُستخدمان كنقد وإن كانا يستخدمان كثروة وزينة، وحل محلهما العملة القانونية (معدن وورق)<sup>١٤</sup> والشيكات وبطاقات الائتمان والتحويل الإلكتروني وربما وسائل أخرى في المستقبل. وما يقال عن هذين المعدنين يقال أيضًا عن استخدام بعض البقول أو الحبوب أو الزَّاد (بُرُّ أو شعير أو قمح أو تمر أو أقط أو زبيب) كمقاييس لإخراج زكاة أو كَفَّارة.

١٨- سَمَى اللهُ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ وَسَمَى رَسُولُهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ عَمَلَتَيْنِ: الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ. يَقُولُ الْحَقُّ ﷺ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ آل عمران: ٧٥، ﴿وَشَرَّوهُ شِمْبٍ بِحَسِّ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (٢٠) يوسف. ووردت هاتان العملتان في السنة المطهرة مرات عديدة منها، «عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يَطِيبَ وَلَا يُبَاعَ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَّا بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ إِلَّا الْعَرَايَا»، أخرجه البخاري. بل إن الدينار والدرهم كانا موجودين في أمم قبلنا والآيتان السابقتان تشيران إلى ذلك، «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ. فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ مَرَكَبًا. فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ. فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ. فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَلَمَّا نَسَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ» أخرجه البخاري. ها قد حدد الكتاب المجيد والسنة الشريفة وسيلة للتعامل والتداول النقدي. الآن، هل مجرد ذكر أسماء هاتين العملتين في الكتاب والسنة (بغض النظر عن معيار قيمتهما وتقويمهما بالذهب أو الفضة) يستوجب أن نستخدمهما، اسمًا و/أو قيمة؟ ألا يجب أن نتعبد بهما، كما يُحاجج قياسًا من يُوجب رؤية الهلال لتحديد بداية الشهر؟ ما الفرق؟ ألم يُذكر الهلال في الكتاب والسنة؟ إن الفرق في فقه النصوص. إن الدينار والدرهم، باسميهما وكنهيهما، هما مجرد وسيلة للتعامل النقدي والمالي، وإلا فإن الشيكات والكمبيالات وبطاقات

الائتمان وغيرها تصبح وسائل غير جائزة، كعدم جواز استخدام علم الفلك لتحديد بداية الشهور القمرية. إن القول بعدم صحة هذا الاستنتاج يعني التناقض الداخلي، والموافقة تعني فقهاً انتقائياً ومنعزلاً. والحل يكمن في فقه شمولي للنصوص الدينية.

١٩- الكيل والميل. يحتاج البشر إلى التعامل بوسائل متعددة لقضاء حاجاتهم، مثل النقود ومعايير الحجم والمسافة والوزن وغيرها. وقد ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة اسم معاير وحدة التداول النقدي والحجم والمسافة والوزن ولكن لم يُحدّد معياره. فمعيار الكيل (الصاع، وهو مقدار معين من الكيل، وقد كانت سائدة في المملكة العربية السعودية باسم الكيلة حتى حوالي أربعين سنة خلت، ولا زالت في بعض المناطق) ورد ذكره في القرآن الكريم، يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ بِالْقَيْسَاتِ الْمَسْفُومِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (١٥٢) الإسراء، ويقول ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقَيْسِ لَا نُكَلِّفُ﴾ الأنعام: ١٥٢، وفي السنة الشريفة «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يُسَلِفُونَ فِي الثَّمَارِ السَّنَتَيْنِ وَالثَّلَاثَ. فَقَالَ أَسَلِفُوا فِي الثَّمَارِ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ» أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدارمي، وهذا لفظ البخاري. وورد ذكر معيار المسافة (الميل) في السنة المطهرة، «عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَابَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي قَدْ أُضْمِرَتْ فَأَرْسَلَهَا مِنَ الْحَفِيَاءِ، وَكَانَ أَمْدُهَا ثِنْتَةَ الْوَدَاعِ فَقُلْتُ لِمُوسَى: فَكَمْ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: سِتَّةُ أَمْيَالٍ أَوْ سَبْعَةٌ وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ فَأَرْسَلَهَا مِنْ ثِنْتَةِ الْوَدَاعِ، وَكَانَ أَمْدُهَا مَسْجِدَ بَنِي زُرَيْقٍ قُلْتُ: فَكَمْ بَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِيلٌ أَوْ نَحْوُهُ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ مِمَّنْ سَابَقَ فِيهَا». أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد ومالك والدارمي، وهذا لفظ البخاري. السؤال: هل لتحديد هذه المعايير والأسماء في القرآن والسنة يضيف عليها بالضرورة أي ثقل تعبدي؟ بمعنى، يجب شرعاً استخدام هذه المعايير وبهذه الأسماء. إذا نعم، فترائي

الهلال يُتعبد به (وكذلك الحيض) ولا يجوز استخدام وسيلة أخرى. إذا لا، فأين هذه الوسائل الآن؟ ولم حَلَّتْ بدائل أخرى (الكيلو متر المكعب، الكيلو متر والكيلو جرام) محلها وقبَلْنَا بها؟ إن كل الوسائل - لأي عبادة أو معاملة - لا يُتعبد بها.

٢٠- المشي هو الطريقة الطبيعية لقطع المسافات، وهناك نصوص عديدة تأمر به وتحث عليه (بل وتوضح كيفية المشي) لبدء عبادات (إلى الصلاة وفي الحج) وأداء معاملات (زيارة مريض أو صديق)؛ فعن أبي هريرة قال سيدنا رسول الله ﷺ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَأَمْسُوا إِلَيْهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ...»، أخرجه أحمد. و«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ. كُلَّ يَوْمٍ يُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ يُحَامِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ. وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ. وَذَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» أخرجه البخاري. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ...». أخرجه مسلم. وهناك عدد لا يحصى في أعمال الفضائل حيث نجد أن الإسلام يحث على الصبر والتحمل مثل تحمل المناخ الحار وحرارة الحمى. فهل يفهم من هذه النصوص أن الحر والمرض عبادة أو التوضؤ بماء بارد عبادة؟ أو أنه لا يجوز ركوب سيارة إلى المساجد والحج وزيارة قريب؟ ألم يُشرِّع سيدنا رسول الله ﷺ الركوب كبديل للمشي؟ يجب أن ننظر إلى المشي على أنه وسيلة طبيعية لأداء عبادة وليس جزءاً منها وإن كان في فعلها أجر، لأن المشي لأي إنسان هو الطريقة الطبيعية لقطع أي مسافة. فلماذا نقبل بديل المشي (ركوب وسيلة نقل) ولا يقبل بعضنا بديل رؤية الهلال (وسيلة للعلم بدخول الهلال)؟ أليس رؤية فرد علم به لبقية المسلمين؟ ومعرفة وسيلة أخرى علم به أيضاً لأي فرد ولبقية المسلمين.

٢١- يحث القرآن المجيد على التسيح والتهيل والتحميد والتكبير لله ﷻ.

وتحت السنة الشريفة على ذلك أيضًا، وعلى استخدام سلامي (مفصل، ومنها مفاصل أصابع اليدين) الإنسان للتسييح والتهليل والتحميد والتكبير لله ﷻ لإكمال العدد الذي جاءت به السنة الشريفة، «عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يُضْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» أخرجه مسلم. ولا يستقيم لعقل أو لفقهِ سليم أن المشي أو عظام اليدين أصبحت جزءًا من تلك العبادة لمجرد استخدام الشريعة الإسلامية لهذه الوسائل الطبيعية لتنفيذ عبادة.

٢٢- تقدير المسافات وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة بصيغ طبيعية (وغير طبيعية) مثل الشهر ﴿وَلَسَلِمْنَ الرَّيْحَ عُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ...﴾ سبأ: ١٢، والذراع ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ ﴿٣٢﴾ الحاقة، و«عَنِ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا تَلَّقَانِي عَبْدِي بِشَبْرِ تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَّقَانِي بِذِرَاعٍ تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَّقَانِي بِبَاعٍ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعٍ» أخرجه مسلم وأحمد وهذا لفظ مسلم. وهناك أدلة شرعية عديدة أخرى عن الصاع والشبر والرمح وحتى الشراك (النعل) وغيرها استخدمتها الشريعة الإسلامية لتحديد بدء زمن عبادات ومعاملات. فهل يستنتج أحد أن هذه المقاييس شرعية ومُلزمة، لأن نصوصًا شرعية دلت عليها، ولا يجوز استخدام مقاييس حديثة؟ إننا نستخدم مقاييس شتى للمسافات والأوزان والأحجام والطاقة وغيرها كثير، وحتى اخترع بعضها غير مسلمين بل لم يرد لها ذكر في الكتاب والسنة، ولكننا قبلنا كل ذلك. ورغم ذلك وبدعم تناسق ذاتي مع أنفسنا - مرة أخرى - لم نقبل مقاييس علمية لتحديد مواقع القمر (رؤية الهلال) لركني الصيام والحج مع أننا قبلنا نفس المقاييس العلمية لتحديد مواقع الشمس لركن آخر (مواقيت الصلاة) ومواقيت الصيام ومشاعر الحج!

٢٣- اللعان (كأداة طبيعية للتحقيق) هو أن يتلاعن الرجل وزوجته، في حالة عدم وجود أربعة شهداء، باتهامها بالزنا، أو ينفي حملًا، أو أن الولد ليس منه؛ أي يشهد أو يُقسم الزوج ضد زوجه أربع مرّات أنها زنت وتَشهد أو تُقسم الزوجة لنفسها أربع مرّات أنه كاذب. ثم يشهد كل منهما الشهادة الخامسة بما ادعاه ونفته. شُرّع اللعان<sup>١٥</sup> كوسيلة لإثبات أو نفي لما يكون قد حدث لعلاقات فردية. بعبارة أخرى، المسألة هنا هي أحكام معاملات وليس أحكام عبادات. الملاحظ أن اللعان هو بديل لوسيلة أخرى، الشهادة، في تهمة الزنا. ولكن نظرًا لعدم توفر أربعة شهود فيشهد المرء لنفسه أربع مرّات (لاحظ أن الشهادة وهي أداة طبيعية قد مُزجت بعدد في كل من شهادة الزنا واللعان). السؤال هو، هل اللعان (أي الشهادة - علمًا أن الشهادة تعني العلم بشيء والدليل عليه) بحد ذاته هو المقصود لإثبات/نفي تهمة الزنا؟ والجواب: أن الشرع أتى ببديل آخر للعان وهو القيافة كما عُرفت سابقًا أو باستخدام مصطلح علمي عصري: البصمة الوراثية أي العلم بشيء والدليل عليه.

هل يجوز استخدام أدلة مادية وعلمية حديثة - مثل شريط فيديو - وتحقق فيها كل شروط الشهادة (العلم بشيء والدليل عليه) لإثبات/نفي الزنا؟ هل تقبل نتيجة البصمة الوراثية<sup>١٦</sup> (التي "هي أقوى بكثير من القيافة العادية") لعينة تُؤخذ من فرج امرأة أو ثياب الرجل المتهم، أو من أي موضع آخر في مكان الحدث، والتي تدل قطعًا أنها مني الرجل المتهم؟ أو تُؤخذ عينة من على فرج رجل، والتي تدل قطعًا على أنها أتت من فرج تلك المرأة المتهمّة؟ أما من حيث النسب، فهل يجوز إجراء فحص البصمة الوراثية لإثبات الأبوة التي تدل قطعًا على صحة النسب أو عدم صحته؟ إن الحمل شرط ضروري لإثبات النسب ولكنه ليس شرطًا كافيًا لإثبات الأبوة، فقد يكون الولد لغير من اتهم به. البصمة الوراثية تُثبت قطعياً من الأب (و/أو الأم) الطبيعي بدون انتظار الولادة وذلك بأخذ عينة من الجنين. إذا قُبِلت هذه الوسائل، فاللعان وسيلة وليس عبادة بحد ذاته يتحتم الأخذ به. لا يمكن أن تُتعبّد باللعان لأن نصًّا

شرعياً ورد باستخدامه. هذا فهم لا يستقيم. إن القصد هو إظهار الحق بألية مُحدّدة وليس الشاهد بذاته.

إذا لم تُقبل أدلة مادية وعلمية حديثة لإثبات/نفي الزنا/النسب، فكيف تقبل الأشعة السينية والصوتية واختبارات فحص الحمل لإثبات/نفي وجود حمل في مسألة القذف؟ وكيف لا تُقبل أدلة مادية وعلمية حديثة وقطعية لإثبات/نفي الزنا/النسب، وقد شرّع لنا رسول الله سيدنا محمد ﷺ أسس القيافة (أو البصمة الوراثية بمسمى وتقنيات العصر) كدليل مادي لإثبات/نفي النسب حسبما كان معروفاً لديهم؟ فقد دخل<sup>١٧</sup> سيدنا رسول الله ﷺ على السيدة عائشة رضي الله عنها مسروراً تبرق أسارير وجهه مُقرأً تقرير خبير قيافة لم يسأله أحد والذي نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامه بن زيد رضي الله عنهما وبدأت أقدامهما، فقال الخبير: إن هذه الأقدام بعضها من بعض (وما البصمة الوراثية إلا عدة مراحل تسبق مرحلة الأقدام أو الشبه الظاهري ولكن بيقين قطعي). وفي حديث<sup>١٨</sup> أخر أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول رسول الله سيدنا محمد ﷺ: «أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ سَابِغِ الْإِثْمَيْنِ خَدَّجِ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكَ ابْنِ سَحْمَاءَ»، وفي رواية أخرى للإمام مسلم «أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَبْيَضَ سَبِطًا فَضِيءَ الْعَيْنَيْنِ فَهُوَ لِهَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ جَعْدًا حَمَشَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكَ ابْنِ سَحْمَاءَ. قَالَ: فَأُنْبِئْتُ أَنَّهَا جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ جَعْدًا حَمَشَ السَّاقَيْنِ». فهذا رسول الله ﷺ أخذ بعينتين مختلفتين وبثلاثة عوامل من كل عيّنة لإثبات صحة البصمة الوراثية كما عُرفت بألياتها في ذلك الوقت. بمعنى آخر، أن سيدنا رسول الله ﷺ أتى ببديل للعان وهو الصبغة الوراثية كما هي معروفة في زماننا أو القيافة كما هي معروفة في زمن سيدنا رسول الله ﷺ. ولكنه ﷺ في نفس الحديث لم يطبق تلك الوسيلة في تلك الحالة لسبب في غاية الأهمية: «لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ». إن سيدنا رسول الله ﷺ يقرر بهذه الجملة الصغيرة جداً أحد أسس العدل: لا يجوز تطبيق عقوبة أخرى لجريمة واحدة بعد أن طبقت

العقوبة الأولى. إن هذه القاعدة هي أحد أهم قواعد القانون.

٢٤- الشهادة، كما ذكر سابقاً، من أحكام المعاملات وتعني العلم بشيء والدليل عليه. والشهادة هي الطريقة الطبيعية لإظهار حق. إن هدف الشهادة (في الإسلام وفي كل الشرائع السماوية والقوانين الوضعية) هو إظهار حقيقة ما حدث بالدليل وبآلية مُحدّدة، وإذا وُجد ما يُكذّبها، فالشهادة باطلة حتى وإن صحت آلية الشهادة. إذاً، الشهادة تحتوي على العناصر التالية: حدوث حدث، شاهد أو أكثر، أدلة، وآلية الشهادة. وفي الإسلام كتم الشهادة يُعتبر إثماً، وفي القوانين الوضعية يعتبر عرقلة للعدالة. هناك نصوص عديدة في الكتاب والسنة تنص على وجود شاهد أو شهود لإثبات بدء زمن عبادة (مثلاً، بدء شهر الصوم والحج) أو معاملات بين أفراد (مثلاً، اللعان والذّين والزواج والطلاق والوصاية ودفع الأموال والزنا والقذف والسرقه، وغير ذلك). بعض هذه النصوص الشرعية حدّدت عدد الشهود وبعضها لم يُحدده، ﴿... وَأَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ...﴾ البقرة: ٢٨٢، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ...﴾ النور: ٢٤، ﴿... وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ...﴾ البقرة: ٢٨٢. السؤال: هل نُتعبّد بشاهد أو شهود أو حتى آلية الشهادة لأن ربنا ﷻ ونبه الكريم سيدنا محمد ﷺ أمرنا في كتابه العزيز وسنته الطاهرة باستخدام شهود؟ إذا أخذنا بفقهِه أننا نُتعبّد بتحري وترائي الهلال لأن نصّاً شرعياً أمر بذلك، فعلينا أيضاً - إذا أردنا أن نكون متناسقين ذاتياً مع أنفسنا - أن نُتعبّد بشاهد (شهود) الهلال بدليل نفس النص، فالهلال لا يُرى إلا بشاهد أو أكثر. وهل يُتعبّد بشاهد (شهود) الزور؟ إذا صح هذا الفهم، فربما يُفسّر لماذا يتدافع أفراد لإثبات ما لا يمكن إثباته حقّاً وواقعاً! إن شهادة المستحيل تشهد على استحالة التناقس الذاتي لهذا الفقه.

٢٥- انظر إلى كثير من العبادات، مثل الصلاة والصيام والحج، التي حدّدت بدايتها بظاهرة طبيعية (مواقع الشمس ومواقع القمر) تجد أن فرداً واحداً يكفي لإعلام المسلمين بدخول وقتها (واحد يرفع الأذان وواحد يري الهلال) بينما العبادة التالية واجبة على كل فرد؛ الوسيلة بفرد والعبادة على



الكل. وهذا إثبات آخر على أن اتباع وسيلة تحديد بدء وقت العبادة ليست واجباً شرعاً.

٢٦- استخدمت الشريعة الإسلامية الرؤية كمنهج لتحديد بدء زمن بعض العبادات (مثل أوقات الصلاة وشهر رمضان وبدء وانتهاء الصوم اليومي وبعض مشاعر الحج) ولإثبات حدوث بعض المعاملات (مثل القتل والسرقه والزنا وما في حكمه). وعلى الرائي إظهار البيّنة بشهادته للمراد إثباته. والبيّنة في الزنا هي: "شهادة أربعة رجال، ذكور، عدول، أحرار، مسلمين، على الزنا بأن يقولوا: رأينا وطئها في فرجها، كالميل في المكحلة، على حد تعبير الفقهاء"<sup>١٩</sup>. هنا الرؤية ليست لفرج فقط، بل رؤية الفرج في الفرج ومن الشهود الأربعة. وهذه الرؤية بتفاصيلها تعتبر محورية لإثبات الزنا وإيقاع الحد. فهل يفهم هنا أن رؤية الفاحشة بحد ذاتها "شرعية" أي يتعبد بها الرائي لأن الشرع حدّد ذلك، أم أن الرؤية هنا وسيلة لتحقيق تكليف شرعي، سواءً لتحديد بدء زمن عبادة أو لإثبات حدوث معاملة (سلوك غير شرعي)؟ على المرء أن يكون متناسقاً وليس انتقائياً في فقهه. فالحقيقة أن الإسلام يستخدم الرؤية وسيلة لتحديد بدء زمن عبادة أو لإثبات حدوث معاملة، لأن النظر إلى أي فرج أجنبي عمل مُحَرَّم بذاته، ولأن المقصد هو ما يترتب على الرؤية؛ أي: أداء العبادة أو إثبات حدوث سلوك مُحَرَّم؛ وكذلك تعتبر رؤية الهلال في كونها وسيلة لمعرفة بدء الشهر وما يترتب على ذلك من صيامه.

٢٧- والنهج الطبيعي في الشريعة لا يقتصر على العبادات والمعاملات، بل إلى أشرطة الساعة والمحشر. لقد وردت أشرطة الساعة في نصوص شرعية صحيحة إما في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وتجد كثيراً منها كونية أو طبيعية، مثل: ظهور نار في الحجاز وتقارب الزمان وكثرة الزلازل وانتفاخ الأهلة وكثرة النساء عن الرجال وعودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحسر الفرات عن جبل من ذهب وخسوفات في الأرض وظهور الدخان والنار التي تحشر الناس وطلوع الشمس من مغربها<sup>٢٠</sup>. هذا النهج الطبيعي في الإسلام (أي استخدام ظواهر طبيعية) هو الذي يفسّر لماذا يُحشر الناس - رجالاً ونساءً -

عراة في يوم الحشر. السؤال هو: هل هذه الأحداث الكونية والطبيعية لها أي ثقل ديني، أو أنها جزء من عبادة أو رسالة لأن نصوصاً شرعية عيّنتها؟ الجواب ببساطة هو: لا. إنها وسائل تستخدمهم الشريعة الإسلامية لتبليغ رسالتها.

٢٨- لعل أبلغ دليل شرعي في كون الأهلة وسيلة لتحديد بدء زمن العبادات وإثبات حدوث المعاملات التي تليها هو قول الخالق المشرع ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾ البقرة: ١٨٩. فالله سبحانه يريد بالأهلة شهورها وقد يعبر بالهلال عن الشهر لحلوله فيه... وقوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ تبين لوجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه، وهو زوال الإشكال في الآجال والمعاملات والأيمان والحج والعدد والعباد... ومواقيت جمع ميقات وهو الوقت وقيل منتهى الوقت". باختصار، ليس فقط هلال أول الشهر بل كل منازل القمر هي وسائل لكافة الناس لإدارة شؤون حياتهم الزمنية بما في ذلك العبادات والمعاملات الشرعية التي رُبطت بالهلال. وتراثي الهلال هو العلم ببدء تلك المنزلة المربوطة بمصلحة للناس. وأحاديث رؤية الهلال يجب أن يُنظر إليها من خلال وظيفة الأهلة التي حددتها هذه الآية، ومن خلال النظرة الشمولية للأهلة والتي يقرها قول الحق ﷻ: ﴿...وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ الأنعام: ٩٦، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يونس. وهكذا ترسم لنا هذه الآيات مراد الله ورسوله من الأهلة ووظيفتها.

٢٩- هدف الاستخدام... "إن الحديث الشريف: «صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ» أشار إلى هدف وعين وسيلة. أما الهدف من الحديث فهو واضح بين وهو أن يصوموا رمضان كله ولا يضيعوا يوماً منه، أو يصوموا يوماً من شهر غيره كشعبان أو شوال، وذلك بإثبات دخول الشهر أو الخروج منه

بوسيلة ممكنة مقدورة لجمهور الناس لا تكلفهم عنتا ولا حرجا في دينهم" <sup>٢٢</sup> [في ذلك الوقت أو أي زمان أو مكان لا يكون فيه البديل متاحًا]. ويفرق فضيلة الشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوي بين العبادة وسببها (أي الوسيلة المؤدية إليها) ويسميها التمييز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت للحديث النبوي الشريف وذلك في شرحه لمعالم وضوابط لحسن فهم السنة النبوية، فيقول فضيلته <sup>٢٣</sup> :

... إن بعض الناس خلطوا بين المقاصد والأهداف الثابتة التي تسعى السنة إلى تحقيقها وبين الوسائل، الآنية والبيئية التي تعينها أحيانا للوصول إلى الهدف المنشود، فتراهم يركزون كل التركيز على هذه الوسائل، كأنها مقصودة لذاتها، مع أن الذي يتعمق في فهم السنة وأسرارها، يتبين له أن المهم هو الهدف، وهو الثابت والدائم، والوسائل قد تتغير بتغير البيئة أو العصر أو العرف أو غير ذلك من المؤثرات.

ومن هنا تجد اهتمام كثير من الدارسين للسنة، المهتمين بالطب النبوي يركزون بحثهم واهتمامهم على الأدوية والأغذية والأعشاب والحبوب وغيرها مما وصفه النبي ﷺ للتداوي به في علاج بعض العلل والأمراض البدنية...

ورأيي أن هذه الوصفات وما شابهها ليست هي روح الطب النبوي، بل روحه المحافظة على صحة الإنسان وحياته، وسلامة جسمه، وقوته، وحقه في الراحة إذا تعب، وفي الشبع إذا جاع، وفي التداوي إذا مرض،...

إن الوسائل قد تتغير من عصر إلى عصر، ومن بيئة إلى أخرى، بل هي لا بد متغيرة، فإذا نص الحديث على شيء منها، فإنما ذلك لبيان الواقع، لا ليقيدنا بها، ويجمدنا عندها.

بل لو نص القرآن نفسه على وسيلة مناسبة لمكان معين وزمان معين فلا يعني ذلك أن نقف عندها، ولا نفكر في غيرها من الوسائل المتطورة بتطور الزمان والمكان.

ألم يقل القرآن الكريم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ

الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ... ﴿الأنفال: ٦٠﴾

ومع هذا لم يفهم أحد أن المرابطة في وجه الأعداء لا تكون إلا بالخيال التي نص القرآن عليها. بل فهم كل من له عقل يعرف اللغة والشرع: أن خيل العصر هي الدبابات والمدرعات ونحوها من أسلحة العصر...

وأعتقد أن تعيين السواك لتطهير الأسنان من هذا الباب، فالهدف هو طهارة الفم، حتى يرضي الرب، كما في الحديث: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب».

ولكن هل السواك مقصود لذاته، أم كان الوسيلة الملائمة في جزيرة العرب؟ فوصف لهم النبي ﷺ ما يؤدي الغرض ولا يعسر عليهم.

ولا بأس أن تتغير الوسيلة في مجتمعات أخرى، لا يتيسر لها هذا العود، إلى وسيلة يمكن تصنيعها بوفرة تكفي مئات الملايين من الناس، مثل (الفرشاة).

وقد نص الفقهاء على نحو ذلك.

قال في (هداية الراغب) في الفقه الحنبلي: ويكون العود من أراك وعرجون وزيتون، وغيرها، ولا يجرح ولا يضر ولا يتفتت. ويكره بما يجرح أو يضر أو يتفتت. والذي يضر كالرمان والريحان والطرفاء ونحوها. ولا يصيب السنة من استاك بغير عود، ونقل مهذب الكتاب الشيخ عبد الله البسام عن النووي قوله: بأي شيء استاك مما يزيل التغير حصل الاستياك، كالخرقة والإصبع وهو مذهب أبي حنيفة، لعموم الأدلة.

وفي المغني: أنه يصيب من السنة بقدر ما يحصل من الإنقاء، ولا يترك القليل من السنة للعجز عن أكثرها، وذكر أنه الصحيح.

٣٠ - إن للشريعة الإسلامية مقاصد وكليات وأولويات حتى في تحريماتها؛ فالتحريم نسبي<sup>٤٤</sup>. فإذا لم يتحقق مقصد أو هناك أولوية أهم، فلا يلتزم بالمحرم بقدر تحقيق المقصد أو الأولوية، ولا يُعاقب المسلم أو تختلف العقوبة لفعل المحرم. وهناك أمثلة عديدة يمكن ضربها وسأكتفي باثنين. أولاً:

إن السرقة محرمة وعقوبتها معروفة ولكن الأمر له شروط، إذا لم تتحقق لا يُطبق الحد. ثانيًا: إن الله حرم بعض الطعام ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُرْدِيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقُوا بِالْأَنْزَلِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَيسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطَرََّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِيْمَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ المائدة. ولكن وبالرغم من إن المحرم واضحٌ ومُعينٌ إلا أن المسلم المُضطرَّ في حالة مَجاعة له أن يأكل من هذه الأَطعمة بقدر ما يُبقي على حياته ولا حرج عليه في ذلك. ويستفاد من هذه الآية أنه ليس من الفقه بتر أو أخذ نص من القرآن و/أو السنة بحد ذاته (وبدون مقارنته بغيره من النصوص في القرآن و/أو السنة أو عدم معرفة مقاصد الشرعية أو كلياتها) واستنباط حكم شرعي مطلق لا يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية وكلياتها ولا يخدم المسلمين. وقياسًا على هذا، فالأخذ فقط بحديث رؤية الهلال، برواياته المختلفة، وتفسيره بشكل أحادي لإدخال الشهر القمري بالرؤية البصرية المجردة فقط، هو حجرٌ على نصوص شرعية أخرى وإهمال لكليات ومقاصد الشريعة. إن منهجية الشريعة الإسلامية ممثلة في نسبية الآية الكريمة السابقة يستدل بها - على الأقل - لنفي إدعاء شاهد الرؤية إذا عُلِمَ قطعًا أن الهلال قد غرب قبل الشمس (أي تحت الأفق) في ليلة إدعاء الرؤية (وهو ما يجادل به بعض علماء الشريعة الإسلامية ومنهم فضيلة الشيخ عبد الله المنيع - انظر أقواله في نهاية الفصل الثاني)، وهو ما حصل في ٢٨ سنة (٥٦٪) في إعلان دخول رمضان، و٣٢ سنة (٦٤٪) في إعلان دخول شوال، و١٥ سنة (٣٠٪) في إعلان دخول ذو الحجة، خلال ٥٠ سنة، للفترة ١٣٨٠-١٤٢٩هـ، ومع ذلك صدر بيان رسمي من مجلس القضاء الأعلى ببداية الشهر (انظر الفصل الخامس لمزيد من التفاصيل).

إن سياق الأدلة الشرعية العديدة السابقة (والتي توسعت فيها لكي أثبت منهجًا) وأراء الفقهاء يظهر بوضوح نظرة شمولية لاستقراء وفهم النصوص

الشرعية، ويوضح منهجية الشريعة الإسلامية نحو استخدام وسائل لتحديد بدء زمن عبادات ومعاملات. إذًا، نحن أمام منهج كلي وذاتي التناسق للشريعة الإسلامية في استخدام ظواهر وأدوات طبيعية، وغير طبيعية، كوسائل لتحديد بدء زمن عبادات وتحديد شعائر ولإثبات حدوث معاملات بدون إضفاء أي ثقل تعبدي لهذه الوسائل وطريقة استخدامها. لماذا؟ لأن الظواهر والأدوات الطبيعية من صنع الله سبحانه، وأنها إطار المرجعية (لأن الإسلام لا يشترط أن يكون الفرد متعلمًا) وأن الهدف الثابت هو العبادة التالية للوسائل المتغيرة، ولكي يقيم الله الحجة على عباده لأن الظواهر الطبيعية يفهمها كل إنسان سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، ذكرًا أو أنثى، متعلمًا أو أميًا. إن المسلم والمتخصص في الشريعة الإسلامية يجب أن يكون متناسقًا مع نفسه في أي اجتهاد فقهي ومُظهرًا التناسق الذاتي للشريعة الإسلامية، في ذاتها ومع كل ما خلق الله ﷻ (الطبيعة)، منتصرًا لدين الله لا لهوى في النفس أو تعصبًا لمذهب أو فرضًا لفقهِ سيادة.



## الفصل الثاني

### ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلُّهُمَا يَجْرِي﴾

### مواقع الشمس والهلال

إذا كانت الأدلة الشرعية السابقة لا تكفي عند البعض لتأكيد فرضية هذا الكتاب، فلننظر قليلاً إلى موقف بعض المسلمين من أمور في الصلاة والحج. رأينا سابقاً أن الركن الأول في الإسلام وبدء التكليف الشرعي يعتمدان على ظاهرتين طبيعيتين حدّدتهما نصوص شرعية واضحة. سنرى أن الركن الثاني والثالث يحددهما أيضاً ظاهرتان طبيعيتان بموجب نصوص شرعية واضحة ولكن بموقفين تطبيقيين مختلفين لكل منهما.

### مواقيت الصلاة: الرؤية و/أو الحساب

الصلاة والصيام هما الركنان الثاني والثالث من أركان الإسلام. أوقات الصلاة لا تدخل إلا حسب مواقع الشمس (كذلك الصيام لا يدخل إلا حسب موقع الهلال) كما جاءت بذلك أحاديث صحيحة برؤية مواقع الشمس لكل صلاة (خمس مرات في اليوم و١٥٠ مرة في الشهر)، ورؤية موقع الهلال للصيام، مرة واحدة في الشهر. الصلاة (خلاف الصوم) تبدأ بنداء ويستجاب لها بسماع. بمعنى، لقد جاءت نصوص شرعية واضحة باستخدام ثلاث ظواهر طبيعية لإقامة الصلاة: مواقع الشمس لتحديد بدء أوقات الصلوات، والنطق أي التلفظ بالنداء للإعلام ببدء أوقات الصلوات، وأخيراً السماع للاستجابة للصلوات الجماعية (دخول الوقت شرط من شروط صحة الصلاة، كدخول الوقت لرمضان، بينما لا يشترط الأذان وسماعه لأداء الصلاة). كذلك، جاءت نصوص شرعية واضحة باستخدام ظاهرتين طبيعيتين لإقامة الصيام:

موقع الهلال لتحديد بدء الصيام، ومواقع الشمس لتحديد الإمساك والإفطار. لننظر إلى أدلة تحديد هذه الشعائر الثلاثة للصلاة:

• انظر إلى الطريقة الطبيعية (مواقع الشمس) التي حددها الشرع والأدوات التي استخدمها لتحديد أوقات الصلوات: عن «ابن عباسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَمَّنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ النَّيْتِ مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ فِي الْأُولَى مِنْهُمَا حِينَ كَانَ الْفَيْءُ مِثْلَ الشَّرَاكِ، ثُمَّ صَلَّى الْعُصْرَ حِينَ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مِثْلَ ظِلِّهِ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ حِينَ وَجَبَتْ الشَّمْسُ وَأَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ وَحَرَّمَ الطَّعَامَ عَلَى الصَّائِمِ. وَصَلَّى الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ لَوَقْتِ الْعُصْرِ بِالْأَمْسِ، ثُمَّ صَلَّى الْعُصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِيهِ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ لَوَقْتِهِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ الْأَخْرَةَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ أَسْفَرَتِ الْأَرْضُ. ثُمَّ التَّفَتَ إِلَيَّ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا وَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ وَالْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ» أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد وهذا لفظ الترمذي. هناك سؤالان: أي وسيلة نستخدمها الآن لتحديد بدء أوقات الصلوات؟ ليس مواقع الشمس كما ورد في الحديث، بل العلم بدخول الوقت أي حسابه. ثانيًا: أي أدوات في عصرنا الحاضر نستخدمها لتحديد بدء أوقات الصلوات؟ قطعًا ليس الشَّرَاكِ (أي النعل أو المداس الذي يُلبس في الأقدام) الذي نص عليه الحديث، بل الجداول والساعات المبرمجة حتى في المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى! أليس من الأفضل أن تُفسر كلمة "الشراك" على أنها أداة ذلك العصر لتحديد بدء وقت الصلاة بدلًا من كون "الشراك" عبادة لإقامة الصلاة؟ بلى. حسنًا، أليست ممارساتنا اليوم "تناقض" وسيلة وأداة هذا الحديث؟ بلى. هل استنكر ذلك أحد؟ لا.

• انظر إلى الطريقة الطبيعية (النطق) التي أمر بها سيدنا محمد ﷺ في تنفيذ الأذان: عن «مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَدِمَهَا قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: يَعْنِي الْمَدِينَةَ) إِنَّمَا يُجْتَمَعُ إِلَيْهِ بِالصَّلَاةِ لِحِينَ مَوَاقِيتِهَا بِغَيْرِ



دَعْوَةٍ. فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ بُوقًا كَبُوقِ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ لِصَلَاتِهِمْ ثُمَّ كَرِهَهُ. ثُمَّ أَمَرَ بِالنَّاقُوسِ فَنُحِتَ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى الصَّلَاةِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ أَخُو بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ طَافَ بِي اللَّيْلَةَ طَائِفٌ: مَرَّ بِي رَجُلٌ عَلَيْهِ ثُوبَانِ أَحْضَرَانِ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ. فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَبِيعُ هَذَا النَّاقُوسَ؟ فَقَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ. قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ثُمَّ اسْتَأْخَرَ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: مِثْلَ مَا قَالَ وَجَعَلَهَا وَثْرًا إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَلَمَّا خَبِرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَالْقِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أُنْدَى صَوْتًا مِنْكَ. فَلَمَّا أَدَنَّ بِلَالٌ سَمِعَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَجْرُ إِزَارَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ فَذَلِكَ أَثْبَتُ» أخرجهُ الدارمي والترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد وهذا لفظ الدارمي. حسنًا، لم يلجأ الإسلام إلى أدوات غير طبيعية، مثل البوق أو الناقوس، للإعلام ببداة أوقات الصلاة. ولكن ما هي الوسائل التي يستخدمها المسلمون في العصر الحاضر للإعلام بأوقات الصلوات؟ الجواب، يستخدم المسلمون وسائل غير طبيعية؛ فينقل الأذان بمكبرات الصوت وعبر محطات الإذاعة والتلفزيون والأقمار الصناعية بل وحتى تسجيلًا (صوتًا وصورةً ووسائل إلكترونية أخرى ولن أستبعد اليوم الذي سوف يُرفع فيه الأذان بشكل إلكتروني تمامًا synthesized وبأصوات مختلفة)، ولم يستنكر ذلك أحد.

• الاستجابة للصلاة كانت عبر ظاهرة طبيعية - السماع. انظر إلى قول سيدنا رسول الله ﷺ فيما أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ. فَرَخِّصَ لَهُ. فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَجِبْ» واللفظ لمسلم. ولكن بدلاً من أن يكون الاستماع "طبيعياً" في عصرنا الحاضر أي من صوت المؤذن مباشرة أصبح الآن من صوت البوق (الميكرفون) أو عبر الموجات أو الجوّال أو الساعة الناطقة أو عبر وسائل إلكترونية أخرى، ولم يستنكر ذلك أحد.

• أخيراً، لنقارن بين الصلاة والصوم من زاوية زمنية. الصلاة عبادة يومية بينما الصوم عبادة شهرية. استخدم الإسلام ظاهرة طبيعية (غروب الشمس) لبدء اليوم وظاهرة طبيعية أخرى (ظهور الهلال) لبدء الشهر. وبالرغم من وجود الدليل الشرعي لرؤية غروب الشمس، مثل قول رسول الله سيدنا محمد ﷺ عن عاصم بن عمر بن الخطاب «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا وَعَرَبَتْ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ» أخرجه البخاري، إلا أننا قبلنا أن نحسب غروب الشمس ولكن لم يقبل بعضنا بحساب رؤية الهلال. هذا الموقف المتناقض لا يقف عند هذا الحد؛ لقد قبلنا بأن يبدأ اليوم (وبالتالي الشهر والسنة) عند منتصف الليل وليس عند الغروب (أي أحللنا التوقيت الزوالي مكان التوقيت الغروبي الشرعي). وهكذا يعيش المسلم انفصاماً في شخصيته الزمنية؛ فشعائره الدينية تبدأ عند الغروب وحياته المدنية تبدأ عند منتصف الليل. ولم يعترض على ذلك أحد.

لماذا هذه الانتقائية للنص الشرعي؟ لِمَ لا نكون متناسقين مع أنفسنا في فهم شرع الله؟ لِمَ لا نُصَرِّحُ على استخدام مواقع الشمس، كما حددها الحديث، لتحديد بدء أوقات الصلوات، ونُصَرِّحُ أيضاً على أن يُطلق الأذان من حناجر المؤذنين كما ورد في الحديث، ونُصَرِّحُ أيضاً على السماع الطبيعي لدخول

الفرض كما ورد في الحديث؟ لماذا نُصِّر على التفسير الظاهري لحديث مواقع الهلال والرؤية الطبيعية لدخول فرض الصيام ونتسامح في أحاديث فرض الصلاة؟ إنه سلوك فردي متناقض ليس للشرع شأن فيه بل فقه غير متناسق ذاتياً، لأنه يُظهر انتقائية وحرَفيّة للنص الشرعي.

إن الملايين من المسلمين ومساجد كثيرة أصبحت تُحدِّد أوقات الصلوات بجداول أو ساعات والتي أصبحت عُرفاً متداولاً ليس فقط في المدن بل وحتى في القرى بدلاً من استخدام الظواهر الطبيعية الشرعية. وأيضاً اتخذنا موقفاً متفهماً للواقع مثل: استخدامنا وسائل اصطناعية وحسابية لمعرفة ونقل وتعميم ظاهرة طبيعية أتى بها الشرع لتحديد تكليف شرعي وهي الإعلام بوقت الصلاة. بعبارة أخرى، استخدمنا ظاهرة طبيعية شرعية، وهي هنا النطق بالأذان، لأداء عبادة، وهي هنا الصلاة، ولكن ليس بطريق مباشر كما أمرنا الشرع وإنما عبر وسائل أخرى، وهي هنا البوق (الميكروفون) أو الإذاعة أو التلفاز أو البرامج الحاسوبية وغير ذلك. وأخيراً، أصبحنا لا نشترط سماع الأذان. فكيفنا النظر إلى ساعاتنا ويذهب بعضنا إلى المسجد ويؤديها الآخر حيث كان.

كذلك الإمساك والإفطار - لشهر رمضان وللصيام عموماً - وردت فيهما نصوص قرآنية وأحاديث نبوية ثابتة وذلك بربطهما بوسائل طبيعية؛ أي: مواقع الشمس، ولكننا قبلنا وسائل غير طبيعية لتحقيق غرض الشرع. مَنْ مِن ملايين المسلمين في آلاف المدن والقرى يخرج و/أو يستطيع أن يطبق ظاهرتي الإمساك والإفطار الشرعيتين الطبيعيتين وبدون استخدام حساب أو أجهزة عصرية (سماع أو مشاهدة المؤذن الذي هو نفسه يُؤذّن حسب الساعة)؟ ربما قلة نادرة، أو لا أحد. وَمَنْ يُفتي بوجوب تطبيق، ويطبق فعلاً، هاتين الظاهرتين اللتين نصت عليهما الآية والأحاديث ولا يجيز استخدام أجهزة عصرية أو حسابية؟ لا أعلم أحدًا.

وأخيراً، هناك الحج وشعائره في الإفاضة (النفرة) من عرفة وهي من غروب الشمس إلى شروقها، والمبيت/الوقوف في مزدلفة إلى قبل طلوع

الشمس، وأوقات رمي الجمرات في منى والتي رُبِطت جميعها بمواقع الشمس؛ ولكن لقد أتت وسائل الاتصالات الحديثة (من إذاعة وتلفاز وغيرها) والساعات، وبعضها مبرمج، لتمديد المساعدة لملايين المسلمين. وقبلنا كل ذلك.

قارن هذا السلوك بالموقف الذي يتخذه البعض حيال فريضة أخرى، الصيام، ووسيلة أخرى، تحديد دخول الهلال.

### الهلال: الرؤية و/أو الحساب

في صفحات سابقة ظهر جلياً وبالأدلة الشرعية أن الظواهر الطبيعية المستخدمة لتحديد بدء زمن تكاليف شرعية هي مجرد وسائل وليست عبادة في حد ذاتها ولم يختلف المسلمون في ذلك. ولكن، من بين كل الظواهر الطبيعية التي استخدمها الشرع لتحديد تكاليف شرعية، كان الهلال (بدون ذنب منه) وعلى مر العصور (ما عدا العصر النبوي) رمز اختلاف المسلمين في تحديد بدء أوقات عبادات تتعلق به. لم يختلف المسلمون حول مواقع الشمس (أو أي ظاهرة طبيعية أخرى) كوسيلة لتحديد بدء أوقات عباداتهم بالشكل الذي اختلفوا، وحديثاً أظهروا اختلافاتهم، حول فهمهم لدور الهلال. نتجت هذه الاختلافات لأن البعض يرى أن الرؤية - لورود نص شرعي أو لأن النص أتى بصيغة الأمر أو لأي سبب يروونه - هي أيضاً تعبدية. الغريب أن أهل الرؤية يلجؤون إلى الحساب لإثبات الرؤية وذلك بثلاثة طرق. ففي نهاية شهر جمادى الآخرة؛ أي: قبل شهرين (رجب وشعبان) من شهر رمضان، تدعو الهيئة الدينية المسؤولة<sup>٤</sup> عن الهلال عموم المسلمين لتحري رؤية هلال شهر رجب ليلة كذا وحسب تقويم كذا. ثم تدعو نفس الهيئة، مرة ثانية في نهاية شهر رجب، المسلمين لتحري رؤية هلال شهر شعبان ليلة كذا وحسب تقويم كذا. وأخيراً تدعو نفس الهيئة، مرة ثالثة وفي نهاية شهر شعبان، المسلمين لتحري رؤية هلال شهر رمضان ليلة كذا وحسب تقويم كذا. إذًا، فهم أولاً: قد يعتبرون أن تتابع شهور التقويم القمري إما ٢٩ يومًا أو ٣٠ يومًا، وهذا

حساب ولكنه غير دقيق وغير ضروري وتحميل حديث سيدنا رسول الله ﷺ ما لا يحتمل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشَّهْرُ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ وَيَكُونُ ثَلَاثِينَ...» أخرجه النسائي، فالحديث لا يثبت أن هذا هو تسلسل الشهور القمرية أيضًا. فكما يكون الشهر ٢٩ أو ٣٠ يومًا، فقد يأتي شهران ٢٩ يومًا متتاليين، أو يأتي شهران، وحتى ثلاثة، ٣٠ يومًا متتالية. ثانيًا: جعلوا الحساب من قبل هلال شهر رمضان بشهرين، وهذا حساب بدائي وغير ضروري وبدعة حيث ليس له دليل شرعي. وهو حساب بدائي لأن هناك حسابًا عصريًا أكثر دقة وصحة منه، وهو غير ضروري لأنه لا داعي لمعرفة هلال رمضان بمعرفة هلال رجب وشعبان، وهو ليس له دليل شرعي يدعو فيه رسول الله ﷺ لتحري هلال رجب وهلال شعبان كي يُعرف هلال رمضان. ثالثًا: استعانوا بتقويم لا يُعترف به أصلًا في إثبات الشهر (وإلا فليَم الإعلان عن تحري رؤية الهلال؟) وهذا موقف غير متناسق ذاتيًا، ويؤكد ذلك أن التقويم ذاته يصف نفسه أنه تقويم اصطلاحي مدني. (لمزيد من التفاصيل الفلكية عن الموضوع، انظر الفصل الرابع "والقمر بحسبان: آية القمر" لشرح علمي لإمكانية وآلية وشروط رؤية الهلال).

وبإمكان المرء أن يُحاجَّ قياسًا: لماذا لا يكون هناك نفس الفهم والالتزام باستخدام الظواهر الشرعية الطبيعية للإمساك والإفطار وتحديد بدء أوقات الصلوات ومشاعر الحج، كقوة الفهم والالتزام باستخدام الظاهرة الشرعية الطبيعية لإثبات دخول رمضان وشوال وذي الحجة والخروج منها، وكلاهما شرع - علمًا أنه لم يرد نص شرعي يُوجب رؤية الهلال لإدخال شهر ذي الحجة؟ لماذا أُجِّل استخدام بدائل عُرفية (الحساب والساعات<sup>٤</sup> وبرامج كمبيوتر وأجهزة تحديد المواقع) للإمساك والإفطار وأوقات الصلوات واتجاه القبلة وتشدّد في دخول رمضان وشوال وذي الحجة والخروج منها؟ لماذا أصبح حساب مواقع الشمس لتحديد بدء أوقات الصلوات، والنطق بالنداء عبر وسائل مصطنعة للإعلام ببدء أوقات الصلوات، وأخيرًا السماع عبر وسائل مصطنعة أيضًا للاستجابة للصلوات الجماعية، عرفًا متداولًا، ولم يستنكر ذلك

أحد؟ لماذا التمسك الحرفي لظاهر النص لكلمة (رُؤْيَيْتِهِ) ولا يتم التمسك الحرفي لظاهر نصوص قرآنية أخرى للإمساك والإفطار وتحديد بدء أوقات الصلوات؟ لعل الجواب يكمن في مدى التناسق الذاتي للفرد أو فقهه لنصوص شرعية أو التناسق البنياني للمذهب. كما أن إدراك مراد كتاب الله المسطور والعلم بكتاب الله المنظور له علاقة طردية بفقه الباحث. إن الحل يكمن في أن نكون متناسقين مع أنفسنا باتباع كل النصوص الشرعية التي تحدد مداخل ومخارج التكاليف الشرعية كما وردت، ولا نكون انتقائيين في النصوص الشرعية.

### معنى (رُؤْيَيْتِهِ)

لنرى الآن ماذا تعنى هذه الكلمة (رُؤْيَيْتِهِ) التي تَفَرَّقُ مسلمون بسبب فَهْمهم لها، أو تقصير المعنى على أحد معانيها ورفض الأخرى بل وحتى تخطئ من يفعل ذلك؟ (رُؤْيَيْتِهِ) مشتقة من رأى<sup>٥</sup>. وتأتي رأى بمعنى:

- نَظَرَ بِالْعَيْنِ الْمَجْرَدَةِ أَي الْمُشَاهَدَةِ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾ البقرة: ٢٦٠، وهذه رؤية بالعين حقيقية أي بمعنى ينظر ليعلم.

- أو رؤية بالعين المجردة ولكن غير حقيقية؛ أي: نفسية، كقوله تعالى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّنِ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ الأنفال. فرغم أن الرؤية كانت بالعين المجردة وفي اليقظة لا في المنام للمسلمين والمشركين إلا أنهم رأوا بأعينهم غير الحقيقة الواقعية، "أي واذكروا يا معشر المؤمنين حين التقيتم في المعركة فقلل الله عدوكم في أعينكم لتزداد جرأتكم عليهم، وقللکم في أعينهم حتى لا يستعدوا ويتأهبوا لكم"<sup>٦</sup>.

- أو تلاقوا وقرَّبوا، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهُ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال. فمعنى تراءت الفئتان أي تلاقت الفئتان.

- أو رأى بالقلب ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١) النجم؛ أي: علم وآمن.
- أو رأى بالعقل ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرٌ عَنْ كَهْفِهَا ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ...﴾ الكهف: ١٧، "فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه ذات اليمين أي يتقلص الفيء يمناً...<sup>٩</sup> أي استنتج وعلم.
- أو العِلْمُ بالشيء<sup>١٠</sup> ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (١٥) نوح، وهنا من المستحيل أن تكون الرؤية بصرية لأن البشر لم يروا كيفية خلق السماوات، وبالتالي تكون الرؤية هنا بمعنى الإيمان والعلم بالخبر؛ أي: "... ألم تعلموا أن الذي قدر على هذا، فهو الذي يجب أن يعبد...؟"<sup>١١</sup>، وكذلك في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ...﴾ البقرة: ٢٤٣؛ أي: ألا تعلم<sup>١٢</sup>.
- أو الإيمان بالخبر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ (٧) المُجَادِلَة: ٧، وهنا من المستحيل، مرة أخرى، أن يعلم بشر مدى علم الله، وبالتالي يأتي الفعل ترى بمعنى: ألم تؤمن، إيماناً يقينياً، بالخبر الموحى إليكم أن الله يعلم ما في السموات والأرض؟
- أو قال أو أشار ونصح ﴿... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى...﴾ (٢٩) غافر: ٢٩، "أي ما أقول لكم وما أشير عليكم إلا ما أراه لنفسي"<sup>١٣</sup>. أي ما رضيته لنفسي. نفس الفعل في جملة واحدة وبمعنيين مختلفين؛ يشير ويرضى.
- أو معرفة الحال ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ﴾ (٥٢) فصلت، "أي كيف ترون حالكم عند الذي أنزله على رسوله؟"<sup>١٤</sup> أي أخبروني<sup>١٥</sup> أو ماذا لو حصل كذا وكذا.
- أو التعجب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يُصْرَفُونَ﴾ (٦٩) غافر؛ أي: "يقول الله تعالى: ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله

ويجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال؟" ١٧.

- أو ما ظنك ١٧ أو ماذا لو أو صيغة تقييح وتشنيع ١٨ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾﴾ العلق.

- أو الحلم أو الرؤيا في المنام ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ يوسف.

- أو طلب تذكر الشيء ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ...﴾ الكهف: ٦٣، "أي قال الفتى "يوشع بن نون" حين طلب موسى منه الحوت للغذاء رأيت [أتذكر] حين التجأنا إلى الصخرة التي نمت عندها ماذا حدث من الأمر العجيب؟" ١٩.

- أو تقدير الأمر ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ المعارج، "أي إن هؤلاء المستهزئين يستبعدون العذاب... ٢٠ ونحن نعلمه، بتقديرنا، قريباً. ﴿يَرَوْنَهُ﴾ تقدير ظن ﴿وَرَأَيْنَهُ﴾ تقدير قُدْرَة وعلم.

- أو إطلاع أو إظهار الأمر للغير ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾ التوبة: ١٠٥؛ أي: أن الله المطلع الشاهد على أعمالكم سوف يُظهر هذه الأعمال، "أي بإطلاعه إياهم على أعمالكم" ٢١.

في الحقيقة، هناك آية ٣١ تبدأ بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وآيتان تبدآن بـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ وآية تبدأ بـ ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ وآيتان بـ ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ و١٥ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ و٦ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾. فهل الفعل يرى ومشتقاته في كل هذه الآيات يأتي فقط بمعنى رؤية بصرية وحقيقية (أي ينظر أو يُبصر)؟ الجواب ببساطة هو: لا. ففعل يَرى كما رأينا أعلاه يلتقي في معان مع فعل يُبصر ويختلف في أخرى. أما الإبصار فهو وظيفة العين، يقول الخالق ﷻ ﴿أَلَمْ أَرِجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۗ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۗ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۗ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ...﴾ الأعراف: ١٩٥، فعندما ذكر الخالق ﷻ عضواً بشرياً سَمَى وظيفته. والآية التالية توضح تقابل وتباين



معانٍ للفاعلين يرى وينظر ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِنْ نُنظِّرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ نَرِنِّي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا...﴾ الأعراف: ١٤٣. بمعنى، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أي في الوقت والمكان المحدد في سيناء حيث كلمه الله ﷻ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ﴾ أي دعاء وسؤال إلى الله، ﴿أَرِنِّي﴾ قال سيدنا عبد الله ابن عباس ؓ أعطني؛ أي: أعلمني كيف أو اجعلني قادرًا أو مكني بقوة أو وسيلة بحيث انظر إليك في مكاني هذا. وجاء الجواب إنك ﴿لَنْ نَرِنِّي﴾ أي لن تقدر على النَّظَرِ إِلَيَّ، لأن المرئي موجود ولكن الرائي قد يراه وقد لا يراه، بعكس المنظور إليه الذي يُتطلب وجوده لينظر إليه الناظر ولذلك قال الحق ﷻ: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ﴾ بعينك إلى الجبل ثم ماذا يحدث له، عندها ﴿فَسَوْفَ نَرِنِّي﴾ ببصيرتك وليس ببصرك. وهذه الآية تعطي أدلة وتبين بوضوح أن فعل يرى لا يأتي فقط بمعنى يُبصر بعينه. بل حتى النظر بالعين المجردة قد لا يتم حقيقةً وإن تم فعلاً، تدبر قول الحق ﴿... وَرَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الأعراف: ١٩٨. وهذا يُظهر لك أنه ليس كل ادعاء رؤية للهِلال يكون مبصراً للهِلال وإن نظر إلى ما يريد أن ينظر له.

وهناك أيضًا أحاديث صحيحة كثيرة في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه وأحمد ومالك والدارمي يسأل فيها الصحابة رضوان الله عليهم أو يشرح لهم رسول الله ﷺ أمرًا بقول (أرأيت) بمعنى أخبرني ماذا لو حصل كذا كما في الحديث، على سبيل المثال لا الحصر، «عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ. قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ. قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ» أخرجه مسلم والبخاري والنسائي وأحمد والدارمي وهذا لفظ البخاري؛ والحديث «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ أَنَّ امْرَأَةً

مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ. أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا. أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ ذَيْنِ أَكُنْتَ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا لِلَّهِ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ» أخرجه البخاري والنسائي وأحمد والدارمي وهذا لفظ مسلم.

وتحديداً، ولتأييد أن المقصود بالرؤية في الحديث هو تأسيس استخدام المنهج الطبيعي لتحديد بدء زمن العبادة وليست محصورةً فقط بالعين المجردة بل أيضاً بالعلم بالشيء؛ أي: الحساب، بدخول الشهر لنرى قول الحق سبحانه ﴿... وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ الأنعام: ٩٦، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ يونس، وقوله سبحانه: ﴿... وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلْنَاهُ نَفْصِيلاً﴾ الإسراء: ١٢، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ الرحمن. تأمل الدقة في وصف كنه وآلية الشمس والقمر في الآية ٥ من سورة يونس. ليس هناك يقين عن وجود آلية للقمر أكبر من تقرير ووصف الخالق ﷻ: ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾، ولن يُقبل أي شرح لِعِلَّةِ خلق القمر وتعدد أوجهه ودقة آيته وكون ذلك متاحاً لخلقهِ يخالف السبب الذي ذكره الله الخالق والمُشْرِعُ ﷻ ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، ولن يُعذر جهل أو تشكيك في دقة وصحة هذا الحساب ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لأن العليم وصف أهل هذا الحساب والعالمين به ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. فتدبر.

فهل بعد كل هذه التأكيدات ممن خلق وسيّر القمر ﷻ وأنزل هذه الشريعة يأتي بشر ويقول إن حساب مواقع القمر غير قطعي رغم قبوله بحساب قطعية الشمس (جداول أوقات الصلوات وأوقات الإمساك والإفطار)؟ إن من يزعم ذلك فهو يعني: إما أن معرفة البشر لحساب مواقع القمر (ولكن ليس مواقع الشمس!) غير ممكنة أو غير دقيقة، أو أن فلك orbit القمر ذاته (من دون الأجرام السماوية الأخرى!) غير ممكن أو غير دقيق. وهذا إنكار لما

قررت الآية قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة وإنكار للحقائق العلمية وإظهار لمدى علم الزاعم. والحقيقة، أن فلك القمر مُنْتَظَم على مدى ملايين السنين ومعرفة البشر لهذا الفلك دقيقة بشكل مدهش. والسؤال هو: كيف يأخذ فرد ما بحساب الشمس ولا يأخذ بحساب القمر والآيات جمعت بينهما! ولعل شرح هذا الموقف يكمن في الأخذ بحرفية نص شرعي وبشكل فردي وتلازم التفسير أو قَصْر الرؤية ضمن الحدود السياسية لكل بلد إسلامي أو اتجاه كل جماعة. فلا تجد تعدد الصيام في أي منهما بينما تجده في مجتمعات تعددية، حيث إنَّ أي فرد أو جماعة لها حق تطبيق الحديث حرفياً كما طبقه غيرهم على جماعاتهم أو دولهم. هذه الصبغة السياسية في التفسير لكل دولة والانفصالية لكل جماعة في الدول الديمقراطية المنهج هي سبب رئيسي في عدم توحيد المسلمين لرمضان والعيد وليس ل(رؤيته). سوف نعود لهذا الموضوع في الفصل الرابع "والقمر بحسبان: آية القمر".

حتى لو حُصر معنى رؤيته في النَّظْر بالعين المجردة فقط، فإن الخطاب «صُومُوا... وَأَفْطِرُوا» موجه لكافة المسلمين على وجه الأرض وليس للمسلمين في عهد رسول الله سيدنا محمد ﷺ أو لجماعة منهم دون غيرهم أو لقطر من أقطار الأرض كل على حدة، وهذا بالضرورة يستدعي توحيد الصوم دخولاً وخروجاً، كتوحيد الحج. فاللفظ «صُومُوا... وَأَفْطِرُوا» إما أن يكون موجهاً إلى المسلمين في عهد رسول الله ﷺ فقط أو لكافة المسلمين، ولا يحتمل في اللغة العربية غير هذا أصلاً<sup>٢</sup>. وهكذا يتضح من معنى الخطاب ومعنى الفعل (والأسس الإستراتيجية لدين الإسلام) أن توجه رسول الله سيدنا محمد ﷺ هو الأمة الإسلامية جمعاء وليس سيادة دولة أو هيمنة جماعة أو تطرف فرد.

أما الدليل الآخر الذي يستدل به البعض على وجوب الرؤية البصرية فهو قول الله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾ البقرة: ١٨٥. "الشهر مشتق من الإشهار لأنه

مشتهر لا يتعذر علمه على أحد يريده... وشهد بمعنى حضر... وقد تقرر أن فرض الصوم مستحق بالإسلام والبلوغ والعلم بالشهر<sup>٢٤</sup>. وشهد فعل ثري يأتي بمعانٍ كثيرة: فشهد أي أخبر خبراً قاطعاً أو عاين أو أظهر البينة<sup>٢٥</sup>. ويأتي الفعل شهد أيضاً بمعنى اطلع وعلم وبيّن وأعلم<sup>٢٦</sup> كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ...﴾ آل عمران: ١٨؛ أي: أن الله يعلم أنه المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق وأن الجميع عبيده وخلقه<sup>٢٧</sup>، ثم بيّن الله وأعلم على وحدانيته بما خلق وبيّن<sup>٢٨</sup>. وعلمت الملائكة والعلماء بهذه الوحدانية. فالشهادة تتطلب العلم بالشيء وتبينه وإقامة الدليل على تبيّنه.

### الشرع لم يبين محددات الرؤية

إن كل الأحاديث التي وردت عن "الرؤية" (في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه وأحمد ومالك والدارمي) لم تذكر أين تتم الرؤية (بمعنى في أي اتجاه)، ولا متى تتم الرؤية (في أي وقت من اليوم)، ولا كيف تتم الرؤية (ما هو شكل الهلال). إن هذه المُحدّات لم يوضحها الشرع لأنها ليست علمًا شرعيًا، وهذا يوضح أن الرؤية البصرية ليست مقصودة بحد ذاتها. بمعنى، أن استخدام الشرع لهذه الظاهرة الطبيعية بدون مُحدّاتها يوضح أنها وسيلة لعبادة وليست مقصودة لذاتها لأنه يتعذر إقامة الرؤية بدون مُحدّاتها بشكل خاص، ولأنه يستحيل إقامة عبادة بدون وسيلة بشكل عام. إن الجهل بهذه الوسيلة أو استعمال طرق بدائية<sup>٢٩</sup> لتحقيق هذه الوسيلة قد يؤدي إلى خلل في تطبيق التكليف الشرعي.

الآن انظر إلى بساطة وفعالية الإسلام قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة في تشريع رؤية الهلال «... فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَأَقْدِرُوا لَهُ» أخرجه مسلم عن ابن عمر، وفي رواية أبي هريرة لمسلم «... فَإِنْ غُمِّيَ [أُغْمِيَ وَغُمِّيَ أَي حِيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ] عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ»، وفي رواية أخرى لأبي هريرة «... فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ الشَّهْرَ فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ» أخرجه مسلم. إن ٢٩ يومًا من الشهر القمري جزء من الظاهرة الطبيعية وإتمامه ٣٠ يومًا هو نفس الجزء للظاهرة الطبيعية. لماذا؟ لأن

القمر يتم دورة كاملة بالنسبة إلى الأرض في ٢٩,٥٣١ يومًا تقريبًا. إن المُشْرَع (بالإضافة لإعطائه بدائل للرؤية - التقدير، إكمال العدد، تحديد حد أقصى للعدد بثلاثين) كان عالمًا بالظاهرة الطبيعية واستخدمها استخدامًا تامًا؛ أي: استخدم الشرع آلية الظاهرة. لننظر إلى الموضوع من زاوية أخرى، إن إمساك وإفطار الصائم رُبطا بظاهرتين طبيعيتين: فظاهرة الإمساك الطبيعية هي ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾ البقرة: ١٨٧؛ أي: حينما تكون الشمس تحت خط الأفق بـ ١٨ درجة (أو نحوها في بعض بلاد الله الواسعة) من جهة الشرق، وظاهرة الإفطار الطبيعية هي قوله ﷺ: ﴿... ثُمَّ اتَمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...﴾ البقرة: ١٨٧، وقول رسول الله سيدنا محمد ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا وَعَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ» أخرجه البخاري عن عاصم بن عمر بن الخطاب؛ أي: حينما يكون منحنى قرص الشمس العلوي قد لامس الأفق من جهة الغرب. إن الآيات والأحاديث الواردة في الإمساك والإفطار صريحة وواضحة في استخدام هاتين الظاهرتين الطبيعيتين كصراحة ووضوح قول سيدنا رسول الله ﷺ: «صُومُوا لِرُؤُوسِهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤُوسِهِ فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمَلُوا الْعَدَدَ» أخرجه مسلم عن أبي هريرة. السؤال: لماذا يُتبع حديث ولا تُتبع آيات وأحاديث أخرى؟

ومن العجيب أن مُصطلحًا نشأ حديثًا يسمى الرؤية الشرعية (للهلال). بل أضيفت كلمة شرعي إلى كثير من الكلمات: فهذا يوم شرعي (الذي يبدأ عن غروب الشمس) مقابل يوم مدني (يبدأ عند منتصف الليل)، وموت شرعي (توقف القلب و/أو النفس) مقابل موت دماغي (توقف الدماغ)، وتقويم شرعي (معتمدًا على رؤية العين) مقابل تقويم مدني (معتمدًا على العلم)، وغير ذلك. ومشكلة هذا الاصطلاح الجديد أنه اصطلاح غير شرعي، فلا دليل شرعي له. كما أن من ينادي بهذا الاصطلاح يريد أن يقول إن رؤية الهلال - مثلاً - بذاتها عبادة. وإذا قبلنا هذا النمط من التفكير، فعلينا أن نكون متناسقين مع أنفسنا ونقبل أيضًا اصطلاحات أخرى. فمثل: الرؤية الشرعية للزنا (على الشاهد أن يرى فرج الرجل في داخل فرج المرأة)، والإفطار الشرعي والإمساك الشرعي

للصيام (كما ورد تحديد وقتها شرعًا، ولكن قلما تُستخدم هذه الطريقة حاليًا)، والرؤية الشرعية الشمسية (لأن الشرع استخدم مواقع للشمس لتحديد مواقيت الصلاة ونُسك الحج، ولكن لا يُنظر إلى الشمس أو ظلها لمعرفة مواقيت الصلاة أو النُسك كما ورد في النص الشرعي)، والحيض الشرعي (أي أن الحيض لذاته عبادة؛ فقد استخدم الشرع الحيض لبدء عبادات ومعاملات، لورود آيات قرآنية وأحاديث شريفة في ذلك)، والاحتلام الشرعي (أي أن الاحتلام لذاته عبادة لأن الشرع استخدم البلوغ لبدء كل التكاليف الشرعية)، والاستجمار الشرعي (فالحجارة التي أمر بها الشرع يُتعبد بها)، وهكذا. إن القبول بهذا المنطق يدل على مدى راحة صاحبه ورفضه يدل على عدم تناسقه الذاتي. وكل أمر من هذه الأمثلة ليست لذاته بل لإثبات الحدث التالي؛ فرؤية فرج أجنبي لا يُتعبد بها، بل هي حرام.

والأعجب من ذلك هو قول البعض: إن في الأمر سعة والدين سُمحٌ ويتسع لاختلافات المسلمين ولا ضرر في أن يبدأ المسلمون شهرهم وعيدهم في أيام مختلفة. وهو بهذا ليس فقط غير متناسق مع نفسه (فهو لا يقبل تعدد الرؤية للحج)، بل يريد أن يوسّع الدين بدل أن يُعدّل رأيه، ولسان حاله يقول: لا تشوش علي بالحقائق فأنا مُصمّم على رأي.

### آلية الرؤية وتطبيقها

لفضيلة الشيخ عبد الله المنيع "بحث في مسألة رؤية الهلال" يدل على بصيرة القاضي المُتَحَقِّق وعمق علمه في شرع وكون الله ﷻ، والذي يُفَرِّق فيه بين الآلية الشرعية في تحديد بدء شهر الصوم (والتي لا ينقضها هذا الكتاب) وبين تطبيق تلك الآلية. يقول سماحته:

إلا أن مسألة الرؤية أول ما تعرض على القضاء تعتبر خبرًا قابلاً للصدق أو الخطأ والتوهم، ولهذا ينبغي للقاضي أن يبذل جهده في التحري عن حقيقة هذا الخبر وصدقه بكل وسيلة من وسائل التحري والتحقيق، ومن ذلك أن يكون هذا الخبر منفكًا عما يكذبه حسًا وعقلًا.

ومن ارتباط الخبر بما يكذبه حسًا: أن يقرر الحساب أن الهلال المُدعى رؤيته بعد غروب الشمس لم يولد بعد.

هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من الإيضاح، وإلى بيان الخطأ في اعتقاد أو ظن أن مسائل الحساب والفلك مبنية على الظن لا على اليقين، وأن علماء الحساب أنفسهم مختلفون في مسأله. وهذا القول لا يمكن التسليم به إلا ممن هو على علم وثيق بعلم الفلك وذي ثقة وأمانة واعتدال، ومن عدد تحصل بقولهم الثقة وأسباب القول.

فلا صحة للقول باختلاف علماء الفلك في ولادة الهلال، بل هم متفقون تمام الاتفاق على تحديد ولادة الهلال بالدقيقة الزمنية بالنسبة لتوقيت (غرنتش)، وتوقيت (غرينتش) يستطيع كل إنسان في كل مكان أن يحدد هذه الدقيقة الزمنية بتوقيت محله المتواجد فيه، ومن ذلك سكان المملكة، فإذا قيل: إن الهلال يولد في الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرين دقيقة بتوقيت (غرينتش)، فهذا يعني أن الهلال يولد في المملكة الساعة الثانية وخمس وعشرين دقيقة ليلاً، وهكذا كل إقليم من أقاليم الأرض يستطيع أهله أن يعرفوا توقيت بلدهم بالنسبة لتوقيت (غرنتش)، وقد اتفق علماء الفلك في كافة أنحاء الأرض على اعتبار ساعة (غرنتش) توقيتاً عالمياً بالنسبة لولادة الهلال.

وأحب أن أوضح مسألة من مسائل الهلال لدى أهل الحساب والفلك هي محل الخلاف بينهم، وهي: مسألة إمكان رؤية الهلال بعد ولادته، وقد حصل لدى بعض الناس الخلط بين هذه المسألة ومسألة ولادة الهلال، فظنوا أن مسألة ولادة الهلال هي مسألة إمكان الرؤية، وقالوا: إن علماء الفلك مختلفون فيما بينهم. والصحيح أن الاختلاف في إمكان الرؤية، لا في ولادة الهلال.

...

... أن خبر رؤية الهلال ممن يدعيه خبر قابل للصدق والوهم، والتحري عن حقيقة هذا الخبر أمر متعين، ومن أسباب رد الخبر: أن يقترن بما يكذبه حسًا أو عقلاً أو عادة، وحتى لو اعتبره القاضي وأثبتته فهو خبر ظني، فإذا

جاء مَنْ يخبر برؤيته هلال رمضان بعد غروب شمس يوم السبت مثلاً، وجاءت تقارير وأخبار علماء الفلك أن الهلال لا يولد إلا في الساعة العاشرة مساءً ليلة الأحد، فهذا الخبر مرتبط بما يكذبه وهو: أن الهلال الذي ادَّعَى رؤيته بعد غروب شمس يوم السبت لم يولد إلا بعد غروب الشمس بقراءة ثلاث ساعات. وقد مر بنا تعريف الولادة بأنها: انفصال القمر عن الشمس، فكيف يُرى قبل انفصاله عن الشمس، بحيث تكون الشمس حاجبة له أو أنه متقدم عليها جهة المغرب؟! ..

وأما الاحتجاج على رد علم الفلك بقوله ﷺ: «إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب» متفق عليه. فهو احتجاج فيه نظر، فرسول الله ﷺ يشير إلى رفع التكليف عنا في الأخذ بالحساب ومستلزماته من قراءة وكتابة، ويذكر تعليل ذلك بأننا أمة أمية، ولكن بعد أن تغيرت الحال وأخذنا بقسطنا من تعلم الحساب والقراءة والكتابة والعلوم المختلفة من فلك وعلوم طبيعية من هندسة وطب وتقنيات مختلفة، هل يبقى العذر لنا قائماً في انتفاء التكليف، والحال أننا بعلمائنا المختصين في علوم الحساب والفلك والقراءة والكتابة نستطيع أن نعرف ونعلم؟ الذي يظهر لي أن العذر قد زال، وأن الأمر يقتضي منا الاستفادة مما علمنا<sup>٢</sup>.

وقول الشيخ عبد الله المنيع: "فرسول الله ﷺ يشير إلى رفع التكليف عنا في الأخذ بالحساب ومستلزماته من قراءة وكتابة"، لا يعني أن رفع التكليف محصور فقط في الصيام بل هو منهج في الإسلام. هذا المنهج يظهر - كما رأينا سابقاً - في استخدام الإسلام لظواهر طبيعية كوسائل أو مُحَدِّدات لبدء زمن عبادات لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وذلك في نفسه و/أو في بيئته، لأداء التكاليف الشرعية. هذا هو الاتجاه الطبيعي وهذا يجعل الإسلام ديناً طبيعياً؛ ولنتذكر أن الدخول إلى الإسلام يكون بالنطق وأن بدء التكليف الشرعي يكون بالبلوغ وأن أوقات الصلاة تُحدَّد بمواقع الشمس وأن بدء شهر الصيام والحج يُحدَّد بمواقع الهلال وأن بدء الصيام ذاته يُحدَّد بمواقع



الشمس . وبهذا يتضح أن دور الظواهر الطبيعية (أي رفع التكليف عنا) هو في كونها وسائل أو مُحدِّدات لبدء عبادات وليست بذاتها جزءاً من العبادة التالية (لأن الظواهر الطبيعية يعرفها الرجل والمرأة، والكبير والصغير، والمتعلم والامي)؛ هذا يؤيد اتجاه النظرة الشمولية في هذا الكتاب.

وتوهم الرائي (وحتى كذبه أو خطؤه - كما سنرى في الفصل الثالث) كما وصفه الشيخ المنيع وغيره ليس بجديد، فقد مورس منذ زمن . وينقل المؤرخ والباحث والخطاط محمد طاهر الكردي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن ابن جبير التالي، باختصار:

ولقد وصف ابن جبير في رحلته الشهيرة باسمه كيفية ثبوت هلال ذي الحجة عام وجوده بمكة المشرفة وهو عام (٥٧٩هـ) [الموافق مارس ١١٨٤م] تسع وسبعين وخمسمائة من الهجرة، فقال رحمه الله تعالى:

استهل هلال ذو الحجة ليلة الخميس، بموافقة الخامس عشر من مارس، وكان للناس في ارتقابه أمر عجيب وشأن من البهتان غريب ونطق من الزور - كان يعارضه من الجماد فضلاً عن غيره - ردُّ وتكذيب . وذلك أنهم ارتقبوه ليلة الخميس الموفي ثلاثين، . . . فينما كذلك أن كبر أحدهم فكبر الجم الغفير لتكبيره ومثلوا قياماً ينتظرون ما لا يبصرون ويشيرون إلى ما يتخيلون حرصاً منهم على أن تكون الوقفة بعرفات يوم الجمعة، وكأن الحج لا يرتبط إلا بهذا اليوم بعينه، . . . فاختلفوا شهادات زورية فردهم أقبح رد وجرَّح شهاداتهم أسوأ تجريح وفضحهم من تزيف أقوالهم أخزى فضيحة . . . فلما كانت ليلة الجمعة المذكورة ظهر الهلال أثناء فرج السحاب وقد اكتسى نوراً من الثلاثين ليلة، فزعقت العامة زعقات هائلة وتنادت بوقفة الجمعة، ثم يوم الجمعة المذكورة اجتمعوا إلى القاضي فأدوا شهادات بصحة الرؤية تبكي الحق وتضحك الباطل، فردّها وقال يا قوم حتى مَ [كذا] هذا التماذي في الشهوة وإلى مَ [كذا] تستنون في طريق الهفوة؟ "٣١".

هذا عن "الشؤافة" كما يُعرفون في مناطقهم<sup>٣٢</sup> أو شهود المستحيل كما هو حالهم في إدعاء رؤية الهلال وكون الهلال قد غرب قبل الشمس ليلة

دخول الشهر؛ وهؤلاء هم المُصدِّقون لدى بعض المشائخ والجهات الرسمية الدينية لتثبيت الهلال. وتوجد عدم ثقة عميقة عند بعض المشائخ أو بعض المسؤولين عن بدء الشهر القمري في التقويم الهجري، من حيث فقهه وتطبيق نصوص شرعية فيما يخص الأهلة، ونحو علم الفلك بحيث ينعكس على فقههم وموقفهم من علم الفلك، ونحو علماء الفلك بحيث ينعكس على طريقة التعامل معهم؟ هذا الموقف يتأثر بفهمين رئيسيين. أولاً: تأثير عدم التمييز بين علم الفلك والتنجيم (وليس علم التنجيم، فالتنجيم ليس علماً، وفي الفصل السادس سوف نوضح الفرق بين علم الفلك والتنجيم). وحيث إن التنجيم مُحَرَّم في الشريعة الإسلامية، فكذلك علم الفلك؛ وهذا إنكار واضح للحقائق العلمية وقصور غير مبرر في المعارف الإنسانية المتراكمة. ثانياً: تأثير الفقه الأحادي أو التعصب المذهبي على فهم وتطبيق النصوص الشرعية. هذا يؤدي إلى تهميش النظرة الشمولية (مقاصد وكليات) للشريعة الإسلامية وتهميش فهم ما خلق الله - العلوم الطبيعية. ولكن الأمة الإسلامية حَظَّيت ولا تزال بعلماء جمعوا حظاً في علوم ما شرَّع الله وعلوم ما خلق الله ﷻ. ففي بادرة نادرة وشجاعة نشر فضيلة القاضي الشيخ عبد الله المنيع، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، مقالة تُظهر تفريقه بين النص الشرعي وفقهه وآلية تطبيقه فيما يخص الأهلة، كما تُظهر إدراكه الصحيح بعلم الفلك الحديث، فيما يخص الأهلة. والنقاط الجوهرية في وثيقة الشيخ المنيع هي: إن هناك خللاً في تطبيق النص الشرعي: فالمشكلة في قبول شهادة لم تنفك عمّا يكذبها من حيث الحس والواقع. والنظرة الخاطئة لعلم الفلك عند بعض علماء الشريعة، فهو "علم له مقوماته وقواعده وأصوله ونظرياته، التي وصلت بالإنسان إلى أن يتخطى الأرض وغلافها ويصل إلى آفاق من الكون وغرائب الفضاء، واستكشاف الكثير من خصائص الكون وتركيباته؟ ونحن تجاه التشكيك في هذا العلم أو إنكاره كالنعامة تدفن رأسها في التراب وتنكر ما حولها". وأما عن علماء الفلك فـ "... يا ليت شيخنا [فضيلة الشيخ صالح اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء] يستغفر الله

ويدعو لإخوانه [علماء الفلك] كفارةً لظنه فيهم، فأبي ميل عن الشرع يكون من علماء الفلك حينما يقولون باستحالة رؤية الهلال بعد غروب الشمس آخر الشهر، والحال أن الهلال لا يولد إلا بعد غروب الشمس "٣٣".



## الفصل الثالث

### ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ﴾

### اختلاف المطالع

اختلاف دخول شهور رمضان وشوال وذو الحجة (وبقية الشهور العربية) في الأمة الإسلامية الواحدة يؤدي إلى مشاكل الإسلام والمسلمون في غنى عنها على الإطلاق! هذه المشاكل تخص تطبيقات حيوية لأفراد ومؤسسات وشركات ودول، وتخص أيضًا تطبيقات دينية. أما المشاكل التي تخص تطبيقات حياتية للأفراد والمؤسسات والشركات والدول فهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فهي: عدم اليقين في متى يبدأ الشهر ومتى ينتهي في سنة واحدة ناهيك عن سنين عديدة (سواء في المستقبل أو الماضي) يجعل بعض التطبيقات مستحيلة، مثل المعاملات المالية أو الأكاديمية أو العقود أو التخطيط. هذا أرغم كل الدول الإسلامية - ما عدا واحدة والتي تستخدم التقويم الهجري جزئيًا - على استخدام التقويم الشمسي بمسمياته المختلفة: إفرنجي، ميلادي، غربي، شمسي هجري!، أو ما شئت. بل إن الأمر تعدى الدول والمؤسسات والشركات إلى الأفراد. وللأستاذ الدكتور محمد عمارة صرخة إسلامية يقول فيها: لقد "أصبحت الغلبة للتاريخ الإفرنجي - [الميلادي] - على تاريخنا الهجري، حتى ليندر أن تجده حاضرًا في الذهن عند التاريخ لدى الكثيرين، وحتى لينعدم وجوده عند الأكثرين؟!... أما عندما يصل الأمر إلى ما وصل إليه، من حلول التاريخ الإفرنجي محل تاريخنا القومي الهجري، فإن الأمر يصبح جزءًا من تلك الظاهرة العامة، الخطيرة، ظاهرة اقتلاع خصائصنا ومميزاتنا واستبدالها بخصائص الآخرين!"<sup>٢</sup> والحقيقة، ليس لنا إلا أن نلوم

أنفسنا بعدم تطوير تقويم هجري منهجي؛ وكما أضعنا التوقيت الغروبي الإسلامي فسنضيع التقويم الهجري الإسلامي.

أما المشاكل التي يواجهها المسلمون والتي تخص تطبيقات دينية فهي اختلاف في مدة شهر رمضان للأمة الإسلامية و"العشر" الأواخر و"ليلة" القدر وعيد الفطر وتعدد عيد الأضحى من جهة، ولكن تفرد يوم الوقوف بعرفة من جهة أخرى؛ ولكن ليس صيامه. كيف؟ لو أن دولة ما (أو جماعة ما في الهند أو أوروبا أو أمريكا أو حيثما كانت، أحياناً يحصل هذا الخلاف في مدينة واحدة) أدخلت شهر رمضان يوم الأربعاء ودولة/جماعة أخرى أدخلته في اليوم التالي أي يوم الخميس ودولة/جماعة أخرى يوم الجمعة ودولة/جماعة أخرى يوم السبت، فإن الفرق بينهم يصل إلى ٤ أيام. في وضع كهذا فسوف يكون:

• مجموع عدد الأيام التي يصومها كل المسلمين في فترة رمضان هي ٣٣ يوماً. إذا قيل كُُلُّ يصوم حسب رؤيته فهذا يساوي كُُلُّ يصوم حسب شهره؛ أي: أن هناك ٤ أشهر رمضان؛ لا مفر من ذلك. فهل هذا مقبول في الإسلام؟ إن من ينادي بجواز تعدد أشهر رمضان نظراً لتعدد كل فرض صلاة في اليوم الواحد في كل الكرة الأرضية، لا يعتمد على دليل شرعي ويقارن بين نظامين وآيتين كونيتين مختلفتين: اليوم والشهر. (سنناقش هذه النقطة في فصل "والقمر بحسبان: آية القمر) فالنصوص أتت بأن رمضان شهر، يقول سبحانه ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ...﴾ البقرة: ١٨٥، وأن الشهر القمري هو إما أن يكون ٢٩ يوماً أو ٣٠ يوماً ولا يمكن أن يكون - فلكياً أو شرعاً - أقل أو أكثر من ذلك، يقول سيدنا محمد ﷺ: «الشَّهْرُ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ وَيَكُونُ ثَلَاثِينَ...» أخرجه النسائي عن أبي هريرة، وهذا ليس خاصاً بـرمضان حيث وردت أحاديث أخرى عن الشهر القمري أنه ٢٩ أو ٣٠ يوماً. سلوك الاختلاف هذا لتحديد شهر رمضان يخلق مشاكل الإسلام والمسلمون في غنى عنها على الإطلاق. ما نوع هذه المشاكل؟ ماذا لو ذهب مسلم ووصل في نفس الوقت من الدولة أو الجماعة أ إلى الدولة/الجماعة ج، في

يوم ٢٩ حسب رمضان هو ولكنه يوم ٢٦ حسب رمضان ج؟ حيثما كان فإن اليوم التالي قد يكون العيد (عدم اليقين بدخول الشهر مشكلة أخرى جلبها مسلمون على أنفسهم بدون داع). هل يصوم مع ج ٤ أيام إضافية فيصبح شهر رمضان بالنسبة له شهره زائد ٤ أيام إضافية؟ هل يُعَيِّد وهو في ج؟ أم يفطر والمسلمون صائمون؟ الآن خذ العكس، مسلم ذهب من ج إلى أ ووصل في نفس اليوم فوجد مسلمي أ قد بدؤوا الصيام، هل يصوم معهم؟ ثم بعد يومين عاد إلى أهله في ج فوجدهم في ذلك اليوم والذي بعده في أواخر شعبان، هل يفطر لمدة يومين ثم يبدأ الصيام مرة ثانية؟ هل يحسب له اليومان اللذان صامهما في أ؟ يجب أن نواجه بجدية المشاكل التي جلبناها على أنفسنا، حتى لا يسب غيرنا دين الله عَدُوًّا بعلم منهم وبجهل من بعضنا. إن التناسق الذاتي والفكري يعتبران ركيزتين أساسيتين لفقهِه سليم. انظر الجدول ٢.

• سوف لا تكون هناك "العشر" الأواخر لدى كل المسلمين بل ستكون هناك ثلاث عشرات أواخر، منها ست أواخر مشتركة لدى مسلمي هذه الدول الأربع. فبداية العشر الأواخر (أي ليلة ٢١) عند الدولة أو الجماعة أ تساوي ليلة ٢٠ عند الدولة ب و١٩ عند ج و١٨ عند د. كما أن ليلة العيد عند أ قد تكون يوم ٢٩ من رمضان ولكنها عند ب يوم ٢٨ وعند ج يوم ٢٧ وعند د يوم ٢٦. فهل هذا صحيح في دين الإسلام وعلى أرض واحدة؟ ألم تأت الأحاديث بلفظ "العشر الأواخر"؟ «عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ...» (وفي رواية أخرى) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِذَا دَخَلْتَ الْعَشْرُ...» أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدارمي والنسائي. بمعنى آخر، أ يجب أن تكون العشر الأواخر موحدة لكل المسلمين، تبدأ في نفس اليوم وتنتهي في نفس اليوم لنحقق النص الشرعي؟ أم تذهب كل دولة/جماعة بعشر أواخرها كما ذهبت برضاها؟

## الجدول ٢: رمضان والأعياد

33	32	31	30	29	28	27	26	25	24	23	22	21	20	19	18	17	16	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1				
←																																				
انحصار ليلة القدر في صمت ليل أو وجود أكثر من ليلة قدر واحدة																																				
بوسا	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1																							
←													الثلاثة عشر أو اواخر																							
←													الأيام																							
←													سنة أو قدر مشتركة																							
←													دخول رمضان في القولة أ																							
العيد	29	28	27	26	25	24	23	22	21	20	19	18	17	16	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1							
←																																				
دخول رمضان في القولة ب																																				
العيد	30	29	28	27	26	25	24	23	22	21	20	19	18	17	16	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1						
←																																				
دخول رمضان في القولة ج																																				
العيد	30	29	28	27	26	25	24	23	22	21	20	19	18	17	16	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1						
←																																				
دخول رمضان في القولة د																																				
العيد	30	29	28	27	26	25	24	23	22	21	20	19	18	17	16	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1						

• إذا قبلنا بالنقطتين السابقتين فيجب أن نقبل بالنتيجة هذه وهي: سوف تكون هناك إما ٤ ليال قدر محتملة<sup>٣</sup> في الثلاث عشرات الأواخر، أو ليلة قدر واحدة ولكن في ٤ أيام مختلفة من "رمضان" وفي ٦ أواخر مشتركة: إنها نتيجة منطقية حتمية. فهل كل هذا يجوز وهو يخالف نصوصاً قرآنية ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ...﴾ الدخان: ٣، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر؟ بمعنى آخر وبكل بساطة، هل هناك ليلة قدر واحدة لكل المسلمين (لكوكب الكرة الأرضية)؟ أم تذهب كل دولة/جماعة بليلة قدرها كما ذهبت برمضانها وعشر أواخرها؟ أمّا من يقول: لنفرض أن هناك ليلة قدر واحدة لكل المسلمين، فإنه سوف تكون هناك عدة ليالي قدر في الكرة الأرضية لأنه حين يبدأ الليل في مكة المكرمة يكون قد شارف على الانتهاء في جاكرتا ولم يبدأ بعد في نيويورك - أي أن الليل مستمر؟ نعم إن الليل مستمر ولكنه ليل واحد. بمعنى، حين يبدأ يوم السبت (بنهاره وليله)، مثلاً، عند خط تغيير الوقت أو خط التوقيت، فإنه يستمر إلى أن يصل مرة أخرى إلى خط التوقيت في ٢٤ ساعة ليصبح بعد ذلك يوم الأحد. فلا يوجد عدة

أيام سبت في دورة واحدة للكرة الأرضية حول محورها وإن تعدد الإشراق والغروب؛ فمن إشراق لإشراق لأي نقطة كانت هو يوم وكذلك من غروب لغروب. كذلك الأمر من التقاء النيرين إلى التقائهما مرة أخرى، هناك هلال واحد (يزداد عمرًا بمضي الساعات والأيام) وشهر واحد، فلا توجد عدة شهور في دورة واحدة للقمر.

• كذلك سوف تكون هناك ٤ أعياد فطر. فهل كل هذا صحيح في

دين الله؟

• إذا قُبِلَ دُخول شهري رمضان وشوال كل حسب رؤيته بين المسلمين، فيجب أيضًا أن يُقبَل دخول شهر ذي الحجة وصيام يوم عاشوراء كل حسب رؤيته. بمعنى، هل اختلاف المطالع لشهر رمضان فقط؟ أم لشهري رمضان وشوال؟ أي: دخول وخروج رمضان؟ أم لكل الأشهر القمرية؟ إذا كان اختلاف المطالع لكل الشهور العربية، فالكل يحج حسب رؤيته؛ أي: قد تكون هناك ٤ وقفات في عرفات في ٤ أيام مختلفة. ألا يُعَيِّد مسلمون أعياد الأضحى (يوم ١٠ ذو الحجة) كل حسب رؤيته ولكن يصوم بعضهم أيام عرفة (يوم ٩ ذو الحجة) حسب رؤيته غيره؟ لقد رأينا أن رمضان والعشر الأواخر وليالي القدر وأعياد الفطر بدأت في ٤ أيام مختلفة. إن ما جاز هناك يجب أن يجوز هنا أيضًا - دينيًا طبعًا وليس سياسيًا. إن تعدد الوقوف بعرفة (أي تعدد الحج) ليس افتراضًا نظريًا بل حقيقة وقعت في الماضي عدة مرات وإلى عهد قريب وتتناسق مع من يقبل بتعدد رمضان، لما يسمى باختلاف المطالع. لقد مضى زمن لا يعرف المسلمون طريقًا إلى مكة المكرمة للحج إلا طريق البر وقليل جدًا عبر البحر. وكانت البلدان القريبة من الحجاز تأتي في وفد رسمي كبير يسمى المَحْمَل وفيه الأمير والمفتي والقاضي. "والمَحْمَل هو نوع من الهودج التي تُحْمَل على الجمال. ولكن المحمل اتخذ رمزًا وشعارًا لبعض أجناس الحجاج، كالمحمل المصري والمحمل الشامي والمحمل العراقي والمحمل اليمني



[والمحمل الرومي]. ويكون للمحمل موكب خاص ورجال خاص [كذا] حين سفره من بلاده إلى الأرض الحجازية للحج والزيارة [وتوقف ورود المحامل في سنة ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٥م]". وكل محمل يكون قد تراءى الهلال وهو في طريقه إلى الأراضي الحجازية المقدسة للحج ويعمل بموجبها. ف "في حج سنة ٦٨٨هـ [السبت ٩-١٢-٦٨٨هـ = ٢٤-١٢-١٢٨٩م] وقف الناس بعرفات يومي الجمعة والسبت، لاختلاف ثبوت الرؤيا لدى أمير الركب الشامي عنها لدى الشيخ محمد الطبري شيخ الفقه في الحجاز. وليست هذه أول حادثة من نوعها، فقد تكرّر مثلها عدة مرات في تاريخ مكة، ذلك أن كل ركب كان يعتمد فتوى خاصة به. ولو كان مصدر الفتوى بين المسلمين موحدًا لما وُجد مثل هذا الاختلاف... وفي سنة ٨١١هـ [الخميس ٩-١٢-٨١١هـ = ٢٥-٤-١٤٠٨م] وقف أمير الحج الشركسي - المصري - بعرفة وبعد أن أفاض منها، بعد غروب الشمس، عاد إليها ليستأنف الوقوف في اليوم الثاني لأنه لم يثبت عنده صحة الوقوف في اليوم الأول".<sup>٦</sup>

إن تعدد الحج قد يخفف من أزمة اختناقات الحج المزمنة حاليًا، لكن هل هذا هو مراد الشرع الإسلامي؟ إن من يقبل بفكرة اختلاف المطالع في رمضان وشوال ومحرم ولا يقبل باختلاف المطالع في الحج فإنه يُظهر انتقائية في شرح النص الديني وتحيزًا لفقه السيادة: إنكارًا لتعدد "رؤية" هلال الحج دون غيره مع أنه أدخل الحج برؤية وليس بغيرها. إن مناسك الحج موحدة سياديًا في كل سنة ولكن عيد الأضحى، بالرغم من اشتراك الحج والعيد في هلال واحد. شعيرة واحدة وُحِدت في بدايتها سياديًا وتعددت في نهايتها دينيًا - أو هكذا فهم بعضنا! وتظهر هذه الانتقائية مرة أخرى في قبول الحساب لركن من أركان الإسلام (تحديد بدء أوقات الصلاة) ونفيه لركن آخر (تحديد بدء الصيام ولكن ليس تحديد بدء الإمساك والإفطار)، وتحديد بدء مشاعر الحج (من الوقوف في مزدلفة والنفرة منها

وأوقات رمي الجمرات في منى) حيث تعتمد على مواقع الشمس ولكن ليس تحديد بدء شهر الحج!

أما إذا أردنا القياس على هذا التناقض، لحل تناقض اختلاف ليالي القدر وأعياد الفطر المذكورة سابقاً، فعلى المسلمين كافة أن يعتبروا أن ليلة القدر هي حسب إعلان مجلس القضاء الأعلى السعودي لدخول رمضان عندهم؛ أما عيد الفطر فحسب رؤية كل دولة. وهكذا تتوحد بعض مشاعرهم الدينية ظاهرياً ويُنْتَصَر لفقهِ اختلاف مطالع الهلال. التناقض؟ دعك عنه. ألم يقل فضيلة الإمام: أسأل غيري؟

في يوم الخميس ١٣ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧م (الموافق ٣ ذو الحجة ١٤٢٨هـ حسب تقويم أم القرى الرسمي السعودي، أو ٤ ذو الحجة ١٤٢٨هـ حسب إعلان مجلس القضاء الأعلى السعودي، أو ٢ ذو الحجة حسب إعلان المملكة المغربية) ذهبت في رحلة عمل إلى الدار البيضاء، المغرب. توجهت يوم الجمعة ١٤ ديسمبر ٢٠٠٧م (حتى لا يضطرب القارئ باختلاف التقاويم، فسوف استخدم التقويم الشمسي الغربي، فهو ثابت) إلى مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء لأداء صلاة الجمعة. ذكّر وحث إمام وخطيب المسجد المسلمين على صوم يوم التاسع من ذي الحجة (يوم الوقوف بعرفة) وعلى الأضحية يوم العاشر من ذي الحجة (عيد الأضحى).

بعد الصلاة سألت فضيلة الإمام: صوم يوم التاسع من ذي الحجة، هل تقصد به يوم ٩ ذو الحجة كما أعلن في السعودية، أم كما أعلن في المغرب؟ قال: كما أعلن في السعودية، فالوقفة هناك [ولكن الصيام هنا، قلت في نفسي]. سألته: والأضحية، يوم العاشر من ذي الحجة، هل تقصد به يوم ١٠ ذو الحجة كما أعلن في السعودية، أم كما أعلن في المغرب؟ قال: لا. كما أعلن في المغرب. قلت: ولكن أليس هذا استخدام معيارين مختلفين لنفس المسألة؟ أليس هذا تناقضاً؟ قال: هذا لا تسألني عنه، ولكن أسأل غيري. وانصرف الإمام. وانصرفت. ولكن لم تنصرف المشكلة التي خلقها علماء مسلمون على أنفسهم. انظر الجدول ٣.

الجدول ٣: ذو الحجة ١٤٢٨هـ: الوقفة وعيد الأضحى

دول إسلامية			أيام الأسبوع	ديسمبر ٢٠٠٧م
م	س	ص		
		١	الأحد	٩
	١	٢	الاثنين	١٠
	٢	٣	الثلاثاء	١١
١	٣	٤	الأربعاء	١٢
٢	٤	٥	الخميس	١٣
٣	٥	٦	الجمعة	١٤
٤	٦	٧	السبت	١٥
٥	٧	٨	الأحد	١٦
٦	٨	٩	الاثنين	١٧
٧	٩	١٠	الثلاثاء	١٨
٨	١٠		الأربعاء	١٩
٩			الخميس	٢٠
١٠			الجمعة	٢١

توضيح الجدول

- الحروف ص، س، و م ترمز إلى ثلاث دول مختلفة، وأعمدها تمثل بداية شهر ذي الحجة. الدولة ص، دولة افتراضية بدأت شهر ذو الحجة يوم الأحد ٩ ديسمبر ٢٠٠٧م حسب معيارها. وقررت أن تقف بعرفة حسب معيار هلالها وذلك يوم الاثنين ١٧ ديسمبر وبدون أن تعلن عن نيتها وفعلها. كما أكملت أيضاً شعائر الحج كلها في الأراضي المقدسة (نفرة عرفة ثم إلى مزدلفة ثم إلى منى ثم إلى مكة المكرمة) حسب معيار هلالها. وعلى أرضها احتفلت بعيد الأضحى يوم الأربعاء ١٩ ديسمبر (وعلى القارئ أن لا يستغرب ذلك فقد حدث ذلك فعلاً في سنين ماضية، كما نكر في نهاية الفصل الثاني وبداية هذا الفصل).
- الحرف س يرمز إلى السعودية التي بدأت شهر ذو الحجة يوم الاثنين ١٠ ديسمبر وأمضت شعائر الحج حسب رؤية هلالها. إذًا، الوقفة يوم الثلاثاء ١٨ ديسمبر وعيد الأضحى يوم الأربعاء ١٩ ديسمبر.

■ الحرف م يرمز إلى المغرب التي بدأت شهر ذو الحجة يوم الأربعاء ١٢ ديسمبر. وفي يوم الجمعة ١٤ ديسمبر حث إمام مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء الناس على صيام يوم الوقفة حسب رؤية هلال السعودية (أي، يوم الثلاثاء ١٨ ديسمبر)، ولكن حثهم على الاحتفال بعيد الأضحى يوم الجمعة ٢١ ديسمبر، حسب رؤية هلاله.

الآن؛ أي: الفرقاء على صواب؟ لمن ينادي باختلاف المطالع، فطبعًا كلهم على صواب - دعك الآن عن التناسق الذاتي. ولكن انظر إلى النتائج! هل هي مُجمّعة، على صواب؟ قد يقول أحد، إن ص والسعودية على صواب. قياسًا على ما يحصل في رمضان وعيد الفطر. وهل ما يحصل بين الدول الإسلامية في كل رمضان وعيد فطر صحيح؟ هل المغرب على صواب؟ تصوم يوم التاسع من ذي الحجة (الثلاثاء ١٨ ديسمبر) وتحتفل بعيد الأضحى يوم العاشر من ذي الحجة (الجمعة ٢١ ديسمبر)! ولكن المغرب استخدم معيارين مختلفين ليومين متتالين، كما أنه لا يبدأ شهر الصيام (ولا شهر ذو الحجة) مع هلال السعودية! إذًا، هل المعيار: اختلاف المطالع، توحيد المطالع، أم الوقفة بعرفات؟ عند البعض كل ذلك. وماذا عن التناسق الذاتي عند الفقيه، وفي الشريعة الإسلامية؟ "يا أخي إن في الأمر سعة". والله لقد قيل لي ذلك وسمعتة وقرأته. والعرب قالت قديمًا: عنزة ولو طارت. إن هذا الفقه يسمى فن الممكن.

هذه المشاكل ربما لم تتضح بهذا الشكل وعمق الاختلاف إلا في عصرنا هذا. ولكن هناك من المشاكل ما تراكم على مسلمي هذا العصر. فلقد أنشأ السلف الصالح عليهم السلام جميعًا قبل أكثر من ألف سنة (كانت بداية ونهاية الصوم موحدة في عصر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقهاً غزيرًا عن دور رؤية الهلال لإدخال عبادة الصوم والخروج منه والحج. دعاة رؤية الهلال الآن والذين ينهلون من فقه السلف، الذي أثرى تلك الحقبة، جلبوا مشاكل تلك الحقبة إلى هذا العصر وذلك بإعادة المسلمين إلى تلك الحقبة بدلًا من إحضار الشرع (وليس الشرح) إلى هذا العصر وإثراء المسلمين بفهمهم

وأفكارهم - بمعنى تطوير فقه لهذا العصر بدلاً من تبني فقه حقبة أخرى. انظر إلى ما واجه السلف الصالح من مسائل وأسئلة وكيف طوروا لها فقهاً<sup>٤</sup>: هل رأيي الهلال يجب أن يكون فرداً أو اثنين أو جمعاً عظيماً وما مقدار ذلك، عدل أو فاسق أو مستور الحال، عاقل بالغ أم قاصر أو مجنون، ذكر أو أنثى، مسلم أم كافر، حر أم عبد؟ هل الموانع منتفية والأبصار سليمة والهمم مستقيمة في طلب الهلال؟ وكيف يثبت رؤيته: هل يقول: "أشهد" أو "شهدت" أو لا يجب عليه قول هذه الكلمة أو تلك؟ وهل السماء صحو أم غائمة أم مغبرة؟ هل يجب عليه أن يشهد أمام قاض أو حاكم أو أمام الناس، وفي مصر أو في مسجد؟ وماذا لو لم يخبر أحداً: هل يصوم هو أم لا؟ وماذا لو رد الحاكم الشهادة؟ أو رد شهادة أحدهما وقبل شهادة الآخر؟ وماذا لو توقف الحاكم عن قبول شهادته/شهادتهما لعدم علمه بحاله/حالهما انتظاراً للبيئة ثم ثبت عدالة أحدهما أو كلاهما؟ وهل الشهادة لدخول رمضان أو الخروج منه؟ وهل الرائي ممن يعتني بأمر الهلال أم لا؟ وعند الخروج من رمضان هل كان عدد أيام الصيام ٢٩ أو ٣٠ يوماً؟ وهل كان شعبان قبل ذلك ٢٩ أم ٣٠ يوماً؟ وماذا لو صاموا ٢٨ يوماً ثم رأوا الهلال؟ وماذا لو صاموا ٣٠ يوماً بشهادة واحد (اثنين) ولم يروا الهلال؟ هل يفطروا؟ وماذا عمن اشتبهت لديه الأشهر أو الأيام، من أسير أو سجين أو بمفازة أو بدار حرب؟ كيف ومتى يصوم؟ كل هذه المشاكل وغيرها كثير ووجهت وطُور لها فقه في ذلك الحين. فهل يجب على مسلمي هذا العصر أن يواجهوها الآن ولديهم متغيرات أخرى؟ هل هناك حقاً داع لذلك؟ لا يجب، ولا داعي. لماذا؟ لأنها ليست مشاكل عصرنا، ولأنهم يواجهون الآن مشاكل مختلفة، ولأن العلوم البشرية - بما في ذلك العلم الشرعي - تراكمية، ولكن النصوص الشرعية توقيفية. وحتى هذه، فيها اجتهاد؛ وقد نُوقشت هذه النقطة في الفقرتين ٢٩ و٣٠، الأدلة على أن الظواهر الطبيعية وسائل، الفصل الأول.

لقد أفتى وألف علماء مجتهدون، معاصرون منهم وسابقون<sup>٥</sup>، حول كون

رؤية الهلال وسيلة إلى عبادة الصيام وليست جزءاً من تلك العبادة والتي تستتبع مشاكل ادّعاء الرؤية - عند استحالتها - وما تسببه من فرقة بين المسلمين وتشويه صورة دين الله عند غير المؤمنين. من هؤلاء العلماء المجتهدين المعاصرين فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، الذي يقول:

لقد أثبت الحديث [«صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ...»] دخول الشهر بخبر واحد أو اثنين يدّعيان رؤية الهلال بالعين المجردة، حيث كانت هي الوسيلة الممكنة والملائمة لمستوى الأمة. فكيف يتصور أن يرفض وسيلة لا يتطرق إليها الخطأ أو الوهم أو الكذب [كما أن الوسيلة متاحة للجميع وقابلة للفحص]. وسيلة [الحساب العلمية] بلغت درجة اليقين والقطع ويمكن أن تجتمع عليها أمة الإسلام في شرق الأرض وغربها وتزيل الخلاف الدائم والمتفاوت في الصوم والإفطار والأعياد إلى مدى ثلاثة أيام تكون فرقاً بين بلد وآخر. وهو ما لا يُعقل ولا يُقبل لا بمنطق العلم ولا بمنطق الدين. ومن المقطوع به أن أحدهما هو الصواب والباقي خطأ بلا جدال.

إن الأخذ بالحساب القطعي اليوم وسيلة لإثبات الشهور، يجب أن يُقبل من باب "قياس الأولى". بمعنى، أن السنة التي شرعت لنا الأخذ بوسيلة أدنى لما يحيط بها من الشك والاحتمال - وهي الرؤية - لا ترفض وسيلة أعلى وأكمل وأوفى بتحقيق المقصود والخروج بالأمة من الاختلاف الشديد في تحديد بداية صيامها وفطرها [عيد الفطر] وأضحائها [عيد الأضحى] إلى الوحدة المنشودة في شعائرها وعباداتها المتصلة بأخص أمور دينها وألصقها بحياتها وكيانها الروحي، وهي وسيلة الحساب القطعي<sup>1</sup>.

هناك وسيلة "طبيعية" وفَعّالة لمعرفة صحة إدعاء رؤية الهلال في الأفق ليلة التحري. طبيعية، لأنها لا تعتمد على علم الفلك. إنها تعتمد على حقيقة كونية: يزيد حجم الهلال ويرتفع عن الأفق أكثر كلما مرت ليلة

أخرى. لتطبيق ذلك، يُتحرى الهلال في الليلة التالية للإعلان الرسمي بلجنة رسمية وإعلامية يكون الشوَّاف أحد أفرادها (شرط أساسي لمعرفة مدى صدقه) وفي نفس موقع الشواف (ليس شرطًا ولكن ليطمئن قلب بعضنا). هناك ثلاثة احتمالات:

١- إذا رؤي هلال الليلة التالية أكبر من هلال الليلة السابقة وأعلى منه في الأفق، فإدعاء الرؤية صحيح. لأن الهلال كان موجودًا الليلة السابقة، وفي الليلة التالية يكون أكبر وأعلى في الأفق.

٢- إذا كان الهلال نحيلًا وقريبًا من الأفق، فإدعاء الرؤية غير صحيح، لأن الهلال لم يكن موجودًا في الليلة السابقة.

٣- إذا لم يُر الهلال في الليلة التالية ولا التي بعدها على الإطلاق، فإدعاء الرؤية غير صحيح. هذا ما حدث في رمضان ١٤١٢هـ حيث أعلن رسميًا في المملكة العربية السعودية أن شهر رمضان بدأ في ٤-٣-١٩٩٢م.

وقد يلجأ البعض (لتبرير موقفه) للقول: إننا لا نحتاج لرؤية الهلال مرتين. وهذا صحيح، إذا رؤي الهلال في المرة الأولى حقًا وليس إدعاءً. إن تحري الهلال في الليلة التالية برهان محايد لا يعتمد على علم الفلك للذين لا يعلموه و/أو يجحدوه. وجدارة هذا البرهان هو: أولًا: أن هناك فوضى في ادعاء رؤية الهلال في العالم الإسلامي خاصة وحيثما تواجد مسلمون عامة. ثانيًا: لقد توهم وحتى كذب أفراد على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى الله جلَّت قدرته، أفلا يكذب أفراد على قاضي؟ ثالثًا: إن كانوا صادقين في رؤياهم، فهذه فرصتهم العظمى لإظهار الحق وإظهار أن هناك علماء فلك لا يفقهون شيئًا في علمهم. وإن كان لهم غرض آخر، فسينكشف وبهذا قد تزول فوضى تحديد بدء الشهور القمرية. إن الحق سبحانه يقول: ﴿... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ...﴾ البقرة: ١١١. هل من مستجيب؟

### اتفاق/ اختلاف المطالع

ما سبب هذه المشاكل التي ظل مسلمون يضيقون على أنفسهم بها مسببة

حرجًا لهم فيما بينهم ولدينهم من قبل غيرهم؟ هل حقًا منشؤها الشريعة ذاتها؟ أم أنه رأي فقهي بُني على فهم تجريبي؟ إن الجواب بدون أي تردد هو قول الحق سبحانه ﴿... وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الْبَيْنِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ الحج: ٨٧، وقوله ﷺ: ﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ...﴾ البقرة: ١٨٥. ولكن علينا أن نثبت ذلك فقهيًا، ثم في فصل آخر فلكيًا.

إن "اتفاق مطالع القمر أو اختلاف المطالع" مصطلح له جذور تاريخية في كتب الفقه. فمن أين أتى هذا المصطلح؟ اتفاق مطالع القمر أو اختلاف المطالع ظهر مع اختلاف زمان ومكان رؤية الهلال بعد عهد سيدنا رسول الله ﷺ وبطء وسائل الاتصال والمواصلات وذلك للأسباب التالية:

- لما كان مولانا رسول الله ﷺ موجودًا ائتمر المسلمون بقوله: متى ما بُلِّغَ بالرؤية الأولى ولا عبرة بأي رؤية أخرى ولا لمن لم ير لأن الرؤية لكل المسلمين.
- كانت المدينة مركز الإسلام وتواجد معظم المسلمين فيها ومنها انتشر خبر بدء أي عبادة متعلقة بالهلال أو غيره إلى خارج المدينة.
- اختلاف الصحابة ومن تبعهم في تفسير أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ، فمنهم من أخذ بظاهر نص شرعي ومنهم أخذ بنظرة شمولية لفهم مراد الله ورسوله.
- بعد وفاة رسول الله سيدنا محمد ﷺ وخروج بعض الصحابة إلى بلدان أخرى وحاجتهم إلى استخدام ظاهرة الهلال الطبيعية وتعدد مُترائي الهلال وتعدد أسباب تحقق رؤية الهلال، وبطء وسائل الاتصال والمواصلات تعددت أخبار الرؤية وظهر بعد ذلك اصطلاح "توافق مطالع القمر أو اختلاف المطالع" لأن الرائيين ظنوا بتعدد الهلال كل حسب موقعة وملابسات الرؤية.
- أثر حال العلم السائد في ذلك الوقت، عن الأرض والقمر والشمس والكون ككل، في تكوين آرائهم في نص شرعي له علاقة بالكون.



وهكذا قد يبدو اختلاف المطالع مصطلحاً فقهياً في بادئ الأمر ولكن في حقيقته هو نتيجة فقهية لحالة معرفة سائدة في ذلك الوقت عن الكون. فبتعدد أخبار رؤية الهلال من حيث الأزمنة والأماكن وعدم وجود وسائل اتصالات سريعة في الماضي، وحتى إلى عهد قريب، ظهر اجتهاد فقهي<sup>١٣</sup> وسمي توافق مطالع القمر أو اختلاف المطالع. علينا أن نميز بين: وجود القمر كجرم سماوي على شكل هلال في السماء في مكان معين وزمان معين وآلية ذلك (ولادة الهلال)، وبين احتمال رؤية الهلال بشرياً بالعين المجردة (في وقت من الأوقات لم يكن هناك أي تفریق). إذن، إذا علم يقيناً حقيقة موقع الهلال في وقت معين عُدل الاجتهاد الفقهي فلا يصح أن يبنى اجتهاد فقهي على فكرة خاطئة عن جرم سماوي وآلياته.

هذا الاجتهاد الفقهي (الذي أصبح يشار إليه باختلاف المطالع) لازم الأمة الإسلامية إلى عصرنا الحاضر وتأصل بالاختراع الأوربي لفكرة الدولة السياسية ذات السيادة. فكل دولة (وحتى جماعة بل وفرد) مهما صغرت تُعيّن "مطالعا" وتظهر الفتاوى الدينية الرسمية المؤيدة لذلك. وكمثال على هيمنة سيادة الدولة وبروز الفقه السياسي أورد ما سجله فضيلة الشيخ الشريف الغماري "... فنجدهم عند الحدود مختلطين في الأسواق نصفهم صائم لأنه جزائري ونصفهم مفطر لأنه مراكشي، بل ربما كانت القرية الصغيرة الواقعة على الحدود منقسمة لأن نصفها من الجزائر ونصفها من مراکش كذلك القرستان المتجاورتان بحيث يسمع النداء الواحد من أحدهما أهل الأخرى، وهما مختلفتان إحداهما أهلها صيام لأنها واقعة في القطر الجزائري، والأخرى مفطرون لأنها واقعة في القطر المراكشي، فأين اختلاف المطالع والبعد الشديد وليس بين البلدين ميل واحد..."<sup>١٤</sup>. وهناك العكس، ففي بعض دول العالم الإسلامي التي تمارس فرضية اختلاف المطالع نجد أن الفرق العرضي latitudinal بين أحد مدنها في الجنوب وأخرى في شمالها يكون أكثر من ١٤ درجة (فمدينة جيزان، السعودية تقع على خط العرض ١٧ تقريباً وطريف، السعودية تقع على خط العرض ٣١ تقريباً، علماً أن الفرق العرضي بين دمشق

والمدينة المنورة هو <sup>٩</sup> ودقيقتان)، ومع ذلك يصدر بيان من أعلى الجهات الدينية الرسمية والسيادية بالصوم في يوم واحد! أين، إذًا، فقه اختلاف المطالع؟ لقد ارتضوا وحدة (مطالع أو غيرها) الكيان السياسي وارتضوا اختلاف وحدة الأمة الإسلامية - تفسيران مختلفان لنص شرعي واحد. فأبي النصين يسود الآخر، أم أن التناسق الذاتي غير مطلوب؟ أخيرًا، هل تعلم أن الفرق العرضي بين مكة المكرمة والقدس الشريف هو أكبر من الفرق العرضي بين المدينة المنورة ودمشق! هذا الموقف يتضح في حوار<sup>١٥</sup>، على سبيل المثال لا الحصر، مع عالم جليل ومفتٍ كبيرٍ وإمام للأزهر. التالي المقابلة كما وردت:

• "مع مطلع كل شهر رمضان في كل سنة تثار قضية اختلاف المطالع، وترتفع الدعوات لجعل بداية رمضان في يوم واحد، فما موقفكم من هذه المسألة؟

- الذي أرجحه أنه ما دام المسلمون في كل بلد يصومون ما لا يقل عن ٢٩ يومًا فأنا أؤمن بأن لكل بلد مطلعته وأدعو الله أن يكون صيامهم صحيحًا، وأرجو أن يتحقق في يوم من الأيام اتحاد المسلمين في صيامهم، إلا أنني لا أخطئ أحدًا، فقد يرى الهلال في بلد ولا يرى في بلد آخر. وفي صحيح مسلم أن أهل الشام صاموا في يوم وأهل المدينة صاموا في يوم آخر، وهذا يدل على أنه لكل بلد مطلعته.

• لكن اليوم تطور العلم كثيرًا، وأصبحت لدينا وسائل تقنية عالية لرصد مطلع الهلال من دون الاعتماد على الرؤية المجردة، ومن جانب آخر هذا الاختلاف الذي يصل في بعض الأحيان إلى أربعة أيام يخالف المعطيات العلمية؟

- هذا صحيح، إلا أنه بالنسبة لرؤية الهلال قد يُرى في مكان ولا يرى في مكان آخر، وأنا كما ذكرت أميل إلى أن البلد الذي لم ير الهلال بسبب أحوال الطقس مثلاً، يجتمع مع البلد الذي رآه، لكن يجوز أن البلد الذي لم

ير، لم يقتنع برؤية البلد الذي رأى، في هذه الحالة أنا لا أستطيع أن ألزمه بذلك ولا يمكننا أن نلزم دولة بأن تقتدي بدولة أخرى .

إن النص الذي أوردته الجريدة يغلب عليه التفسير السياسي لكلمة (رؤيته) لقصره الرؤية على بلد الرائي. فالإجابات كانت تذكر "البلد" و "دولة" بينما أحاديث الرؤية وجَّهت الخطاب إلى المسلمين ولم توجهه إلى كيانات سياسية. فالإسلام لا يعترف بأي حدود سياسية صنعها البشر على كوكب الأرض: يقول الحق ﷺ: ﴿... قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا...﴾ النساء: ٩٧، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (١٦٩) آل عمران، ﴿... وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨١) المائدة. أما الحديث المشار إليه فهو: «حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ابْنُ أَبِي حَرْمَلَةَ عَنْ كُرَيْبٍ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ بِنْتَ الْحَارِثِ بَعَثَتْهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ قَالَ: فَقَدِمْتُ الشَّامَ فَقَضَيْتُ حَاجَتَهَا. وَاسْتَهَلَّ عَلَيَّ رَمَضَانُ وَأَنَا بِالشَّامِ فَرَأَيْتُ الْهِلَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ». ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ. فَسَأَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثُمَّ ذَكَرَ الْهِلَالَ فَقَالَ: مَتَى رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ؟ فَقُلْتُ: رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ. فَقَالَ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَرَأَاهُ النَّاسُ وَصَامُوا وَصَامَ مُعَاوِيَةُ». فَقَالَ: لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ، فَلَا نَزَالَ نَصُومُ حَتَّى نَكْمَلَ ثَلَاثِينَ أَوْ نَرَاهُ. فَقُلْتُ: أَوْ لَا تَكْتَفِي بِرُؤْيَا مُعَاوِيَةَ وَصِيَامِهِ؟ فَقَالَ: لَا. هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَشَكََّ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى فِي نَكْتَفِي أَوْ تَكْتَفِي» أخرجهم مسلم والنسائي والترمذي وأبو داود وهذا لفظ مسلم. وهذا الحديث يُثبت فقط إكمال رمضان ثلاثين يوماً أو استخدام الهلال للخروج من الشهر وهو معنى قوله "فلا نزال نَصُومُ حَتَّى نَكْمَلَ ثَلَاثِينَ أَوْ نَرَاهُ". وللإمام الشوكاني شرح جميل لهذا الحديث حيث يقول:

واعلم أن الحجة إنما هي في المرفوع من رواية ابن عباس لا في اجتهاده الذي فهم عنه الناس والمشار إليه بقوله: "هكذا أمرنا رسول الله ﷺ" هو قوله: "فلا نزال نَصُومُ حَتَّى نَكْمَلَ ثَلَاثِينَ. والأمر الكائن من رسول الله ﷺ

هو ما أخرجه الشيخان وغيرهما بلفظ: " لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفتروا حتى تروه، فإن غمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين". وهذا لا يختص بأهل ناحية على جهة الانفراد، بل هو خطاب لكل من يصلح له من المسلمين. فالاستدلال به على لزوم رؤية أهل بلد غيرهم من أهل البلاد أظهر من الاستدلال به على عدم اللزوم، لأنه إذا رآه أهل بلد فقد رآه المسلمون فيلزم غيرهم ما لزمهم. ولو سلم توجه الإشارة في كلام ابن عباس إلى عدم لزوم رؤية أهل بلد لأهل بلد آخر لكان عدم اللزوم مقيداً بدليل العقل، وهو أن يكون بين القطرين من البعد ما يجوز معه اختلاف المطالع. وعدم عمل ابن عباس برؤية أهل الشام مع عدم البعد الذي يمكن معه الاختلاف عمل بالاجتهاد وليس بحجة. ولو سلم عدم لزوم التقييد بالعقل فلا يشك عالم أن الأدلة قاضية بأن أهل الأقطار يعمل بعضهم بخبر بعض، وشهادته في جميع الأحكام الشرعية والرؤية من جملتها، وسواء كان بين القطرين من البعد ما يجوز معه اختلاف المطالع أم لا، فلا يقبل التخصيص إلا بدليل. ولو سلم صلاحية حديث كريب هذا للتخصيص، فينبغي أن يقتصر فيه على محل النص إن كان النص معلوماً، أو على المفهوم منه إن لم يكن معلوماً لوروده على خلاف القياس. ولم يأت ابن عباس بلفظ النبي ﷺ ولا بمعنى لفظه حتى ننظر في عمومه وخصوصه. إنما جاءنا بصيغة مجملة أشار بها إلى قصة هي عدم عمل أهل المدينة برؤية أهل الشام على تسليم أن ذلك المراد، ولم نفهم منه زيادة على ذلك حتى نجعله مخصصاً لذلك العموم. فينبغي الاقتصار على المفهوم من ذلك الوارد على خلاف القياس وعدم الإلحاق به، فلا يجب على أهل المدينة العمل برؤية أهل الشام دون غيرهم، ويمكن أن يكون ذلك في حكمة لا نعقلها. ولو نسلم صحة الإلحاق وتخصيص العموم به، فغاياته أن يكون في المحلات التي بينها من البعد ما بين المدينة والشام أو أكثر، وأما في أقل من ذلك فلا، وهذا ظاهر. فينبغي أن ينظر ما دليل من ذهب إلى اعتبار البريد أو الناحية أو البلد في المنع من العمل بالرؤية. والذي ينبغي اعتماده هو ما ذهب إليه المالكية وجماعة من الزيدية، واختاره المهدي منهم،

وحكاه القرطبي عن شيوخه أنه إذا رآه أهل بلد لزم أهل البلاد كلها. ولا يلتفت إلى ما قاله ابن عبد البر من أن هذا القول خلاف الإجماع. قال: لأنهم قد أجمعوا على أنه لا تراعى الرؤية فيما بُعد من البلدان كخراسان والأندلس، وذلك لأن الإجماع لا يتم والمخالف مثل هؤلاء الجماعة<sup>١٨</sup>.

وهناك اختلاف في تفسير أمر سيدنا رسول الله ﷺ: هل هو لكافة المسلمين أم لكل من رأى الهلال؟ ولا يثبت الحديث بذاته إطلاقاً ما يسمى باختلاف المطالع والذي هو اصطلاح لاحق للحديث لَمَّا تعددت رؤية الهلال. فإحداثيات دمشق هي: خط الطول ٣٦° شرقاً و١٨ دقيقة، وخط العرض ٣٣° شمالاً و٣١ دقيقة، و٧٣٠ مترًا ارتفاع عن سطح البحر؛ بينما إحداثيات المدينة المنورة هي: خط الطول ٣٩° شرقاً و٣٦ دقيقة، وخط العرض ٢٤° شمالاً و٢٩ دقيقة (بفارق طولي longitudinal بين المدينة المنورة ودمشق قدره ١٨ ' ٥٣)، و٦٢٥ مترًا ارتفاع عن سطح البحر. وحيث إن المدينة المنورة شرق دمشق (بما يزيد قليلاً عن ٥٣° أو ما يزيد قليلاً عن ١٣ دقيقة زمنية) فليس هذا الفرق الطولي لوحده كافياً لكي يُرى الهلال في دمشق ولا يُرى في شرقها في نفس الليلة. أما الفرق العرضي بين المدينتين فهو ١٠٢ ' ٩° أي أن المدينة المنورة جنوب دمشق. إنه من المستحيل فلكياً أن يرى الهلال في دمشق ولا يرى في جنوبها في نفس الليلة؛ لأن الهلال يبتعد عن الأفق كلما اتجهنا جنوباً. سوف نشرح هذه الآلية في الفصل الرابع وفي الملحق أ.

إن تعدد الرؤية محتمل لتعدد وأهلية من يرى وللظروف الجوية ومكان الموقع من حيث خطوط الطول وخطوط العرض وزمن الرؤية صيفاً أو شتاءً، ولكن والأهم من ذلك كله هو تحديد من أين يبدأ اليوم. وقد حصل هذا في عهد سيدنا رسول الله ﷺ حيث لم ير عليه الصلاة والسلام ولا أصحابه رضي الله عنهم أجمعين الهلال ورآه أعرابي جاء إليهم، «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْهَيْلَالَ. قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ أَتَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: يَا بِلَالُ أَدْنُ فِي النَّاسِ

أَنْ يَصُومُوا غَدًا» أخرجہ النسائي وأبو داود وابن ماجه والدارمي والترمذي واللفظ له. ولم يقل سيدنا رسول الله ﷺ أو أي من صحابته: ولكننا يا أعرابي لم نره هنا في بلدنا فاذهب برؤيتك أنت وضم. فهل اختلفت المطالع بين موقع سيدنا رسول الله ﷺ وكل صحابته في المدينة وموقع الأعرابي، علماً أن ترائي الهلال حصل في نفس الفترة الزمنية (أقل من يوم) ولم تكن هناك وسائل نقل سريعة؟ قد يجادل البعض في أن المسافة بين موقع الأعرابي وموقع سيدنا رسول الله ﷺ كانت قصيرة لا تستوجب اختلاف المطالع. ولكن الحديث لم يذكر موقع الأعرابي ولا أين شاهد الهلال ولا متى تمت المحادثة مع سيدنا محمد ﷺ. حتى وإن ذكر الحديث الفترة الزمنية وموقع الرؤية، فإنهما مسألان تتطلبان علماً غير شرعي. وعلم البشرية الآن عن هذين الأمرين أدق وأصح من قبل ١٤٠٠ سنة وبالتالي أثر ذلك على تفسير الحديث. وهذا يثبت أن ما يسمى اختلاف المطالع ليس فقهاً بحد ذاته، بل رأي بُني على علم الهيئة (كما كان يعرف في ذلك الوقت) أو علم الفلك كما يعرف في هذا الوقت. أخيراً، ألا يطبق اختلاف المطالع على قُرى الحدود السياسية؟

إن تعدد رؤية الهلال بين دمشق أولاً ثم المدينة المنورة (سواء قُصد به وجود الهلال فعلياً في دمشق وعدم وجوده فعلياً في المدينة المنورة في نفس الليلة، أو قُصد به رؤيته بشرياً وبهذا التسلسل المكاني والزمني) حسب حديث الصحابي كريب رضي الله عنه يعتبر أمراً فلكياً يُبنى عليه الفقه وليس العكس (انظر الملحق أ). وكان الأولى أن يُؤخذ برؤية من رأى الهلال أولاً على من لم يره أو رآه متأخراً كما فعل رسول الله ﷺ مع الأعرابي. إن من التجاوز الآن أن يُفسر سلوك واجتهاد بعض الصحابة، رضي الله عنهم جميعاً وجزاهم الله عن المسلمين والإسلام خير الجزاء، في رؤيتهم للهلال في توقيتين/مكانيين مختلفين على أنه هلالان (مطلعان) مختلفان. ربما لم ير بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الهلال لسبب ما (وهو قطعاً ليس سبباً فلكياً، كما سوف نرى)، ولكن الهلال كان موجوداً وآيته منتظمة حتى وإن لم يره البعض أو جهل فلكه. فعدم رؤية الهلال لا يعتبر بالضرورة - ويجب أن لا يعتبر -

تفسيرًا لنص شرعي أو تأسيسًا لقاعدة فقهية أو إقرارًا بحقيقة كونية. فتطبيق حديث الأعرابي أولى من تفسير حديث كريب رضي الله عنه، لأن الأول حدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني مرفوع له، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أنهم هم لم يروا الهلال ولم يقر أن الهلال ذاته لم يكن موجودًا بدليل أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بشهادة الأعرابي. بينما لم يأخذ سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه بشهادة كريب وغيره من المسلمين الذين رأوا الهلال قبلهم. بمعنى، أن عدم رؤية أهل المدينة المنورة للهلال كان لأسباب بشرية ولم يكن لأسباب فلكية؛ أي: لم يُقل للأعرابي: ولكننا لم نره وعلينا أن ننتظره حتى نراه، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. والحل لهذين الموقفين ليس بُعد دمشق من المدينة المنورة وبالتالي اختلاف المطالع (انظر الملحق أ) بل إمكانيات العين البشرية ومعرفة آيات القمر.

إن الاستدلال بحديث كريب رضي الله عنه السابق بوجود اختلاف المطالع ليس مجموعًا عليه فقهيًا: فمجمع الفقه الإسلامي أفتى بأنه "إذا ثبتت الرؤية في بلد وجب على المسلمين الالتزام بها ولا عبرة لاختلاف المطالع لعموم الخطاب بالأمر بالصوم والإفطار"<sup>١٩</sup>. كما "ذهب الجمهور: إلى أنه لا عبرة باختلاف المطالع. فمتى رأى الهلال أهل بلد، وجب الصوم على جميع البلاد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «صُومُوا لِرُؤْيَيْتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْتِهِ». وهو خطاب عام لجميع الأمة فمن رآه منهم في أي مكان كان ذلك رؤية لهم جميعًا"<sup>٢٠</sup>. والاستدلال بحديث كريب يُظهر تأثير شرح نصوص شرعية بالظن والفهم السائدين عن ظواهر طبيعية، وفي عصرنا بمستلزمات الكيانات السياسية. وعدم الإجماع على الرؤية كوسيلة لدخول رمضان يؤيده أن الشرع ذاته أعطى بدليلين اثنين للرؤية. فقد "أثبتت الأحاديث الصحاح أن شهر رمضان يثبت دخوله بواحدة من ثلاث طرق:

١- رؤية الهلال،

٢- أو إكمال عدة شعبان ثلاثين،

٣- أو التقدير للهلال"<sup>٢١</sup>.

وهذا يثبت أن الهدف هو العبادة وأن الوسيلة (أي الظاهرة الطبيعية المُحَدِّدَة لتلك العبادة) ليست مقصودة لذاتها. كما أن بعض كبار التابعين وكبار علماء السلف فسروا الطريقة الثالثة بـ "قدره بحساب المنازل"<sup>٢٢</sup>.

بعض الظواهر الطبيعية قد تكون خادعة وقد تظهر للرائي على غير حقيقتها، مثل السراب والشفق الأحمر والبرق والرعد. ولكننا سوف نتوقف عند ظاهرتين مختلفتين. الأولى: هي الوقوف على أول شارع طويل حيث يرى الإنسان بأمر عينيه أن الرصيفين يلتقيان في نهاية الشارع عند منتصفه وحين يذهب إليه لا يجده كذلك. فهل يصدق عينيه أم يصدق تفسير الظاهرة العلمي؟ الثانية: لماذا يكون حجم القمر في منتصف أي شهر عربي عند شروقه وغروبه أكبر حجماً من نفس القمر وفي نفس الليلة وهو في كبد السماء؟ هل تصدق رؤيتك للقمر بأمر عينيك أم تصدق تفسيراً علمياً<sup>٢٣</sup> للظاهرة؟ إن الهدف من هاتين التجربتين هو: أن ما قد يراه الإنسان بعينه قد لا يكون بالضرورة حقيقة الأمر. فتمعن.

ويسعني أن أجادل أن مسلمين الآن يقعون في فرقة ومخالفة صريحة لنصوص قرآنية ونبوية لسوء فهم وتطبيق نص آخر. والعلة ليست في هذا النص الشرعي أو ذاك، بل في عدم التناسق الذاتي في فهم وتطبيق النصوص الشرعية، وفي عدم الأخذ بنظرة شمولية للنصوص الشرعية، وفي خطأ أو قلة أو عدم علمنا بكون الله وسننه الكونية. بمعنى، يجب أن نكون متناسقين مع أنفسنا ليس فقط في فهمنا لكتاب الله المسطور بل وفي نفس الوقت لكتاب الله المنظور حتى يتسنى لنا تطبيق الشريعة الإسلامية كما أرادها الله لكل البشر في عصر فتح الله فيه للبشرية علوماً عن الكون غير مسبوقة. وإلا فإننا ندعو غيرنا، من غير قصد منا، أن يُتهم هذا الدين بالتخلف ونحن الأعلون، يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٦) آل عمران. يجب أن يُظهِر المسلمون، وبالتالي يَظْهَر الإسلام للغير، أن لا تناقض بين خلق الله وشرعه. ولكن الواقع هو أن كل دولة إسلامية وإن تنامت أطرافها يوجد رمضان واحد ضمن حدودها السياسية وكذلك الحال لكل جماعة



إسلامية في كل دولة تعددية ديمقراطية. فكيف يكون هنا اتفاق مطالع القمر، رغم تباين مساحة دولة عن أخرى؟ وقرب هذه الدولة من تلك؟ هل المقياس سياسي؟ إننا نقول: لا، ولكننا نفعل: نعم.

### الهلال: الشمولية والحل

اختلف مسلمون قديماً وحديثاً في مسألة استخدام الهلال (الحساب و/أو الرؤية) لبدء زمن عبادات معينة. ولكن حديثاً أخذ هذا الخلاف بُعدين جديدين: التنازع فيما بينهم حول صحة موقف كل منهم (تقديم فقه السيادة)، ونظرة الفشل على دينهم من قبل غيرهم، والتي هي نتيجة للبعد الأول. وهذا هو مِصْدَاق الآية ﴿... وَلَا تَنْزَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَشْيَأَ وَأَنْتُمْ بِالْإِسْلَامِ وَأَنْتُمْ سَوَاءٌ...﴾ الأنفال: ٤٦. إن تحديد هلال الشهر القمري من البساطة والعلم اليقيني الشائع في عصرنا الحاضر بحيث لا تحتاج ولا تحتمل الأمة الإسلامية كل هذا الخلاف والتفرقة على أمر ليس من ركائز العقيدة. ولقد وصف سيدنا رسول الله ﷺ أمته بالعُتَاء «عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُتَاءٌ كُغْتَاءِ السَّيْلِ. وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» أخرجه أبو داود وأحمد وهذا لفظ أبي داود. أليس تأصيل فقه السيادة من حب الدنيا؟ أليس لكل دولة وجماعة إسلامية هيئاتها الدينية الوطنية الرسمية؟ أليس هذا من حب الدنيا؟ أي تغليب النزعة الاستقلالية على الوحدة الإسلامية.

إن الحل وبكل بساطة هو: يجب أن تكون هناك ليلة قدر واحدة لكل المسلمين. هذا يُحتم أن تكون هناك "عشر أواخر" موحدة. هذا هو الرأي الأرجح عندي لوجود النصوص القرآنية التي ذكرت سابقاً ولأقوال عديدة لسيدنا رسول الله ﷺ: مثلاً، عن طلوع الشمس صباح يوم القدر «حَدَّثَنِي عَبْدُهُ عَنْ زِرِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ يَقُولُ، وَقِيلَ لَهُ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ

يَقُولُ: مَنْ قَامَ السَّنَةَ أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ (يَحْلِفُ مَا يَسْتُنِينِي). وَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ. هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرْنَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا: هِيَ لَيْلَةُ صَبِيحَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بِيَضَاءٍ لَا شُعَاعَ لَهَا» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ؛ أَي: أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ عَلَى كُلِّ أَرْجَاءِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَبِالتَّالِيِ عَلَى كُلِّ سَكَانِهَا (مُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ) بِيَضَاءٍ لَا شُعَاعَ لَهَا. لِهَذَا، فَإِنْ كُلُّ أَرْضٍ تَطْلُعَ عَلَيْهَا الشَّمْسُ فِي نَفْسِ الْيَوْمِ لَا يَصِحُّ لَهَا أَنْ تُدْخَلَ رَمَضَانَ إِلَّا فِي نَفْسِ الْيَوْمِ حَتَّى وَإِنْ ادَّعَتِ الرَّؤْيِيَّةُ - فَادْعَاءُ الرَّؤْيِيَّةِ هُنَا بَاطِلٌ فَرِيْمَا تَوْهَمٌ<sup>٢٤</sup> الشَّاهِدِ أَوْ غَلَطٌ<sup>٢٥</sup> أَوْ كَذِبٌ<sup>٢٦</sup> أَوْ كَانَ جَاهِلًا بِأَلْيَاتِ رُؤْيِيَةِ الْهَلَالِ. إِنْ الشَّمْسُ حِينَ تَسْطَعُ عَلَى كَوْكَبِ الْأَرْضِ لَا تَعْتَرِفُ بِالْحُدُودِ الدَّوْلِيَّةِ وَلَا بَعْدَمِ التَّنَاسُقِ الذَّاتِيِّ أَوْ الْمَذْهَبِيِّ. هَذَا الشَّاهِدُ الْكَوْنِيُّ يَعْطِي دَلِيلًا مَادِيًّا لِتَوْحِيدِ دُخُولِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَبِالتَّالِيِ تَوْحِيدِ دُخُولِ الْعِشْرِ الْأَوَّخِرِ وَبِالتَّالِيِ تَوْحِيدِ دُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

كذلك أمر السماء والجنة والنار والشياطين والجن، فعن «أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَعَلَّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلِّسَتْ الشَّيَاطِينُ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَحْمَدُ وَمَالِكٌ وَالدَّارِمِيُّ وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ، وَلِمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ [أَوْ] إِذَا جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ». وَلَكِنْ هُنَاكَ حَدِيثٌ أَدْقٌ وَأَوْضَحُ مِنْ السَّابِقِ: فـ«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ وَعَلَّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُعْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَفْصِرْ. وَلِلَّهِ عِتْقَاءٌ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ. إِنْ الْأَحَادِيثُ السَّابِقَةُ وَغَيْرِهَا كَثِيرٌ تَشِيرُ بِوَضُوحٍ إِلَى أَنَّ هُنَاكَ شَهْرًا وَاحِدًا وَبَدَايَةَ وَاحِدَةً وَلَيْلَةَ دُخُولِ مَوْحِدَةٍ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ بَقَاعِ اللَّهِ. إِنْ الْبَدِيلُ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الْوَاضِحَةِ

هو أن تُؤوَّل، أو تُعدَّد مواعيد طلوع الشمس ومواعيد فتح أبواب السماوات ومواعيد فتح أبواب الجنة والنار ومواعيد تصفيد الشياطين والجن لتناسب مفهوم تعدد المطالع؛ ولكن هذا يعني حتمًا - إذا كان رأي تعدد المطالع صحيحًا - أن البنية الداخلية للشريعة الإسلامية غير متناسقة.

لا شك أن سيادة الدولة في العصر الحديث تضم أجواءها ولكن قطعًا تلك الأجواء لا تصل إلى السماوات العُلا ولا إلى أبوابها. ولا شك أن المؤمنين يتنافسون في الأعمال الصالحة ولكن الشرع لا ينظر إلى المسلمين كشراذم ولا إلى أرض الله كقطع مستقلة. فحين يقول سيدنا رسول الله ﷺ: «فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ (الْجَنَّةِ) وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ» فهو يعني كل الأبواب، وفي أول ليلة من رمضان «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ» والتي لا توجد ليلة غيرها بدون أي اعتبار لأي حدود سياسية أو قرارات سيادية. فسيدنا رسول الله ﷺ ربط الصيام ببدء الشهر وفي أول ليلة منه وليس بدء مسلمين الصيام. فالحديث الشريف السابق لا يُفهم منه أن تفتح وتغلق أبواب السماء والجنة والنار وتصفد الشياطين أربع مرات (أو حتى اثنتين) في أربع ليال متتالية وينتظر الملاء الأعلى حتى ينتهي آخر مسلم أو جماعة أو دولة من "شهرهم" وقد انتهى غيرهم. باختصار، إن المراد هو أن الظاهرة الطبيعية والتي حددها الشرع لكل المسلمين هي في وحدة بقاع أرض الله ووحدة زمنه وليس تعدد أي منهما.

إن البديل هو وجود أقل من "عشر أو آخر" ولا بديل آخر هناك: إنها حتمية منطقية لا فرار منها. في مثالنا السابق الجدول ٢ توجد ستة أو آخر. قد توجد تسع أو ثمان أو سبع أو حتى أربع أو آخر أو أقل من ذلك. لكن لا يمكن أن توجد "عشر أو آخر" إلا إذا اتحد المسلمون في دخول الشهر وبالتالي اتحاد دخول العشر الأواخر ووحدة ليلة القدر واتحاد العيد. أما من يقول إنه يجوز أن يذهب كل بليلة قدره، كما يذهب برمضانه وعشر أو آخره وعيده (فيجب عليه أيضًا أن يقر - دينيًا طبعًا وليس سياسيًا - أنه يجوز أن يذهب كل بوقفة عرفته! إن التناسق الذاتي يحتم ذلك)، فإنه يكون في مخالفة

صريحة مع نصوص قرآنية: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ...﴾ البقرة: ١٨٥، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ...﴾ الدخان: ٣، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ القدر، والنصوص النبوية السابقة تبين أن الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون يومًا، وأنها عشر أواخر، وأن دخول رمضان موحد؛ لا مفر من ذلك ولا بديل لذلك<sup>٣٧</sup>.

لكن قد يحتج أحدهم بما أخرجه ابن ماجه وأبو داود والترمذي «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: الصَّوْمُ يَوْمَ تَصُومُونَ وَالْفِطْرُ يَوْمَ تُفْطِرُونَ وَالْأَضْحَى يَوْمَ تُضْحُونَ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَفَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِنَّمَا مَعْنَى هَذَا أَنَّ الصَّوْمَ وَالْفِطْرَ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَعَظْمِ النَّاسِ». إذن، يقول المُحتج: في أي وقت يصوم المسلمون فإن صيامهم مقبول. هذا صحيح على شرط أن يصوم كل المسلمين في وقت واحد، وليس مسلمون هنا ومسلمون هناك في أوقات مختلفة. إن سيدنا رسول الله ﷺ لم يُرسل إلى جماعة واحدة فقط وهدّيه ﷺ لم يُوجه لجماعات متفرقة، بل أرسل سيدنا محمد ﷺ لكافة الناس وشرعه لا يُجزأ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ سبأ، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ آل عمران: ١٠٣. ولقد اختلف في شرح هذا الحديث، فمن قائل: إن الخطأ مرفوع عن الناس فيما كان سبيله الاجتهاد وإنما هو تخفيف من الله سبحانه ورفق بعباده. وقيل فيه إشارة إلى أن يوم الشك لا يصام احتياطًا وإنما الصوم يوم يصوم الناس. وقيل إنه إخبار بأن الناس يتحزبون أحزابًا ويخالفون الهدى النبوي<sup>٣٨</sup>، وهذا والله هو واقع المسلمين الآن.

من جهة أخرى نتذكر أن وحدة المصدر في صنع الله لهذا الكون وتنزيله لهذه الشريعة تتطلب عدم التناقض بين الاثنين حتى وإن ظهر لنا أن بعض الظواهر الطبيعية خادعة أو تظهر على غير حقيقتها. خذ مثلاً ظاهرة السراب، للرائي هو ماء عن بعد بينما لدارس علم الطبيعة هو انكسار للضوء أثناء مروره من خلال درجات حرارة مختلفة للهواء؛ فالهواء الذي يلامس سطح الأرض

أكثر حرارة من الهواء الذي يعلو السطح وهكذا للذي يعلوه والذي يكون أكثر كثافة من الطبقة التي سبقته لأنه أبرد. حينما يمر الهواء بطبقة حارة يزيد من سرعته، وحينما يمر بطبقة أبرد يخفض من سرعته، عند خفض السرعة ينكسر الضوء فترى ماء لم يكن قط ولذا سمي سراياً. مثال آخر، الشفق الأحمر، للرئائي ألوان باهية ومنظر جميل بينما للدارس لكتاب الله المنظور هو انكسار للضوء. البرق والرعد، للمشاهد والسامع شيان مختلفان والحقيقة، أنهما نفس الظاهرة الطبيعية - شحنة كهربائية هائلة - إلا أن سرعة الضوء أسرع من سرعة الصوت فترى الظاهرة أولاً ثم تُسمع. إذن، إن الذي خلق هذه الظواهر الطبيعية لتحديد تكاليف شرعية يعلم كيف تظهر وتعمل ويعلم قُصورها. ولقد علم نبي الرحمة سيدنا محمد ﷺ ذلك، ألم يقل «إِن أُعْمِيَ عَلَيْكُمْ». فظهور الهلال كظاهرة طبيعية قد يكون له قصور في بعض الأوقات كالسحاب. فهل إذا لم ير مسلمون الهلال لليلة واحدة أو عدة ليال يسقط الصيام؟ كلا. قد يسأل سائل: كيف يجعل الله لنا ظاهرة طبيعية كوسيلة ثم يحجبها عنا؟ إن من جعل هذه الظاهرة هو نفسه الذي حجبها، فكون الله نظام متكامل. وهنا يأتي دور البدائل وهنا تظهر رحمة الله بعباده، فالتكليف الشرعي هو الأصل ولا يسقط، سواء وُجِدَت الوسيلة الأصلية أم لم توجد فالقصد هو عبادة الصيام وليس الظاهرة الطبيعية بحد ذاتها وما الهلال إلا وسيلة للعبادة<sup>٣٩</sup>. وهذا يعطي تفسيراً للحديث «الصوم يوم تصومون...»؛ أي: أن القصد هو الصيام وليس مشقة التوقيت بمعرفة مواقع وأوجه القمر ومنازله. أما وقد عُرفت وعُظمت وسُهِّلت، فطريقة التوقيت هي التي تغيرت.

لننظر إلى دور الظواهر الطبيعية من زاوية أخرى. إن الإسلام لم يُشرع قط أي ظاهرة طبيعية بجعلها عبادة ﴿... لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]؛ أي: لا تعبدوا الشمس ولا القمر ولا أيًا من آياتهما. يؤيد ذلك نصوص شرعية أخرى توضح أن القيام ببعض العبادات عند مصاحبة ظاهرة طبيعية إما أن يكون محرماً (الصلاة عند غروب الشمس أو شروقها) أو مكروهاً (الصلاة قبل

غروب الشمس أو بعد شروقها بقليل) أو توضيحًا لسبب وجوب أن تؤدى العبادة عند وخلال الظاهرة الطبيعية، مثلاً الكسوف والخسوف. «عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى يَوْمَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ... وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ» أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد ومالك والدارمي وهذا لفظ البخاري. فهل من الفقه في شيء القول بأن الخسوف/الكسوف بحد ذاتهما عبادة لأن حدوث أي منهما يترتب عليه عبادة ولأن هناك نصًا شرعيًا؟ إن الآية ٣٧ من فصلت تحرم اتخاذ ظهور الهلال عبادة، أما رؤيته (إذا أمكن) عند ظهوره (لبضع دقائق فقط) فهي وسيلة لبدء عبادة الصوم.

إن الحل هو في فهم مقصد استخدام الشرع للظواهر الطبيعية وليس في جعلها عبادة بدون أي مبرر. فالشريعة الإسلامية لا يمكن أن تُطبَّق إلا في كتاب الله المنظور بظواهره وقوانينه الطبيعية ومكوناته المادية والبشرية والتي خلقها الله وحده سبحانه.

هناك الكثير من التكاليف الشرعية التي لا يمكن إقامتها إلا بمعرفة وتحديد الظواهر الطبيعية الشرعية المُحدَّدة لها. من هنا تكون معرفة الظواهر الطبيعية اللازمة لتكليف شرعي واجبة شرعًا، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. بعبارة أخرى، إذا كانت معرفة الظواهر الطبيعية (يسمىها الشيخ محمد صالح العثيمين بعلم التسيير) هو لكي "... يستدل بسيرها على المصالح الدينية، فهذا مطلوب وإذا كان على مصالح دينية واجبة كان ذلك واجبًا"<sup>٣٠</sup>. كما أن الجهل بالظواهر الطبيعية وآلياتها ووسائلها، التي وصل إليها العلم الحديث الآن، لا يعطي دليلًا شرعيًا بعدم شرعية استخدامها أو عدم شرعية البديل. هذه المعرفة الحديثة بالظاهرة الطبيعية الأصلية قد تجعل من استخدام البديل الأصلي في وقت معين أو زمن معين غير ضروري. فالغم في «فإن غم

عليكم» جاء بديله حسابياً «فعدوا ثلاثين» هو تيسير وتبسيط من المُشرع لمن لا يعلم الظاهرة الطبيعية وآلياتها المختصة؛ أي: مواقع الهلال. فما يَسِّرُه الله لنا من معرفة دقيقة لبعض سننه الكونية في عصرنا الحاضر تجعل البديل السابق «فعدوا ثلاثين» غير ضروري لِيُسِّرَ وسهولة تحقيق الظاهرة الطبيعية الأصلية كاملة وهي دخول وخروج الشهر؛ أي: مواقع الهلال.

هذه الآليات التي أوضحها العلم الحديث وعممتها التقنية المعاصرة هي الواقع حالياً بالنسبة لدخول أوقات الصلوات الخمس. فكثير من المساجد الكبيرة في جميع أنحاء العالم (بما في ذلك الحرمين الشريفين) تعلق جداول أو ساعات إلكترونية تحدد أوقات الصلوات الخمس مسبقاً أي ١,٧٧٠ مرة في السنة (منها ١٥٠ مرة في رمضان زائد ٣٠ للسحور). فلماذا لا تُستخدم جداول (أي تقاويم) لتحديد دخول الشهور العربية وبالذات رمضان (مرة واحدة في السنة) وشوال (مرة واحدة) والحج (مرة واحدة) وكلها أركان وكلها أتت فيها نصوص شرعية؟ لماذا لا يكون هناك تناسق في أفهامنا في استخدام الظواهر الطبيعية في كل التكاليف الشرعية؟ لماذا نقبل استخدام الحساب في الصلوات والإمساك والإفطار والقيام بالشعائر في أيام الحج ولا نقبل استخدامه في دخول رمضان والعيد والوقوف بعرفات؟

إن الحل هو: أن هناك علوماً أخرى يجب على الفقيه أن يعلمها ويفقهها في كتاب الله المنظور كما عِلِمَ وَفَقِهَ الشرع في كتاب الله المسطور، وبنفس القدر، وإلا اختل التناسق في فهم العِلْمين وبالتالي الحكم الفقهي.



## الفصل الرابع

### ﴿وَالْقَمَرَ بِحُسْبَانٍ﴾

#### آية القمر

يعتمد تحديد دخول أشهر رمضان وشوال وذو الحجة (وبقية الشهور العربية) على ظاهرة طبيعية هي وجود الهلال في وقت ومكان معينين: بعد غروب الشمس وفي جهة الغرب. فلإمكانية رؤية الهلال عند بزوغه في أول ليلة لا بد من توفر نوعين من الشروط:

أولاً: ثلاثة شروط ضرورية وبهذا التسلسل:

- أن يولد الهلال new moon ويسمى المَحَاق (أي النقص وذهاب نوره) أو الإقْتِرَان أو التقاء النيرين، وهو وقوع مراكز الشمس والقمر والأرض على خط طول سماوي واحد وبهذا التسلسل (ويستخدم علم الفلك هذه الطريقة لبدء الشهر القمري الاقتراني synodic month). علماً أن ولادة الهلال يجب أن تكون قبل غروب الشمس حتى وإن غرب الهلال بعد غروبها.

- أن تغرب الشمس أولاً ثم يغرب الهلال (من جهة الغرب، حيث لا علاقة لرؤية الهلال بعد صلاة الفجر من جهة الشرق، فهذا هلال آخر الشهر وقطعاً ليس هلال أول الشهر كما هو مطلوب. إضافة إلى ذلك، أن الهلال في يوم مولده يشرق بعد شروق الشمس، فأنى يروه!).

- أن يكون هناك وقت كاف بين الغروبين وإلا طغى ضياء الشمس على نور الهلال النحيل مما يجعل "رؤية" الهلال مستحيلة - كم من المرات يا ترى



ادعى أفراد ذلك؟ في الحقيقة، ادعاء الرؤية هذه ربما لم يأت من فراغ. فكثيراً ما يتواجد كوكب الزهرة (الشكل ١) من قَبْل غروب الشمس إلى ما بعد غروبها (وأحياناً أخرى من قبل صلاة الفجر إلى ما بعد شروق الشمس. إذا رُئي كوكب الزهرة في الغرب فلا يُشاهد في الشرق في نفس اليوم، والعكس صحيح) ولمدة أكثر من ساعة تقريباً وقد يكون موقع كوكب الزهرة بجوار موقع هلال أول الشهر. أحياناً يظهر كوكب الزهرة كهلال<sup>٢</sup> نحيل<sup>٣</sup> (الشكل ١) وأحياناً أخرى "كنجم" ساطع أشد لمعاناً من أي كوكب أو نجم آخر. ولعل حادّي البصر، حين يكون كوكب الزهرة على هيئة هلال، يشكّل عليهم ويظنون أنه الهلال المطلوب.



الشكل ١: كوكب الزهرة وهو يبدو كالهلال



الشكل ٢: خط التوقيت

**ثانيًا:** لا بد من توفر الشرط الكافي وهو تحديد بداية اليوم (زمنًا وموقعًا) وبالتالي تحديد الشهر والسنة لكل الكرة الأرضية. إن أي نقطة على أي شكل كروي sphere هي نقطة بداية ونهاية في نفس الوقت. ولكن هذا أمر غير حاسم، فللبشر وحدات زمنية طبيعية هي اليوم والشهر والسنة ولكل منها بداية ونهاية طبيعية. ولكن من أين تبدأ الدورة؟ ونسبة إلى ماذا؟ أي، من أين يبدأ اليوم؟ عمليًا، يبدأ اليوم على سطح الكرة الأرضية من خط التوقيت الدولي غير المطابق لخط الطول  $180^\circ$  شرقًا (الشكل ٢)، ونسبة إلى الشمس. معنى خط التوقيت هو أنه لا يمكن لدولة ما أن تبدأ أي يوم قبل أن يبدأ على هذا الخط؛ فلا أستراليا أو اليابان أو الهند أو اليونان أو أي دولة تستطيع أن تعلن، مثلًا، يوم السبت قبل أن يكون السبت قد بدأ على خط التوقيت، وإذا بدأ فهو لكل الأرض. لاحظ أن خط الطول  $180^\circ$  شرقًا يمتد بشكل مستقيم من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي، بينما خط التوقيت غير مستقيم ويُقسّم بشكل غير طبيعي النهار والليل وهو بهذا الشكل يثبت أنه وضعي. هذا

الخط وإن كان أصلاً يخص التاريخ الميلادي (أي فرضه الأوروبيون) إلا أنه أصبح عالمياً. ولكن هل هو مناسب للتقويم الهجري؟ لا. كيف؟ سنرى عما قليل.

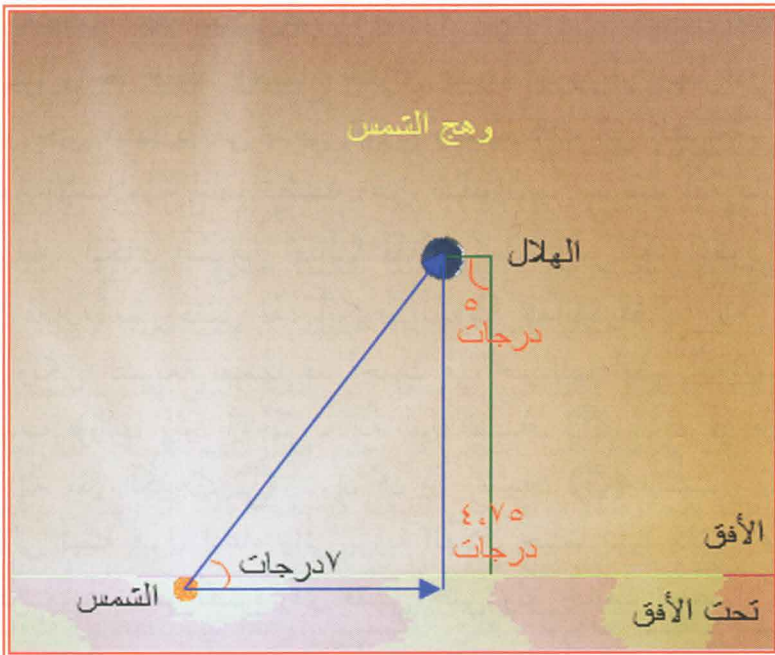
ولكن ماذا يعني أن يكون هناك وقت كاف بين غروب الشمس أولاً ثم غروب الهلال؟ هذه نقطة فنية ربما تحتاج إلى شرح علمي مبسط<sup>٤</sup>. في الفترة ٢٦-٢٩ ذي الحجة ١٣٩٨هـ (٢٧-٣٠ نوفمبر ١٩٧٨م) انعقد في اسطنبول، تركيا مؤتمر تحديد أوائل الشهور القمرية. هذا المؤتمر قنن النص<sup>٥</sup> الشرعي لإمكانية رؤية الهلال في صيغة علمية واتخذ، ضمن توصيات أخرى، التوصية التالية:

لإمكانية رؤية الهلال بالعين المجردة لعموم البشر لا بد من توفر شرطين أساسيين (بالإضافة إلى ما سبق) هما:

١- ألا تقل زاوية ارتفاع **altitude** القمر عن الأفق بعد غروب الشمس مباشرة عن  $5^\circ$ ، لأن رؤية أي جرم سماوي عند أقل من  $5^\circ$  تصبح متعذرة نظراً لكثافة الغلاف الجوي ودرجة الحرارة وتساعد الرطوبة والغبرة والأبخرة والغازات وانعكاس **reflection** وانكسار **refraction** الأضواء<sup>٦</sup> ووجود تلال والتي قد يصل ارتفاعها الظاهري في الأفق إلى أكبر من  $3^\circ$ ، وحدة بصر الرائي وأمانته. إلا أن هذه العوامل متغيرة وبالتالي تختلف من زمان ومكان إلى آخر وبالتالي تؤثر قليلاً في قيمة الزاوية.

٢- أن لا يقل البعد الزاوي<sup>٧</sup> **angular separation** بين الشمس والقمر بعد غروب الشمس عن  $8^\circ$ ، علماً أن بداية الرؤية بالعين المجردة قد تحصل بين ٧ و ٨ درجات. وإنما اتفق على  $8^\circ$  على سبيل الاحتياط، لأن ضياء الشمس الهائل يغطي نور الهلال النحيل كلما اقترب القمر من الشمس؛ ولكن في هذا الكتاب سوف نأخذ بـ  $7^\circ$ . وهج الشمس يكاد يعتبر ثابتاً على مدار السنة للعين البشرية وإن كان البعض يلجأ إلى وسيلة لحجب شيء من وهجها بدون حجب الهلال.

وبهذا الأساس يمكن رؤية الهلال بالعين المجردة لعموم البشر في الأحوال العادية<sup>٤</sup>. حينما تتحقق هذه الشروط يبدأ اليوم والشهر والسنة القمرية في نفس الوقت عند مكان واحد معين. علمًا أن حساب زاوية الارتفاع والبعث الزاوي بين الشمس والقمر يتَّمان من مركز قرص الشمس ومركز قرص القمر وليس من الحافة العلوية للشمس والحافة السفلية للقمر. إذا أردنا حساب زاوية الارتفاع من الحافة العلوية للأفق - إذا كان الأفق مسطحًا تمامًا بدون أي هضاب أو تلال - إلى الحافة السفلية للقمر (الشكل ٣)، فتكون قيمة الزاوية الحقيقية  $4,75^\circ$ ، وتكون قيمة زاوية انفصال القمر عن الشمس الحقيقية  $6,50^\circ$  (لأن مساحة كل من قرص القمر والشمس تساوي تقريبًا  $\frac{1}{3}$  للرائي، لذا فإننا نحتاج إلى تنقيص  $\frac{1}{3}$  لكل من مركز قرص القمر ومركز قرص الشمس إلى حافة كل منهما).



الشكل ٣: زوايا مواقع الشمس والقمر

أخيرًا، بهذا التعريف يكون قد أعطينا تعريفًا شاملًا وكاملًا لبدء الشهر القمري؛ شامل لأنه شمل الزمان، وكامل لأنه حدّد المكان كما هو حال اليوم. بعبارة أخرى، لا بد من مكان يبدأ منه الشهر ثم يتدرج (كاليوم) ثم يعمّ الشهر كل الكرة الأرضية (كاليوم). ألا ترى أن يناير/كانون الثاني (وبالتالي السنة) أو أي شهر يبدأ في كل الكرة الأرضية في وقت واحد عند خط التوقيت الدولي ثم يتدرج دخوله؟ بلى. إننا نحن المسلمين أولى بذلك لكل شهر من شهورنا القمرية؛ سواءً كان أيّ منها شهر عبادة أم لا.

كلمة أخيرة عن هذين المعيارين، زاوية الارتفاع والبعد الزاوي. بعض الأفراد والتقاويم لا يودون أن يأخذوا هذين المعيارين ويكتفون بمعيار ميلاد الهلال قبل غروب الشمس وغروب الهلال بعد غروب الشمس (وهما شرطان ضروريان ولكنهما ليسا كافيين لرؤية الهلال، وقد كان هناك زمن لم يؤخذ حتى بهذين الشرطين الضروريين). إن هذين الشرطين الضروريين لا يُعيران اهتمامًا لُبعد الهلال عن الأفق ولا لُبُعدَه عن الشمس. هذا سلوك يعني شيئًا واحدًا فقط: إخضاع حقائق علمية لهوى أو خطأ أو توهم أو كذب أو حتى انتهازية من يدعي الرؤية ونسب ذلك إلى الشريعة. وحسب الشريعة الإسلامية أنها نصّت «عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ نَعَمْ. فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فَقَالَ: لَا». أخرجه مالك، ولكن الشريعة نفسها قد أخذت في حسابها أيضًا أن المسلم قد يكذب ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ... إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾... إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾... إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾... إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾ النور. ولعل الدافع إلى تهئية قبول إدعاء رائي برؤية الهلال حينما تشير دلائل علمية أنه لا يمكن رؤيته، هو نُصرة رأي فقهي حتى ولو خالف تحصيل وتدريب أكاديمي.

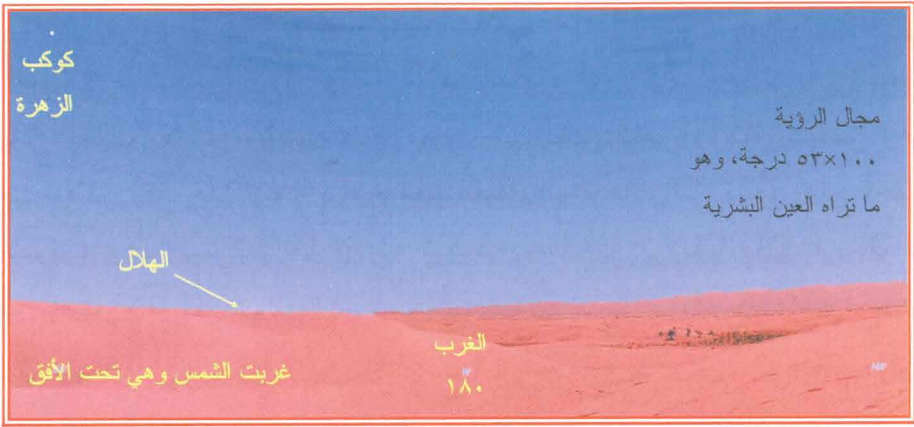
هناك من يثير تساؤلًا حول مقدار الزاويتين: ٥ و ٧ درجات. فماذا لو

كانت زاوية ارتفاع الهلال عن الأفق تساوي  $59^\circ 4'$  (أي ٤ درجات و٥٩ دقيقة قوسية)، و/أو زاوية بعد القمر عن الشمس  $59^\circ 6'$ ؟ هل نقول إنه لا يمكن رؤية الهلال؟ وهو تساؤل جيد ولكنه ماكر. جيد، لأن هذه القيم ليست كلامًا منزلاً ولكنها بُنيت على علم وخبرة وقال بها علماء فلِكَ مسلمون وغيرهم، كما أن هناك عوامل أخرى مثل مدة مكث القمر. وماكر، لأنه لو كانت الإجابة نعم، فسيعودون برقم أقل بدقيقة قوسية من الزاوية السابقة، إلى  $58^\circ 4'$  أو  $58^\circ 6'$ ، ثم  $57^\circ 4'$  أو  $57^\circ 6'$  وهكذا في لعبة الأرقام المتنازلة. ولو كانت الإجابة بلا، لادعوا: ولكن هناك شواهد تؤيد رؤية الهلال عند هذه القيم. والحقيقة، أن المعايير، سواءً كانت اصطلاحية أو طبيعية أو قانونية أو علمية، هي محددات فاصلة - فالريال ١٠٠ هللة بينما ٩٩ هللة لا تعتبر ريالاً، و١ مليون ريال يعتبر مليوناً بينما ٩٩٩,٩٩٩ ريالاً ليست مليوناً، والصائم لا يفطر وصلاة المغرب لا يبدأ وقتها ولو بثوان قليلة حتى تختفي الحافة العلوية لقرص الشمس. والثوابت الطبيعية *the constants of Nature* في الكون لها محدداتها مثل الكتلة والوزن والشحنة. فكتلة البروتون في حالة السكون مثلاً، تساوي  $1.6726231 \times 10^{-24}$  جرام أو بصيغة رياضية  $1.6726231 \times 10^{-24}$  جرام (أما كتلة الإلكترون فهو أصغر من ذلك بكثير جداً). ولو أننا نقصنا صفرًا واحدًا من هذه الثلاثة والعشرون صفرًا لاختلف الكون كله، حقيقة. وعيب لعبة الأرقام المتنازلة أن أهلها لا يعطون قيمًا كي لا يقعوا في الفخ الذي يظنون أنهم ينصبونه لغيرهم. وهم يعرفون هذا النقص في عدم مشاركتهم بقيمة، لذا بعد ضغط عليهم يأتون بقيمة صفر، أو حتى نصف درجة، لكلا الزاويتين. وهذا نقص أكبر من سابقه، لأن زاوية صفر للبعد الزاوي بين الشمس والقمر يعني بالضرورة أن القمر ظاهريًا "على" الشمس، وهذا ليس فقط الاقتران (وهذا يخالف شرطهم في وجوب حدوث الاقتران قبل الغروب) بل أيضًا كسوف كلي للشمس لمنطقة ما وعند الغروب، وهذا نادر. أما صفر لزاوية الارتفاع

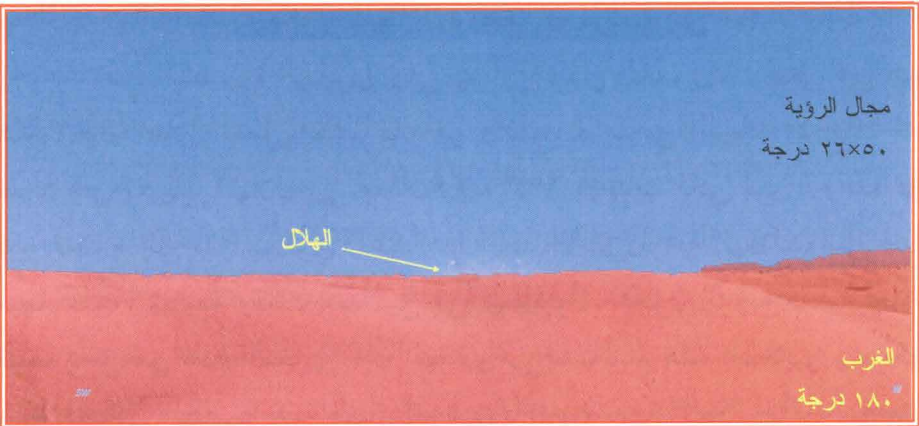
فيعني أن النصف السفلي للقمر؛ أي: الهلال، تحت الأفق (تذكر أن حساب زاوية الارتفاع يتم من حافة الأفق إلى مركز القمر وليس إلى الحافة السفلية للهلال)، وهذا مرفوض لأنه أيضًا يخالف شرطهم في وجوب غروب القمر بعد غروب الشمس. إذن، لا بد من قيم موجبة لكلا الزاويتين، وهنا تختلف الآراء ولا بأس بذلك. أخيرًا، إن الأفق هنا هو الذي يشبه البحر؛ أي: لا تلال أو هضاب، فهذه تحجب الرؤية بحوالي ٣ درجات، اعتمادًا على حجمها وبعُد الرائي منها. الآن، إذا أضفتَ إلى كل ذلك كثافة الغلاف الجوي ودرجة الحرارة وتساعد الرطوبة والغبرة والأبخرة والغازات وانعكاس وانكسار الأضواء وارتفاع الرائي عن سطح المكان الذي فيه ونية الرائي لوُصِّحَ حقيقة ادعاء الرؤية؛ أنه مجرد ادعاء إذا لم يؤيدها العلم.

لنترجم الشرح السابق بصور تحاكي الواقع الفلكي. الهدف هو شرح مدى إمكانية رؤية الهلال بمحاكاة الواقع وذلك عبر برامج علم فلك عالية الدقة. سنستخدم عدة مجالات رؤية متدرجة في صور تحاكي واقع ليلة هلال رمضان ١٤٢١هـ الموافق ٢٦-١١-٢٠٠٠م لإحداثيات مكة المكرمة. لقد كانت زاوية ارتفاع الهلال فوق الأفق تساوي ٦ درجات و٧ دقائق قوسية، بينما بلغت زاوية انفصال القمر عن الشمس ٧ درجات و١ دقيقة قوسية، ومكث القمر في الأفق ٣٢ دقيقة حتى مغيبه؛ وكل هذا أكثر قليلًا من المعايير المطلوبة. في صور المحاكاة، استخدمنا أرضًا منبسطة مع هضاب قليلة الارتفاع؛ وهذا يمثل الواقع حيث يوجد دائمًا هضاب وتلال وجبال، مما يؤثر في إمكانية الرؤية أو حتى حجبها إذا كان الهلال موجودًا ولكن قريبًا من الأفق. ولكن، ما المقصود بمجال الرؤية field of view؟ كل السماء التي أمامنا، من الأفق إلى الأفق، تشتمل على ١٨٠ درجة (أي نصف دائرة أو القبة السماوية)، ولكننا لا نستطيع رؤية كل ذلك إلا إذا حركنا نظرنا من أفق إلى أفق. هذا يعني أن كمية الأفق التي يستطيع فرد ما

رؤيتها هي أقل من ١٨٠ درجة. إن ما تستطيع العين البشرية رؤيته في أي لحظة هو حوالي ١٠٠ درجة، وهذا هو مجال الرؤية. أما إذا استخدم فرد مُكَبَّرًا binocular أو مقرابًا telescope، فإنه يرى منطقة أقل من مجال الرؤية الطبيعية؛ فكلما نقص الرقم ١٠٠، صَغُرَ مجال الرؤية، أو قل إن شئت مساحة الرؤية.



الشكل ٤-أ: إمكانية رؤية الهلال



الشكل ٤-ب: إمكانية رؤية الهلال



يُظهر (الشكل ٤-أ) ما يراه أي فرد حينما يتحرى الهلال؛ أي: مدى أو مجال رؤية العين البشرية، وهي  $53 \times 100$  درجة، وليس حداثها. في مساء ٢٦-١١-٢٠٠٠م غربت الشمس في مكة المكرمة الساعة ٣٩:٥م. ورغم أن الهلال لم يغرب بعد، ولكونه قريب جدًا من الأفق، فإنه يصعب رؤيته بالعين المجردة، كما يوضح ذلك (الشكل ٤-أ). لننتقل إلى (الشكل ٤-ب).

هنا مجال الرؤية  $26 \times 50$  درجة؛ أي: أن مجال الرؤية للرائي هو نصف ما كان سابقًا. حتى هنا يصعب رؤية الهلال، خاصة لمن لا يعرف أين ينظر. لننتقل إلى (الشكل ٤-ج)، ونزيل الأفق تمامًا؛ أي: كأنما الرائي على سطح البحر، حيث يلامس الأفق سطح البحر. ثم لنُظهر قرص ووهج الشمس وهي تحت الأفق (كل هذا تُتيحه برامج علم الفلك المتقدمة والتي تُشغل على أجهزة كمبيوتر، وهذا ليس متاحًا لإدعاء شهود المستحيل برؤية الهلال في الواقع وهو تحت الأفق!).

مجال الرؤية في (الشكل ٤-ج) هو  $9 \times 18$  درجات؛ أي: أن الأفق تقلص بمقدار ٨٢ درجة من مجال الرؤية الطبيعي، أو أن فردًا استخدم مقرابًا (تلسكوبًا) قويًا لمشاهدة الهلال. (الشكل ٤-ج) يُظهر جرم القمر ولكن لا يُظهر بوضوح ذلك الجزء المنار الذي يعكس ضوء الشمس وهو ما نسميه الهلال. هنا وضعتُ صورة الهلال، بعد أن قُرِّبت إلى مجال رؤية  $6 \times 3$  درجات، فوق الصورة الكبرى وفي يسار الركن العلوي. وحتى في هذه الصورة فإن الهلال نحيل جدًا، كما هو واضح تمامًا في (الشكل ٤-ج). لقد أضرنا إلى تقريب الهلال إلى مجال رؤية  $6 \times 3$  درجات لكي يُرى، وهذه قوة تكبير تحتاج إلى مقراب قوي. عند هذا الحد الأدنى لرؤية الهلال والتي أتفق عليها علماء شريعة وفلك مسلمين في اسطنبول، تكون الرؤية صعبة جدًا، فكيف بأقل من هذه المعايير! إن الهدف من استخدام هذه المعايير وشرحها بصور تحاكي الطبيعة هو إظهار أن شهود ادعاء رؤية الهلال بأقل من هذه المعايير هو ضرب من العبث، أما لو كان الهلال تحت الأفق فهم شهود المستحيل.



#### الشكل ٤-ج: إمكانية رؤية الهلال

والسؤال هو: لماذا يضع علماء فلك مسلمين سمعتهم العلمية للتساؤل في سبيل إظهار تقواهم بتأييد اتجاه فقهي سائد دون آخر؟ هذا سؤال يُحير. لنعطي مثالاً على ذلك. في ١٤ سبتمبر ٢٠٠٤م ولد الهلال في الساعة ٥:٣٠ مساءً، وغربت الشمس في الساعة ٦:٢٩ مساءً وغرب القمر في الساعة ٦:٣٧ مساءً في قرية الفُقرة (غرب المدينة المنورة وعلى خط عرض  $44^{\circ} 19' 24''$  شرقاً وخط طول  $09^{\circ} 56' 38''$  شمالاً، و١,٩٠٠ مترًا ارتفاعًا عن سطح البحر، وتبعد حوالي ٩٠ كيلومترًا عن شاطئ البحر الأحمر؛ واختيرت هذه القرية لصفاء جوها وقلة التلوث الضوئي لتحري الهلال). عند غروب الشمس في قرية الفُقرة كانت زاوية ارتفاع القمر عن الأفق تساوي  $20^{\circ} 07' 10''$  (إذا نقصنا  $\frac{1}{4}$  درجة من القيمة السابقة فيكون البعد الحقيقي لحافة الهلال عن الأفق هو  $20^{\circ} 05' 52''$ ، أي صفر درجة و٥٢ دقيقة قوسية و٢٠ ثانية قوسية) بينما البعد الزاوي بين الشمس والقمر يساوي  $45^{\circ} 37' 02''$  (إذا نقصنا  $\frac{1}{4}$  درجة من القيمة السابقة فيكون البعد الحقيقي للحافة السفلية للهلال عن الحافة العليا للشمس هو  $45^{\circ} 07' 02''$ ). ومع كل هذه الحقائق العلمية التي توضح بشكل واضح أن رؤية الهلال مستحيلة (١- الهلال مكث فقط أقل من ٨ دقائق ثم غرب؛ ٢- عُمر الهلال ١ ساعة و٧ دقائق بينما يُحتاج إلى حوالي ١٥ ساعة لتشكيله ومن ثم رؤية مساحة الجزء المنير من القمر؛ ٣- الهلال كان ملامسًا

للأفق؛ ٤- الهلال كان قريبًا جدًا من الشمس وبالتالي فضاءها يغمر قرص القمر)، ادعى البعض أنه رآه. نستنتج أن جعل ١-٨-١٤٢٥هـ يساوي ١٥-٩-٢٠٠٤م لا يوافق المعايير العلمية السابقة، وكان الأولى أن يبدأ شعبان ١٤٢٥هـ في يوم الخميس ١٦-٩-٢٠٠٠م.



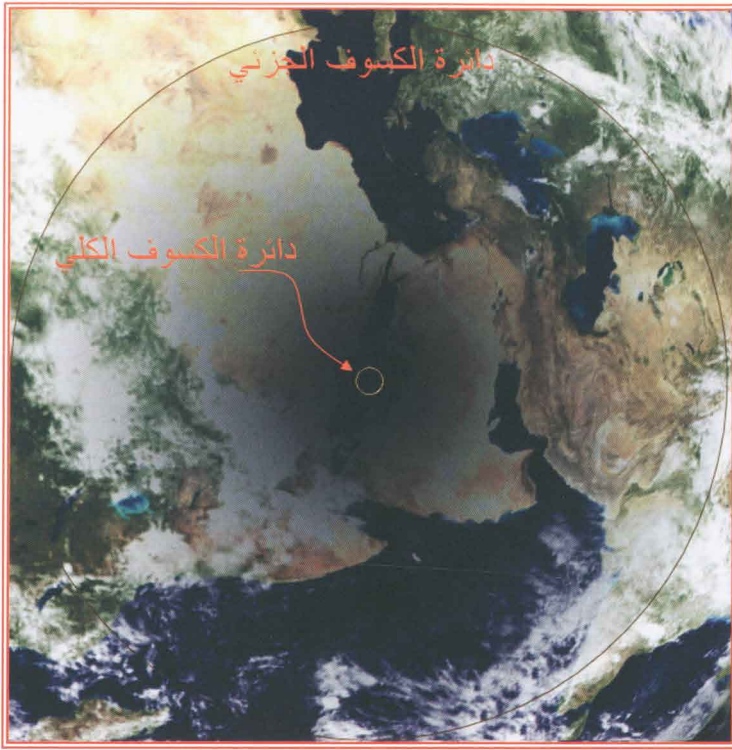
الشكل ٥-أ: خط كسوف الشمس

### الاقتران المركزي والاقتران السطحي وكسوف الشمس

ذكر سابقًا أنه لكي يبدأ الشهر لا بد أن يحصل الاقتران، والمقصود هو الاقتران المركزي. هناك نوعان من الاقتران: الاقتران المركزي geocentric والاقتران السطحي topocentric. يأخذ علم الفلك، لحساب الدورة القمرية،

بالاقتران المركزي كبداية لهذه الدورة، وهو الوقت الذي تكون فيه مراكز الشمس والقمر والأرض على خط سماوي واحد، وهو اقتران حسابي ثابت في الزمن (مرة في الشهر) والموقع (موقع ما على الأرض متغير شهريًا). ويُعرف الاقتران المركزي حين يكون الوجه المظلم للقمر مواجهًا للأرض، ولا يُرى وجه القمر المظلم من على الأرض إلا في حالة كسوف الشمس الكلي. وفي منطقة واحدة فقط من خط كسوف الشمس **totality line** على سطح الكرة الأرضية يكون الاقتران المركزي. أما الاقتران السطحي فهو الوقت الذي يكون فيه مركزا الشمس والقمر وموقع على سطح الأرض على خط سماوي واحد، وهو اقتران مُشاهد ومتغير في الزمن والموقع. ويُشاهد أي مُلاحظ من على سطح الأرض قرص الشمس وقد غطاه قرص القمر الأسود على طول خط كسوف الشمس. يوضح (الشكل ٥-أ) خط كسوف الشمس للكسوف الذي سوف يحصل فوق مكة المكرمة<sup>١</sup> بإذن ربه في يوم الاثنين ٢٩ صفر ١٤٤٩هـ الموافق (٢ آب/أغسطس ٢٠٢٧م). أما (الشكل ٥-ب) فهو محاكاة لنفس الكسوف فوق مكة المكرمة زادها الله قدسيةً. لاحظ أن هناك دائرتين في (الشكل ٥-ب): دائرة صغرى وهي دائرة الكسوف الكلي، ودائرة كبرى وهي دائرة كسوف الشمس. ويُرى الكسوف الكلي فوق خط كسوف الشمس فقط (الشكل ٥-أ) أو في الدائرة الصغرى (الشكل ٥-ب)، ويتدرج الكسوف الكلي إلى كسوف جزئي كلما ابتعدنا يمينًا ويسارًا عن خط كسوف الشمس (الدائرة الصغرى)، ولا يُرى الكسوف خارج دائرة كسوف الشمس.

ويظن البعض أن الكون يضطرب وتحدث كوارث كونية وحتى زلازل (هكذا سمعتها من أحد كبار العلماء وبعض الشيوخ)<sup>٢</sup>. ولم يرد هذا أو ما يشبهه قط في كتاب الله أو سنة نبيه سيدنا محمد ﷺ، وهو من الظن الخاطيء لما خلق الله. وحتى إذا قصد بـ "الكون" الأرض، فالحقيقة القطعية هي: أن كل ما يحدث هو انحباس ضوء الشمس - كليًا أو جزئيًا - لبضع دقائق عن منطقة صغيرة على سطح الأرض ثم تعود الحياة إلى طبيعتها. ولكن لُوحظ أن الحيوانات والطيور تضطرب خلال الكسوف الكلي ثم تعود إلى طبيعتها. هذا كل ما في الأمر.



الشكل ه-ب: كسوف كلي لشمس فوق مكة

## متى يبدأ اليوم والشهر؟

لا يمكن وضع تقويم هجري إسلامي؛ أي: توحيد الأهلة، لكل المسلمين لأداء ركني الصيام والحج وأي شعائر أخرى (أو حتى تقويم مدني) إلا إذا عُرِّف متى وأين يبدأ اليوم والشهر وعلى أسس إسلامية. هناك اختلافان جذريان بين التقويم الهجري القمري المعتمد على فلك القمر حول الأرض والتقويم الميلادي الشمسي المعتمد على فلك الأرض حول الشمس. أول هذين الاختلافين: أن اليوم في التقويم الهجري الإسلامي (ويسمى التوقيت الغربي أو العربي) يبدأ زمنياً بعد غروب الشمس رأساً، وهي طريقة تحديد طبيعية، لهذا هي من الله سبحانه: ﴿... ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ...﴾ البقرة: ١٨٧؛ أي: إلى غروب الشمس. إن اليوم في التقويم الهجري يبدأ بالليل وليس بالنهار (هذه البداية الطبيعية، كما سنرى في نهاية الفصل الخامس، تحل

إشكالاً فلكياً يثيره بعض متشددي الرؤية البصرية للهلال وهي حدوث الاقتران بعد غروب الشمس وغروب الهلال. المسألة باختصار، إذا غربت الشمس ثم غرب الهلال ثم حدث الاقتران فلا يعتد برؤية الهلال - بافتراض إمكانيتها - لأن الاقتران حدث في بداية اليوم التالي). وثانيهما: أن الشهر في التقويم الهجري يبدأ زمنياً بظهور الهلال من جهة الغرب وبعد نفس غروب شمس ذلك اليوم (أي، الشهر يبدأ مع بداية اليوم)، وهذه أيضاً طريقة تحديد طبيعية. أي أن اليوم والشهر وحدتان زمنيتان طبيعيتان لأنهما استخدمتا لتحديداهما ظاهرتين طبيعيتين ويبدأن في نفس اللحظة<sup>١٢</sup>. في التقويم الميلادي الغربي - والسائد تقريباً في جميع الدول بما في ذلك الإسلامية - يبدأ اليوم الساعة ١٢:٠٠ ليلاً، ويسمى التوقيت الزوالي (الذي يفترض أن فلك الأرض حول الشمس دائري circular بينما هو إهليلجي elliptical وأن سرعة دوران الأرض حول الشمس ثابتة بينما هي متغيرة). أما الشهر الشمسي فيبدأ عند خط التوقيت بعد تراكم أيام محددة تختلف من ٢٨ إلى ٣١ يوماً. هناك اختلاف آخر بين التقويمين الهجري والشمسي فيما يخص طول السنة، فطول السنة الشمسية هو ٣٦٥,٢٤٢٢ يوماً بينما طول السنة القمرية هو ٣٥٤,٣٦٧١ يوماً، بفارق قدره حوالي ١١ يوماً.

### التوقيت الغروبي المنهجي والتوقيت الزوالي

بَدْءُ اليوم عند غروب الشمس يعني ضبط الساعة يومياً على ١٢:٠٠ ولذا سُمِّيَ بالتوقيت الغروبي. هذا التوقيت طُبِّقَ في الماضي في بعض المجتمعات وكان مناسباً محلياً ولكنه كان مُتْعَباً إقليمياً ومستحيلاً عملياً ودولياً - أيُّ تخطيط أو مواعيد أو جداول زمنية يومية (مثلاً: مواعيد إقلاع وهبوط الطائرات ومواعيد برامج الإذاعات) كان يعتبر كابوساً لتلك الهيئات. ولذا استبدل التوقيت الغروبي بالتوقيت الزوالي لأن أحداً لم يبذل عناءً كافياً لوضع حل عملي للتوقيت الغروبي ولتشدد البعض نحو تطويره، وبهذا أضاعت الأمة الإسلامية منهجاً آخر - والتقويم الهجري يضمحل حالياً لنفس الأسباب. ولكن

التوقيت المحلي الزوالي لا يُحدّد لكل دولة حسب منتصف ليلها ولا حتى عندما تكون شمس عمودية، بل حسب توقيت قرينيتش<sup>١٣</sup> Greenwich وهي قرية بجوار لندن، ثم يستمر تنظيم اليوم لبقية مناطق العالم بتقسيم معين لخطوط الطول بغض النظر - في معظم الحالات - عن الحدود السياسية لأي دولة أو حتى حدود المقاطعة أو الولاية في الدولة. هذه الآلية يمكن تطبيقها على التوقيت الإسلامي (الغروبي) حيث تكون مكة المكرمة، زادها الله شرفاً، هي أساس التوقيت ثم تُستخدم خطوط الطول لتحديد التوقيت المحلي لكل منطقة. ولا يجب تغيير التوقيت الغروبي يوميًا في مكة المكرمة (وبالتالي العالم) حسب غروب الشمس، بل يُكتفى بضبط التوقيت حسب غروب الشمس إما في يوم الاعتدال الربيعي (١ الحُمْل أو ٢١ آذار/مارس) أو يوم الاعتدال الخريفي (١ الميزان أو ٣٢ أيلول/سبتمبر) وبذلك يكون التوقيت الغروبي توقيتًا ثابتًا (لنسمه التوقيت الغروبي المنهجي)؛ أي: لا توجد أي مصاعب عملية في تطبيقه. ويعطي ضبط التوقيت على الساعة ١٢:٠٠ في يوم الاعتدال الربيعي عنه في يوم الاعتدال الخريفي توافقًا أكبر مع التوقيت الزوالي حيث يكون التوقيت في ذلك اليوم هو حوالي الساعة ٦:٣٠ مساءً. بهذه الطريقة سيتراوح فرق الغروب بين يوم الاعتدال الربيعي وأول أيام الشتاء لمكة المكرمة بـ ٤٨ دقيقة و فرق الغروب بين يوم الاعتدال الربيعي وأول أيام الصيف بـ ٣٤ دقيقة. بعبارة أخرى وحسب التوقيت الغروبي المنهجي، حينما تكون الساعة ١٢:٠٠ في أول أيام الربيع تكون ١١:١٢ عند الغروب في أول أيام الشتاء و١٢:٣٤ في أول أيام الصيف<sup>١٤</sup> (وبهذا يعلم الناس بداية الفصول من توقيتهم). تذكّر أن اليوم في الشريعة الإسلامية يبدأ عند غروب الشمس وليس الساعة ١٢:٠٠؛ إزعاج صغير مقابل تأسيس نظام وقي إسلامي منهجي.

هذا الإزعاج ليس سيئًا، فمن منتصف الليل الحقيقي في الشتاء حسب التوقيت الزوالي في مكة المكرمة يحصل الساعة ١٢:١٨ بفارق قدره ١٨ دقيقة، بينما منتصف الليل الحقيقي في الصيف يحصل الساعة ١٢:٢٢ بفارق قدره ٢٢ دقيقة. وكلما ابتعدنا عن خط الاستواء كلما كان الفرق أكبر في

الشتاء إلى أن يصل إلى ساعات ثم أيام ثم شهور، وأصغر من ذلك بكثير في الصيف إلى أن يتلاشى. ولا يضر التوقيت الغروبي المنهجي عدم التزامه اليومي بالغروب المحلي، فالتوقيت الزوالي لا يلتزم يوميًا بالزوال المحلي.

الآن، هل يجب على المسلمين أن يستبدلوا التوقيت الزوالي بالتوقيت الغروبي المنهجي؟ نعم. لماذا؟ لأن ذلك يلغي الازدواجية في حياة المسلم ويميز الشخصية الإسلامية ويتماشى مع شريعة الله وتطبيقات العبادات. مثلاً، ليلة الجمعة تبدأ بانتهاء نهار يوم الخميس وهذا هو شرع الله، بينما في التوقيت الزوالي تبدأ بانتهاء نهار يوم الجمعة وهذا مخالف لشرع الله. كذلك رمضان يبدأ بعد غروب الشمس وهذا هو الشرع، وليس في منتصف الليل حسب التوقيت الزوالي فهذا مخالف لشرع الله ﷺ. إلا أن هناك زاوية عملية، وهي توافق بدء عداد الساعة مع بدء اليوم وبدء الليل، ولأن معظم بقاع العالم يوجد فيها غروب - هذا يجعل تقدير بقية أوقات اليوم أسهل في التوقيت الغروبي من التوقيت الزوالي.

إن دورة التقويم الميلادي تبدأ باليوم ثم يضاف الشهر ثم السنة وكل ذلك بمُحدّات غير طبيعية؛ أي: أنه تقويم عُرفي. على الجانب الآخر، تبدأ دورة التقويم الهجري بغروب الشمس الذي يُحدّد بدء اليوم، وظهور الهلال الذي يُحدّد بدء الشهر ثم تحسب السنة بـ ١٢ شهراً؛ يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ التوبة: ٣٦، هذا يجعل من التوقيت الغروبي توقيتاً طبيعياً ومن التقويم القمري تقويماً طبيعياً.

### أين يبدأ اليوم والشهر؟

ولكن أين يبدأ اليوم؟ إن تحديد أين يبدأ اليوم (كما حددنا متى يبدأ اليوم) هي نقطة جوهرية في حل معضلة توحيد الأهلة للعالم الإسلامي. فكوكب الأرض كشكل كروي هندسي لا يحتمل بدايات عديدة لليوم وبالتالي للشهر والسنة؛ هذه فوضى ابتدعها مسلمون في الماضي تحت ستار ديني بني



على تصور فلكي خاطئ. ومن المؤسف أن هناك اجتهادات فلكية معاصرة تقسم الكرة الرضية إلى ثلاث مناطق، وبالتالي ثلاثة أيام وأشهر مختلفة،<sup>١٥</sup> وهذا استمرار للفوضى. إن اليوم (وبالتالي الشهر والسنة) على كوكب الأرض يجب أن يكون موحدًا ولكنه متدرج في دخوله لأن سطح هذا الكوكب منحني. إن انحناء سطح الأرض حقيقة كونية ثابتة وتدرج (وليس اختلاف) دخول الوقت هو نتيجة لهذه الحقيقة ولا يمكن إنكار أي منهما. تدرج دخول الوقت على سطح الكرة الأرضية لا يمكن أن يزيد عن ١٢ ساعة في كل الـ ٢٤ ساعة لليوم الواحد. إن التحدي الذي يواجهه الفقه الإسلامي الآن هو بناء فقه يتبنى هاتين الحقيقتين مع متى يبدأ اليوم.

يبدأ اليوم المحلي في التقويم الهجري لكل قوم عند غروب شمسهم (وهذه طريقة تحديد طبيعية)، كما يبدأ اليوم المحلي في التقويم الميلادي لكل قوم عند منتصف ليلهم (وهذه طريقة تحديد وضعية). في كلتا الحالتين فإن اليوم المحلي يعني أن دخول اليوم متدرج من مكان إلى آخر (وليس مُختلِفًا، لأن هناك يومًا واحدًا لكل الكرة الأرضية). وقبل اختراع الدولة ذات السيادة لم تكن حالة تدرج اليوم تشكل مشكلة، فالمسافات بعيدة والسفر بطيء والاتصالات السريعة لم تخترع. باختصار، العالم لم يكن قرية صغيرة بعد. ولكن على أي مكان يبدأ عنده اليوم لكل كوكب الأرض؟ عصرًا، يبدأ اليوم لكل كوكب الأرض عند خط الطول ١٨٠° شرقًا، والذي يسمى بخط التوقيت وهو خط وضعي وليس له أي مرجعية طبيعية في حد ذاته - كما رأينا في بداية هذا الفصل. ولكن هل هو المكان الذي يريده الله لكافة الناس؟ الجواب ببساطة، لا. إذن، هل بالإمكان أن يكون أي مكان آخر نقطة المرجعية لخط التوقيت الحالي بدلًا من خط الطول ١٨٠° شرقًا؟ والجواب: نعم. ما هو هذا المكان؟ إنه بيت الله مكة المكرمة زادها الله عزا والتي حددها الله للمسلمين وللناس بأن تكون خط الطول ٠ بدلًا مما هي عليه الآن، ٤١ " ٣٦ ' ٣٩° شرقًا. ما هو الدليل؟ يقول الخالق ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾ البقرة: ١٨٩. إن دورة القمر هي الميقات الشهري الطبيعي

الوحيد (والشهر هو الوحدة الزمنية التراكمية للسنة) وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ أي جعل الله القمر وليس الشمس ميقاتاً لكل البشر على الكرة الأرضية وليس فقط للمسلمين وذلك لثلاثة أسباب: ١- لأن القمر وليس الشمس هو الوسيلة الطبيعية لمعرفة الشهر (فالأمي والمتعلم، والصغير والكبير، والمرأة والرجل يرى القمر ومنازله)، ٢- ولأن الله ﷻ جعل القمر وليس الشمس مواقيت لعبادات أخرى مثل الصيام، ٣- ولأن دخول شهر الحج سابق لمشاعره. ويظهر ثقل اللفظ ﴿لِلنَّاسِ﴾ في ثلاثة أبعاد: فيوماً يتجه الملايين إلى مكة المكرمة، وموسمياً يأتون إلى مكة المكرمة للعمرة وللصلاة والصيام وحتى مجرد الإقامة فيها، وسنوياً يأتون إلى مكة المكرمة للحج وذلك من كل أنحاء الكرة الأرضية.

ولكن ما دَخَلَ «الحَجِّ» في المواقيت؟ نعم الحج يعتمد على دخول الهلال فهو ميقات أيضاً، ولكن كذلك رمضان وعيد الفطر. ولكن الحقيقة:

- أن الحج ورمضان يستخدمان كلاً من مواقع القمر في تحديد بدء دخولهما، ومواقع الشمس في تحديد بدء مشاعر الحج في عرفة ومزدلفة ومنى، وفي تحديد بدء السحور والإفطار.

- أن الحج هو العبادة الوحيدة التي لا تتم إلا في مكان معين وهو مكة المكرمة، زادها الله شرفاً، وزمن معين مُحدَّد بدخول الهلال (العمرة وإن ارتبط أداؤها بمكة المكرمة إلا أن أداؤها لا يرتبط بالهلال). والمسلم يستطيع أن يصوم رمضان أو غيره في أي مكان ولكنه لا يستطيع أن يحج على الإطلاق إلا في زمن الحج ومكان الحج. إن مكة المكرمة هي خط التوقيت.

هذا الثقل العالمي لمكة ظهر حتى في لغات عالمية معاصرة أخرى غير اللغة العربية. ففي اللغة الإنجليزية مثلاً، mecca (بـ m وليس M) تعني:

a center of activity sought as a goal by people sharing a common interest.

مركز لنشاطات مقصودة كهدف من قبل ناس تجمعهم مصالح مشتركة<sup>١٦</sup>.

أو تعاريف أخرى<sup>١٧</sup> مثل:

a) any place visited by many people; (b) any place that one yearns to go to; (c) anything that one greatly desires or tries to achieve.

(أ) أيُّ مكان يُزار من قبل عدة أشخاص؛ (ب) أيُّ مكان يَشْتاق أيُّ فرد إلى الذهاب إليه؛ (ت) أيُّ شيء يَشْتاق أو يُحاول أيُّ فرد الحصول عليه. ومثال على استخدام كلمة مكة mecca باللغة الإنجليزية هو: London is the financial mecca of the world، بمعنى، لندن هي "المركز" المالي للعالم. هذا الاقتباس في اللغة الإنجليزية أتى من الوظائف التي حباها الله مكة المكرمة كمركز استقطاب وشهرة اسمها في أقطاب العالم. ولهذا تجد البعض يطلق كلمة mecca على أي موقع يظن أنه أو يرغب في جعله نقطة استقطاب.

### مكة المكرمة مركز التوقيت

لماذا خط التوقيت الدولي؟ وماذا عن مكة المكرمة؟ لماذا كل هذا الاهتمام بهذا الموقع؟ نعم، إنه مكان مقدس ورمز - زاده الله طهرًا ورفعة. لتأمل قول الله ﷻ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ﴿٢١٧﴾ الحج. انظر إلى الإعجاز القرآني: «أذن» أي ناد أو أعلم<sup>١٨</sup> بصوت عالٍ وفي كل الاتجاهات وبذلك يكون سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مركز الصوت لمن حوله لأن الصوت يتشتت على من حوله؛ أي: أن المقصود هو الأمكنة التي عليها الناس. يؤيد ذلك قوله تعالى ﴿فِي النَّاسِ﴾ ولم يقل في المؤمنين (قارن أيضًا بين "في الناس" هنا مع "لناس" في آية البقرة ١٨٩ السابقة)، حيث الناس في كل بقاع الكرة الأرضية وسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وسطهم؛ والشكل الكروي يعطي هذه المكانية. والسؤال هو: عن أي شيء أعلم الناس يا ربي؟ الجواب: ﴿بِالْحَجِّ﴾ أي بالعبادة التي لا تصح إلا في مواقعها، لقد حُدِّدَ المكان. ﴿يَأْتُوكَ﴾ حُدِّدَ الاتجاه وهو مكة المكرمة زادها الله مكانة وتقديسًا وهي مكان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأنهم يأتون إليها مترجلين وجماعات وراكبين. ﴿ضَامِرٍ﴾

أي أتعبه السفر. ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ﴾ من كل طريق ومسلك. ﴿عَمِيقٍ﴾ منحني إلى الأسفل. الآن، ما علاقة وصف العمق بكل طريق ومسلك يأتي منه الناس إلى موقع الحج بمكة المكرمة؟ بمعنى، كيف يكون الطريق مستقيماً وفي نفس الوقت منحدرًا إلى القاع، وصوت المؤذن هو مركز الناس وكل ذلك نسبة إلى مكة المكرمة؟ هذا لا يتأتى إلا إذا:

١- كان المؤذن على أعلى جبل على الإطلاق على وجه الأرض والناس كلهم دونه ويجب عليهم الصعود إليه، وهذا باطل لأننا نعرف موقع المؤذن - إنه مكة المكرمة؛ أو

٢- كانت أسطح تلك الطرق والمسالك ذاتها (أي الاتجاه وليس الارتفاع) منحدرًا إلى الأسفل طبيعيًا من أي جهة يأتي منها الناس نسبة إلى نقطة ما وهي موقع المؤذن وبالتالي يكون هو في "أعلى" نقطة من حيث الاتجاه وفي وسط الناس.

الشكل الهندسي الكروي هو الوحيد الذي يحقق هذه الحالة، ففيه يكون المؤذن في "أعلى" نقطة أينما كان والفجاج من دونه عميقة بالنسبة إليه لأن أي نقطة على الشكل الكروي هي أعلى ما فيه ومركزه السطحي<sup>١٩</sup>. الآن الآية ٢٧ من سورة الحج شرحت الآية ١٨٩ من سورة البقرة. إذًا، الله خالق هذا الكوكب حدد أحب بقعة إليه، مكة المكرمة شرفها الله، كنقطة تحديد الأهلة للناس لجميع الكرة الأرضية. بعبارة أخرى، يصبح خط طول مكة المكرمة هو خط الطول صفر الذي يبدأ عنده الشهر واليوم لكل المسلمين بل لكل الناس المنتشرين في كل أجزاء الكرة الأرضية. وهكذا يصبح خط التوقيت المقترح المار بمكة المكرمة ليس فقط خطًا ذا مرجعية إلهية بل ربما عالمية لأن ملايين البشر تتجه إلى مركزه يوميًا وموسميًا وسنويًا.

هاتان الآيتان هما الدليل على ذلك وتحددان مكان بداية اليوم، والشهر أيضًا، لكافة الناس على وجه الكرة الأرضية. لماذا نحتاج إلى موقع مُحدّد؟ لأن إمكانية رؤية الهلال وتعميمه تحتاج إلى أن تنسب إلى خط طول، نقطة

ما، لأن الأرض كروية وبذلك تُحدّد رؤية الهلال وتُعرّف بداية الشهر مثلما حدّد بداية اليوم بمكان معين. سوف ننظر إلى هاتين الآيتين من زاوية فلكية عما قليل.

كلمة أخيرة، قد يقول قائل: إن المقصود هو الحج فقط وليس رمضان بدليل قوله تعالى: ﴿الْحَجَّ﴾. وهذا قد يكون صحيحًا ولكن لا يفسر قوله ﷺ: ﴿الْأَهْلَةُ﴾ و﴿مَوَاقِئُ﴾ و﴿لِلنَّاسِ﴾ وفي الآية الأخرى و﴿فِي النَّاسِ﴾ فكلها أتت بصيغة الجمع وليس المفرد. ثم انظر إلى واو العطف في ﴿لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ﴾ وتقديم الناس على الحج وهذا يؤكد التحليل السابق.

هناك طريقتان أخريان لتحديد أين يبدأ الشهر وهما وإن كانت كل منهما تبدو "طبيعية" إلا أنهما صعبتا التطبيق ومتغيرتان في كل شهر ومكان وعلى مدار السنة. تتلخص الطريقة الأولى في التالي: يُحدّد وقت الاقتران لكل شهر، ثم يُحدّد خط الطول الأرضي الذي يتم الاقتران فوقه، ثم يُجعل ذلك الخط بداية الشهر. ما قبل ذلك الخط يعتبر الشهر الماضي وما عليه وما بعده يعتبر الشهر الحالي. وعيب هذه الطريقة هو: أنها غير متاحة لعامة الناس، وأن وقت ومكان الاقتران متغير في كل شهر، وأنها تفترض وجود خطوط طول وبالتالي خط الطول صفر ولكن تغيره كل شهر، كما أنها تضيف مكاناً آخر لبداية الشهر بالإضافة إلى خط التوقيت. الطريقة الثانية هي: يُحدّد على وجه الأرض المكان الذي يمكن بشرياً وبشروط فلكية رؤية الهلال فيه لأول مرة ويعتبر هذا خط الهلال العالمي وعنده يبدأ الشهر<sup>٢٠</sup>. وبالرغم من جدارة منطلق الطريقة الثانية إلا أنها تعاني من نفس عيب الطريقة الأولى: أنها غير متاحة لعامة الناس، وتغير وقت ومكان مشاهدة الهلال لأول مرة في كل شهر (أي تغيّر مكان وزمان خط الهلال العالمي)، وأن خط الهلال العالمي قد يبدأ فوق مسطحات مائية، كما أن من تحقق عنده إمكانية المشاهدة قد لا يريد أو لا يهمله إعلانها (لأن هذه الطريقة لازالت تفترض الرؤية)، كما سوف يكون هناك مكانان أحدهما يبدأ عنده اليوم (أي خط التوقيت) والآخر يبدأ عنده الشهر (أي خط الهلال العالمي) فحيث أمكن حساب موقع تلك المساحة

المضيئة على الأرض يبدأ الشهر ولا تُلقَى بالأ إلى من أين يبدأ اليوم. أخيراً، لا تبطل الطريقة الثانية المطالغ فهي عندهم متعددة، حيث قسموا العالم إلى عدة أقسام.

إن كلاً من الطريقتين غير ميسرة التطبيق لعامة المسلمين حيث تعتمد كل منهما على الحساب بشكل متخصص. ففي الوقت الذي تأخذ الطريقة الثانية النص الديني حرفياً (أي أن الرؤية هي إبصار بالعين المجردة) فإنها تطبقه بطريقة متخصصة. وفات هؤلاء أن أهل الرؤية البصرية غير متحمسين لقبول الحساب على أي حال. كما أن كلاً من الطريقتين صعبة للغاية للمتابعة والتطبيق في المعاملات الفردية والمؤسسية والدولية (لا يمكن إرساء تقويم قمري منهجي على هذا المبدأ) فلا بد من وجود مقاييس وقتية مُحَدَّدة وثابتة وبشكل دولي. وهو نفس السبب الذي حتمَّ وجود خط تاريخ موحد لليوم ويحتم وجوده للشهر وهو الذي نبهنا إليه الله ﷻ في الآية ١٨٩ من سورة البقرة؛ أي: مكة المكرمة.

### مطالغ الشمس ومطالغ القمر

هل هناك علاقة بين اختلاف مطالغ الشمس واختلاف مطالغ القمر؟ إذا لم تقنعك الفوارق بين اليوم والشهر المذكورة سابقاً لنفي القياس بجواز تعدد مغارب الهلال قياساً على تعدد مطالغ الشمس، فإليك المزيد. إن حقيقة أن اليوم الواحد (وكذلك الشهر والسنة) يبدأ من خط التوقيت ولكل الأرض بنهارها وليلها يُظهِر أنه لا عبرة بتعدد طلوع الشمس، وبالتالي غروبها، على مدار الكرة الأرضية لتلك الوحدة الزمنية وإلا تعدد اسم اليوم الواحد - خلال ٢٤ ساعة - وهذه فوضى. كذلك لا يؤخذ بمشاهدة الهلال في مكان ما وعدم مشاهدته في مكان آخر وإلا تعدد الشهر، وهذه أيضاً فوضى - فدخل اليوم والشهر والسنة موحد لكل الكرة الأرضية؛ ولو أُخذ بتعدد دخول اليوم أو الشهر كذي الحجة أو محرم لتعدد الوقوف بعرفة وتعددت السنين، وهذه فوضى. هذه مسألة جديرة بشيء من التفصيل والقياس. البعض يدعي أنه لا

بأس بتعدد شهر رمضان بين الدول ويحتجون بتعدد أوقات الفروض الخمسة لكل فرض. ولكن على من ينادي بتعدد مطالع هلال رمضان أن يقبل أيضًا بتعدد مطالع شهر ذو الحجة ومحرم أيضًا.

هناك خطأ في هذه الفرضية. الأول أن شرع الله سابق لي ولا يعترف بفكرة سيادة الدولة والتي لم تنشأ إلا قبل ثلاثة أو أربعة قرون والذي أوجدهه رسميًا معاهدة وستفاليا Westphalia في ألمانيا سنة ١٦٤٨م وكفكرة أوروبية والتي بدورها نقلت نموذج الدولة الأوربي إلى العالم كله<sup>٢٣</sup>. فكرة الدولة العصرية مبنية على سيادة الدولة على إقليمها وشعبها في ظل حكومة، حيث الجميع ينصهر في قومية سياسية واحدة. هذه القومية هي منهج علماني<sup>٢٤</sup> مبني على رفض الفوارق الدينية والعرقية والجنس واللون لشعب ما واستبدالها بسامية الدولة. ألا ترى كيف حل اسم الدولة، مهما صغرت مساحتها وقل عدد سكانها وتعددت عقائدها وأعراقها، محل أي اسم آخر؟ ولسبق الإسلام النهج العلماني وعدم اعترافه به، نجد أن التكاليف الشرعية غير ملزمة بالحدود الدولية أو المحلية للدولة ذات السيادة أو النظام التعددي السياسي. فالله ﷻ له السيادة المطلقة على كل الكرة الأرضية ولا يعترف بأي حدود وضعية ويطلب خلقه من أكثر من ١٤٠٠ سنة أن يسيروا في أرضه ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾ آل عمران، بل يوبخ الله ﷻ بعض عباده لأنهم لم يهاجروا في أرضه ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُمَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٩٧﴾ النساء، وهذا يعطي تفسيرًا واحدًا لسبب خلق الله ﷻ كوكب الأرض بالشكل الهندسي الكروي. وهذا يعطيك دليلًا لرفض ما يسمى مطالع القمر كما يمارس الآن (نظرًا لأن الإسلام لا يعترف بالحدود السياسية) حيث لكل دولة مطلعها، تقرره أو ترفضه كما ظهر في أمثلة وردت في الفصل الثالث.

الخطأ الثاني، هو قياس آلية اليوم بألية الشهر. فحين تدور الأرض دورة واحدة حول محورها فهذا يوم، وحين يدور القمر دورة ظاهرية واحدة حول

الأرض فهذا شهر. بمعنى، أن آلية اليوم تتطلب: الأرض، ودورانها حول محورها، وضياء الشمس الساطع على الأرض. أما آلية الشهر فتتطلب: القمر، ودورانه حول الأرض، ونور القمر المنعكس من ضوء الشمس. فما يسمى بالتعدد هو في حقيقته آليتان مختلفتان لليوم والشهر ولا يصح القياس بينهما لاستنباط فقه ما. بكل بساطة، لا يصح القياس بين "الدول" والفروض الخمسة، لأن الدول تستطيع أن تُوحَّد مطالع قمرها بينما لا تستطيع أن تُوحَّد مطالع الشمس. أما الخلط فيأتي من سوء فهم القاسم المشترك بين آليتي اليوم والشهر وهو كروية الأرض وضوء الشمس<sup>٢٣</sup>.



الشكل ٦: ولوج الليل في النهار

إن أحد أهم خصائص الشكل الهندسي الكروي هو أنه لا مُحدِّدات له *borderless* ولكنه مَحْدود *bounded*. الشكل الكروي هو الشكل الهندسي



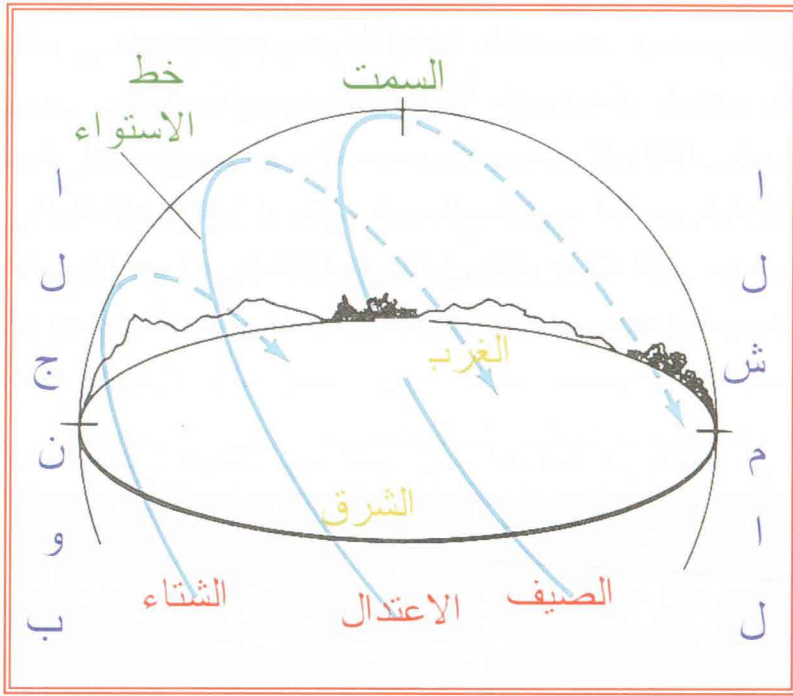
الوحيد الذي يتميز بصفة التناظر أو التماثل symmetry على عكس كل الأشكال الهندسية الأخرى مثل المربع أو المستطيل أو المثلث. بمعنى، أن من ينظر إلى الكرة الأرضية من الفضاء لا يرى مُحدّيات مثل الجبال أو الوديان أو حتى ضلعًا مثل ضلع المربع بل يرى كرة "ملساء"؛ أي: يرى شكلاً محدودًا. هذا الشكل الكروي للأرض (الشكل ٦) يعني تدرجًا تراكميًا للزمن وليس تعدد دخول الزمن وذلك في ثلاثة دورات فلكية: دورة الأرض حول نفسها (وهذا يعطينا اليوم)، ودورة القمر حول الأرض (وهذا يعطينا الشهر، و١٢ دورة له تعطينا السنة القمرية)، ودورة الأرض حول الشمس (وهذا يعطينا السنة الشمسية). وتشارك ثلاث الدورات الفلكية المختلفة هذه والتي تعطينا ثلاث الوحدات الزمنية المختلفة المشار إليها، في بداية واحدة من على خط طول واحد؛ ومن العجب أن يجعل البعض من فهمه لحديث «صُومُوا لِرُؤْيَيْتِهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْتِهِ» ثلاث أو أربع بدايات لليوم والشهر والسنة وينسب ذلك إلى الشريعة ويدّعي أن في الأمر سعة. هذا التدرج (وليس التعدد) التراكمي لليوم والشهر والسنة في دخول الزمن، يَعْمُ كل الكرة الأرضية حتى تضاف وحدة زمنية طبيعية أخرى (يومٌ أو شهرٌ أو سنة) مع بداية دورة جديدة عند خط الطول المشترك. وهذا التدرج والتداخل بين الليل والنهار هو نفسه الذي يصفه الله سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩) لقمان. إن ولوج الليل في النهار (الشفق عند الغروب) وولوج النهار في الليل (الشفق قبيل الشروق) twilight zones حاصلان معًا في أي لحظة من اليوم على سطح الكرة الأرضية. ويُظهِر (الشكل ٦) هذا الشفق وهو يعم سطح الكرة الأرضية على شكل هلال.

### اختلاف المطالع : مرة أخرى

المطالع لغةً جمع مطلع وهو موضع طلوع الشيء<sup>٢٤</sup>. ومطالع القمر الظاهرة هي من جهة الشرق، وهذه الجهة لا أساس لها في إثبات هلال أول

الشهر العربي (كما يظن البعض). لماذا؟ لأن الهلال المقصود في إثبات دخول رمضان وشوال والحج (وبقية الشهور الهجرية) هو الهلال الذي يُرى بعد غروب الشمس من جهة الغرب حيث يغرب الهلال ذاته بعد غروب الشمس. لهذا كان الأولى أن يكون المصطلح الفقهي "مغرب الهلال" وليس مطالع القمر، فالعبارة هي إمكانية رؤيته قبل غروبه وقطعاً ليس بعد شروقه أو أي مكان أو زمان آخر. في الفقرات التالية سوف نشرح عوامل أخرى تؤثر في تحديد بداية الشهر.

هناك محددان طبيعيان لبداية الشهر زمنياً أحدهما أكثر طبيعية من الآخر: الاقتران والهلال. كلٌّ من الاقتران وظهور الهلال يحصلان مرة واحدة في الشهر لكل الكرة الأرضية (يحدث الاقتران أولاً ثم تحدث ولادة الهلال في اللحظة التي تلي الاقتران ثم بعد ذلك بحوالي ١٥ ساعة أو أكثر قد يُرى الهلال لأول مرة في أماكن وأزمنة مختلفة من الأرض)، مثل خط التوقيت الذي يُعبر مرة واحدة في اليوم لكل الكرة الأرضية. الاقتران يَعْلَمُهُ المختصون، بينما ظهور الهلال لأول مرة متاح لأي إنسان أن يراه بغض النظر عن جنسه وعمره ودرجة علمه ولذا هو أكثر طبيعية (لهذا اختاره الإسلام كوسيلة لتحديد بدء عبادات ولم يختر الاقتران الذي يحتاج إلى معرفة وحساب) من رديفه الاقتران. الاقتران لا يؤثر في حدوثه شيء فهو حاصل بإذن ربه ولا يُرى بالعين المجردة إلا في حالة كسوف الشمس فقط. أما إمكانية رؤية الهلال لأول مرة فتتأثر بعوامل بشرية ومناخية وفلكية، وقبل ذلك العلم بآليته. تنحصر العوامل البشرية بصفة عامة في عُمر الرائي ومعرفة متى وأين وشكل ما يبحث عنه (العلم والخبرة) وقوة بصره وميوله. وتنحصر العوامل المناخية بشكل أساسي في مكان البحث وكثافة الغلاف الجوي ودرجة الحرارة وتصاعد الرطوبة (الشواطئ أسوأ مكان لكثرة الرطوبة والبخار) والغبرة والأبخرة والغازات وانعكاس وانكسار الأضواء والغيوم. أما العوامل الفلكية التي تؤثر في موقع الهلال فهي: كروية الأرض، وميل محور الأرض، وفلك القمر بالنسبة لفلك الأرض.



الشكل ٧: الشتاء والصيف

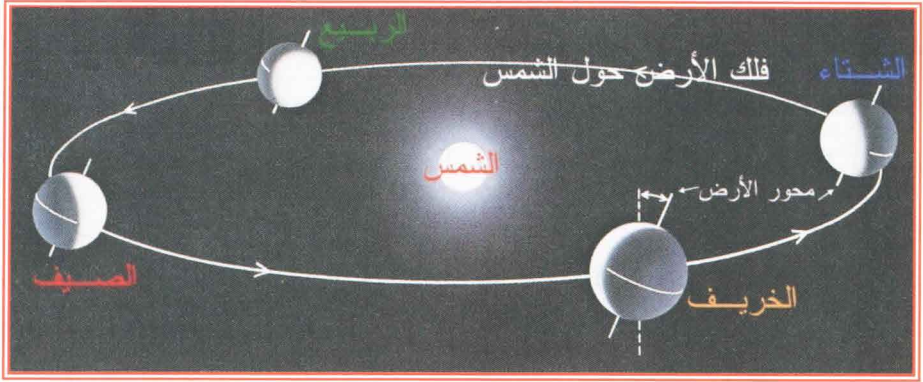
### أولاً: تأثير كروية الأرض

إن كروية الأرض، من حيث علاقة خطوط الطول بمواقع الشمس والهلال، لا تعطي أفضلية طبيعية لأي موقع على الأرض أن يُعتبر مُحدداً طبيعياً لبدء اليوم أو الشهر لأن كروية الأرض تعطي خصائص مختلفة لموقع الرائي. فكلما مر الزمن من مكان بدء اليوم/الشهر، كلما ازداد اليوم/الشهر عمراً حتى يبلغ نصابه وتتم دورة زمنية واحدة. بعبارة أخرى، إن دورة الأرض حول محورها تُحدّد بدء التوقيت وطوله وبالتالي انتهائه لليوم. هذا التأثير الجوهري في تحديد التوقيت هو أساس التوقيت وحساب الزمن. فدورة واحدة للأرض (نسبة إلى خط التوقيت أو أي خط طول آخر) حول نفسها تعطي يوماً واحداً ثم تتراكم الأيام. كذلك دورة واحدة للقمر (نسبة إلى الاقتران أو الهلال) تعطي شهراً واحداً، وخلال ذلك يزداد الشهر عمراً بزيادة دورة الأرض وعدد الدورات؛ أي: يزداد الهلال النحيل عمراً فيصبح بدرًا ثم هلالاً. فإذا توفرت الشروط الضرورية الثلاثة السابقة لرؤية الهلال (نسبة إلى

خط التوقيت أو أي خط طول آخر)، والذي يعني توفرها حتمًا على أي خط قبله؛ أي: في الاتجاه من الشرق إلى الغرب؛ أي: خطوط الطول ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧ وهكذا، فإن الهلال مُلزم لكل الكرة الأرضية لذلك الشهر بافتراض ثبات تأثير خطوط العرض (مثلما هو يوم السبت أو الأحد، أو أي يوم، مُلزم لكل الكرة الأرضية لذلك اليوم). لماذا؟ لأن دورة الشهر تبدأ فلكيًا بالاقتران وأن الهلال سوف يُرى قطعًا كلما اتجهنا غربًا؛ لأنه يزداد عمرًا - أي، إذا تيقن عدم رؤية الهلال غرب نقطة ما فيستحيل رؤيته شرق تلك النقطة وإن ادعى أحد رؤيته.

### ثانيًا: تأثير ميل محور الأرض

إن تأثير ميل محور الأرض، من حيث علاقة خطوط العرض بمواقع الشمس والهلال يعطي، بصفة رئيسة، الفصول الأربعة ولكنه يعطي أيضًا اختلاف دخول الوقت ومكانه خلال السنة - فالشمس تشرق في أوقات ومواضع مختلفة خلال السنة. ففي أول الصيف (١ السرطان، ٢١ يونيو) تشرق الشمس مبكرة من جهة الشمال الشرقي وتغرب متأخرة في الشمال الغربي؛ أي: أن الشمس أعلى ما تكون في السماء وبالتالي تمكث أطول مدة (الشكل ٧). وفي أول الشتاء (١ الجدي، ٢١ ديسمبر) تشرق الشمس متأخرة من جهة الجنوب الشرقي وتغرب مبكرة في الجنوب الغربي؛ أي: أن الشمس أدنى ما تكون في السماء وبالتالي تمكث أقل مدة. وفي الاعتدال الربيعي (١ الحمل، ٢١ مارس) والخريفي (١ الميزان، ٢٣ سبتمبر) يُقَسَّم شروق وغروب الشمس اليوم إلى فترتين متعادلتين (أي: النهار يساوي الليل)، وموقع الشمس يكون عند الشرق أي عند  $90^\circ$  والغرب عند  $270^\circ$ . هذه الآلية يُعبَّر عنها بالتالي: في أول أيام الصيف تكون الشمس على مدار السرطان، وفي أول أيام الشتاء تكون على مدار الجدي، وفي الاعتدالين على خط الاستواء؛ وهذه هي علاقة الشمس ببعض خطوط العرض.



الشكل ٨: ميل محور الأرض

لننظر إلى ميل محور الأرض من الفضاء. يوضح (الشكل ٨) فلك الأرض الظاهري حول الشمس أو ما يسمى بفلك الشمس الظاهري the ecliptic، وميل محور الأرض بمقدار  $23,5^\circ$  نسبة لهذا الفلك (يوجد خط وهمي يُبين هذا الميل)، وشكل ذلك الجزء المضاء من الأرض في بداية كل فصل والذي سببه ميل محور الأرض. فحينما تدور الأرض حول محورها، فإن خط الضوء الفاصل terminator، الذي يفصل بين الليل والنهار والذي يختلف انحداره من فصل إلى آخر، لا يكون موازيًا لخطوط الطول إلا في يومين اثنين، الاعتدال الربيعي والاعتدال الخريفي. هذا يعني، أنه قد يكون هناك موقعان (مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة) على خط طول واحد ولكن على خطين عرضيين مختلفين وتغرب أو تشرق الشمس في كل منهما في وقتين مختلفين وبالتالي قد يؤثر ميل محور الأرض في رؤية الهلال.

ولكن ما هو أثر ميل محور الأرض على موقع الهلال؟ يظهر هذا الأثر بفعل تلازم فلك القمر مع فلك الأرض. فكما أن ارتفاع الشمس عن الأفق أقل في الشتاء عنه في الصيف، كذلك القمر حيث يكون في النصف الشمالي للكرة الأرضية أقرب ما يكون للشمس في الشتاء وأبعد ما يكون عن الشمس في الصيف؛ وذلك من حيث ميل الأرض وليس من حيث المسافة. بعبارة أخرى، حيث إن الشمس والقمر والأرض تكون على خط طول سماوي واحد عند الاقتران، فهذا يعني قرب الهلال من الأفق في الشتاء (صعوبة ترائيه) وارتفاع

الهلال عن الأفق في الصيف (سهولة ترائيه). ولكن لماذا تصغر زاوية ارتفاع الهلال عند الأفق كلما ابتعدنا عن خط الاستواء؟ يرجع السبب إلى كروية الأرض وميل محورها وتلازم فلك القمر مع الدائرة الظاهرية للشمس. النتيجة، إذا رُئي الهلال في دمشق فيجب بالضرورة فلكيًا أن يُرى في نفس الليلة في جنوبها، في المدينة المنورة مثلاً. وإذا رُئي الهلال في المدينة المنورة فيحتمل أن يُرى في نفس الليلة في شمالها إذا كان الفرق العرضي صغيراً، في دمشق مثلاً. أما حينما نأتي إلى الدائرة القطبية الشمالية، من  $66,5^{\circ}$  -  $90^{\circ}$ ، فيكون الأمر أكثر خصوصية حيث يختفي الهلال لبعض الوقت شتاءً ويدوم الظهور لبعض الوقت صيفاً. أما على خط الاستواء فتستوي الأمور زمنياً، فلا شيء يذكر على مدار السنة في تغير زاوية ارتفاع الهلال عند ظهوره لأول مرة.

### ثالثاً: تأثير فلك القمر

يلتزم فلك القمر تقريباً فلك الأرض، ولكن هذا التلازم يؤثر فيه زاوية ميل فلك القمر بالنسبة لفلك الأرض. كيف؟ للقمر فلك "حول" الأرض وهو فلك ملازم ولكن غير متطابق لفلك الأرض حول الشمس حيث تفصل الفلكين زاوية يبلغ متوسطها أكثر بقليل من 5 درجات. هذا التلازم مع هذه الزاوية يؤثران في زاوية اتجاه مسار الهلال عند الغروب نسبة للأفق باختلاف الفصول الأربعة، كما يؤثران في موقع هذا المسار من حيث إنه مرة يقع إلى يمين موقع غروب الشمس ومرة فوق الشمس أو تحتها، ومرة أخيرة إلى يسارها - أي: موقع غروب جرم القمر. سنشرح هذه الآلية في فقرة "فلك وأوجه القمر".

نختتم فكرة اختلاف المطالع (وهي فكرة فلكية وليست فقهية) بتطبيق ما علمنا حتى الآن على رواية كريب رضي الله عنه التي تُحدِّثنا أنه وجمعاً من المسلمين رأوا الهلال في دمشق ليلة الجمعة ولكن سيدنا عبد الله بن العباس يقول إنهم لم يروه في المدينة المنورة ليلة الجمعة بل رأوه الليلة التالية، ليلة السبت. الحديث المذكور<sup>٢٥</sup> يخبرنا أن الهلال رُئي في دمشق أولاً ثم في الليلة التالية رُئي في المدينة المنورة ولا يذكر لنا الحديث السنة التي أتى فيها رمضان ولا في أي فصل. ولكن لأننا نعلم أن المدينة المنورة تقع جنوب دمشق، ونعلم أن الحقيقة الفلكية، أن زاوية

ارتفاع الهلال عن الأفق تزداد كلما اتجهنا جنوبًا، فكان يجب أن يُرى الهلال في المدينة المنورة في نفس الليلة التي رُئي فيها في دمشق. هناك احتمالان أخيران، أولاً: أن الهلال لم يكن موجودًا فعلاً في دمشق وأُخبر برؤيته توهمًا، ثانيًا: أن الهلال لم ير في المدينة المنورة لأسباب بشرية و/أو مناخية، والله تعالى أعلم.

يحتج البعض برواية كريب رضي الله عنه لإثبات اختلاف مغارب الهلال. ولكن هل هذا احتجاج صحيح؟ الجواب ببساطة لا. فالحقيقة الفلكية، عكس ما ورد في رواية كريب، كما سُرح سابقًا. ولكن لِنُصف لذلك الشرح الحقيقة التالية. إن مواقع الشمس والقمر في خطوط العرض العليا وبالذات في الدائرتين القطبيتين هي مسألة فلكية غير نمطية تواجه أوقات الصلاة (أي: طول الليل شتاءً وطول النهار صيفًا) وأوقات بدء رمضان وشوال والحج وكل الشهور العربية (أي: انخفاض ارتفاعه في الأفق كلما اتجهنا شمالًا، وحتى اختفائه شتاءً ودوام ظهوره صيفًا لأقل من أسبوعين في كل مرة في الدائرة القطبية). إذا أدركنا هذا الفرق، أدركنا أن طول النهار أو الليل (سواء كان هذا الطول ١٢ أو ٢٤ ساعة أو عدة أيام أو شهور)، لا يلغي وقت دخول عبادة الصلاة بل يُقدَّر لها. كذلك قياسًا، إن انخفاض الهلال في الأفق أو عدم ظهوره لبضعة أيام، لا يلغي وقت دخول عبادة الصيام بل يُقدَّر لها قياسًا بالصلاة. يشرح (الملحق أ) هذه الظاهرة الفلكية بشكل علمي وتحليل كمي.

## الهلال والبدر والمطالع

كيف يكون للرائي اختلاف مطالع للقمر عند كونه هلالًا وتوحيد مطالعه عند كونه بدرًا ولنفس الشهر، والشمس والأرض والقمر على خط طول سماوي واحد وبهذا التسلسل (تذكَّر أنه عند الاقتران تكون الشمس والقمر والأرض على خط طول سماوي واحد)؟ للإجابة، لننظر إلى الآيتين الكريميتين ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ...﴾ البقرة: ١٨٩ و﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوَكِّلْ بِجَاوِلًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٧) الحج، من زاوية فلكية. بمعنى آخر، إن الحقيقة القرآنية التي أظهرتها هاتان الآيتان كما سُرح سابقًا، تظهر أيضًا كونيًا على الكرة الأرضية

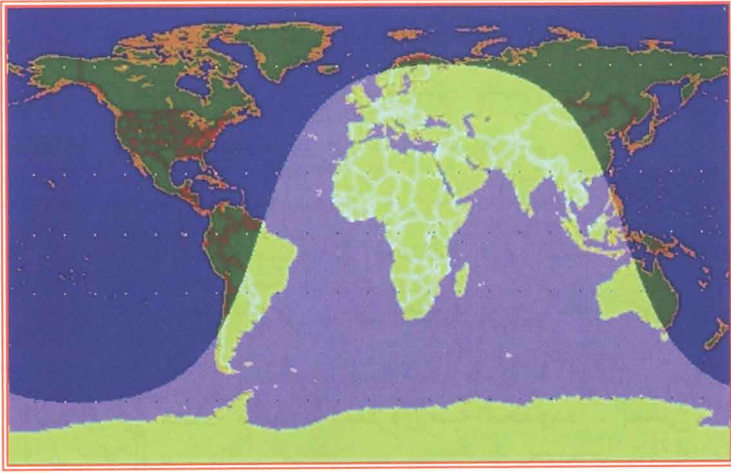
التي يغطيها نور القمر في منتصف الشهر القمري؛ أي: حينما يكون القمر بدرًا (الشكل ٩). هذا الجزء المضيء والذي يظهر على شكل منحنى قطع مكافئ parabola هو شكل متحرك في تلك الليلة على كل الكرة الأرضية في وقت متدرج (دائمًا ينير نصف الأرض في تلك الليلة، ومتدرجًا لكل الكرة الأرضية في يوم واحد). الأمر الذي يختلف فيه القمر حين كونه بدرًا أو هلالًا من حيث اشتراك "الدول" التي يغطيها نور القمر هو أن البدر يُرى في كل نصف الكرة الأرضية وفي كل فترة الليل من شروق البدر إلى غروبه بينما يُرى الهلال في مكان محدود ولفترة زمنية محدودة<sup>٣٢</sup>. بمعنى، الاختلاف يكمن في: كمية النور المنعكسة من القمر إلى الأرض (أي: المساحة المضيئة للقمر)، وإمكانية رؤية تلك المساحة المضيئة لأول مرة من على موقع ما على الأرض، ومدة ظهور تلك المساحة المضيئة على الأرض في أول الشهر بعد غروب الشمس<sup>٣٣</sup>. (الشكل ٩) يظهر هذا المغزى ويؤكد الفرضية في هذا الكتاب في أن الهلال كظاهرة طبيعية لتحديد تكليف شرعي ليس هو المقصود شرعًا؛ أي: أن الرؤية هي العلم بدخول الهلال وليس بالضرورة إبصاره بالعين المجردة.

باختصار، المشكلة التي تواجه اصطلاح اختلاف المطالع ذات بُعدين:

- في الماضي كان الإجماع الفقهي على عدم التسليم بما يسمى اختلاف المطالع. وحتى هؤلاء الفقهاء الذين قالوا به لم يحددوا المسافات (عوضًا عن خطوط الطول أو العرض) حتى يعرف المسلم المعايير. ومن حدد منهم مسافات كان تصنيفهم للمسافات تصنيفًا عامًا وغير هيكلي وغير مُجمع عليه فيما بينهم، وبعض هذا التصنيف غير متناسق مع ما هو معروف علميًا الآن.

- أما في العصر الحاضر، فطغت سيادة الدولة على الطرح الديني لاختلاف المطالع. كيف؟ من قال باختلاف المطالع فسندُه هو رواية كريب مع عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين، وقد رأينا سابقًا أن الحقيقة الكونية لا تؤيد ذلك، فالفرق العرضي بين المدينة ودمشق هو ٩° ودقيقتان (دمشق على خط العرض ٣٣° شمالًا و ٣١ دقيقة، بينما المدينة المنورة على خط العرض ٢٤° شمالًا و ٢٩ دقيقة).



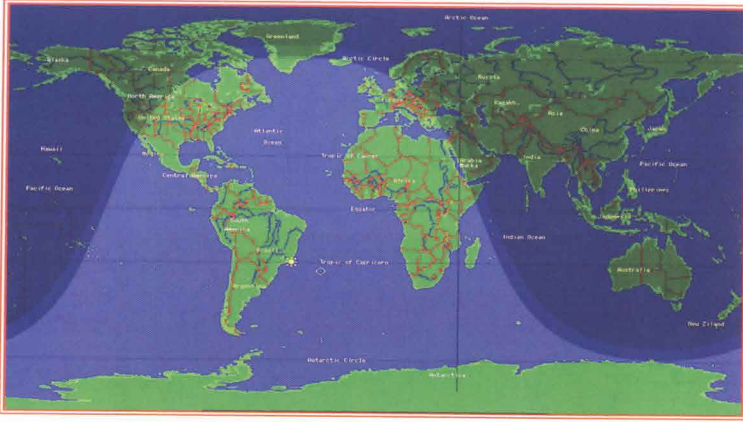


الشكل ٩: نور اليدر على الأرض

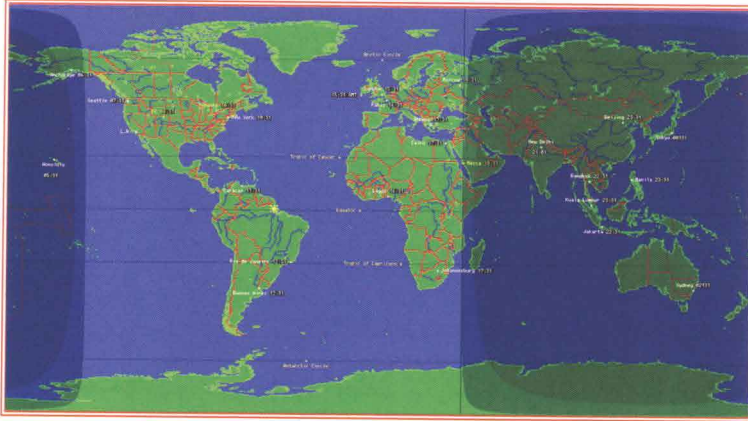
### ولكنهما يشتركان في جزء من الليل

أهل توحيد المطالع يستخدمون هذه العبارة ليدلوا على صحة رأيهم، وتعني: يجوز دخول رمضان والخروج منه في بلد ما إذا ما رأى بلد آخر الهلال لأنهما يشتركان في جزء من الليل. وهذا فقه بُني على "معرفة" كونية في حينه ولا بد من شرح هذه الفكرة علمياً. إن صحت الفكرة (إن ما تقترحه العبارة يشرح واقع الكرة الأرضية) صح الاستنباط الفقهي، وإن ثبت عدم صحتها ثبت عدم الاستنباط الفقهي الذي بُني عليها. أولاً: العبارة السابقة ليس لها أي قدسية اتباع فهي ليست آيةً من القرآن أو حديثاً شريفاً. هي جملة فقهية اجتهد أحد الفقهاء، جزاه الله خيراً، واستنبطها معتمداً على افتراضين: إذا كان عندنا ليل فعندهم ليل أيضاً، حتى ولو جزئياً، فنحن مشتركان فيه؛ وإذا رأينا الهلال فلا بد أن يكون موجوداً عندهم أيضاً. أما من حيث واقع كوكب الأرض، فهذان افتراضان غير دقيقين، وقد لا يتحقق أي منهما أو كلاهما.

الليل على كوكب الأرض لموقعين قريبين (حتى هذا القرب لم يتفق عليه الفقهاء) لا يبدأ في نفس الوقت على هذين الموقعين في جميع أيام السنة الشمسية، ولأن رمضان شهر قمري فبدايته قد تقع في أي يوم من أيام السنة الشمسية.



الشكل ١٠-أ: خط الضوء الفاصل في الشتاء



الشكل ١٠-ب: خط الضوء الفاصل في الربيع والخريف



الشكل ١٠-ج: خط الضوء الفاصل في الصيف

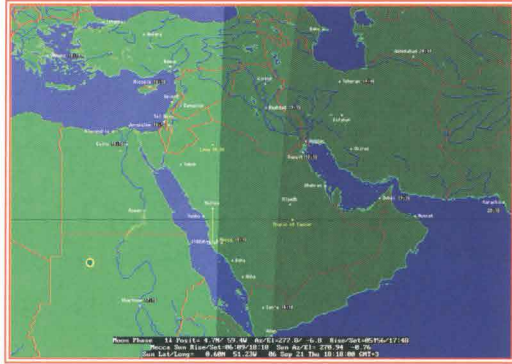
استخدمت كلمة موقع لأنني أريد الابتعاد عن التعبير السياسي، دولة، وحتى مصطلح "بلد" فله أيضًا مضمون سياسي. إذا كان الموقعان على نفس خط العرض فلن تغرب الشمس فيهما في نفس الوقت، ولكن ما عن ذلك أشرح، بل حتى إذا كان الموقعان على نفس خط الطول فلن يبدأ غروب الشمس في نفس الوقت في كل يوم من أيام السنة. بل قد يكون الموقعان على خطي طول مختلفين، وتغرب الشمس في نفس الوقت في بضعة أيام من السنة وتختلف في بقيتها. يرجع هذا إلى بعض الأسباب التي ذكرتها في فقرة "اختلاف المطالع مرة أخرى" في هذا الفصل، وهي تأثير كروية الأرض، وتأثير ميل محور الأرض. الشروق والغروب يبدآن في أيام مختلفة وأزمنة (وقتًا وأيامًا) مختلفة ومواقع مختلفة. ويرجع هذا إلى أن خط الضوء الفاصل terminator، الذي يفصل بين الليل والنهار وبين النهار والليل، لا يكون دائميًا موازيًا لخطوط الطول. أي، قد يكون هناك موقعان على خط طول واحد وعلى خطي عرض مختلفين وتغرب أو تشرق الشمس في كل منهما في أوقات مختلفة - وإن اشتركا في جزء من الليل - ولكن اشتراكهما لا معنى له. لماذا؟ لأن خط الضوء الفاصل مرة يكون خطًا مستقيمًا وبقيّة أيام السنة يكون منحنى متغير الانحناء في درجته وقيمته، وبالتالي بداية الليل تختلف من وقت إلى آخر وإن اشترك موقعان في جزء من الليل. فإذا علمنا أن احتمال رؤية الهلال تزداد كلما اتجهنا غربًا (وكلما قربنا من مدار الاستواء) وتتم في بضعة إلى عدة دقائق بينما يستمر اشتراك الليل لعدة ساعات، فإن معيار "يشتركان في جزء من الليل" يعتبر معيارًا لا معنى له وغير دقيق لشرح الواقع، وبالتالي الفقه الذي بني عليه غير دقيق أيضًا.

تُظهر (الأشكال ١٠-أ إلى ١٠-ج) للأرض، شكل خط الضوء الفاصل بين الليل والنهار وبين النهار والليل لبداية كل فصل شمسي لغروب شمس مكة المكرمة. يتدرج خط الضوء الفاصل طوال أيام السنة في انحنائه من خط منحنٍ في فصل الشتاء (الشكل ١٠-أ) إلى خط مستقيم موازٍ لخطوط الطول في يومين فقط، أول الربيع وأول الخريف، ولهذا كان هناك شكل واحد لهما (الشكل ١٠-ب)، إلى منحنى قليل الانحناء ثم تزيد درجة الانحناء إلى أعلاها في الصيف

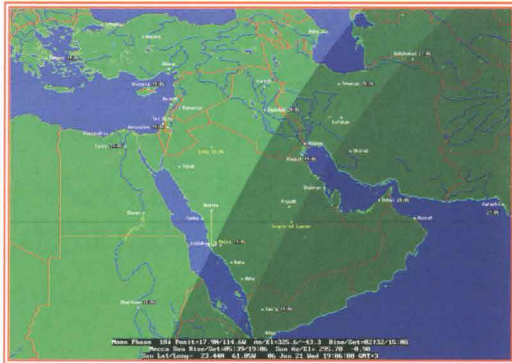
(الشكل ١٠-ج)، ثم تقل حتى يصبح خطًا مستقيمًا في الخريف، ثم ينحني قليلًا ولكن بعكس قيمته، ثم تزيد درجة الانحناء إلى أعلاها في الشتاء، ثم تقل حتى يصبح خطًا مستقيمًا مرة أخرى في الربيع. وهكذا دواليك كل سنة شمسية.



الشكل ١٠-د: خط الضوء الفاصل في الشتاء



الشكل ١٠-هـ: خط الضوء الفاصل في الربيع والخريف



الشكل ١٠-و: خط الضوء الفاصل في الصيف

تمثل (الأشكال ١٠-د إلى ١٠-و) ثلاث خرائط مكبرة للخرائط السابقة لمنطقة الشرق الأوسط حيث يظهر خط الضوء الفاصل بشكل أوضح لغروب الشمس بميقات مكة المكرمة في أول أيام الشتاء (الشكل ١٠-د)، والربيع والخريف (الشكل ١٠-هـ)، والشتاء (الشكل ١٠-و). فالشمس تغرب في المدينة المنورة في أول أيام الصيف الساعة ١٤: ٧م (كما تظهر المنطقة شبه القاتمة - منطقة الشفق - وهي تمر بالمدينة المنورة وبغداد) وتغرب في بغداد الساعة ١٥: ٧م، وتغرب في القدس الشريف الساعة ٤٨: ٧م - بفارق دقيقة بين المدينة المنورة وبغداد، وبفارق ٣٤ دقيقة بين المدينة والقدس الشريف. بينما تغرب الشمس في المدينة المنورة في أول الشتاء الساعة ٣٨: ٥م وفي بغداد الساعة ٥٩: ٤م، وفي القدس الشريف الساعة ٣٩: ٥م - بفارق دقيقة بين المدينة والقدس الشريف، وبفارق ٣٩ دقيقة بين المدينة وبغداد. علمًا أن هذه ثلاث مدن تقع على ثلاثة خطوط عرض وطول مختلفة.

لم يكن فقهاء السلف - جزاهم الله خيرًا - على اجتهادهم - يعرفون الحقائق العلمية الكونية المتاحة الآن لأي شخص يريد أن يعرف ويطبق. وعلى الفقه المعاصر أن يُغير من مصطلحات فقهية قديمة لا تستوعب حقيقة ما خلق الله. إن جهل أو نكران حقائق كونية اليوم من أي شخص يعتبر عملاً غير مقبول وبالتالي فهو فقه خاطئ.

أخيرًا، لموضوع ذي علاقة، هناك سؤال كثيرًا ما سُئِلته: كيف يؤدّن المغرب في مكة المكرمة مرة قبل المدينة، ومرة في المدينة المنورة يؤدّن المغرب قبل مكة المكرمة؟ والإجابة سُرحت سابقًا. علمًا أنه إذا أذن المغرب في مكة المكرمة قبل المدينة المنورة فالصبح يؤدّن في المدينة المنورة قبل مكة المكرمة. ويأتي يوم أو يومان يُؤدّن فيهما الفرضان المغرب والفجر - مرتين في السنة - في نفس الوقت.

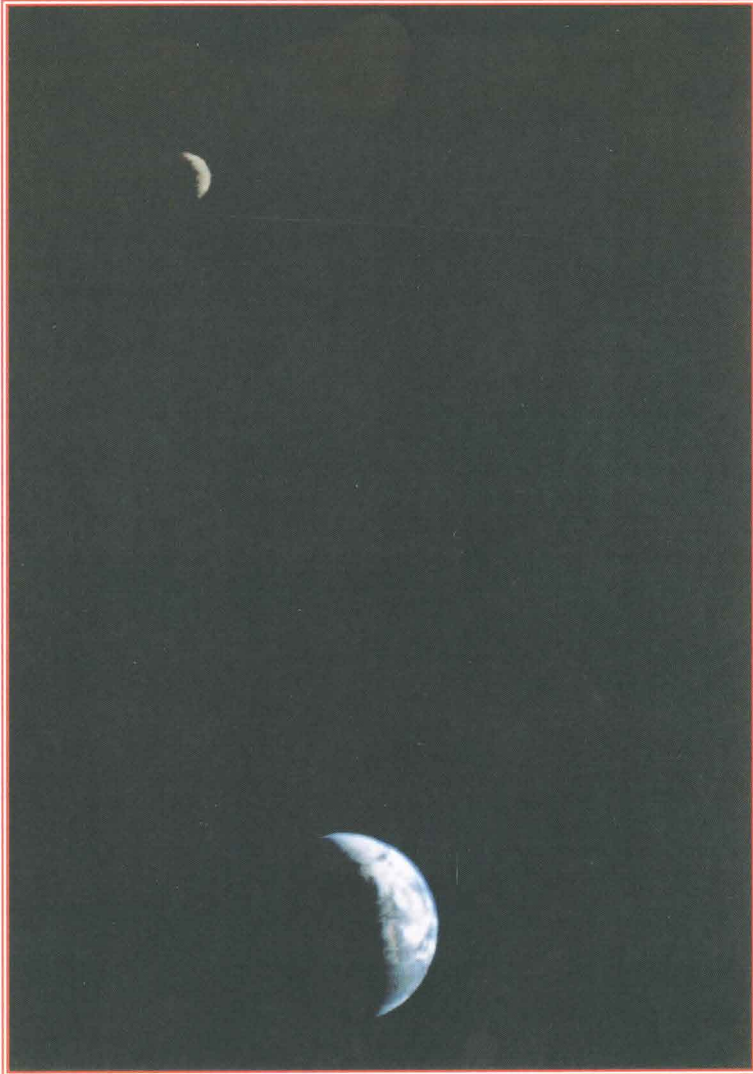
## فلك وأوجه القمر

القمر جرم سماوي تابع satellite له فلك "حول" كوكب الأرض. وكل

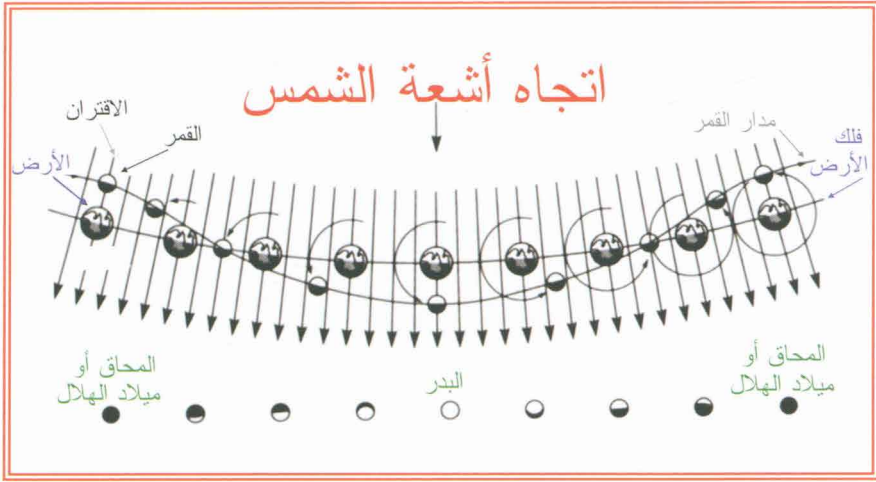
جرم سماوي تابع لكوكب يسمى قمرًا moon وإن كان لكل قمر اسمه الخاص به. إلا أن قمرنا اسمه أيضًا القمر the Moon. العلاقة بين القمر والأرض، ككل العلاقات بين الأجرام السماوية، هي علاقة قوة جاذبية، حيث تبلغ قوة جاذبية كوكب الأرض أكثر قليلاً من ستة أضعاف قوة جاذبية القمر، ولهذا يدور القمر في فلك الأرض (الشكل ١١)، وهي صورة أخذت لهما من كوكب المريخ. فلك القمر نسبة للأرض يظل قريباً جداً من المسطح الاستوائي equatorial plane للأرض فلا يبعد عن هذا المسطح الاستوائي بأكثر من  $29^{\circ}$  شمالاً أو جنوباً (منها  $27^{\circ}$   $23^{\circ}$  لمداري السرطان والجدي؛ أي: أن القمر لا يبعد عن مداري السرطان شمالاً والجدي جنوباً بأكثر من  $33^{\circ}$   $5^{\circ}$ ). مدار القمر هذا المختلف عن مدار الأرض يؤدي إلى تقاطع المدارين عند ما يسمى بالعقدتين the nodes والتي يُظهرهما (الشكل ١٣) ما بعد التالي. وتبلغ متوسط المسافة بين القمر والأرض  $384,400$  كيلو متراً. بمعنى، حيث إن مدار القمر بيضاوي، فإن القمر في فلكه الشهري بالنسبة إلى الأرض يكون في أبعد نقطة عنها وتسمى أوج apogee بمسافة  $547,405$  كيلومتراً، ويكون في أقرب نقطة منها وتسمى حضيض perigee بمسافة  $363,263$  كيلومتراً وذلك في كل شهر<sup>٢٨</sup>. هذا التفاوت في المسافة يؤثر عكسياً على إمكانية رؤية الهلال في حالة الأوج. فإذا تصادف قرب القمر من الأرض مع ميلاده، كانت إمكانية رؤية الهلال أكبر، وإذا بُعد قلت.

القمر له فلك بالنسبة إلى الأرض وهو قطعاً ليس فلكاً دائرياً مغلقاً حول الأرض<sup>٢٩</sup> كما يعتقد كثير من الناس، بل متعوج نسبة لفلك الأرض حول الشمس. المرة القادمة حينما ترى فلك القمر على شكل دائرة مغلقة حول الأرض في أي كتاب علمي فلا تفلت، إنه لتبسيط الأمر ولأن هذا ما يراه ساكن الأرض، فالأمور نسبية. لاستيعاب حقيقة فلك القمر عليك أن تخيل هذا المنظر وأنت في الفضاء على بعد، مثلاً،  $100,000$  كيلو متراً فوق الدائرة القطبية الشمالية. تخيل أيضاً فلك الأرض حول الشمس. سوف ترى

القمر يسبح مرة عن يمين الأرض ومرة عن يسارها. فكل حوالي ١٤ يومًا يبدأ القمر في سباحته خلف فلك الأرض فيكون أمام الأرض والشمس معًا، وفي منتصف هذه الفترة يصبح بدرًا. ثم في حوالي ١٤ يومًا أخرى يبدأ في سباحته أمام فلك الأرض فيكون بين الأرض والشمس<sup>٢٠</sup>، وفي منتصف هذه الفترة يصبح محاقًا، وهكذا دواليك، ويبدأ شهر قمري اقتراني جديد (الشكل ١٢).



الشكل ١١: الأرض والقمر



الشكل ١٢: مدار القمر الحقيقي نسبة إلى الأرض

هناك نوعان من الشهور: الشهر النجمي والشهر الاقتراني. الشهر النجمي sidereal month هو الفترة التي يقضيها القمر في دورة كاملة حول الأرض نسبة إلى نجم؛ أي: حينما تكون الأرض والقمر ونجم ما على خط طولي سماوي واحد، وهو شهر حسابي وليس طبيعياً. ومدة الشهر النجمي ٢٧,٣٢١٦٦١ يوماً وهي نفس المدة التي يقضيها القمر في دورة واحدة حول محوره. أما الشهر الاقتراني synodic month فهو الفترة التي يقضيها القمر في دورة كاملة حول الأرض نسبة إلى الشمس؛ أي: من هلال إلى هلال آخر أي اقتران القمر مع الشمس نسبة إلى الأرض. ومتوسط مدة الشهر الاقتراني هي ٢٩,٥٣٠٥٨٨٨٥٣١ يوماً<sup>٢١</sup> (أو ٣٥٤,٣٦٧٠٦٦٢٣٧٢ يوماً في السنة القمرية)، وهذا هو الشهر الطبيعي.

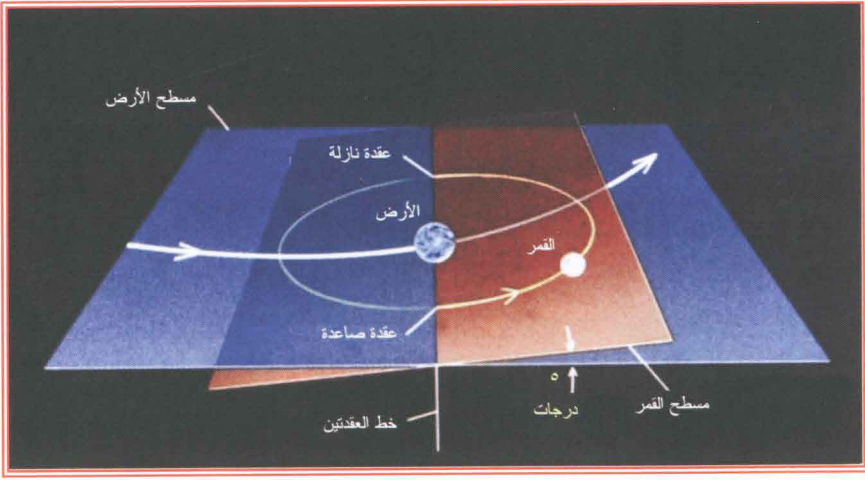
الآن انظر إلى الكسر العشري للشهر القمري، إنه ٠,٥ يوماً (الذي يتراكم إلى يوم كامل كل شهرين) زائد الكسر ٠,٣٠٥٨٨٨٥٣١ من اليوم والذي يتراكم إلى يوم كامل كل ٣٢,٦٩١٦٤٧٤ دورة للقمر أو شهراً (أو كل سنتين و٨ أشهر و٢٠ يوماً و١٠ ساعات و١١ دقيقة و٣٨,٨٣ ثانية). ثم يبقى هناك كسر أصغر منه يتراكم إلى يوم آخر في دورات أخرى، ثم يبقى هناك بعد ذلك كسر أصغر ثم أصغر وأصغر، وكل ذلك وعوامل أكثر وأدق من ذلك معروفة



ومحسوبة بدقة متناهية وعلى مدى مئات السنين. نعم مئات السنين، وكدت أذكر آلاف السنين لولا أن تصدقون.

إن الهدف من كل هذه الأرقام "الفلكية" هو السعي لإقناع القارئ أن معرفة مواقع القمر وزمانه وآلياته مع الأرض والشمس بل وحتى تأثير كواكب المجموعة الشمسية الأخرى عليه في وقتنا الحاضر أصبحت متاحة للجميع وبسهولة وبدقة قد لا نحتاجها في عبادتنا. إنك لن تحتاج لتكون فلكياً أو متخصصاً في الرياضيات والهندسة geometry لتلم بذلك. ما قد تحتاج إليه هو شراء أحد برامج الأجرام السماوية planetarium وبسعر زهيد، حوالي ٢٠٠ ريال (٥٣ دولاراً) أو أقل وهو على درجة عالية من الدقة والصحة والوضوح في رسوماته. أما إذا أردت دقة وصحة الهواة فهناك برامج بحدود ١,١٢٥ ريال (٣٠٠ دولار) وتعطيك جداول وأرقام ورسومات (مواقع) لأكثر من ٥٦ مليون نجم ومجرة وأجرام سماوية أخرى، عوضاً عن النظام الشمسي. هذه البرامج على درجة كبيرة من الدقة والصحة، في حدود أجزاء من الثانية الزمنية، وأجزاء من الثانية القوسية arc second من حيث موقع أي عضو من المجموعة الشمسية، وأجزاء أخرى من الثانية القوسية من حيث موقع أي نجم ولأي يوم من ١٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد إلى ١٠,٠٠٠ سنة بعد الميلاد<sup>٣٣</sup>. هذه المعرفة الدقيقة والصحيحة لمواقع كل المجموعة الشمسية وإتاحتها للعامة من حيث التشغيل والسعر يجعل العبادات المرتبطة بمواقع هذه الأجرام السماوية سهلة التطبيق. وهناك برامج أكثر تخصصاً وتعقيداً متاحة للهيئات العلمية والرسمية وتقوم هي بإعدادها<sup>٣٣</sup>.

الحديث عن القمر وفلكه قد يستدعي الحديث عن ظواهر أخرى له، مثل الاقتران والكسوف والخسوف والمد والجزر ودوره البالغ في الحياة الفطرية على الأرض وغير ذلك. ولكن سنكتفي هنا فقط بالحديث الموجز بما له صلة بموضوعنا؛ زاوية ميل فلك القمر بالنسبة لفلك الأرض، والاقتران والكسوف والخسوف eclipses، وأوجه القمر Moon phases.



الشكل (١٣): مسطح القمر

يسبح القمر في فلكه أو مداره الظاهري حول فلك الأرض بزاوية معينة. تسمى هذه الزاوية بزاوية متوسط ميل مدار القمر بالنسبة لمدار الأرض Moon mean inclination to the ecliptic ويبلغ متوسط الزاوية  $5,145396$  درجة<sup>٢٤</sup>. هذه الزاوية هي الفرق بين ميل الدائرة الظاهرية للشمس أو فلك الأرض حول الشمس وميل فلك القمر الظاهري حول الأرض، حيث السطح الأزرق يشكل مُسطح فلك الأرض حول الشمس، بينما السطح البني يشكل مسطح فلك القمر حول الأرض (الشكل ١٣). تؤثر هذه الزاوية وشكل المدارين الإهليلجين ونقطتا تقاطع المدارين عند العقدين، واللذين تغيران موقعهما باستمرار، بشكل كبير على حياة ملايين من البشر وغيرهم. كل هذه العوامل تؤثر على موقع الهلال واتجاه مساره عند الغروب ومقدار بعده عن الأفق، فيرى الرائي الهلال مرة إلى يمين موقع غروب الشمس (أقرب إلى الأفق) ومرة إلى يسارها (أبعد عن الأفق) ومرة فوق قرص الشمس، ومرة يكون قرص الهلال كبيراً وأخرى صغيراً. أخيراً، تؤثر زاوية ميل فلك القمر بالنسبة لفلك الأرض وشكل المدارين الإهليلجين في كيفية ووقت كسوف الشمس وخسوف القمر. ونظراً لاختلاف موقع وزمان حدوث العقدين في كل شهر (ولاختلاف سرعة القمر وسرعة الشمس الظاهرية وجاذبية الشمس والأرض

على القمر) فإن موقع وزمان حدوث الاقتران يختلف في كل شهر أيضًا؛ فمرة يقع الاقتران قبل ومرة مع ومرة بعد غروب الشمس. سنتحدث أكثر عن هذين المدارين وتأثيرهما على وقت حدوث الاقتران وغروب الشمس عما قليل.

ولا يقتصر تأثير زاوية ميل فلك القمر على موقع الهلال بل يلعب دورًا مركزيًا في حدوث كسوف الشمس وخسوف القمر، واللذين لهما آلية واحدة. تتلخص هذه الآلية في وجود ٣ أجرام سماوية، الشمس والقمر والأرض، بأحجام معينة (قُطر الشمس يساوي تقريبًا ٤٠٠ مرة قُطر القمر)، وعلى مسافات معينة (متوسط المسافة بين الأرض والشمس تساوي تقريبًا ٤٠٠ مرة متوسط المسافة بين الأرض والقمر)، وبهذا يكون قُطر الشمس الظاهري يساوي تقريبًا قُطر القمر الظاهري، ولكن ليس في كل الأوقات. لو أي من عناصر الآلية السابقة تغير لتغير شكل ووقت الكسوف أو الخسوف. فمثلاً، لو كانت المسافة بين الأرض والشمس أكبر لحصل الكسوف/الخسوف في الفضاء ولما علم به أحد. ولو كانت زاوية مسطح القمر صفرًا، لحصل كسوف للشمس عند مطلع كل شهر وخسوف للقمر عند منتصفه<sup>٣٥</sup>.

كل الأجرام السماوية يراها ساكن الأرض تأتي من الشرق وتتجه غربًا ما عدا القمر فإنه يتجه من غرب الكرة الأرضية إلى شرقها. ألا ترى أن كسوف الشمس يبدأ في الغرب ويتجه نحو الشرق، والكسوف ما هو إلا حجب جرم القمر لضوء الشمس عن الأرض. أما امتداد كسوف الشمس على أصقاع كبيرة على الأرض فترجع لكون الرائي على سطح الأرض topocentric وليس في مركزها الجوفي geocentric. قد تنتظر كثيرًا لترى كسوف شمس، ولكن هناك طريقة أخرى للتحقق من أن القمر يسبح في السماء من الغرب إلى الشرق. انتظر حتى ثاني يوم لأي شهر عربي (في الحقيقة لا تحتاج حتى إلى ذلك، ولكنها طريقة أسهل) وعيّن موقع الهلال في السماء بعد الغروب وحدّد الوقت، لنقل الساعة ٧:٠٠ مساءً. الآن في نفس الوقت؛ أي: الساعة ٧:٠٠ مساءً، من اليوم التالي اذهب إلى نفس المكان وتحّر الهلال في نفس الموقع الذي رأيته فيه بالأمس. لن تراه في موقع الأمس. ولكن انظر شرق موقع الأمس قليلًا فسوف

تراه . بكلام آخر، سوف يغرب الهلال متأخرًا عن زمن أمس بحوالي ٥٠ دقيقة - هذا الزمن يختلف قليلاً حسب خطوط العرض ومن شهر إلى آخر . باختصار، إن فلك القمر بالنسبة إلى الأرض يختلف عن كل أفلاك الكواكب والنجوم الأخرى .



الشكل ١٤: أوجه القمر

أمر آخر يختلف القمر عن كل النجوم الأخرى وهو مقدار إضاءة أجزائه، للرؤية المجردة على مر الشهر (في الحقيقة هذه الأوجه تنطبق على بقية كواكب المجموعة الشمسية وأقمارها ولكن لا يمكن رؤية تلك الأوجه بالعين المجردة على كل كوكب). بالرغم من أن الشمس تضيء نصف القمر دائماً وأبداً لساكن الفضاء، إلا أن ساكن الأرض يرى أجزاءً تضيء، تزداد أياماً وتنقص في أخرى وذلك في كل شهر. فمرة نرى ذلك الجزء الأيمن المضيء من القمر في أول الشهر الذي يستطيع المرء أن يراه من الأرض؛ أي: من جهة الغرب بعد الغروب بقليل، على شكل هلال (الشكل ١٤، القمر رقم ٢)، وبعد بضعة أيام نراه على شكل بدر (الشكل ١٤، القمر رقم ٥)، وبعد بضعة أيام أخرى ومن جهة الشرق نراه على شكل هلال آخر الشهر (الشكل ١٤، القمر رقم ٨). قارن اتجاه تحذب هلال أول الشهر مع اتجاه

تحدث هلال آخر الشهر، وصدق الحق ﷺ القائل: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٣٩) يس.

لنبدأ من البداية: حينما يحدث اقتران القمر والشمس مرة في شهر؛ أي: حينما تكون الأرض والقمر والشمس على خط سماوي مستقيم وبهذا التسلسل وفي أي وقت من اليوم (الشكل ١٤، القمر رقم ١)، فإنه يسمى المحاق أو التقاء النيرين. عندها لا يُرى القمر من الأرض على الإطلاق، وهذه هي ولادة الهلال أو بداية الشهر. حينما يبدأ القمر بالخروج من خط المحاق، يبدأ جزء صغير (الجزء الأيمن) من القمر بعكس ضياء الشمس على جزء من الأرض (الشكل ١٤، م٦)، مما يتيح لأي مترقب بعد غروب الشمس رأسًا أن يرى الهلال. (الشكل ١٤، م٦) تعني الساعة السادسة مساءً والقصد بعد الغروب من أي موقع في النصف الشمالي من الكرة الأرضية؛ من هنا نرى الجزء الأيمن المضاء من القمر (في جنوب خط الاستواء يرى المشاهد الجزء الأيسر من القمر مضاء). ثم يكبر الهلال رويدًا من شكل هلال نحيل إلى بدرٍ في منتصف الشهر ثم إلى هلالٍ مرة أخرى (الشكل ١٤، القمر رقم ٨) بعد ذلك ولكن من جهة الشرق (الشكل ١٤، ص٦)؛ أي: ٦ صباحًا. يوضح (الشكل ١٤) ثمانية أوجه مختلفة، وهناك أوجه أخرى، للقمر حيث تظهر الشمس في يمين الشكل وهي كبيرة وبعيدة جدًا عن الأرض ولكنها قُرِبَت للتبسيط. المحاق لا يكاد يُرى، أما المراقب والذي قد يرى الهلال الجديد فلن يراه إلا بعد مضي عدة ساعات على ولادته ومن جهة الغرب. بعدها يظهر الهلال النحيل لدقائق ثم يغرب.

تأمل الدقة في وصف كنهه وآلية كل من الشمس والقمر ممن خلقهُما وخلق آلياتهما، ﷻ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥) يونس. فالشمس ضياء لأنها نجم ساطع بذاتها، والقمر نور لأنه جسم سماوي هامد غير مضيء بذاته بل يعكس ضياء الشمس. وأوجه القمر كما نراها بهذه الأحجام هي بشكل رئيسي نتيجة لحجم الشمس والقمر نسبة إلى مراقب على الأرض (حجم قرص الشمس يساوي تقريبًا ٤٠٠ حجم قرص

القمر) وعلى أبعاد معينة من الأرض (متوسط بُعد الشمس عن الأرض يساوي ٤٠٠ مرة متوسط بُعد القمر من الأرض) وعلى مدارات معينة. كل هذا الإبداع والإتقان والحق من الخالق ﷻ لكي نعلم نحن البشر تقاويمنا ومناسباتنا الدينية وكل ما نحتاج أن نخطط له في حياتنا ﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالْجِبَابِ﴾. إن ما خلق الله ﷻ هو الحق وبالحق ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، فمن شكك أو جهل أو أنكر يقين علم البشر للآلية ومواقع وأوجه ومنازل القمر فقد أظهر مدى علمه بكون الله وسننه وانعكس ذلك على فقهه. أما علم الفلك الحديث فقد تيقنه الإنسان ﴿يَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، علم ذلك من علم وجهله من جهل. والقوم لغة الجماعة من الرجال والنساء معاً، أو الرجال خاصة، أو تدخله النساء على تبعية ويذكر ويؤنث<sup>٣٦</sup>. وأتت قوم في الآية نكرة لتعني أي جماعة.

## ولكن الهلال كبير!

أحياناً ينظر المرء إلى الهلال في أول يوم في الشهر الهجري ليلاً (أي: ثاني ليلة، حسب التقويم) ويقول: انظر، إنه هلال ثاني يوم، إنه كبير ومرتفع عن الأفق كثيراً ومكث طويلاً، إذاً لا بد أننا أدخلنا الشهر خطأ. أو على العكس من ذلك، إذ يقول قائل: إن اليوم بالفعل هو الثاني من الشهر (حسب الرؤيا)، انظر، الهلال كبير ومرتفع عن الأفق كثيراً ومكث طويلاً، إذاً لا بد أن الرؤية صحيحة<sup>٣٧</sup>. وفي كل الحالات تأتي المقارنة بين إعلان يوم دخول الشهر وبين حجم الهلال وارتفاعه ومكوته كما يراه العامة. ولكن الحقيقة الفلكية قد لا توافق ما تقوله العامة. الهلال، كما ذكر سابقاً، له دورة ظاهرية حول الأرض. وقبل انتهاء دورته لا يظهر الهلال في الشرق قبل شروق الشمس لمدة أقل من اليوم ثم يحدث الاقتران. ويظل الهلال مختلفياً بعد الاقتران لمدة أقل من اليوم، حوالي ١٥-٢٣ ساعة ومع ذلك فقد لا يظهر الهلال في بعض المناطق. في الليلة التالية يكون الهلال قد بلغ من العمر ١٥+٢٤=٣٩ ساعة، على أقل تقدير؛ أو أكثر ٢٣+٢٤=٤٧ ساعة، على أكبر

تقدير. وهنا قد يظهر الهلال في الأفق كبيرًا ومرتفعًا ويمكث طويلًا وتقول العامة: انظر إن الهلال كبير ومرتفع؛ كيف اليوم ١ في الشهر؟ أو يقول البعض: حقًا لقد دخل شهر رمضان كما قال الشوافة؛ هذا هلال الثاني من الشهر؛ في حين أن الهلال في الليلة الأولى لم يُر إطلاقًا وبالتالي فالليلة التالية لا تُعتبر الليلة الثانية بمعيار رؤية الهلال. إن الأمر بكل بساطة هو: أن المعيار عند العامة يختلف عما هو عند علم الفلك. فاليوم، أو ما يقاربه (أي: الساعات)، الذي لم يظهر فيه الهلال بعد الاقتران وغروب الشمس يحسبه علماء الفلك من عمر الهلال ولكن العامة لا تحسبه لأنه أسهل لهم لموافقته مع حدسهم ولكن ذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة. لنعطي مثالًا على ذلك للتقريب؛ حينما يولد إنسان من بطن أمه تراه العامة لأول مرة وله حجم وشكل و"يبدأ" عمره منذ تلك اللحظة. ولكن الحقيقة، أن عمر الجنين بدأ قبل ذلك بتسعة أشهر وإن كان لم يره أحد. فنشأة الجنين تبدأ منذ التلقيح، ونشأة الهلال تبدأ منذ الاقتران؛ ويُرى الجنين بعد الولادة، ويُرى الهلال بعد غروب الشمس. وقد يُرى الجنين كبيرًا إذا أتم تسعة أشهر وكانت بنيته قوية، وقد يُرى الهلال كبيرًا إذا أتم بعد الاقتران وقبل غروب الشمس خمسة عشر ساعة أو أكثر.

أما ارتفاع الهلال ومكثه، فله علاقة طردية بحجمه وبالتالي عُمره؛ فكلما كان الهلال أكبر حجمًا كلما كان أعلى في الأفق ويمكث مدة أطول قبل غروبه. فالهلال الذي عمره (منذ الاقتران إلى غروب الشمس) ١٦ ساعة يظل في الأفق لمدة ٣٦ دقيقة ثم يغرب، وإن كان عمره ٣٩ ساعة يظل لمدة ٨٨ دقيقة ثم يغرب. أخيرًا، إن فلك القمر إهليلجي وقد يكون في أقرب نقطة (أو أبعداها) حين يمكن رؤيته لأول مرة بعد الاقتران؛ أي: أن حجم الهلال يتأثر أيضًا بموقعه في فلكه حول الأرض.

## ولكن الهلال قريب!

أحيانًا ينظر المرء بعد غروب الشمس إلى الهلال في أول ليلة في الشهر الهجري ويقول: انظر، إن الهلال قريب من الأفق كثيرًا ولن يمكث طويلًا قبل

أن يغرب هو الآخر. فهل المسألة بالنظر؟ ليت الأمر بهذه البساطة. فهناك شهور يكون الهلال، في أول ليلة له، قريبًا جدًا من الأفق ويغرب سريعًا، وشهور أخرى يمضي وقتًا أطول قبل أن يغرب رغم قربه من الأفق. إذاً، ما الذي يؤثر في "سرعة" الهلال حتى يغرب؟ في هذا الفصل تطرقنا إلى بعض خواص آلية أو حركية القمر: متوسط سرعته حول الأرض في الشهر، متوسط المسافة بين الأرض والقمر في الشهر، شكل (حركية) فلك القمر الشهري حول الأرض، ونقطتي الحضيض والأوج في مداره حول الأرض. بالإضافة إلى ذلك، هناك عاملان آخران يؤثران في تحديد الوقت الذي يستغرقه الهلال لكي يغرب بعد أن غربت الشمس. الأول، تغير موقع جرم القمر، حال غروبه، على دائرة البروج في الشهر الشمسي الذي يغرب فيه هلال أول ليلة من الشهر القمري؛ وهذا هو العامل الأكبر في التأثير على سرعة أو بطء غروب الهلال (الأشكال ١٥ أ-ج). الثاني، أثر انكسار ضوء الهلال على وقت غروبه؛ وهذا تأثيره قليل أو معدوم اعتمادًا على الجزء المضيء من القمر. النتيجة، أن الهلال يغرب سريعًا حين تكون دائرة البروج عمودية على الأفق الغربي، ويغرب الهلال ببطء حين تشكل دائرة البروج زاوية حادة على الأفق الغربي، سواء على يمين الشمس أو يسارها. وتختلف درجة الزاوية الحادة على الأفق الغربي من شهر إلى آخر، وبالتالي تختلف سرعة غروب الهلال من شهر إلى آخر. وتمتزج كل العوامل السابقة في التأثير على سرعة أو بطء الهلال عند غروبه.

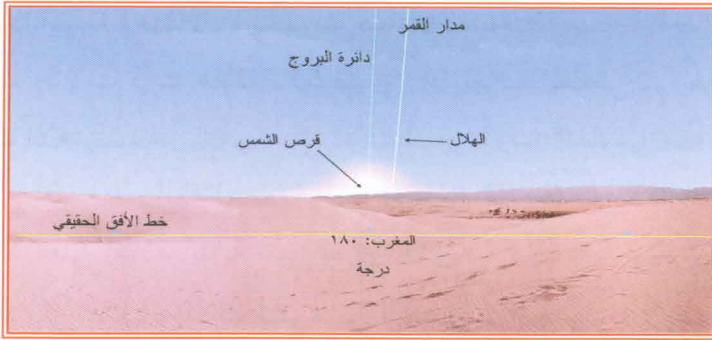
### الاقتران وغروب الشمس والقمر

الآن لدى القارئ الكثير من المعلومات عن القمر ليتلقى جرعة أخيرة عن حالة يثيرها البعض ويتهم علماء الفلك بأنهم لا يعرفونها<sup>٣٨</sup>. ذكر سابقًا أنه لدخول الشهر الهجري الجديد فإن الاقتران يجب أن يكون قبل غروب الشمس حتى وإن غرب الهلال بعد غروبها؛ لأن اليوم في النظام الإسلامي يبدأ عند غروب الشمس وهذا الهلال (إذا حدث الاقتران بعد غروب الشمس) هو هلال الشهر الحالي وليس التالي. والحقيقة، أنه لا توجد علاقة بين الاقتران (ولادة

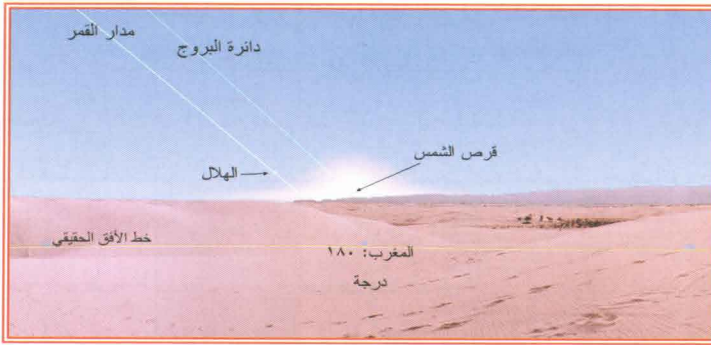


الهلال) وحتمية حدوثه دائماً قبل غروب الشمس الذي يحدث قبل غروب الهلال. فغروب الشمس والقمر هما دورتان ظاهريتان أخريان مختلفتان عن بعضهما، كما يتأثر حدوث كل منهما بخط عرض الرائي، فنجد أن هلال أول الشهر على مدار السنة يغرب قبل ومع وبعد غروب الشمس بفارق يضع ثوان أو دقائق، انظر الجدول ٤. يعتبر الاقتران (للتذكر، وقوع الشمس والقمر والأرض على خط طول سماوي واحد) حركة من ضمن دورة القمر بالنسبة للأرض، ولأسباب مختلفة يحدث الاقتران قبل ومع وبعد غروب الشمس. إذا حدث الاقتران مع أو بعد غروب الشمس بفترة (بغض النظر متى غرب الهلال)، فإن دورة الهلال لم تكتمل بعد؛ أي: لم ينته الشهر القمري العربي بعد عوضاً عن أن يكون قد بدأ الشهر التالي. في هذا الوضع وفي حالة غروب الهلال بعد غروب الشمس، فإنه لا يُعتد بالهلال حتى وإن أُخبر برؤيته. باختصار، إن العوامل الرئيسية التي تجعل الاقتران الشهري يحدث في أوقات مختلفة على مدار اليوم هي: أن مدار القمر الظاهري (مع تغير حركة الاقتران) حول الأرض يختلف عن مدار الشمس الظاهري حول الأرض من حيث السرعة والشكل (كلا المدارين إهليلجي)، وأن نقطتي التقاء مداري الشمس والقمر (العقدتين) تختلفان في موقعهما وزمانهما كل شهر.

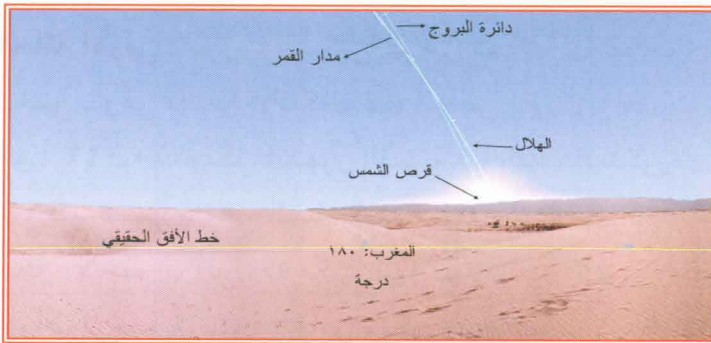
حالة حدوث غروب الشمس ثم غروب القمر (أو غروبهما معاً) ثم حدوث الاقتران بعد ذلك بفترة، تعتبر من الحالات المتكررة غير المنتظمة. والتشويش الذي قد ينتاب البعض لجزء من هذه الظاهرة يأتي من واقع التوقيت الزوالي (اليوم يبدأ عند الساعة ١٢:٠٠ صباحاً أو منتصف الليل). ولكن لو استخدمنا التوقيت الغروبي الإسلامي والذي يعني أن يوماً جديداً يبدأ عند غروب الشمس لوضحت هذه الحالة تماماً، وهذا يوضح التناسق الذاتي للنظام الإسلامي. فالاقتران يجب أن يحدث في اليوم السابق (أي: قبل غروب الشمس) والذي يعني نهاية دورة القمر وبدء دورة جديدة، ثم نأخذ غروب الشمس وغروب القمر لليوم التالي وليس لنفس اليوم؛ الفاصل هو لحظة - لليوم وللشهر والسنة - ولكن لا بد من مُحدّد.



الشكل ١٥-أ: سرعة غروب الهلال ودائرة البروج



الشكل ١٥-ب: سرعة غروب الهلال ودائرة البروج



الشكل ١٥-ج: سرعة غروب الهلال ودائرة البروج

هناك ثلاثة أحداث:

- ١- الاقتران،
- ٢- وغروب الشمس،
- ٣- وغروب القمر.

وهناك بضعة احتمالات لحدوث تشكيلات مختلفة لهذه الأحداث، ولكن هناك ثلاث حالات ذات علاقة بالموضوع: أن تغرب الشمس ثم يغرب الهلال ثم يحدث الاقتران، أو أن يحدث الاقتران وغروب الشمس معاً ثم يغرب الهلال، أو أن يغرب الهلال مع غروب الشمس ثم يحدث الاقتران. كل هذه الحالات لا تعني إطلاقاً بداية شهر قمري جديد.

لننظر إلى هذه الحالات بشيء من التفصيل. الجدول ٤: يُظهر التواريخ الميلادية وما يقابلها بالشهر الهجري التي حلت فيها هذه الحالات لسنين من الماضي وأخر من المستقبل، وأوقات الاقتران (ولادة الهلال) وغروب الشمس وغروب الهلال ومدة مكثه وللفترة من الخميس ١ محرم ١٣٧٠هـ إلى الأحد ٢٩ ذو الحجة ١٤٥٠هـ (الموافق لـ ١٢-١٠-١٩٥٠م إلى ١٣-٥-٢٠٢٩م) أي ٩٦٠ شهراً قمرياً. أما إحداثيات مكة المكرمة وهي: خط عرض يساوي ٠٠° ١٩' ٢١ شمالاً، وخط طول يساوي ٤١° ٣٦' ٣٩ شرقاً، و٣٠٠ متراً ارتفاعاً عن سطح البحر، و٣ ساعات فرق عن توقيت قرينيتش (وهذه الإحداثيات ليست إحداثيات الكعبة بل إحداثيات أحد ضواحي مكة المكرمة "ومكة كلها حرم"). وصنفت الحالات إلى ثلاث مجموعات متناسقة وهي:

- **الحالة الأولى:** غروب الشمس ثم غروب الهلال ثم حدوث الاقتران وبهذا التسلسل - وهو مصدر الإشكال عند البعض - وتكرر حدوث هذه الحالة ٢٥ مرة (أي: ٠,٢٦٪) ولكل الشهور القمرية في الفترة المذكورة. هذه الحالة غير منتظمة، فقد تستمر مرة في السنة ولعدة سنوات ثم تختفي لسنة أو لسنتين أو حتى ١٢ سنة. لاحظ أن أقل مدة مكث فيها الهلال في الأفق ١ دقيقة وتكررت ٥ مرات، وأطول مدة كانت ٨ دقائق وتكررت مرتين. لاحظ أيضاً أن هذه الحالة لم تحدث قط لشهر رمضان ولا لشهر شوال في الفترة المذكورة ولكنها حدثت مرتين لشهر ذي الحجة في ١ ذو الحجة ١٤٠٤هـ الموافق (٢٦ أغسطس ١٩٨٤م) وفي ١ ذو الحجة ١٤٠٦هـ (٥ أغسطس ١٩٨٦م) وسوف تحدث في ١ ذو الحجة ١٤٤٣هـ (٢٨ يوليو ٢٠٢٢م)، بمشيئة المولى سبحانه.

- **الحالة الثانية:** حدوث الاقتران وغروب الشمس معاً ثم يغرب

الهلال، وتكرر حدوث هذه الحالة مرتين (أي: ٠,٠٠٢٪)، مكث فيها الهلال في الأفق ٥ و٦ دقائق، على التوالي.

- الحالة الثالثة: غروب الشمس والهلال معاً ثم حدوث الاقتران، وتكرر حدوث هذه الحالة ١١ مرة (أي: ٠,٠١١٪)، ولم يمكث فيها الهلال في الأفق على الإطلاق، انظر الجدول ٤.

#### الجدول ٤: الاقتران وغروب القمر:

١-١-١٣٧٠ إلى ٣٠-١٢-١٤٥٠هـ

تاريخ الاقتران	لشهر الهجري	ولادة الهلال	غروب الشمس	غروب القمر	مكث القمر بالدقائق
أ- حيث تغرب الشمس ثم يغرب القمر ثم يحدث الاقتران					
٩ أكتوبر ١٩٦١م	جمادى ١ ١٣٨١هـ	٩:٥٣ م	٦:٠٣ م	٦:٠٤ م	١
٢٨ سبتمبر ١٩٦٢م	جمادى ١ ١٣٨٢هـ	١٠:٤٠ م	٦:١٣ م	٦:١٥ م	٢
١٧ سبتمبر ١٩٦٣م	جمادى ١ ١٣٨٣هـ	١١:٥١ م	٦:٢٣ م	٦:٢٥ م	٢
٥ أكتوبر ١٩٦٤م	جمادى ٢ ١٣٨٤هـ	٧:٢٠ م	٦:٠٦ م	٦:١٤ م	٨
٢٦ أغسطس ١٩٦٥م	جمادى ١ ١٣٨٥هـ	٩:٥١ م	٦:٤٣ م	٦:٤٨ م	٥
١٤ سبتمبر ١٩٦٦م	جمادى ٢ ١٣٨٦هـ	١٠:١٣ م	٦:٢٦ م	٦:٢٨ م	٢
٧ يوليو ١٩٦٧م	ربيع ٢ ١٣٨٧هـ	١٠:٠٠ م	٧:٠٨ م	٧:١٣ م	٥
١٩ نوفمبر ١٩٧٩م	محرم ١٤٠٠هـ	٩:٠٥ م	٧:٣٩ م	٧:٤٢ م	٣

تاريخ الاقتران	الشهر الهجري	ولادة الهلال	غروب الشمس	غروب القمر	مكث القمر بالدقائق
٢٧ أكتوبر ١٩٨١م	محرم ١٤٠٢هـ	١١:١٤ م	٧:٤٩ م	٧:٥١ م	٢
١٥ نوفمبر ١٩٨٢م	صفر ١٤٠٣هـ	٦:١١ م	٥:٤٠ م	٥:٤٤ م	٤
٢٦ أغسطس ١٩٨٤م	ذو الحجة ١٤٠٤هـ	١٠:٢٦ م	٦:٤٣ م	٦:٤٧ م	٤
١٤ سبتمبر ١٩٨٥م	محرم ١٤٠٦هـ	١٠:٢١ م	٦:٢٦ م	٦:٢٧ م	١
٥ أغسطس ١٩٨٦م	ذو الحجة ١٤٠٦هـ	٩:٣٧ م	٦:٥٩ م	٧:٠٤ م	٥
٢٧ سبتمبر ٢٠٠٠م	رجب ١٤٢١هـ	١٠:٥٤ م	٦:١٣ م	٦:١٥ م	٢
١٦ أكتوبر ٢٠٠١م	شعبان ١٤٢٢هـ	١٠:٢٤ م	٥:٥٧ م	٥:٥٨ م	١
٨ أغسطس ٢٠٠٢م	جمادى ٢ ١٤٢٣هـ	١٠:١٦ م	٦:٥٧ م	٦:٥٨ م	١
٢٧ أغسطس ٢٠٠٣م	رجب ١٤٢٤هـ	١٠:٢٧ م	٦:٤٢ م	٦:٥٠ م	٨
١١ نوفمبر ٢٠١٥م	صفر ١٤٣٧هـ	١٠:٤٩ م	٥:٤١ م	٥:٤٢ م	١
١٩ أكتوبر ٢٠١٧م	صفر ١٤٣٩هـ	١٠:١٣ م	٥:٥٤ م	٥:٥٦ م	٢
٩ سبتمبر ٢٠١٨م	محرم ١٤٤٠هـ	٩:٠٣ م	٦:٣٠ م	٦:٣٢ م	٢
٧ نوفمبر ٢٠١٨م	ربيع ١ ١٤٤٠هـ	٧:٠٣ م	٥:٤٣ م	٥:٥٠ م	٧

تاريخ الاقتران	الشهر الهجري	ولادة الهلال	غروب الشمس	غروب القمر	مكث القمر بالدقائق
٢٨ سبتمبر ٢٠١٩م	صفر ١٤٤١هـ	٩:٢٨ م	٦:١٢ م	٦:١٧ م	٥
٢٦ نوفمبر ٢٠١٩م	ربيع ٢ ١٤٤١هـ	٦:٠٧ م	٥:٣٩ م	٥:٤١ م	٢
٢٨ يوليو ٢٠٢٢م	ذو الحجة ١٤٤٣هـ	١٠:٥٦ م	٧:٠٣ م	٧:٠٩ م	٦
١٧ يوليو ٢٠٢٣م	محرم ١٤٤٥هـ	٩:٣٣ م	٧:٠٦ م	٧:١١ م	٥
ب- حيث يحدث الاقتران وغروب الشمس معاً ثم يغرب القمر					
٢٦ نوفمبر ١٩٨١م	صفر ١٤٠٢هـ	٥:٣٩ م	٥:٣٩ م	٥:٤٤ م	٥
٢٥ يونيو ٢٠٠٦م	جمادى ٢ ١٤٢٧هـ	١٩:٠٧ م	١٩:٠٧ م	١٩:١٣ م	٦
ج- حيث تغرب الشمس والقمر معاً ثم يحدث الاقتران					
٤ يونيو ١٩٥١م	رمضان ١٣٧٠هـ	٧:٤١ م	٧:٠١ م	٧:٠١ م	٠
٢١ نوفمبر ١٩٧٦م	ذو الحجة ١٣٩٦هـ	٦:١١ م	٥:٣٩ م	٥:٣٩ م	٠
٧ نوفمبر ١٩٨٠م	محرم ١٤٠١هـ	١١:٤٤ م	٥:٤٣ م	٥:٤٣ م	٠
٨ أغسطس ١٩٨٣م	ذو القعدة ١٤٠٣هـ	١٠:١٩ م	٦:٥٧ م	٦:٥٧ م	٠
٢٥ يوليو ١٩٨٧م	ذو الحجة ١٤٠٧هـ	١١:٣٨ م	٧:٠٤ م	٧:٠٤ م	٠
٢٢ نوفمبر ١٩٩٥م	رجب ١٤١٦هـ	٦:٤٤ م	٥:٣٩ م	٥:٣٩ م	٠

تاريخ الاقتران	لشهر الهجري	ولادة الهلال	غروب الشمس	غروب القمر	مكث القمر بالدقائق
١٠ ديسمبر ١٩٩٦م	شعبان ١٤١٧هـ	٧:٥٨ م	٥:٤١ م	٥:٤١ م	٠
٢٠ سبتمبر ١٩٩٨م	جمادى ٢ ١٤١٩هـ	٨:٠٢ م	٦:٢٠ م	٦:٢٠ م	٠
٣ سبتمبر ٢٠٠٥م	شعبان ١٤٢٦هـ	٩:٤٧ م	٦:٣٦ م	٦:٣٦ م	٠
١٦ أكتوبر ٢٠٢٠م	ربيع ١ ١٤٤٢هـ	١٠:٣٢ م	٥:٥٦ م	٥:٥٦ م	٠
٢٤ يوليو ٢٠٢٥م	صفر ١٤٤٧هـ	١٠:١٢ م	٧:٠٤ م	٧:٠٤ م	٠

### ملاحظات على الجدول

■ استُخدم برنامج TheSky6 Professional Astronomy Software, Version 6.0. 0.61, 2008 ما عدا الأشهر الهجرية فهي من كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الإفرانكية والقطبية، علماً أن الكتاب لم يذكر المعايير التي استخدمها في تحديد بداية الشهر العربي.

كل الحسابات الفلكية تمت على إحداثيات مكة المكرمة وهي: خط الطول ٣٩ درجة شرقاً و٣٦ دقيقة قوسية و٤١ ثانية قوسية، وعلى خط العرض ٢١ درجة شمالاً و١٩ دقيقة قوسية و٠٠ ثانية قوسية، و٣٠٠ مترًا فوق مستوى سطح البحر. وقُرِّبت جميع الثواني إلى دقائق. هذه إحداثيات إحدى ضواحي مكة المكرمة وليست إحداثيات الكعبة. أما إحداثيات الكعبة فهي: خط الطول ٣٩ درجة شرقاً و٤٩ دقيقة قوسية و٣٤,١٩ ثانية قوسية، وخط العرض ٢١ درجة شمالاً و٢٥ دقيقة قوسية و٢١,٠٠ ثانية قوسية. وقد اخترت إحداثيات إحدى ضواحي مكة المكرمة لأنه يستحيل رؤية الهلال من عند الكعبة بسبب التلوث الضوئي وارتفاع الجبال والمباني حول الكعبة، كما أن الفرق في الحسابات الفلكية بين الإحداثيتين ضئيل جداً، علماً أن مكة كلها حرم.

■ استخدم الرقم ١ و٢ بعد أسم الشهور ربيع وجمادى (مثل، ربيع ١ وربيع ٢ وجمادى ١ وجمادى ٢) للدلالة على ربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة.

- توقيت مكة المكرمة = قرينيتش GMT + ٣، ولم يراع أي توقيت صيفي، كما أنيط حرف م ليعني مساءً.
- كل التواريخ حُسبت بالتقويم الميلادي وكل التواقيت في الجدول حُسبت على طريقة التوقيت الزوالي.

يُظهر الجدول ٤ حسابات فلكية في الماضي والمستقبل لفترة ٨٠ سنة قمرية أو ٧٧,٦٢ سنة شمسية. يُظهر الجدول حالات تكرر وأوقات غروب الشمس وغروب الهلال وحدوث الاقتران لحالات خاصة، كما يُظهر أيضًا الشهر الهجري التالي لحدوث الاقتران. علمًا أن كل حالات الاقتران هذه حصلت في اليوم التالي حسب التوقيت الإسلامي لأن اليوم يبدأ عند غروب الشمس وهذا هو المهم، أما للذين يأخذون التوقيت الزوالي في الاعتبار فإن أوقات الاقتران المذكورة محصورة ما بين غروب الشمس وإلى الساعة ١١:٥٩ مساءً من نفس اليوم الزوالي لأن اليوم يبدأ عند الساعة ١٢:٠٠ صباحًا وبعد ذلك يحصل الاقتران في اليوم التالي؛ وهو اتجاه لم يتبناه الكتاب لأنه لا يتوافق مع التعريف الإسلامي لليوم عوضًا عن الإشكال الذي يسببه.

وقد تساءل أحد الفقهاء<sup>٢٩</sup> قبل حلول شهر رمضان ١٤٢٧هـ (سبتمبر ٢٠٠٦م): كيف يغرب الهلال قبل الشمس يوم السبت ٣٠-٨-١٤٢٧هـ (٢٣-٩-٢٠٠٦م) وقد حدث الاقتران قبل غروب الشمس؟ وكما اتضح سابقًا فليس هناك علاقة مميزة بين الاقتران وغروب أي من الشمس أو القمر. فالاقتران يحدث قبل أو مع أو بعد غروب الشمس بغض النظر متى غرب الهلال. أما الاقتران وغروب القمر، فالجدول ٤، السابق يُظهر حالات ثلاثًا خاصة: أن الشمس تغرب ثم يغرب القمر ثم يحدث الاقتران، أو يحدث الاقتران وتغرب الشمس معًا ثم يغرب القمر، وأخيرًا تغرب الشمس والقمر معًا ثم يحدث الاقتران. وهذه الحالات وإن كانت خاصة إلا أنها تحدث كما أوضحها الجدول ٤، أما الحالات "الشائعة" أي أن يحدث الاقتران ثم تغرب الشمس ثم يغرب الهلال (بغض النظر عن الفارق الزمني بين الغروبين)، فهو الشرط الضروري - وليس الكافي - لبداية الشهر القمري كما سُرح في بداية الفصل الرابع.



وفي دراسة باللغة الإنجليزية\* للدكتور بكري أستاذ علم الفلك في قسم الفلك، كلية العلوم، جامعة الأزهر لحالة ولادة الهلال (الاقتران) وغروب الهلال ومدة مكثه في السماء (أي: من غروب الشمس إلى غروب الهلال) للفترة من ١٩٠١ إلى ٢١٠٠م (٢,٤٠٠ شهراً) ظهر له تكرر حالات غريبة (على خلاف القاعدة العامة) لرؤية الهلال، جمعها:

أ- في حالات ولادة الهلال قبل أو بعد غروب الشمس مباشرة (وهذه حدثت ١١٨ مرة لكل الفترة؛ أي: ٤,٩٢٪)، تتفاوت مدة مكث الهلال الجديد من ٣ دقائق (٧ مرات) إلى ١٧ دقيقة (مرة واحدة). في هذه الحالات تتفاوت زاوية ارتفاع القمر عن الأفق من أقل من ١ إلى ٢ درجة، هذا يعني أن رؤية الهلال بالعين المجردة تكون مستحيلة لقرب الهلال الشديد من الأفق. في هذه الحالات يكون الشهر دائماً ٣٠ يوماً. ١١٤ من الـ ١١٨ مرة السابقة وحدثت في فترة يونيو (حزيران) إلى ديسمبر (كانون ١)، و ٢ في مايو (أيار) و ٢ في يناير (كانون ٢).

ب- إذا ولد الهلال قبل الساعة ١١ صباحاً، فإن الهلال قد يغرب قبل غروب الشمس أو معها؛ وهذه حدثت ٦٢ مرة (أي: ٢,٥٨٪). في هذه الحالات يكون الشهر ٢٩ يوماً.

هذه الحالات تكررت بشكل غير منتظم. فقد تظهر مرتين في السنة أو في سنين متتالية أو قد تختفي لمدة ١٠ سنين.



## الفصل الخامس

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾

### أهلة رمضان وشوال وذى الحجة: دراسة

عرفنا في الفصول السابقة قصد الشريعة الإسلامية باتخاذ الهلال كمحدد أو وسيلة لبدء وانتهاء عبادة الصيام وعبادات ومعاملات أخرى. وعرفنا الشروط التي وضعها علماء شريعة وفلك مسلمون (وغير مسلمين) لإمكانية رؤية الهلال، بالعين البشرية المجردة، عند بدء ظهوره لأول مرة. وعرفنا أيضًا كيف فسّر علماء مسلمون نصوصًا شرعيةً لرؤية الهلال وكيف أثر ذلك التفسير على واقعهم إلى الآن. في هذا الفصل سوف نطبق المعلومات العلمية الفلكية السابقة على دخول شهر رمضان الكريم وعيد الفطر المبارك وذى الحجة في المملكة العربية السعودية كما أعلن رسميًا عن دخول كل منهم كحالة دراسة من الفترة ١ رمضان ١٣٨٠هـ إلى ١ ذو الحجة ١٤٢٩هـ (الخميس ١٦ فبراير/ شباط ١٩٦١م إلى السبت ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٨م).

ولكن لنعطي أولاً نبذة عن تقويم أم القرى ثم نلقي ضوءًا على الكيفية الرسمية لدخول وإعلان شهر رمضان وعيد الفطر المبارك (شهر شوال) في المملكة العربية السعودية.

### تقويم أم القرى

تقويم أم القرى<sup>١</sup> هو التقويم المدني الرسمي لحكومة المملكة العربية السعودية وتستخدمه كل الإدارات الرسمية، وكل الهيئات الدينية الرسمية الأخرى (بما في ذلك المحكمة العليا والمجلس الأعلى للقضاء) في كل

المعاملات الرسمية وإن كانوا لا يعترفون بتحديد تقويم أم القرى لدخول أي شهر، وذلك ازدواجية في المعايير. ولكن الحكومة السعودية تستخدم أيضًا تقويمًا شمسيًا (ويُسمى التقويم الهجري الشمسي)<sup>٢</sup> في معاملات رسمية أخرى (كالميزانية والتخطيط مثلاً) وتسمح لجهات رسمية وشبه رسمية، (لإبرام عقود ومعاهدات) باستخدام التقويم الشمسي الميلادي.

تقويم أم القرى هو الوارث لتقويمين، الأول هو: "تقويم الأوقات لعرض نجد"، والثاني "تقويم الأوقات لعرض المملكة العربية السعودية" حيث دمجا وسميًا بتقويم أم القرى. مر تقويم أم القرى بمراحل مختلفة لتحديد طريقة دخول الشهر القمري. في المرحلة الأولى وتمتد من عام ١٣٤٦-١٣٩٢هـ (١٩٢٧-١٩٧٣م) أخذ التقويم بمعياري: إذا كانت زاوية ارتفاع القمر عن الأفق ٩ درجات أو أكبر عند غروب الشمس، فالיום التالي هو بداية الشهر. في المرحلة الثانية وتمتد من عام ١٣٩٣-١٤١٩هـ (١٩٧٣-١٩٩٧م) أخذ التقويم بمعياري: إذا تمت ولادة الهلال قبل الساعة ١٢:٠٠ ليلاً بتوقيت قرينيتش (التاسعة مساءً بتوقيت المملكة)، فالיום التالي هو بداية الشهر. في المرحلة الثالثة وتمتد من عام ١٤١٩-١٤٢٢هـ (١٩٩٨-٢٠٠٢م) أخذ التقويم بمعياري: إذا غرب القمر بعد غروب الشمس في مكة المكرمة بغض النظر عن ولادة الهلال، فالיום التالي هو بداية الشهر. في المرحلة الرابعة من عام ١٤٢٣هـ (مارس ٢٠٠٢م) أسس فيها تقويم أم القرى المعياريين التاليين: يكون اليوم التالي هو بداية الشهر إذا ولد الهلال قبل غروب الشمس وإذا غرب الهلال بعد غروب الشمس. كان تقويم أم القرى منذ صدوره وحتى نهاية عام ١٣٨٨هـ (مارس ١٩٦٩م) يعتمد التوقيت الغروبي لبداية اليوم. مع بداية العام ١٣٨٩هـ في يوم الأربعاء ١ محرم ١٣٨٩هـ (١٩-٣-١٩٦٩م) أضاف تقويم أم القرى التوقيت الزوالي الذي أصبح التوقيت الرسمي للملكة. كما أضاف تقويم أم القرى في يوم الأربعاء ١ محرم ١٣٨١هـ الموافق ١٤ يونيو ١٩٦١م تقويمًا شمسيًا بأسماء عربية للشهور وأسماء التقويم الهجري الشمسي (هـ ش) الذي يوافق ٢٤ الجوزاء ١٣٣٩هـ ش. وميزة هذا التقويم

المسمى الهجري الشمسي أن الفصول الأربعة تبدأ في أول الشهر وليس في ٢٠ أو ٢١ أو ٢٣ من الشهر الميلادي. فأول الربيع يوافق ١ الحمل، وأول الصيف يوافق ١ السرطان، وأول الخريف يوافق ١ الميزان، وأخيراً أول الشتاء يوافق ١ الجدي.

## دخول رمضان

يحظى دخول شهر رمضان الكريم وعيد الفطر المبارك، وبقية المناسبات الدينية، بحفاوة رسمية على أعلى مستوى في جميع الدول الإسلامية. ففي المملكة العربية السعودية يصدر بيان من مجلس القضاء الأعلى في يوم ٢٧ من الشهر السابق لتحري رؤية الشهر القادم يحث المسلمين على ترائي الهلال. (حصل تطوير إداري للنظام القضائي في المملكة العربية السعودية تم بموجبه - ضمن تغيرات أخرى - نقل صلاحيات تحديد بداية الشهور القمرية إلى المحكمة العليا. وفي أول إعلان للمحكمة العليا لتحري رؤية هلال شهر قمري، أصدرت المحكمة العليا إعلاناً يشبه في صيغته إعلانات مجلس القضاء الأعلى لتحري هلال شهر رجب ١٤٣٠هـ. وفي ثاني بيان للمحكمة العليا لتحري هلال شهر شعبان ١٤٣٠هـ، ولأول مرة منذ ٢٧ سنة - حين أصدرت هيئة كبار العلماء فتوى بجواز استخدام المناظير لرؤية الهلال - أظهرت المحكمة العليا قبولها لاستخدام المناظير في رؤية الهلال، كما طلبت "المحكمة من جميع المترئين الانضمام إلى اللجان المشكلة في المناطق لهذا الغرض"). في حال ثبوت شهر رمضان وشوال وذى الحجة حسب معايير مجلس القضاء الأعلى يصدر المجلس بياناً ويحيله إلى الديوان الملكي الذي يصدر بياناً يُتلى على الشعب العربي السعودي وكل المقيمين في المملكة عبر جميع وسائل الإعلام الرسمية (الإذاعة والتلفزيون) ومن ثم الصحف المحلية يعلن فيه دخول شهر رمضان الكريم وعيد الفطر المبارك. وصيغة بيان الديوان الملكي هي:

بيان من الديوان الملكي. صدر عن مجلس القضاء الأعلى ما يلي:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد: فقد عقد مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة جلسة بعد مغرب هذا اليوم الأربعاء التاسع والعشرين من شهر شعبان [١٤ أكتوبر ٢٠٠٤م] متحريراً ما قد يرد عن رؤية هلال شهر رمضان المبارك. ولم يرد ما يفيد برؤيته هذه الليلة ليلة الخميس المكمل للثلاثين من شهر شعبان عام ١٤٢٥هـ الموافق ١٤ أكتوبر ٢٠٠٤م. وقد قال النبي ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا العدة» وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفتروا حتى تروه، فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يوماً». ولعدم ثبوت رؤية الهلال هذه الليلة فإن يوم غد الخميس هو المكمل للثلاثين من شهر شعبان ويوم الجمعة الموافق ١٥ أكتوبر هو أول شهر رمضان المبارك. ومجلس القضاء الأعلى إذ يهنئ المسلمين بهذه المناسبة يسأل الله جل وعلا أن يوفق المسلمين للعمل الصالح وأن يجمع كلمتهم على الحق وأن ينصر دينه ويعلي كلمته إنه سميع مجيب. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة: ناصر بن إبراهيم الحبيب عضو، غيهب بن محمد الغيهب عضو، محمد بن الأمير عضو، محمد بن سليمان البدر عضو، رئيس المجلس صالح بن محمد اللحيان<sup>٢</sup>.

واستعداداً لمعرفة دخول شهر رمضان، يقوم مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية بإصدار عدة بيانات ونشرها في الجرائد المحلية في يوم ٢٧ جمادى الآخرة (الشهر السادس في التقويم الهجري) ويوم ٢٧ رجب (الشهر السابع في التقويم الهجري) ويوم ٢٧ شعبان (الشهر الثامن في التقويم الهجري) ويوم ٢٧ رمضان يدعو فيه المسلمين لتحري رؤية هلال الشهر القادم. وصيغة إعلان مجلس القضاء الأعلى لشهر رمضان هي:

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد. فلأنه ثبت دخول شهر شعبان ليلة الأربعاء الموافق ١٤٢٥/٨/١هـ حسب تقويم أم القرى، فإن مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية يرغب من عموم المسلمين في هذه البلاد تحري رؤية هلال شهر

رمضان المبارك مساء يوم الأربعاء ليلة الخميس الموافق ١٤٢٥/٨/٣٠ هـ حسب تقويم أم القرى.

"ولأهمية الأمر وتعلقه بركن من أركان الإسلام ولأن من أنعم الله عليه بحدة البصر عليه أن يشكر الله ويحتسب في ترائي الهلال ويبادر إذا رآه لأقرب محكمة يمكنه الاتصال بها لإثبات شهادته أو إبلاغ الجهة المختصة في بلده إذا لم يكن في البلد قاض لتسهيل له مهمة الوصول لأقرب محكمة. كما يرجو المجلس الاهتمام بترائي الهلال والاحتساب في ذلك لما فيه من التعاون على البر والتقوى. والله الموفق<sup>٤</sup>."

علمًا أن ولادة الهلال تكون الساعة ٥:٤٩ مساءً ويغرب الهلال في الساعة ٦:١٦ مساءً بينما تغرب الشمس الساعة ٥:٥٨ مساءً بتوقيت مكة المكرمة في يوم الخميس ١٤٢٥-٨-٣٠ هـ الموافق (١٤-١٠-٢٠٠٤م)، وزاوية ارتفاع القمر عن الأفق عند غروب الشمس هي ١°٣٠' بينما زاوية الانفصال عن الشمس هي ٥°٥٠'. هذه الحثيات تجعل رؤية الهلال بالعين المجردة متعذرة جدًا.

أما صيغة تحري هلال شهر شوال (عيد الفطر) فهي:

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد. فإن مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية يرغب من عموم المسلمين في هذه البلاد تحري رؤية هلال شهر شوال مساء يوم الجمعة ليلة السبت الموافق ٣٠ [كذا] رمضان ١٤٢٥ هـ. [يوم الجمعة ليلة السبت يوافق ٢٩ رمضان وليس ٣٠ منه حسب تقويم أم القرى، ولعله خطأ مطبعي. المؤلف]".

أما صيغة دخول شهر شوال فهي:

"بيان من الديوان الملكي. جاءنا من مجلس القضاء الأعلى ما يلي:

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد. فقد ثبت شرعًا لدى مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة رؤية هلال شهر شوال عام ١٤٢٥ هـ مساء هذا اليوم الجمعة الموافق ١٤٢٥/٩/٢٩ هـ

حسب تقويم أم القرى في الرياض والقصيم وسدير والقويعة وبهذا يكون يوم (غد السبت) الموافق ١٣ نوفمبر عام ٢٠٠٤م هو يوم عيد الفطر المبارك.

...

"وحمل البيان توقيع الشيخ صالح بن محمد اللحيان رئيس المجلس وعضوية كل من ناصر بن إبراهيم الحبيب وغيبه بن محمد الغيهب ومحمد بن الأمير ومحمد بن سليمان البدر".<sup>٦</sup>

علمًا أن ولادة الهلال تكون الساعة ٥:٢٨ مساءً ويغرب الهلال في الساعة ٥:٣٢ مساءً بينما تغرب الشمس الساعة ٥:٤١ مساءً بتوقيت مكة المكرمة في يوم الجمعة ٢٩-٩-١٤٢٥هـ (١٢-١١-٢٠٠٤م)، وزاوية ارتفاع القمر عن الأفق عند غروب الشمس هي ٥٧' - ٢° بينما زاوية الانفصال عن الشمس هي ٢٢' ٢° . هذه الحثيات تجعل رؤية الهلال واقعيًا وعلميًّا مستحيلة على الإطلاق. ولكنها استحالة ليست لدى البعض، فقد توهموا أو كذبوا على الله وعلى المسلمين. إن الواقع أحيانًا يكون مؤلمًا ويناقض العلم وحتى باسم الدين؛ لقد أعلن في المملكة العربية السعودية أن صباح الأحد ١٣-١١-٢٠٠٤م هو أول أيام عيد الفطر المبارك. ولقد قمت بنفسي ومعني شخص آخر بالغ واتصلت بآخر في مكة المكرمة ورابع في الرياض متخصصًا علميًا وميدانيًا في رؤية الهلال بتحريه بعد مغرب يوم السبت ليلة الأحد ١٣-١١-٢٠٠٤م وتحريت الهلال بعيني المجردة ثم بمقرب عيار ٥٠×٧ ولم أره ولم يره مرافقي ولم يره من كان في مكة المكرمة وكذلك لم يره من كان في الرياض؛ علمًا أن الهلال إذا رُوي حقًا في ليلة ما فسُرى في الليلة التالية أكبر وأعلى في الأفق، وهذا يؤكد كذب أو توهم من ادعى رؤية الهلال يوم الجمعة ليلة السبت ١٢-١١-٢٠٠٤م. إن ما يؤلم حقًا هو أن التقويم الإسلامي الهجري لا يُتخذ مرجعًا لمناسباتنا الإسلامية لأنه لا يُعتد به ويستخدمون التقويم الميلادي للدلالة على مناسبة إسلامية، وإن مسلمين بغض النظر عن نيتهم يعطون فكرة متخلفة إلى العالم كله بحملهم لفقهِ غير محتوين له ويجعلهم الدين ضد العلم. هذا يقودنا إلى الدراسة الميدانية التالية عن

دخول رمضان الكريم وعيد الفطر المبارك بين الواقع والعلم.

### هدف الدراسة

تهدف الدراسة - بمنهجية علمية فلكية - إلى إظهار ما إذا كان يوم الإعلان الرسمي لدخول أشهر رمضان وشوال (عيد الفطر المبارك) وذى الحجة (وبالتالي يوم الوقفة بعرفات) لفترة ٥٠ عامًا، تشمل ١٣٨٠-١٤٢٩هـ (١٩٦١-٢٠٠٨م)، يوافق الشروط التي وضعها علماء مسلمون في علم الفلك والشريعة في مؤتمر تحديد أوائل الشهور القمرية الذي انعقد في اسطنبول، تركيا في الفترة ٢٦-٢٩ ذي الحجة ١٣٩٨هـ (٢٧-٣٠ نوفمبر ١٩٧٨م)، وذلك عبر إظهار حيثيات علمية فلكية لليلة التي سبقت دخول الشهر وذلك لموقع مكة المكرمة. في حال عدم توافق الحيثيات العلمية الفلكية لهذه الليلة لشروط دخول الشهر القمري، فسنبين اليوم الذي يوافق الشروط. ولكن نتذكر أن اليوم يبدأ في الحسابات الإسلامية عند الغروب وليس عند منتصف الليل كما هو العرف السائد الآن (التوقيت الزوالي). نتذكر أيضًا أن بدء اليوم عند الغروب يعني بالضرورة أن الشهر (وبالتالي السنة) يبدأ عند بدء اليوم؛ أي: عند الغروب. هذا يستلزم أن يتم الاقتران قبل الغروب ثم تؤخذ حيثيات تلك الليلة، كما سيتضح بعد قليل.

### منهجية الدراسة

ذكر سابقًا أن الشهر العربي القمري (التقويم الهجري) يبدأ بحدوث الاقتران في اليوم السابق لبدء الشهر ثم غروب الشمس ثم غروب الهلال مع زاوية ارتفاع القمر عن الأفق تساوي على الأقل ٥ درجات وزاوية انفصال القمر عن الشمس تساوي على الأقل ٧ درجات. لكن بعض الأشهر ذات الصبغة الدينية مثل رمضان وشوال وذى الحجة لا يتم إعلان دخولها من المؤسسات الدينية إلا بإبلاغ رؤية بصرية من أفراد. هذه المؤسسات الدينية الرسمية لا تعترف بعلم الفلك الحديث ولا التقويم الرسمي ولا اللجان الرسمية العلمية الفلكية لتحري الهلال، بل يغمزون وحتى ينفون دقة وصحة



نتائج علم الفلك تارة ويخلطون بين علم الفلك والتنجيم تارة أخرى. ويحتج أهل هذا السلوك باختلاف علماء الفلك فيما بينهم ولذلك يتركونه، وكأن فقهاء الشريعة الإسلامية لم ولا يختلفون فيما بينهم. فهل أصبح اختلاف العلماء (فلك أو شريعة أو غيره) فيما بينهم مدعاة لترك أي علم؟ لا ينبغي.

الجداول ٨، ٩، و ١٠ توضح يومين هما محور الدراسة. يحدد العمود الثالث في الجداول ٨، ٩، و ١٠ اليوم الرسمي الذي أعلن فيه دخول أشهر رمضان وشوال وذو الحجة (حسب التقويم الميلادي)؛ ويقابله العمود الأخير في نفس الجدول الذي يُحدّد (حسب التقويم الميلادي أيضًا) اليوم الذي تُؤيد فيه الحثيات العلمية الفلكية بداية شهر رمضان وشوال وذو الحجة؛ أي: اليوم المفترض أن يبدأ به الشهر.

اليوم الرسمي لإعلان رمضان وشوال وذو الحجة قُدّم من مركز الدراسات والمعلومات في مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر في جدة<sup>٥</sup>. لكي نعرف صحة هذا اليوم الرسمي؛ أي: فيما إذا كانت طريقة الرؤية التقليدية المتبعة توافق الحساب العلمي الفلكي، فعلينا أن نعرف متى ولد الهلال (اليوم والساعة والدقيقة) وأن نحدد وقت غروب الشمس وغروب الهلال وزاوية ارتفاع الهلال وزاوية انفصال الهلال عن الشمس ليلية السابقة لأول نهار لرمضان وشوال وذو الحجة (العمود الرابع إلى العمود الثامن في ثلاث الجداول). هذا أمر سهل ومتاح لأي شخص عامي ومهتم، ويتحقق عبر منْهجة الرؤية البصرية للهلال (أي: ما الذي يجب أن يتحقق كونيًا ونَعلمه حتى يمكن رؤية الهلال بصريًا). هذه المنهجية حُددت بالتفصيل في بداية الفصل الرابع "والقمر بحسبان: آية القمر". وسنترجم هذه المعايير في حسابات فلكية علمية دقيقة في ثلاثة الجداول. إن الغرض من توضيح هذه الحسابات الفلكية العلمية هو إظهار توافق أو عدم توافق بدء الشهر كما أعلن مع الشروط التي وضعها واتفق عليها علماء فلك مسلمون وعلماء شريعة في مؤتمر اسطنبول، تركيا المنعقد في الفترة ٢٦-٢٩ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ (٢٧-٣٠ نوفمبر ١٩٧٨ م).

ولمعرفة اليوم الآخر، استخدم أحدث وأدق برنامج علم فلك متاح للعامّة والمختصين والمحترفين واسمه TheSky6 Professional لحساب كل من أوقات ولادة الهلال وغروب الشمس وغروب الهلال وزاويتي ارتفاع وانفصال القمر. علمًا أن إحداثيات مكة المكرمة هي: خط الطول  $٤١^{\circ} ٣٦' ٣٩''$  شرقًا وخط العرض  $٠٠^{\circ} ١٩' ٢١''$  شمالًا و  $٣٠٠٠$  مترًا ارتفاعًا عن سطح البحر (حيث الرمز " يعني ثانية قوسية، والرمز ' يعني دقيقة قوسية، والرمز  $^{\circ}$  يعني درجة. والدائرة تُقسّم إلى  $٣٦٠$  درجة، وكل درجة تُقسم إلى  $٦٠$  دقيقة قوسية، وكل دقيقة قوسية تُقسم إلى  $٦٠$  ثانية قوسية).

قد يأتي أحد بقيمة أو رقم يختلف قليلاً عما هو في الجداول ٨، ٩، و١٠، أو أي جدول؛ لأنه يكون قد استخدم قيمة أو رقمًا أو معادلة أو برنامجًا فلكيًا مختلفًا أو حتى كمبيوترًا مختلفًا، هذا معروف وحتى إلى حد ما مقبول، على أن يكون الاختلاف في حدود دقيقة واحدة. أما لو كان الاختلاف في حدود، مثلًا، ٦ دقائق ويأتي التعليل بمثل: "قربت ولادة الهلال لأقرب ٦ دقائق زمنية لأنه ليس من المفيد استخدام دقة أكبر في هذا الموضوع"، فهذا تجاوز قد يدل على هندسة للنتائج قبل الوصول إليها. إن المنهج الوحيد لكل الجداول، كما هو لكل الكتاب، هو الصحة *correctness* والدقة *accuracy*.

### الحسابات الفلكية لتحديد بداية الشهر المفترض

تمت الحسابات الفلكية لتحديد "اليوم الذي تُؤيد فيه الحيثيات بداية الشهر" كما ظهر في العمود الأخير كالتالي:

أولاً: يُحدد اليوم الذي ولد فيه الهلال (مثلًا، الخميس ١٦ فبراير ١٩٦١م).

ثانيًا: تُحدد ساعة ودقيقة ولادة الهلال؛ أي قبل غروب الشمس أم بعد غروبها.

**ثالثًا:** إذا كانت ساعة ولادة القمر قبل الغروب، فيُحسب وقت غروب الشمس وغروب الهلال لنفس اليوم، وكذلك تحسب زاوية ارتفاع القمر عن الأفق وزاوية انفصال القمر عن الشمس (بُعدَه عن الشمس).

**رابعًا:** إذا وافقت الحثيات الفلكية لنفس ذلك اليوم، في ثالثًا، الشروط التي وضعها بعض علماء الفلك المسلمون وعلماء الشريعة، فإن اليوم التالي؛ أي: الجمعة ١٧-٢-١٩٦١م، هو بداية رمضان في هذه الحالة (أو شوال إذا طُبِق نفس المنوال).

**خامسًا:** إذا كانت ساعة ولادة القمر (فَرَضًا) بعد أو مع غروب شمس يوم ١٦ فبراير ١٩٦١م ولكن قبل أن تصل الساعة ١٢:٠٠ صباحًا ولو بثانية واحدة، فنأخذ حسابات اليوم التالي وهو الجمعة ١٧ فبراير ١٩٦١م ونطبق المنوال السابق. إذا وافقت الحثيات الشروط، فإن رمضان يبدأ في ١٨-٢-١٩٦١م، وهكذا.

**سادسًا:** إذا حدثت ولادة القمر عند الساعة ١٢:٠٠ صباحًا أو أكثر، فتعتبر ولادة القمر قبل غروب الشمس كما في ثالثًا.

كل هذه الحسابات الفلكية لتحديد "اليوم الذي تُؤيد فيه الحثيات بداية الشهر" لا تظهر في ثلاث الجداول ٨، ٩، و١٠، ويظهر اليوم الذي يوفي الشروط كلها.

## نتائج الدراسة

### أولًا: بداية شهر رمضان

الفترة لهذه الدراسة هي ٥٠ عامًا لبداية شهر رمضان كما أُعلن رسميًا: من الخميس ١ رمضان ١٣٨٠هـ (١٦ شباط/فبراير ١٩٦١م) إلى الاثنين ١ رمضان ١٤٢٩هـ (١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٨م).

الجدول ٥: يُلخّص نتائج "الجدول ٨: أول أيام رمضان للأعوام ١٣٨٠-١٤٢٩هـ".

الجدول ٥: مدى توافق

رؤية هلال رمضان مع المعايير الفلكية

الفترة	مرات التوافق	نسبة التوافق	مرات التعارض	نسبة التعارض	الهلال تحت الأفق
٥٠	٦	٪١٢	٤٤	٪٨٨	٢٨

• لم يحصل قط أن أظهر الحساب العلمي الفلكي أن رمضان كان من المفروض أن يدخل قبل إعلانه رسمياً خلال الفترة؛ لقد كان أهل الرؤية دائماً سابقين.

• وافقت طريقة الرؤية التقليدية المتبعة الحساب العلمي الفلكي في إعلان دخول رمضان في ٦ مرات من الـ ٥٠ مرة، أو بنسبة ١٢,٠٠٪.

• عارضت طريقة الرؤية التقليدية المتبعة الحساب العلمي الفلكي في إعلان دخول رمضان في ٤٤ من الـ ٥٠ مرة، أو بنسبة ٨٨,٠٠٪.

• كان الهلال تحت الأفق في ليلة إعلان دخول رمضان في ٢٨ من الـ ٥٠ مرة (٥٦,٠٠٪)، وفوق الأفق في ٢٢ من الـ ٥٠ مرة (٤٤,٠٠٪)، منها ١٦ مرة فوق الأفق ولكن ارتفاع زاوية القمر فوق الأفق كانت أقل من المعيار المطلوب وهي ٥°.

• كان الهلال بعيداً تحت الأفق (من ٥٥' - ٤' إلى ١٠٦' - ١٢°) في ليلة إعلان دخول رمضان في ٩ من الـ ٢٨ مرة (٣٢,١٤٪)، بحيث إنه لا بد من مضي يومين لدخول رمضان، وهذه أقصى مدة سُجِّلت. بينما كان هناك ١٩ من الـ ٢٨ مرة (٦٧,٨٦٪)، كان الهلال تحت الأفق بحيث إنه لا بد من مضي يوم آخر لدخول رمضان.

• ولد الهلال في أول يوم من رمضان (كما أعلن) في ١٤ مرة من مرات التعارض الـ ٤٤ (٣١,٨٢٪)؛ أي بدأ رمضان (كما أعلن) ولم يكمل الهلال دورته الشهرية بيوم.

• سجل رمضان ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) لكل الفترة أعلى زاوية ارتفاع للقمر فوق الأفق (١٠٨' ١٠°)، بينما سجل رمضان ١٤١٢هـ (١٩٩٢م) لكل الفترة أدنى زاوية ارتفاع تحت الأفق (١٠٦' ١٢°). وسجل رمضان ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م) لكل الفترة أكبر زاوية انفصال للقمر عن الشمس (٣١' ١٤°)، بينما سجل رمضان ١٣٨٢هـ (١٩٦٣م) أصغر زاوية انفصال (٤٣' ٠٠°) لكل الفترة.

• يعتبر إعلان بدء وانتهاء رمضان ١٤٠٤هـ أقصر رمضان لكل الفترة.

حيث أعلن رسمياً أن يوم الجمعة ١-٦-١٩٨٤م أول أيام رمضان، كما أعلن رسمياً أن يوم الجمعة ٢٩-٦-١٩٨٤م أول أيام عيد الفطر المبارك. هذا يجعل عدد أيام الصيام ٢٨ يوماً، وهو خطأ واضح. لقد كان دخول الشهر صحيحاً وهو أحد السنين الست الذي وافقت الرؤية البصرية الحساب الفلكي. ففي يوم الأربعاء ٣٠-٥-١٩٨٤م، وبتوقيت مكة المكرمة، غرب الهلال الساعة ٦:٥٢م ثم غربت الشمس الساعة ٦:٥٨م ثم ولد هلال رمضان في الساعة ٧:٤٩م؛ وبالتالي من المستحيل أن يكون يوم الخميس أول رمضان. ثم أعلن رسمياً أن العيد يوم الجمعة ٢٩-٦-١٩٨٤م، وهذا خطأ مُرَكَّب. ففي ليلة العيد، وبتوقيت مكة المكرمة يوم ٢٨-٦-١٩٨٤م، غرب الهلال الساعة ٦:٤٠م ثم غربت الشمس الساعة ٧:٠٨م. وفي صبيحة يوم ٢٩-٦-١٩٨٤م، ولد الهلال الساعة ٦:٢٠ص والناس تستمع لخطبة العيد (أشرفت الشمس الساعة ٦:٤٢ص وتقام الصلاة بعد الإشراق بحوالي ١٥-٢٠ دقيقة).

• يعتبر إعلان بدء رمضان ١٤١٢هـ يوم الأربعاء ٤-٣-١٩٩٢م أسوأ إعلان لكل الفترة من حيث بُعد الرؤية التقليدية المتبعة عن التوافق العلمي الفلكي، حيث وافق أدنى درجة كان الهلال فيها تحت الأفق (١٠٦' ١٢°).

بعبارة زمنية، غرب الهلال قبل غروب الشمس بـ ٥٠ دقيقة في يوم الثلاثاء ٢٩ شعبان ١٤١٢هـ حسب تقويم أم القرى (٣ مارس ١٩٩٢م)، حيث بدأ الناس الصيام بينما ولد الهلال الساعة ٤:٢٣ من مساء نفس يوم الأربعاء ٤ مارس ١٩٩٢م؛ انظر الملاحظة ١١ للفصل الثالث. والحقيقة، أنه حتى يوم الخميس

(دع عنك الأربعاء) ما كان ليكون بداية رمضان، فالجمعة هو اليوم الأصح.

• أتى رمضان ١٣٨٤هـ في كانون الثاني/يناير ١٩٦٥م ثم أتى رمضان ١٣٨٥هـ في ديسمبر/كانون الأول ١٩٦٥م (يبدأ فصل الشتاء في ٢١ ديسمبر أو ١ الجدي)؛ أي: رمضانين في سنة شمسية واحدة. ثم أتى رمضان ١٤١٧ و١٤١٨هـ كذلك في كانون الثاني/يناير وديسمبر/كانون الأول من عام ١٩٩٧م؛ أي: بعد مرور ٣٤ سنة قمرية، أو حوالي ٣٣,٥٨ سنة شمسية<sup>١</sup>. هذه ظاهرة تكررت في السنوات ١٨٦٨م و١٩٠٠م و١٩٣٢م وسوف تتكرر في السنوات ٢٠٣٠م و٢٠٦٣م، على سبيل المثال.

#### ثانيًا: بداية شهر شوال

الفترة لهذه الدراسة هي ٥٠ عامًا لبداية شهر شوال كما أُعلن رسميًا: من الجمعة ١ شوال ١٣٨٠هـ (١٧ آذار/مارس ١٩٦١م) إلى الثلاثاء ١ شوال ١٤٢٩هـ (٣٠ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٨م).

الجدول ٦: يُلخّص نتائج "الجدول ٩: أول أيام شوال للأعوام

١٣٨٠-١٤٢٩هـ".

#### الجدول ٦: مدى توافق

#### رؤية هلال شوال مع المعايير الفلكية

الفترة	مرات التوافق	نسبة التوافق	مرات التعارض	نسبة التعارض	الهلال تحت الأفق
٥٠	٧	٪١٤	٤٣	٪٨٦	٣٢

• لم يحصل قط أن أظهر الحساب العلمي الفلكي أن شوال كان من المفروض أن يدخل قبل إعلانه رسميًا خلال الفترة؛ لقد كان أهل الرؤية دائمًا سابقين.

• وافقت طريقة الرؤية التقليدية المتبعة الحساب العلمي الفلكي في

إعلان دخول شوال في ٧ من الـ ٥٠ مرة (١٤,٠٠٪).

• عارضت طريقة الرؤية التقليدية المتبعة الحساب العلمي الفلكي في إعلان دخول شوال في ٤٣ من الـ ٥٠ مرة (٠,٨٦٪).

• كان الهلال تحت الأفق في ليلة إعلان دخول شوال في ٣٢ من الـ ٥٠ مرة (٠,٦٤٪)، وفوق الأفق في ١٨ من الـ ٥٠ مرة (٠,٣٦٪)، منها ١١ مرة فوق الأفق ولكن ارتفاع زاوية القمر فوق الأفق كانت أقل من المعيار المطلوب وهي ٥°.

• كان الهلال بعيداً تحت الأفق (من ٢٠' - ٧° إلى ٥١' - ١٣°) في ليلة إعلان دخول شوال في ١٣ من الـ ٣٢ مرة (٠,٤٠٦٣٪)، بحيث إنه لا بد من مضي يومين لدخول شوال، وهذه أقصى مدة سُجّلت. بينما كان هناك ١٩ من الـ ٣٢ مرة (٠,٥٩٣٨٪)، كان الهلال تحت الأفق بحيث إنه لا بد من مضي يوم آخر لدخول شوال.

• ولد الهلال في أول يوم من شوال (كما أعلن) في ١٦ مرة من مرات التعارض الـ ٤٣ (٠,٣٧٢١٪)؛ أي بدأ عيد الفطر المبارك (كما أعلن) ولم يكمل الهلال دورته الشهرية.

• سجل شوال ١٤١١هـ (١٩٩١م) لكل الفترة أعلى زاوية ارتفاع للقمر فوق الأفق (١٨' ٠٩°)، بينما سجل شوال ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) لكل الفترة أدنى زاوية ارتفاع تحت الأفق (٥١' - ١٣°). وسجل شوال ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) لكل الفترة أكبر زاوية انفصال للقمر عن الشمس (٥٥' ١٢°)، بينما سجل شوال ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) لكل الفترة أصغر زاوية انفصال (٠٠' ٠٢°).

• يعتبر إعلان بدء شوال ١٣٨٩هـ يوم الثلاثاء ٩-١٢-١٩٦٩م أسوأ إعلان لكل الفترة من حيث بُعد الرؤية التقليدية المتبعة عن التوافق العلمي الفلكي، حيث وافق أدنى درجة كان الهلال فيها تحت الأفق (٥١' - ١٣°). بعبارة زمنية، غرب الهلال قبل غروب الشمس بـ ٦٤ دقيقة في يوم الاثنين ٢٩ رمضان ١٣٨٩هـ، حسب تقويم أم القرى (٨-١٢-١٩٦٩م) حيث ولد الهلال الساعة ٤٣:١٢ من مساء يوم الثلاثاء ٩-١٢-١٩٦٩م والناس صائمون وانتشرت

سيارات الشرطة (النجدة) في شوارع مكة المكرمة وجدة (وشاهدت ذلك بنفسى) تخبر الناس أن اليوم عيد وعليهم الإفطار. والحقيقة، أنه حتى يوم الأربعاء (دع عنك الثلاثاء) ما كان ليكون بداية شوال، فالخميس هو اليوم الأصح.

• أتى شوال ١٣٨٦هـ في كانون الثاني/يناير ١٩٦٧م ثم أتى شوال ١٣٨٧هـ في كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٧م؛ أي: عيداً فطر في سنة شمسية واحدة. ثم تكررت الظاهرة مرة أخرى في كانون الثاني/يناير وكانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٠م؛ أي: بعد مرور ٣٤ سنة قمرية، أو ٣٣,٥٨ سنة شمسية. وهي نفس الظاهرة التي شُرحت سابقاً.

### ثالثاً: بداية شهر ذي الحجة

الفترة لهذه الدراسة هي ٥٠ عامًا لبداية شهر ذي الحجة كما أُعلن رسمياً: من الاثنين ١ ذو الحجة ١٣٨٠هـ (١٥ أيار/مايو ١٩٦١م) إلى السبت ١ ذو الحجة ١٤٢٩هـ (٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٨م). علمًا أن أهمية تحديد بداية شهر ذي الحجة هي لتحديد يوم الوقفة بعرفات، اليوم التاسع من ذي الحجة.

الجدول ٧: يُلخّص نتائج "الجدول ١٠: أول أيام ذي الحجة للأعوام ١٣٨٠-١٤٢٩هـ".

### الجدول ٧: مدى توافق

#### رؤية هلال ذي الحجة مع المعايير الفلكية

الفترة	مرات التوافق	نسبة التوافق	مرات التعارض	نسبة التعارض	الهلال تحت الأفق
٥٠	١٢	٪٢٤	٣٨	٪٧٦	١٥

• لم يحصل قط أن أظهر الحساب العلمي الفلكي أن ذي الحجة كان من المفروض أن يدخل قبل إعلانه رسمياً خلال الفترة؛ لقد كان أهل الرؤية دائماً سباقين.



- وافقت طريقة الرؤية التقليدية المتبعة الحساب العلمي الفلكي في إعلان دخول ذي الحجة في ١٢ من الـ ٥٠ مرة (٢٤,٠٠٪).
- عارضت طريقة الرؤية التقليدية المتبعة الحساب العلمي الفلكي في إعلان دخول ذي الحجة في ٣٨ من الـ ٥٠ مرة (٧٦,٠٠٪).
- كان الهلال تحت الأفق في ليلة إعلان دخول ذي الحجة في ١٥ من الـ ٥٠ مرة (٣٠,٠٠٪)، وفوق الأفق في ٣٥ من الـ ٥٠ مرة (٧٠,٠٠٪)، منها ٢٣ مرة فوق الأفق ولكن ارتفاع زاوية القمر كانت أقل من المعيار المطلوب وهي ٥°.
- كان الهلال بعيداً تحت الأفق (من ٠٨' - ٠٦' إلى ٥٦' - ٠٧') في ليلة إعلان دخول ذي الحجة في ٣ من الـ ١٥ مرة، بحيث إنه لا بد من مضي يومين لدخول ذي الحجة، وهذه أقصى مدة سُجِّلت. بينما كان الهلال تحت الأفق في ١٢ من الـ ١٥ مرة، بحيث إنه لا بد من مضي يوم آخر لدخول ذي الحجة.
- ولد الهلال في أول يوم من ذي الحجة (كما أعلن) في ٣ مرات من مرات التعارض الـ ٣٨ (٧,٨٩٪)؛ أي بدأ ذو الحجة (كما أعلن) ولم يكمل الهلال دورته الشهرية بيوم.
- سجل ذو الحجة ١٣٨٨هـ (١٩٦٩م) لكل الفترة أعلى زاوية ارتفاع للقمر فوق الأفق (١٠' ٥٢')، بينما سجل ذو الحجة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) لكل الفترة أدنى زاوية انخفاض تحت الأفق (٥٦' - ٠٧'). وسجل ذو الحجة ١٣٨٨هـ (١٩٦٩م) لكل الفترة أكبر زاوية انفصال (١١' ٤٤') للقمر عن الشمس، بينما سجل ذو الحجة ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) لكل الفترة أصغر زاوية انفصال (٤٤' ٠٠°).
- يعتبر إعلان بدء ذي الحجة ١٣٩٧هـ يوم الجمعة ١١-١١-١٩٧٧م أسوأ إعلان لكل الفترة من حيث بُعد الرؤية التقليدية المتبعة عن التوافق العلمي الفلكي، حيث وافق أدنى درجة (٥٦' - ٠٧') كان الهلال فيها تحت الأفق. وبعبارة زمنية، غرب الهلال قبل غروب الشمس بـ ٣٢ دقيقة في يوم

الخميس ٢٩ ذو القعدة ١٣٩٧هـ، حسب تقويم أم القرى (١٠ نوفمبر ١٩٧٧م) حيث ولد الهلال الساعة ١٠:١٠ من صباح يوم الجمعة ١١ نوفمبر ١٩٧٧م. والحقيقة، أنه حتى يوم السبت (دع عنك الجمعة) ما كان ليكون بداية ذى الحجة، فالأحد هو اليوم الأصح.

• يعتبر ذو الحجة أشق حج على كثير من الحجاج، حيث ظهر إعلانان رسميان لبدء شهر ذى الحجة ١٤٢٥هـ. الإعلان الأول أوضح أنه لم يتقدم أحد ليشهد برؤية هلال ذى الحجة وعليه يُكَمَل شهر ذى القعدة إلى ٣٠ يومًا. هذا جعل من شهر رمضان وشوال وذى القعدة ٣٠ يومًا. وأوضح الإعلان الأول الرسمي أن شهر ذى الحجة يبدأ بيوم الأربعاء ١٢-١-٢٠٠٥م، وهذا يوافق المعايير الفلكية العلمية. إلا أنه في يوم الجمعة ٣-١٢-١٤٢٥هـ (١٤-١-٢٠٠٥م) أصدر مجلس القضاء الأعلى إعلانًا ثانيًا موضِّحًا أنه جاء من شهدا أنهما رأيا الهلال بوضوح بعد أن صليا مغرب يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ٢٩-١١-١٤٢٥هـ (١٠-١-٢٠٠٥م)، وعلى حسب هذه "الشهادة" أعلن مجلس القضاء الأعلى أن شهر ذى الحجة يبدأ يوم الثلاثاء ١١-١-٢٠٠٥م. والحقيقة هي أن الهلال ولد الساعة ٣:٠٤ من مساء يوم الثلاثاء ١١-١-٢٠٠٥م، ثم غرب الهلال الساعة ٥:٥٥ مساءً، ثم بعده غربت الشمس الساعة ٥:٥٧ مساءً. فأنى رأوه! لقد تسبب هذا التعديل في ربكة وتعطيل مئات الألوف، وربما ملايين المسلمين، في أعمالهم ومشاعرهم. وقد فات على بعضهم الحج، وبعضهم لم يجد إقامة في سكن؛ لأن وقفة عرفات تقدمت بيوم. بعد هذه الحادثة أعلنت وزارة الحج السعودية أن على الفنادق ومن في حكمها في السنين القادمة أن تتم حجزها بالتقويم الميلادي؛ وقد سبقها إلى ذلك أجهزة حكومية وخاصة عديدة. وهكذا يحتضر التقويم الهجري بفقهِ بعضنا.

• أتى ذو الحجة ١٣٩٢هـ في كانون الثاني/يناير ١٩٧٣م ثم أتى ذو الحجة ١٣٩٣هـ في كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٣م. ثم أتى ذو الحجة ١٤٢٦هـ و١٤٢٧هـ كذلك في كانون الثاني/يناير وكانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٦م. هذه

ظاهرة تكررت في السنوات ١٩٠٨م و١٩٤٠م وسوف تتكرر في السنوات ٢٠٣٨م و٢٠٧١م، على سبيل المثال.

## إلى أين من هنا؟

الآن لدينا الدليل العلمي الذي يُظهر بوضوح أن طريقة تطبيق الرؤيا التقليدية المتبعة لـ ٥٠ سنة فائتة كانت تتعارض تماماً مع المنهج العلمي لعلم الفلك الحديث، فليس للطريقة التقليدية سند علمي. أيما فرد أو أفراد يدعون أنهم رأوا الهلال، في الوقت الذي يكون فيه الهلال تحت الأفق، فهم شهود المستحيل. إن طبيعة وهيكلية أخطاء الطريقة التقليدية المطبقة لبدء الشهر القمري متعددة وكبيرة وجذرية؛ فبأي مقياس تقريباً، كانت الأخطاء كبيرة جداً. لقد استخدمنا معايير ولادة الهلال، ومقدار ارتفاعه عن أو انخفاضه تحت الأفق، ومقدار انفصاله عن الشمس، وحتى مقدار مكثه بعد غروب الشمس، وفي كل معيار أخفقت النتيجة التقليدية للرؤيا، ولم يكن هناك قط أي تناسب في إدعاءات الرؤيا. وحينما تكون نسبة الخطأ في ادعاء الرؤيا لهلال رمضان ٨٨٪ ولهلال شوال ٨٦٪ ولهلال ذي الحجة ٧٦٪، فإن الطريقة التقليدية المتبعة للرؤيا تعاني من خطأ جسيم وبالتالي لا يعتمد عليها ويجب إعادة النظر فيها وحتى استبدالها بما يتفق مع حقائق ما خلق الله. كما تُظهر الحقائق الكونية أن الفقه الذي يبررها لا يستند على فهم شمولي لشرع الله ولا على فهم حقيقي لما خلق الله.

لقد أظهرت الفصول الثلاثة الأولى أن المسألة ليست إما الرؤية أو الحساب: فالرؤيا فهم لشرع الله والحساب علم لخلق الله، ولا يتم الوصول إلى معرفة مراد الله بفهم أحدهما وإقصاء الآخر. لقد رأينا أن تشريع الرؤيا كان وسيلة وليس عبادة ولا حتى جزءاً من العبادة التالية، وبالتالي فإن المفاضلة بين الرؤية والحساب العلمي ليست صحيحة، ولا يوجد إجماع شرعي عليها حتى بين علماء في الشريعة الإسلامية. إن الحق هو معرفة دخول وقت العبادة في وقتها الصحيح. وطريقة تطبيق الرؤيا وآلياتها في وضعها

الحالي (وليس تشريع الرؤيا في حد ذاتها) هي طريقة بدائية لأنها لم تراع الحقائق العلمية على الإطلاق، ولأنها اعترها كذب أو وهم أو هوى لإثبات صحة مذهب أو لاعتمادها على "أهل رعي وإبل"<sup>٩</sup>. والطريقة التقليدية المتبعة، فوق كل ذلك، لم تعط الوقت الصحيح لبدء زمن العبادة، وهذا هو المعيار.

إن سمعة الإسلام، كدين حضاري اختاره الحكيم العليم لكافة الناس حتى يرث الله الأرض ومن عليها، في خطر ولحقها ضرر لا يمكن أن يُبرَّر. فأول ضحايا هذه الانتقائية والتفسير الظاهري والأحادي لنصوص شرعية هو الإسلام ذاته وتراثه، ليس فقط بين غير المسلمين بل حتى بين أهله. لننظر على سبيل المثال إلى التوقيت الإسلامي الذي اندثر وإلى التقويم الإسلامي الذي يحتضر؛ فيومنا يبدأ عند منتصف الليل ومعاملاتنا الدنيوية وعباداتنا الدينية تُورَّخ بالتقويم الميلادي. "... إن توفر وسائل التقنية الفلكية بين أيدينا ثم إعراضنا عنها يدل على تخلفنا الفكري والعقلي"<sup>١٠</sup>.

## الجدول ٨: أول أيام رمضان للأعوام ١٣٨٠-١٤٢٩هـ

اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي <sup>١</sup>	وقت ولادة الهلال <sup>٢</sup>	وقت غروب الشمس <sup>٢</sup>	وقت غروب القمر <sup>٢</sup>	زاوية ارتفاع القمر <sup>٣</sup> دقيقة درجة	زاوية انقصال القمر <sup>٣</sup> دقيقة درجة	مكة القمر في الأثر، دقيقة <sup>٤</sup>	هل الجنيات تؤيد اليوم الذي تبدأ به الشهر؟	اليوم الذي تؤيد فيه الجنيات
الخميس	١٣٨٠	١٩٦١-٢-١٦	ص ١١:١١	م ٦:١٩	م ٦:٣٤	٢ ٣٣	٣ ١٢	١٥	لا	١٧-٢-٢١م
الاثنين	١٣٨١	١٩٦٢-٢-٥	ص ٣:١١	م ٦:١٣	م ٥:٤٥	٧-٠٧	٦ ١٥	٧٨-	لا	٢١-٢-٢١م
السبت	١٣٨٢	١٩٦٣-١-٢٦	م ٤:٤٣	م ٦:٠٧	م ٦:٠٥	١-٢٢	٠ ٤٣	٢-	لا	٢٧-١-٢٧م
الأربعاء	١٣٨٣	١٩٦٤-١-١٥	م ١١:٤٤	م ٥:٥٩	م ٥:٤١	٤-٤٤	٣ ٤٦	١٨-	لا	١٦-١-٢٤م
الأحد	١٣٨٤	١٩٦٥-١-٣	ص ١٢:٠٨	م ٥:٥٢	م ٥:٣٢	٥-٠٤	٤ ٠٣	٢٠-	لا	٤-١-٢٥م
الخميس	١٣٨٥	١٩٦٥-١٢-٢٣	ص ١٢:٠٣	م ٥:٤٥	م ٥:٢٣	٥-٢٤	٤ ٣٠	٢٢-	لا	٢٥-١٢-٢٥م
الثلاثاء	١٣٨٦	١٩٦٦-١٢-١٣	ص ٦:١٤	م ٥:٤١	م ٥:٥٦	٢ ١٠	٦ ٢٥	١٥	لا	١٤-١٢-٢٦م
السبت	١٣٨٧	١٩٦٧-١٢-٢	م ٧:١٠	م ٥:٣٩	م ٥:٢١	٤-٣٧	٤ ١٥	١٨-	لا	٣-١٢-٢٧م
الخميس	١٣٨٨	١٩٦٨-١١-٢١	ص ١١:٠٢	م ٥:٣٩	م ٥:٣٨	١-١٤	٥ ٢٨	١-	لا	٢٢-١١-٢٨م
الاثنين	١٣٨٩	١٩٦٩-١١-١٠	ص ١١:١٢	م ٥:٤٢	م ٥:١٠	٧-٤٣	٦ ٤٣	٣٢-	لا	٢٢-١١-٢٩م
الجمعة	١٣٩٠	١٩٧٠-١٠-٣٠	ص ٩:٢٩	م ٥:٤٨	م ٥:٥٥	١٠-٣١	٩ ٣٤	٤٢-	لا	٢١-١١-٢٧م
الأربعاء	١٣٩١	١٩٧١-١٠-٢٠	ص ١١:٠٠	م ٥:٥٥	م ٥:٤٦	٣-٠٠	٦ ٠١	٩-	لا	٢١-١٠-٢٧م
الأحد	١٣٩٢	١٩٧٢-١٠-٨	ص ١١:٠٩	م ٦:١٤	م ٥:٥٥	٣-٠٤	٦ ١٠	٩-	لا	٩-١٠-٢٧م
الخميس	١٣٩٣	١٩٧٣-٩-٢٧	م ٤:٥٥	م ٦:١٤	م ٥:٥٧	٤-٥٥	٥ ٤٥	١٧-	لا	٢٩-٩-٢٧م
الثلاثاء	١٣٩٤	١٩٧٤-٩-١٧	ص ٥:٥٤	م ٦:٢٤	م ٦:٢٨	٥٠١١	٨ ٣٥	٤	لا	١٨-٩-٢٤م
السبت	١٣٩٥	١٩٧٥-٩-٦	م ١٠:٢٠	م ٦:٣٥	م ٦:٠٨	٧-٠٣	٦ ١٧	٢٧-	لا	٨-٩-٢٧م
الخميس	١٣٩٦	١٩٧٦-٨-٢٦	م ٢:٠٢	م ٦:٤٤	م ٦:٣٤	٣-٠٧	٥ ٢٦	١٠-	لا	٢٧-٨-٢٧م
الاثنين	١٣٩٧	١٩٧٧-٨-١٥	ص ١٢:٣٢	م ٦:٥٣	م ٦:٢٦	٦-٥٧	٦ ٠١	٢٧-	لا	١٧-٨-٢٧م
السبت	١٣٩٨	١٩٧٨-٨-٥	ص ٤:٠١	م ٦:٥٩	م ٦:١٠	١ ٤٧	٧ ١٣	١١	لا	٦-٨-٢٧م
الأربعاء	١٣٩٩	١٩٧٩-٧-٢٥	ص ٤:٤١	م ٧:٠٤	م ٧:١٨	٢ ١٦	٦ ٤٢	١٤	لا	٢١-٧-٢٧م
الأحد	١٤٠٠	١٩٨٠-٧-١٣	ص ٩:٤٧	م ٧:٠٧	م ٧:١٦	١ ١٩	٤ ٤٧	٩	لا	١٤-٧-٢٧م
الخميس	١٤٠١	١٩٨١-٧-٢	ص ١٠:٠٤	م ٧:٠٨	م ٦:٥١	٤-٢١	٣ ٣٧	١٧-	لا	٣-٧-٢٧م
الثلاثاء	١٤٠٢	١٩٨٢-٦-٢٢	م ٢:٥٣	م ٧:٠٦	م ٧:١١	٠٠٠٧	٢ ٠٧	٥	لا	٢٣-٦-٢٧م
السبت	١٤٠٣	١٩٨٣-٦-١١	ص ٧:٣٨	م ٧:٠٣	م ٦:٢٣	٨-٥٤	٨ ٠٩	٤-	لا	١٣-٦-٢٧م

الفصل الخامس: أهلة رمضان وشوال وذى الحجة: دراسة

اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي <sup>١</sup>	وقت ولادة الهلال <sup>٢</sup>	وقت غروب الشمس <sup>٣</sup>	وقت غروب القمر <sup>٣</sup>	زاوية ارتفاع القمر <sup>٣</sup> دقيقة درجة	زاوية انقصال القمر <sup>٣</sup> دقيقة درجة	مكت القمر في الأوقاف، دقيقة	هل الجنبات تؤبد اليوم الذي بدأ به الشهر؟	اليوم الذي تؤبد فيه الجنبات بداية الشهر	نفسه
الجمعة	١٤٠٤	١٩٨٤-٢-١	٧:٥٩ ص	٦:٥٩ م	٧:٥٣ م	١٠ ٠٨	١١ ٠٠	٥٤	نعم	نفسه	
الأثنين	١٤٠٥	١٩٨٥-٥-٢٠	١٢:٤٣ ص <sup>٦</sup>	٦:٥٤ م	٦:٣٧ م	٤- ١٦	٣ ٢٥	١٧-	لا	نفسه	
الجمعة	١٤٠٦	١٩٨٦-٥-٩	١:١١ ص <sup>٦</sup>	٦:٤٩ م	٦:٣٢ م	٤- ٢٧	٣ ٥٩	١٧-	لا	نفسه	
الثلاثاء	١٤٠٧	١٩٨٧-٤-٢٨	٤:٣٥ ص <sup>٦</sup>	٦:٤٥ م	٦:١٨ م	٦- ٢٩	٦ ٠٦	٢٧-	لا	نفسه	
الأحد	١٤٠٨	١٩٨٨-٤-١٧	٣:٠١ ص <sup>٦</sup>	٦:٤١ م	٦:٤٦ م	٥ ٠٩	٣ ١٤	٥	لا	نفسه	
الخميس	١٤٠٩	١٩٨٩-٤-٦	٦:٣٤ ص <sup>٦</sup>	٦:٣٧ م	٦:٠١ م	٨- ٥٧	٨ ٢٧	٣٦-	لا	نفسه	
الثلاثاء	١٤١٠	١٩٩٠-٣-٢٧	١٠:٤٩ ص <sup>٦</sup>	٦:٣٤ م	٦:١٨ م	٤- ٢٥	٥ ٠٩	١٦-	لا	نفسه	
الأحد	١٤١١	١٩٩١-٣-١٧	١١:١١ ص <sup>٦</sup>	٦:٣١ م	٦:٤٣ م	٢ ٠٦	٥ ٢٣	١٢	لا	نفسه	
الأربعاء	١٤١٢	١٩٩٢-٣-٤	٤:٢٣ ص <sup>٦</sup>	٦:٢٧ م	٥:٣٧ م	١٢- ٠٦	١١ ٤٨	٥٠-	لا	نفسه	
الأثنين	١٤١٣	١٩٩٣-٢-٢٢	٤:٠٦ ص <sup>٦</sup>	٦:٢٢ م	٦:٢٢ م	٠٠ ٣٠	٤ ٥١	٠	لا	نفسه	
الجمعة	١٤١٤	١٩٩٤-٢-١١	٥:٣١ ص <sup>٦</sup>	٦:١٧ م	٦:١٥ م	١- ١٧	٤ ٥٧	٢-	لا	نفسه	
الثلاثاء	١٤١٥	١٩٩٥-١-٣١	١:٤٩ ص <sup>٦</sup>	٦:١٠ م	٥:٤٩ م	٥- ٣٠	٧ ٠٧	٢١-	لا	نفسه	
الأحد	١٤١٦	١٩٩٦-١-٢١	٣:٥٢ ص <sup>٦</sup>	٦:٠٣ م	٦:٠٩ م	٠٠ ٣٣	٥ ٠٧	٢	لا	نفسه	
الجمعة	١٤١٧	١٩٩٧-١-١٠	٧:٢٧ ص <sup>٦</sup>	٥:٥٦ م	٦:٢٥ م	٥ ٢٦	٦ ٤٥	٢٤	لا	نفسه	
الثلاثاء	١٤١٨	١٩٩٧-١٢-٣٠	٥:٥٨ ص <sup>٦</sup>	٥:٤٩ م	٥:٤٧ م	١- ٢٣	٤ ٤٥	٢-	لا	نفسه	
السبت	١٤١٩	١٩٩٨-١٢-١٩	١:٤٤ ص <sup>٦</sup>	٥:٤٣ م	٥:٢٢ م	٣- ٢٢	٦ ٠٧	١١-	لا	نفسه	
الخميس	١٤٢٠	١٩٩٩-١٢-٩	١:٣٣ ص <sup>٦</sup>	٥:٤٠ م	٦:١٣ م	٦ ١٥	٧ ٠٧	٣٣	نعم	نفسه	
الأثنين	١٤٢١	٢٠٠٠-١١-٢٧	٢:١٢ ص <sup>٦</sup>	٥:٣٩ م	٦:١١ م	٦ ٠٧	٧ ٠١	٣٢	نعم	نفسه	
الجمعة	١٤٢٢	٢٠٠١-١١-١٦	٩:٤٤ ص <sup>٦</sup>	٥:٤٠ م	٥:٥٩ م	٣ ١٧	٤ ٠٣	١٩	لا	نفسه	
الأربعاء	١٤٢٣	٢٠٠٢-١١-٦	١١:٣٦ ص <sup>٦</sup>	٥:٤٤ م	٦:٢١ م	٧ ١٠	٩ ٥٢	٣٧	نعم	نفسه	
الأثنين	١٤٢٤	٢٠٠٣-١٠-٢٧	٣:٥١ ص <sup>٦</sup>	٥:٥٠ م	٦:٣٩ م	٩ ٣٣	١٤ ٣١	٤٩	نعم	نفسه	
الجمعة	١٤٢٥	٢٠٠٤-١٠-١٥	٥:٤٩ ص <sup>٦</sup>	٥:٥٨ م	٦:١٦ م	٣ ١٧	٥ ٥٠	١٨	لا	نفسه	
الثلاثاء	١٤٢٦	٢٠٠٥-١٠-٤	١:٢٩ ص <sup>٦</sup>	٥:٥٨ م	٦:١٠ م	٠٠ ٢٢	١ ٣٩	٢	لا	نفسه	
السبت	١٤٢٧	٢٠٠٦-٩-٢٣	٢:٤٦ ص <sup>٦</sup>	٥:٥٨ م	٦:١٧ م	١- ٠٤	١ ٣٠	١-	لا	نفسه	
الخميس	١٤٢٨	٢٠٠٧-٩-١٣	٣:٤٦ ص <sup>٦</sup>	٥:٥٧ م	٦:٠٠ م	٥ ٣٩	١٢ ١١	٧٨	نعم	نفسه	
الأثنين	١٤٢٩	٢٠٠٨-٩-١	١١:٠٠ ص <sup>٦</sup>	٥:٥٨ م	٦:٥٨ م	٣ ٤٩	١٠ ٠٩	٢٠	لا	نفسه	

الجدول ٩: أول أيام شوال للأعوام ١٣٨٠-١٤٢٩هـ

اليوم الذي تُؤيد فيه الحجيات	هل الحجيات تؤيد اليوم الذي بدأ به الشهر؟	مكة القمر في الأضيق، دقيقة	زاوية انفصال القمر	زاوية ارتفاع القمر	وقت غروب القمر	وقت غروب الشمس	وقت ولادة الهلال	التاريخ الميلادي <sup>١</sup>	التاريخ الهجري	اليوم
٢١-٣-١٨م	لا	١٢-	٣ ١٧	٣- ٤٢	٢٦:١٩م	٢٦:٣١م	٩:٥١م	١٩٦١-٣-١٧	١٣٨٠	الجمعة
١٢-٣-٨م	لا	٥٥-	١٢ ٢٣	١٣- ٥٨	٥٥:٣٢م	٢٦:٢٧م	١١:٣١م	١٩٦٢-٣-٦	١٣٨١	الثلاثاء
١٣-٢-٢٥م	لا	٣٢-	٧ ٢٨	٧- ٥٨	٥٥:٥١م	٢٦:٢٣م	٥:٥٠ص	١٩٦٣-٢-٢٤	١٣٨٢	الأحد
١٤-٢-١٥م	لا	٥٦-	١٢ ٥٧	١٢- ٤٥	٥٥:٢١م	٢٦:١٧م	٤:٥٢ص	١٩٦٤-٢-١٣	١٣٨٣	الخميس
١٥-٢-٣م	لا	٩-	٤ ١٧	٢- ٥٧	٢٦:٥٢م	٢٦:١١م	٧:٣٦م	١٩٦٥-٢-٢	١٣٨٤	الثلاثاء
١٦-١-٢٣م	لا	٦٣-	١٢ ٤٣	١٣- ٣٨	٥٥:٥١م	٢٦:٤م	٦:٤٧ص	١٩٦٦-١-٢١	١٣٨٥	الجمعة
قسمة	نعم	٤٥	١٥ ٤٢	٧ ٥٥	٢٦:٣٧م	٥٥:٥٧م	٩:٥٧ص	١٩٦٧-١-١٢	١٣٨٦	الخميس
١٨-١-٢م	لا	٤٨-	٩ ٣٥	١٥- ٥٩	٥٥:٥٢م	٥٥:٥٥م	٦:٣٩ص	١٩٦٧-١٢-٣١	١٣٨٧	الأحد
قسمة	نعم	٤٢	١٢ ٢٨	٧ ٢٢	٢٦:٢٧م	٥٥:٤٥م	٩:١٩ص	١٩٦٨-١٢-٢١	١٣٨٨	الست
١٩-١٢-١١م	لا	٦٤-	١٢ ٥٥	١٣- ٥١	٤:٣٦م	٥٥:٤٥م	١٢:٤٣ص	١٩٦٩-١٢-٩	١٣٨٩	الثلاثاء
٢٠-١٢-١م	لا	٣٣-	٦ ٥٤	٧- ٢٥	٥٥:٥٦م	٥٥:٣٩م	١٢:١٥ص	١٩٧٠-١١-٢٩	١٣٩٥	الأحد
٢١-١١-٢٥م	لا	٣٩-	٨ ٥٥	٨- ٥٨	٥٥:٥١م	٥٥:٤٥م	٤:٤٧ص	١٩٧٠-١١-١٨	١٣٩١	الخميس
٢٢-١١-٨م	لا	٣٦-	٧ ٣٩	٨- ٤٥	٥٥:٥٨م	٥٥:٤٥م	٤:٢٢ص	١٩٧٢-١١-٦	١٣٩٢	الاثنين
٢٣-١٠-٢٨م	لا	٣٩-	٨ ٣٤	٩- ٢٩	٥٥:١١م	٥٥:٥٥م	٦:١٧ص	١٩٧٣-١٠-٢٦	١٣٩٣	الجمعة
٢٤-١٠-١٧م	لا	١٢-	٤ ٣٢	٣- ٣٥	٥٥:٤٦م	٥٥:٥٨م	٣:٢٦م	١٩٧٤-١٠-١٦	١٣٩٤	الأربعاء
٢٥-١٠-٧م	لا	٩	٧ ٥٩	١ ٢٩	١١:١٥م	٢١:٥٦ص	٢:٢٤ص	١٩٧٥-١٠-٦	١٣٩٥	الاثنين
٢٦-٩-٢٥م	لا	٢٢-	٥ ٥٤	٦- ٥١	٥٥:٥٥م	٢١:١٧م	١١:٥٦م	١٩٧٦-٩-٢٤	١٣٩٦	الجمعة
٢٧-٩-١٥م	لا	١-	٣ ٣٦	١- ٥١	٢١:٢٦م	٢١:٢٧م	١٢:٢٤م	١٩٧٧-٩-١٤	١٣٩٧	الأربعاء
٢٨-٩-٤م	لا	١٥-	٢ ٢٢	٣- ٥٢	٢١:٢٧م	٢١:٣٧م	٧:١٥م	١٩٧٨-٩-٣	١٣٩٨	الأحد
٢٩-٨-٢٤م	لا	١٥-	٢ ٥٥	٢- ٥٦	٢١:٣٧م	٢١:٤٧م	٨:١١م	١٩٧٩-٨-٢٣	١٣٩٩	الخميس
٣٠-٨-١٢م	لا	١١-	٢ ٢٧	٣- ١٣	٢١:٤٤م	٢١:٥٥م	١٠:١٥ص	١٩٨٠-٨-١١	١٤٠٥	الاثنين
٣١-٨-٢م	لا	٢٣	٥ ٤٦	٤ ١١	٢٧:٢٤م	٢٧:٥٥م	١:٥٣ص	١٩٨١-٨-١	١٤٠١	الست
٣٢-٧-٢٢م	لا	٩-	٢ ٣٤	٢- ٤٦	٢٧:٥٧م	٢٧:٥٦م	٩:٥٧م	١٩٨٢-٧-٢١	١٤٠٢	الأربعاء
٣٣-٧-١٢م	لا	١٥	٢ ١١	١ ٢٥	٢٧:١٨م	٢٧:٥٨م	٣:١٩م	١٩٨٣-٧-١١	١٤٠٣	الاثنين

الفصل الخامس: أهلة رمضان وشوال وذى الحجة: دراسة

اليوم الذي تُويد فيه الصبيات	هل الصبيات تُويد اليوم الذي يبدأ به الشهر؟	مكة القمر في الألف، دقيقة	زاوية انفعال القمر	زاوية ارتفاع القمر	وقت غروب القمر	وقت غروب الشمس	وقت ولادة الهلال	التاريخ الميلادي <sup>١</sup>	التاريخ الهجري	العم
٨٤-٦-٣٠	لا	٧٨-	٧ ٠٤	٦- ١٠	٦:٤٠	٦:٠٨	٦:٣٠	١٩٨٤-٦-٢٩	١٤٠٤	الجمعة
٨٥-٦-٢٠	لا	٤٥-	١٠ ٣٣	٩- ٣٥	٦:٢٠	٦:٠٥	٦:٥٩	١٩٨٥-٦-١٨	١٤٠٥	الثلاثاء
٨٦-٦-٩	لا	٤٩-	١١ ٠٨	١٠- ٢٥	٦:١٣	٦:٠٢	٥:٥٢	١٩٨٦-٦-٧	١٤٠٦	السبت
٨٧-٥-٢٩	لا	٢	٤ ٠٢	٠٠ ٣١	٦:٥٩	٦:٥٧	٦:١٤	١٩٨٧-٥-٢٨	١٤٠٧	الخميس
٨٨-٥-١٧	لا	١٨-	٦ ٠٢	٤- ٣٤	٦:٣٥	٦:٥٣	١:١١	١٩٨٨-٥-١٦	١٤٠٨	الاثنين
٨٩-٥-٧	لا	٩	٤ ٥٧	١ ٢٠	٦:٥٧	٦:٤٨	٢:٤٨	١٩٨٩-٥-٦	١٤٠٩	السبت
نفسه	نعم	٢٩	٧ ٣٣	٥ ١٣	٧:١٣	٦:٤٤	٧:٢٩	١٩٩٠-٤-٢٦	١٤١٠	الخميس
نفسه	نعم	٤٨	١١ ١٨	٩ ١٨	٦:٢٩	٦:٤١	١٠:٣٨	١٩٩١-٤-١٦	١٤١١	الثلاثاء
٩٢-٤-٥	لا	٣٥-	٩ ٠٠	٨- ٢٤	٦:٠٢	٦:٣٧	٨:٠٢	١٩٩٢-٤-٣	١٤١٢	الجمعة
٩٣-٣-٢٥	لا	٣٦-	٩ ٢٥	٩- ٠٣	٥:٥٧	٦:٣٣	١٠:١٥	١٩٩٣-٣-٢٣	١٤١٣	الثلاثاء
٩٤-٣-١٤	لا	١٢	٥ ٢٠	٢ ١١	٦:٤٢	٦:٣٠	١٠:٠٦	١٩٩٤-٣-١٣	١٤١٤	الأحد
٩٥-٣-٣	لا	٤	٤ ١٦	٠٠ ١٤	٦:٢٩	٦:٢٥	٢:٤٩	١٩٩٥-٣-٢	١٤١٥	الخميس
نفسه	نعم	٣٧	٨ ٤٥	٧ ١٩	٦:٥٨	٦:٢١	٢:٣١	١٩٩٦-٢-٢٠	١٤١٦	الثلاثاء
٩٧-٢-٩	لا	٢-	٣ ٢٥	١- ٣٦	٦:١٢	٦:١٥	٦:٠٧	١٩٩٧-٢-٨	١٤١٧	السبت
٩٨-١-٣٠	لا	٢٠	٤ ٤٢	٣ ٣٩	٦:٢٩	٦:٠٩	٩:٠٢	١٩٩٨-١-٢٩	١٤١٨	الخميس
٩٩-١-١٩	لا	٤-	٢ ٢٧	١- ٤٢	٥:٥٧	٦:٠١	٦:٤٨	١٩٩٩-١-١٨	١٤١٩	الاثنين
٢٠٠٠-١-٨	لا	٩-	٢ ٤٩	٢- ٤٩	٥:٤٥	٥:٥٤	٩:١٥	٢٠٠٠-١-٧	١٤٢٠	الجمعة
نفسه	نعم	٤٠	٨ ٥٥	٧ ٢١	٦:٢٨	٥:٤٨	٨:٢٣	٢٠٠٠-١٢-٢٧	١٤٢١	الأربعاء
نفسه	نعم	٣٤	٨ ٠٩	٦ ٠٨	٦:١٦	٥:٤٢	١١:٤٩	٢٠٠١-١٢-١٦	١٤٢٢	الأحد
نفسه	نعم	١٠	٣ ٢٠	١ ٣٢	٥:٤٩	٥:٣٩	١٠:٣١	٢٠٠١-١٢-٥	١٤٢٣	الخميس
٢٠٢-١٢-٦	لا	١٠	٨ ٤٦	٤ ٥٦	٦:٠٧	٥:٣٩	٢:٠٠	٢٠٠٣-١١-٢٥	١٤٢٥	الثلاثاء
٢٠٣-١١-٢٦	لا	١٨	٢ ٣٣	٢- ٥٦	٥:٣٣	٥:٤١	٥:٢٨	٢٠٠٤-١١-١٣	١٤٢٥	السبت
٢٠٤-١١-١٤	لا	٩-	٢ ٣٣	٢- ٥٦	٥:٣٣	٥:٤١	٥:٢٨	٢٠٠٤-١١-١٣	١٤٢٥	السبت
٢٠٥-١١-٤	لا	١١	٦ ٥٩	١ ٤٦	٥:٥٥	٥:٤٤	٤:٢١	٢٠٠٥-١١-٣	١٤٢٦	الخميس
٢٠٦-١٠-٢٤	لا	١-	٥ ٢٢	٠٠- ٤٨	٥:٥٣	٥:٥٢	٨:١٥	٢٠٠٦-١٠-٢٣	١٤٢٧	الاثنين
٢٠٧-١٠-١٣	لا	١-	٥ ٤٩	١- ٠٧	٥:٥٩	٦:٠٠	٨:٠٢	٢٠٠٧-١٠-١٢	١٤٢٨	الجمعة
٢٠٨-١٠-١	لا	٦-	٥ ٢٩	٢- ١٤	٦:٠٤	٦:١٠	١١:١٤	٢٠٠٨-٩-٣٠	١٤٢٩	الثلاثاء



الجدول ١٠: أول أيام ذي الحجة للأعوام ١٣٨٠-١٤٢٩هـ

اليوم الذي تويّد فيه الحجّيات	هل الحجّيات تويّد اليوم الذي بدأ به الشهر؟	مكث القمر في الألفين دقيقة؟	زاوية انقصال القمر دقيقة درجة	زاوية ارتباع القمر دقيقة درجة	وقت غروب القمر	وقت غروب الشمس	وقت ولادة الهلال	التاريخ الميلادي	التاريخ الهجري	اليوم
٢١-٥-١٦م	لا	١٠-	٥ ١٧	٣-٥٧	٢:٤٢م	٢:٥٢م	٧:٥٥م	١٩٦١-٥-١٥	١٣٨٠	الاثنين
٢٢-٥-١م	لا	٢٣	٧ ٢٦	٤ ١١	٧:٥١م	٢:٥٨م	٧:٢٥ص	١٩٦٢-٥-٥	١٣٨١	الست
نفسه	نعم	٤٧	١١ ٣٠	٩ ٢٤	٧:٣١م	٢:٤٤م	٧:١١:٢٩	١٩٦٣-٤-١٥	١٣٨٢	الخميس
٢٤-٤-١٤م	لا	٣	٤ ٤٨	٥٥ ١٢	٢:٤٣م	٢:٤٥م	٣:٣٨م	١٩٦٤-٤-١٣	١٣٨٣	الاثنين
نفسه	نعم	٣١	٨ ٥٢	٦ ٥٨	٧:٥٨م	٢:٣٧م	٣:٢١ص	١٩٦٥-٤-٣	١٣٨٤	الست
٢٤-٣-٢٤م	لا	٢٩-	٨ ١٦	٧-٤٥	٢:٥٢م	٢:٣٣م	٧:٤٧ص	١٩٦٦-٣-٢٢	١٣٨٥	الثلاثاء
٢٧-٣-١٣م	لا	١٩	٥ ٢٥	٣ ٣٦	٢:٤٨م	٢:٢٩م	٧:٣٥ص	١٩٦٧-٣-١٢	١٣٨٦	الأحد
٢٨-٣-١م	لا	١٥	٤ ٢٦	٢ ٤٥	٢:٤٥م	٢:٢٥م	٩:٥٦ص	١٩٦٨-٢-٢٩	١٣٨٧	الخميس
نفسه	نعم	٥٢	٤ ٤٤	١٥ ٥٢	٧:١٣م	٢:٢٥م	٧:٢٦ص	١٩٦٩-٢-١٨	١٣٨٨	الثلاثاء
٧٥-٢-٨م	لا	١٧	٤ ١٥	٣ ٥٢	٢:٣١م	٢:١٤م	١٠:١٤ص	١٩٧٥-٢-٧	١٣٨٩	الست
نفسه	نعم	٢٩	٨ ٢٤	٧ ٢٦	٢:٤٧م	٢:٥٨م	١٠:٥٦ص	١٩٧١-١-٢٨	١٣٩٥	الخميس
١٨-١-١٧م	لا	٤	١ ٢٩	٥٥ ٣٥	٢:٥٥م	٢:٥٨م	١:٥٣م	١٩٧٢-١-١٧	١٣٩١	الاثنين
١-١-١٦م	لا	٧-	١ ٢٢	٢-١٥	٥:٤٦م	٥:٥٣م	٢:٤٣م	١٩٧٣-١-٥	١٣٩٢	الجمعة
٢٢-١٢-٢٢م	لا	٣-	١ ٥٥	١-٤٥	٥:٤٦م	٥:٤٦م	٦:٥٨م	١٩٧٣-١٢-٢٥	١٣٩٣	الثلاثاء
نفسه	نعم	٤٧	٩ ٤٢	٨ ٥٥	٢:٢٨م	٥:٤١م	٧:٢٦ص	١٩٧٤-١٢-١٥	١٣٩٤	الأحد
١٢-٥-٧٥م	لا	٢٥-	٦ ٢٧	٦-٥٨	٥:١٤م	٥:٣٩م	٣:٥١ص	١٩٧٥-١٢-٣	١٣٩٥	الأربعاء
٢٣-١١-١٧م	لا	٥٥	٢ ٥٣	٥٥-٤٣	٥:٣٩م	٥:٣٩م	٦:١١ص	١٩٧٦-١١-٢٢	١٣٩٥	الأربعاء
١٣-١١-١٧م	لا	٣٢-	١١ ٢٥	٥٥-٤٣	٥:٣٩م	٥:٤١م	١٠:١٥ص	١٩٧٦-١١-١١	١٣٩٦	الاثنين
٢-١١-٧٨م	لا	٤-	٤ ٢٤	١-٤٧	٥:٤٢م	٥:٤٦م	١١:٥٧ص	١٩٧٧-١١-١	١٣٩٧	الجمعة
٢٣-١٠-٧٨م	لا	٢٨	٦ ٢٣	٥ ٢٧	١:٢١م	٥:٥٣م	١١:٢٤ص	١٩٧٨-١١-١	١٣٩٨	الأربعاء
١١-١٠-١١م	لا	٢٧	٦ ١٥	٥ ٢٢	١:٢٩م	١:٢٩م	٥:٥١ص	١٩٧٩-١٠-١٥	١٤٥٥	الجمعة
٣٥-٩-٢٠م	لا	٢٧	٦ ١٣	٥ ٢٤	١:٣٩م	١:١٢م	٧:٥٨ص	١٩٨١-٩-٢٩	١٤٥١	الثلاثاء
١٩-٩-٢٨م	لا	١٦	٤ ١٩	٣ ٥٥	١:٣٩م	١:٢٣م	٣:١٥ص	١٩٨١-٩-١٨	١٤٥٢	الست
نفسه	نعم	٣٥	٨ ٥٨	٧ ٥٩	٧:٥٨م	١:٣٣م	٥:٣٦ص	١٩٨٢-٩-٨	١٤٥٣	الخميس

الفصل الخامس: أهلة رمضان وشوال وذى الحجة: دراسة

اليوم الذي نُؤيد فيه الحجيات	هل الحجيات تؤيد اليوم الذي بدأ به الشهر؟	مكة القمر في الألفية، دقيقة؟	زاوية انقصال القمر <sup>٣</sup> دقيقة درجة	زاوية ارتفاع القمر <sup>٣</sup> دقيقة درجة	وقت غروب القمر <sup>٢</sup>	وقت غروب الشمس <sup>٢</sup>	وقت ولادة الهلال <sup>٢</sup>	التاريخ الميلادي <sup>١</sup>	التاريخ الهجري	اليوم
٨٤-٨-٢٨ م	لا	٤	٥ ١٣	٠٠ ٠٨	م ٦:٤٧	م ٦:٤٣	م ١٠:٢٦	١٩٨٤-٨-٢٧	١٤٠٤	الاثنين
٨٥-٨-١٨ م	لا	٢١	٤ ٥١	٣ ٥٤	م ٧:١٢	م ٦:٥١	م ١٠:٠٧	١٩٨٥-٨-١٧	١٤٠٥	الست
٨٦-٨-٧ م	لا	٥	٤ ٣٩	٠٠ ٣٩	م ٧:٠٤	م ٦:٥٩	م ٩:٣٧	١٩٨٦-٨-٦	١٤٠٦	الأربعاء
٨٧-٧-٢٧ م	لا	٠٠	٤ ٥٤	٠٠-٤٧	م ٧:٠٤	م ٧:٠٤	م ١١:٣٨	١٩٨٧-٧-٢٦	١٤٠٧	الأحد
تفسه	نعم	٣٩	٨ ٢٣	٧ ٢٣	م ٧:٤٦	م ٧:٠٧	م ١٢:٥٤	١٩٨٨-٧-١٥	١٤٠٨	الجمعة
٨٩-٧-٥ م	لا	٢٩	٥ ٤٣	٤ ٥٤	م ٧:٣٦	م ٧:٠٨	ص ٨:٠٠	١٩٨٩-٧-٤	١٤٠٩	الثلاثاء
٩٠-٦-٢٤ م	لا	٦-	٣ ٤٨	١-٥٧	م ٧:٠٠	م ٧:٠٦	م ٩:٥٦	١٩٩٠-٦-٢٣	١٤١٠	الست
٩١-٦-١٤ م	لا	١٠	٢ ٢٢	١ ٣٣	م ٧:١٤	م ٧:٠٤	م ٣:٠٧	١٩٩١-٦-١٣	١٤١١	الخميس
٩٢-٦-٣ م	لا	٢٨	٥ ٤٧	٤ ٥٨	م ٧:٢٨	م ٧:٠٠	م ٦:٥٨	١٩٩٢-٦-٢	١٤١٢	الثلاثاء
٩٣-٥-٢٣ م	لا	٠٠	٠٠ ٤٤	٠٠-٤٧	م ٦:٥٥	م ٦:٥٥	م ٥:٠٨	١٩٩٣-٥-٢٢	١٤١٣	الست
تفسه	نعم	٤٣	٩ ٢٩	٨ ٢٢	م ٧:٣٤	م ٦:٥١	م ٨:٠٨	١٩٩٤-٥-١٢	١٤١٤	الخميس
تفسه	نعم	٤٢	٩ ٢٣	٨ ٣٥	م ٧:٢٨	م ٦:٤٦	م ٨:٣٧	١٩٩٥-٥-١	١٤١٥	الاثنين
تفسه	نعم	٣٥	٧ ٥٠	٧ ٠٠	م ٧:١٧	م ٦:٤٢	ص ١:٥٠	١٩٩٦-٤-١٩	١٤١٦	الجمعة
٩٧-٤-٩ م	لا	٨	٢ ٣١	١ ١٢	م ٦:٤٦	م ٦:٣٨	م ٢:٠٣	١٩٩٧-٤-٨	١٤١٧	الثلاثاء
٩٨-٣-٣٠ م	لا	٢٩	٦ ٥٨	٥ ٣٨	م ٧:٠٤	م ٦:٣٥	ص ٦:١٥	١٩٩٨-٣-٢٩	١٤١٨	الأحد
٩٩-٣-١٩ م	لا	١٢-	٣ ٥٩	٣-٣٤	م ٦:١٩	م ٦:٣١	م ٩:٤٩	١٩٩٩-٣-١٨	١٤١٩	الخميس
١٠٠-٣-٨ م	لا	١٩	٥ ٤٠	٣ ٤٥	م ٦:٤٧	م ٦:٢٨	ص ٨:١٨	٢٠٠٠-٣-٧	١٤٢٠	الثلاثاء
١٠١-٢-٢٥ م	لا	١٠	٤ ٤٤	١ ٤٨	م ٦:٣٣	م ٦:٢٣	ص ١١:٢٢	٢٠٠١-٢-٢٤	١٤٢١	الست
١٠٢-٢-١٤ م	لا	١٠	٥ ١١	١ ٤٥	م ٦:٢٨	م ٦:١٨	ص ١٠:٤٢	٢٠٠٢-٢-١٣	١٤٢٢	الأربعاء
١٠٣-٢-٣ م	لا	٤	٤ ٥٦	٠٠ ٠٦	م ٦:١٥	م ٦:١١	م ١:٥٠	٢٠٠٣-٢-٢	١٤٢٣	الأحد
تفسه	نعم	٤٠	١٠ ٣٠	٧ ٢٧	م ٦:٤٥	م ٦:٠٥	ص ١٢:٠٦	٢٠٠٤-١-٢٣	١٤٢٤	الجمعة
١٠٥-١-١٢ م	لا	٢-	٥ ١٦	١-٢٨	م ٥:٥٥	م ٥:٥٧	م ٣:٠٤	٢٠٠٥-١-١١	١٤٢٥	الثلاثاء
١٠٦-١-٢ م	لا	٢٠	٧ ٤٧	٣ ١٨	م ٦:١٠	م ٥:٥٠	ص ٦:١٣	٢٠٠٦-١-١	١٤٢٦	الأحد
١٠٦-١-٢٢ م	لا	١٣-	٥ ٢٠	٣-٢٩	م ٥:٣١	م ٥:٤٤	م ٥:٠٢	٢٠٠٧-١٢-٢١	١٤٢٧	الخميس
١٠٧-١٢-١١ م	لا	٢٣-	٥ ٤٢	٥-٢١	م ٥:١٧	م ٥:٤٠	م ٨:٤٢	٢٠٠٧-١٢-١٠	١٤٢٨	الاثنين
تفسه	نعم	٢٧	١١ ١٧	٨ ٤٨	م ٦:٣٧	م ٥:٤٩	م ٧:٥٦	٢٠٠٨-١١-٢٩	١٤٢٩	الست

## ملاحظات على الجداول

<sup>١</sup> يشير التاريخ الميلادي في الجداول ٨، ٩، و ١٠ السابقة إلى اليوم الرسمي الذي بدأت فيه أشهر رمضان وشوال وذى الحجة، على التوالي.

<sup>٢</sup> هذه ثلاث القيم (وقت ولادة الهلال ووقت غروب الشمس ووقت غروب القمر) هي لليوم السابق (ليلة) لدخول الشهر كما أعلن رسمياً، بغض النظر متى ولد الهلال، إلا إذا نوه خلاف ذلك (انظر الملاحظتين رقم ٦ و٧ أدناه). استخدم الحرف ص ليعني صباحاً وحرف م ليعني مساءً في أعمدة: "وقت ولادة الهلال"، "وقت غروب الشمس" و"وقت غروب القمر". قُربت الثواني الزمنية والقوسية إلى دقيقة إذا كانت الثانية ٣١ أو أكبر وأهملت إذا كانت ٣٠ أو أصغر. لم يراع أي توقيت صيفي.

<sup>٣</sup> هاتان الزاويتان هما لليوم السابق (ليلة) لدخول الشهر كما أعلن، بغض النظر متى ولد الهلال. زاوية الارتفاع الموجبة تعني أن الهلال فوق الأفق، بينما الزاوية السالبة تعني أن الهلال تحت الأفق؛ أي يستحيل رؤية الهلال لأنه تحت الأرض؛ أي: أن الهلال غرب قبل الشمس. حُسبت زاوية ارتفاع القمر مع الأخذ في الاعتبار أثر انكسار الضوء altitude with refraction. في هذه الحالة، فزاوية ارتفاع الهلال دائماً تكون أكبر من زاويته بدون انكسار الضوء. أما زاوية انفصال القمر فهي دائماً موجبة حتى لو غرب القمر قبل الشمس. وفي حالة غروب الهلال قبل الشمس، فليس لزاوية الانفصال قيمة في هذا الجدول.

<sup>٤</sup> الرقم الموجب يعني أن الهلال غرب بعد الشمس بعدد تلك الدقائق، بينما الرقم السالب يعني أن الهلال غرب قبل الشمس بعدد تلك الدقائق.

<sup>٥</sup> لتحديد هذا اليوم أتبع التالي: إذا تمت ولادة الهلال قبل غروب الشمس وتم غروب الهلال بعد الشمس، عندها نأخذ غروب الشمس والقمر وزاويتا ارتفاع وانفصال القمر لذلك اليوم. إذا طبقت الزاويتان الشروط، فتكون تلك الليلة أول ليلة الشهر والنهار التالي هو أول نهار الشهر؛ أي: يبدأ اليوم والشهر عند الغروب. إذا لم تطابق الزاويتان الشروط، فنأخذ حيثيات اليوم التالي. في هذا العمود (الأخير) م تعني السنة الميلادية.

وقتا غروب الشمس وغروب القمر هما لليلة الأولى لبدء أشهر رمضان وشوال وذى الحجة، حسب التوقيت الغروبي، (أي: الليلة السابقة لبدء الشهر، حسب التوقيت الزوالي). تم حساب وقت ولادة الهلال ووقت غروب الشمس ووقت غروب القمر حسب التوقيت الزوالي. لنتذكر أن اليوم في الشريعة الإسلامية يبدأ مع غروب الشمس وهنا تكون الساعة ١٢:٠٠ مساءً، ويسمى اليوم الغروبي أو التوقيت الغروبي؛ وهو توقيت طبيعي. بينما يبدأ التوقيت الزوالي عند الساعة ١٢:٠٠ صباحاً (منتصف الليل) وهو توقيت اصطلاحي. فإذا ولد الهلال مع أو

بعد غروب الشمس إلى الساعة ١١:٥٩ مساءً فهو قد ولد في اليوم الغروبي التالي، ولا يؤخذ بحيثيات الشمس والقمر لليوم السابق. فمثلاً، ولد الهلال في يوم ١-١٢-١٩٦٧م عند الساعة ٧:١٠ مساءً بينما غربت الشمس الساعة ٥:٣٩ مساءً؛ أي: ولد الهلال بعد غروب الشمس. هنا لا نأخذ بحيثيات الشمس والقمر ليوم ١-١٢-١٩٦٧م بل نأخذ بحيثيات يوم ٢-١٢-١٩٦٧م. مثال ثانٍ، ولد الهلال الساعة ٣:١١ صباح يوم ٥-٢-١٩٦٢م، هنا نأخذ بحيثيات غروب الشمس والقمر وزاويتهما لنفس اليوم. مثال أخير، ولد الهلال الساعة ١١:٤٤ مساءً يوم ١٥-١-١٩٦٤م، هنا نأخذ بحيثيات غروب الشمس والقمر وزاويتهما لليوم التالي ١٦-١-١٩٦٤م لأن كل الحسابات تمت بالتوقيت الزوالي. معياران مختلفان يقر الكاتب بوجودهما ولكنه لم يوجدتهما.

<sup>٦</sup> تعني أن الهلال ولد في نفس اليوم (حسب التوقيت الزوالي) الذي دخل فيه الشهر كما أعلن رسمياً.

<sup>٧</sup> تعني أن الهلال ولد قبل يومين من اليوم (حسب التوقيت الزوالي) الذي دخل فيه الشهر كما أعلن رسمياً.

وبالنظر إلى الحسابات الفلكية في الجداول، قد يسأل أحد: لم لم تختَر القيم القريبة من المعيار الذي يبدأ به شهر رمضان وشوال وذى الحجة، حيث إنَّ الحيثيات قريبة جداً من المعيار؟ وجوابي: إنني أعلم تمام العلم أن هناك من يجادل في ذلك، وربما يكون له ذلك. إلا أن هذا يفتح باباً للعد التنازلي لقيمة الزاويتين. فما هو الحد الذي يجب أن يقف عنده باحث ما؟ وإذا وقف عند حد ما، ألا يسأل آخر نفس سؤاله؟ إن المعيار هو المعيار. واللحظة التي ينحرف فيها الباحث عن معايير علمية تلقى قبولاً وضعها هو نفسه، فأين يقف بعد ذلك؟ وكيف يدافع عن موقفه؟ مثلاً، هل ٩٩ هلة هي ريال (علمياً: ١ ريال = ١٠٠ هلة)؟ حسناً، هذا اختلاف بمقدار ١٪. إذا وافقت، فيجب أن توافق أيضاً أن ٩٩٠,٠٠٠ هي أيضاً مليون. إذا لم توافق، فأنت غير متناسق مع نفسك. هل وضحت الفكرة؟ أتمنى ذلك. وهناك من قد يأخذ حيثيات لمكة المكرمة مختلفة قليلاً عما أخذت، وله ذلك. وربما بفعله يرجو أن يغير نتائج يوم أو يومين ويغير النسبة لحاجة في نفس يعقوب يقضيها؛ وليس له ذلك. إن العلماء scientists يستجيبون للتدريب الأكاديمي الصارم الذي تلقوه والأمانة العلمية التي وكَّلوا بها ولنتائج بحوثهم العلمية حتى وإن جاءت بغير ما يتوقعون أو يرجون، ولا "يهندسون" العلم لهوى أو منصب غير علمي.

أخيراً، إن تعريف غروب الشمس وغروب القمر في علم الفلك هو حين يغيب نصف قرص الشمس أو نصف قرص القمر عن الأفق. والسبب في ذلك هو ظاهرة انكسار الضوء حين يدخل طبقات الجو العليا للأرض. بمعنى، أن قرص الشمس يكون قد غرب حقيقة ولكننا نرى

الشمس لا زالت في الأفق. والعكس صحيح في الشروق، حيث نرى الشمس قد أشرقت وفي الحقيقة يكون القرص تحت الأفق. إن ما نراه هو انكسار ضوء الشمس أو ضوء القمر في الأفق. وبالتالي هناك فرق بين الأفق المرئي والأفق الحقيقي بفعل انكسار الضوء. الأفق المرئي هو ما يراه المرء بعينه بينما الأفق الحقيقي هو المتأثر بانكسار الضوء. هذا يفسر لماذا تظهر الجداول ٨ و٩ و١٠ أن الهلال تحت الأفق في بعض الأيام بينما يغرب بعد الشمس بديقة أو أكثر.

استُخِمْ برنامج: TheSky6 Professional Astronomy Software, Version 6.0.0.61,  
2008 لحساب حيثيات الجداول السابقة.



## الفصل السادس

### ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾

### علم الفلك والتنجيم

حساب مواقع وأفلاك الشمس والقمر وكل الأجرام السماوية الأخرى منهج علمي عصري على درجة عالية من الدقة والصحة في علم الفلك Astronomy والذي ليس له أي صلة علمية على الإطلاق بما يسمى التنجيم astrology. هناك خلط عند بعض الناس في فهمهم لعلم الفلك والتنجيم وإن سماه البعض انتهاكًا بـ "علم" التنجيم وهو ليس بعلم science على الإطلاق وإن استخدم شيئًا من العلم. فبينما نجد أن أصل كلمة astronomy إغريقي من astronomos والتي تتكون من astron أي نجم و nomos وهذه مشتقة من nemein والتي تعني ينظم ويوزع، نجد أن كلمة astrology تتكون من astro والتي تعني نجم وlogy والتي تعني مبدأ أو كتابات أو معرفة أو علم. هذه اللاحقة في اللغة الإنجليزية لا تعني علم science بل تعني مجموعة ما تعارف عليه، مثل mythology أي مجموعة الأساطير ولا تترجم ولا يعقل أن يقال علم الأساطير، وأحيانًا أخرى لا تترجم مثل technology والتي تعني التقنية. فالتقنية تعني مجموعة التطبيقات العلمية ولا يقال علم التقنية. أما حديثًا فُعرّف علم الفلك بالعلم الذي يهتم بالدراسة المنهجية للفضاء وما فيه من أجرام سماوية (مثل المجرات والنجوم والكواكب والسُدُم nebulae والمُسعَّرات supernovae) وبالذات حركات motions، مواقع، أحجام، التركيب composition الكيماوي والفيزيائي، وسلوك هذه الأجرام السماوية. أما تعريف التنجيم فهو الادعاء والاعتقاد بمعرفة مستقبل شؤون البشر عن

طريق معرفة مواقع نجوم وكواكب وافتراض تأثير هذه المواقع على حياة ومصير وشؤون الناس .

## هل هناك علاقة؟

يدَّعي ممارسو practitioners التنجيم أن هناك علاقة بين أمور في حياة أي إنسان والبرج الذي ولد فيه وبما في هذا البرج من أجرام سماوية؛ أي: أنهم يدَّعون وجود علاقة بين يوم ولادة إنسان وبين مواقع الشمس والقمر والنجوم وهـ كواكب (عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل، وهي الكواكب التي تُرى بالعين المجردة) من مجموع ٩ في المجموعة الشمسية حتى الآن. هنا يفرض سؤالان نفسيهما: لماذا يوم الولادة وقد اكتمل نمو الجنين؟ لِمَ لا يكون وقت التلقيح أو وقت ما خلال الحمل؟ لِمَ لا يكون مكان الولادة والبيئة والعقائد والنسيج الحضاري التي تربي فيه؟ أليس لهذه العوامل تأثير؟ الجواب بسيط، الولادة عمل ظاهري وبداية الحمل وبقية العوامل عمل غير ظاهري. أضف إلى ذلك أنهم لم يكونوا يعرفون وقت بداية الحمل ولا تأثير بقية العوامل<sup>١</sup>. وماذا لو ولد توأمان متطابقان بفارق بضع ساعات، الأول في نهاية وقت برج والآخر في بداية البرج التالي (سنعرف بعد قليل أن البروج تغيرت أزمنتها)؟ حسب زعم المنجمين، إنهما مختلفان، ولكن الحقيقة أنهما غير ذلك. الآن خذ العكس، فردان أحدهما ولد في وسط آسيا والآخر في وسط أمريكا الجنوبية ولكنهما ولدا في نفس البرج ونفس اللحظة أو في نفس البرج ولكن في سنة أخرى. حسب زعم المنجمين، فإنهما متطابقان ولكن الحقيقة أنهما غير ذلك.

## السؤال الثاني: وماذا عن ثلاثة الكواكب الأخرى: يورانس ونبتون

وبلوتو؟ لم يعلم المنجمون السابقون بوجودها! أما المنجمون المعاصرون فأضافوها إلى كتبهم وأعطوها أهمية كبيرة بعد أن دلَّهم عليها علماء الفلك المعاصرون. فكوكب يورانس اكتشف في عام ١٧٨١م ويدور دورة واحدة حول الشمس كل ٨٣,٧٥ سنة أرضية، وكوكب نبتون اكتشف في عام ١٨٤٦م

ويدور دورة واحدة حول الشمس كل ١٦٣,٧٢ سنة أرضية، وكوكب بلوتو اكتشف في عام ١٩٣٠م ويدور دورة واحدة حول الشمس كل ٢٤٨,٠٢ سنة أرضية. الآن، كيف عرف المنجمون المعاصرون بتأثيرات هذه الكواكب ويورانس لم يكمل بعد في عام ٢٠٠٥م ثلاث دورات منذ اكتشافه، بينما نبتون وبلوتو لم يكملا دورة واحدة منذ اكتشافهما؟ والأمر لا يتوقف عند ذلك، فماذا عن كوكب الأرض؟ لم يأخذه في الحساب! وماذا عن أقمار المشتري الزحل ٦٢ (أحدهم أكبر من كوكب عطارد وثلاثة أخرى أكبر من قمرنا) وأقمار هذه ٤٣ (أحدهم أكبر من قمرنا)؟ لم يعلموا بها في حينه. عدم علمية هذه العلاقة المزعومة للشرح والتنبؤ بسلوك الفرد يرجع إلى عدم بنائها على أسس علمية وعدم قابليتها للفحص.



الشكل ١٦: دائرة البروج

واتخذ هؤلاء المنجمون من بعض النجوم، التي تظهر كخلفية للأرض في فلكها حول الشمس (ما يعرف بمنازل الشمس) خلال سنة كاملة، أبراجاً أي ١٢ برجاً (الشكل ١٦). لماذا ١٢؟ لأن السنة فيها ١٢ شهراً شمسية. لماذا برج الولادة؟ حسناً؛ لأن الشمس تنزل (ظاهرياً، من وقت شروقها إلى وقت غروبها) في برج معين لمدة معينة، على دائرة البروج zodiac على مدار السنة. هذا هو السبب، وليس هناك أي سبب آخر. ولكن هناك ستة أبراج أخرى - بالإضافة إلى البرج الذي تنزل فيه الشمس - قد تُرى نهاراً (إذا وُجد كسوف كلي للشمس) وستة أبراج أخرى تُرى ليلاً. وماذا عن شعب الإسكيمو أو أي إنسان ولد في الدائرة القطبية الشمالية شتاءً (أو الدائرة القطبية الجنوبية صيفاً) حيث لا توجد شمس وبالتالي ثبات أبراج لبضعة أشهر؟ لا جواب لدى



المنجمين؛ لم يعلموا بوجود الدائرتين القطبيتين. إن الحقيقة العلمية، أن هذه البروج وهم، مجرد خلفية للوجه المظلم للأرض؛ وأما تلك التي نراها نهاراً خلال الكسوف الكلي فسوف نراها ليلاً بعد ٦ أشهر (النصف الأيسر من الشكل ١٦ والشكل ١٧-ب). وهكذا يوجد برجان في يوم واحد: واحد نراه في الليل (اختر ما شئت من ستة) وآخر الذي تنزل فيه الشمس في النهار ويحجبه ضوء الشمس عن أعيننا (الشكلان ١٧-أ و١٥-ب). فهل أبراج النهار الأخرى لا تؤثر؟ وهل برج أو أبراج الليل لا تؤثر وهي الأقرب؟ الأقدمون ربما ظنوا ذلك، والمعاصرون تبعوهم، والعلم كشف جهلهم. والحقيقة، أن برج النهار تزيد مسافته عنا بمقدار ٣٠٠ مليون كيلو متراً عن أبراج الليل، وهناك بشر على الجانب الآخر من الأرض وبشر آخرون تحوّل الشمس بينهم وبين ذلك البرج. كما أن هناك عشرات ومئات التريليونات من الكيلو مترات التي تفصل بين الأرض وأي برج من بروج النهار والليل، وبين كل برج وآخر، وبين نجوم كل برج. وماذا عن نجوم أخرى (التي خارج دائرة البروج) والتي تحوّل بيننا وبين أي برج؟ لم يأخذوها في تخرصاتهم! رأيتهم مدى ضلالهم؟ يوضح (الشكل ١٦) نجومًا وبروجًا وكوكبات أخرى غير البروج الإثني عشر المذكورة. لاحظ الفرق بين كلمة بُرْج وجمعها بُرُوج أو أبراج، وكوكبة وجمعها كوكبات constellations؛ فالبروج هي مجموعات النجوم الظاهرية التي توجد على دائرة البروج Ecliptic، بينما الكوكبات هي مجموعات النجوم الظاهرية التي توجد خارج دائرة البروج. كما يجب التفريق بين كلمة كوكبة وكوكب planet؛ فكوكبة تعني مجموعة لأي شيء (كقولك كوكبة من الفرسان)، وكوكب (وجمعها كواكب) يعني جسم سماوي هامد. وأفضل أن استخدم برج/بروج لكل مجموعات النجوم لتفادي احتمال أي خلط ولأن الخالق ﷻ قال: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ ﴿١﴾ البروج.

اثنتا عشرة أم ثلاث عشرة شخصية؟

وعيب تحديد ١٢ برجًا فقط هو أن ممارسي التنجيم صنفوا كل



الشكل ١٧-أ: ستة أبراج



الشكل ١٧-ب: سبعة أبراج

الشخصيات البشرية في ١٢ شخصية، وهذا أبعد ما يكون عن الواقع. وماذا عن النجوم التي لم تصنف في أي برج أو أبراج أخرى ليست في خريطتهم؟ ألا ينبغي أن يكون لها تأثير على البشر؟ إن هناك كوكبة من أشهر وأجمل وأوضح الكوكبات وهي كوكبة الجبار Orion (الشكل ١٦ والشكل ١٧-أ)، لم لا يكون لهذه الكوكبة أو نجومها، مثلاً، أثر على عواطف وأرزاق أفراد؟ لا جواب لديهم. والحقيقة، أن الشمس تمر عبر ثلاثة عشر برجاً. كيف ذلك؟ في الفترة من ١ إلى ١٧ ديسمبر من كل سنة يُظهر أي تقويم أن الشمس في برج القوس وهذا علمياً بعيد عن الواقع. ففي هذه الفترة تكون الشمس في كوكبة الحواء Ophiuchus أو حامل الحيّة the

Serpent Bearer. وبالرغم من أن هذه الكوكبة موجودة في دائرة الأبراج the circle of the zodiac وتقع بين برج العقرب والقوس (الشكل ١٧-ب)، إلا أن المنجمين لا يذكرونها البتة. وتمكث الشمس في كوكبة الحواء مدة ١٧ يوماً بينما تمكث في برج العقرب ٧ أيام فقط. هل انتهى الأمر؟ كلا. دائرة الأبراج عند المنجمين لا تحتوي على الشمس فقط بل على القمر والكواكب ونجوم أيضاً. إذا أضفنا القمر، فالأبراج تزيد إلى ١٨ برجاً وكوكبة، فالقمر في مدار (كما رأينا سابقاً) لا يدور في نفس مدار الشمس، وهذا ما يجعله يمر عبر ٥ كوكبات أخرى. أما الكواكب الظاهرة (عطارد والزهرة والمريخ

والمشتري وزحل) فتمر عبر ٦ كوكبات أخرى، أما يورانس ونبتون ولكن ليس بلوتو (حيث فلکه يميل بشكل كبير) فقد تمر عبر ١٧ كوكبة أخرى أيضًا، وهذا يجعل مجموع البروج والكوكبات التي تمر عبرها الكواكب في المجموعة الشمسية ٤١ برجًا وكوكبة<sup>٢</sup>. وماذا عن مجرتنا والمجرات التي بجوارنا والتي تحتوي كل واحدة منها على مئات البلايين من النجوم؟ هؤلاء المنجمون - الذين يعطون أجوبة سريعة وعمامة لهائمين - ليس لديهم أجوبة علمية على الحقائق السابقة، وليس لديهم إلا اثنتا عشرة شخصية، وهذا تبسيط مريع للتركيب الإنساني، إن وجد أيُّ حق أو صحة لهذا التبسيط.

والحقيقة، أن البروج ما هي إلا خطوط وهمية عشوائية (الشكلان ١٧-أ و١٧-ب) بين عدة نجوم وليس كل النجوم - فكل مجموعة من نجوم أوصلت بخطوط وهمية وسمّيت، من قبل شعوب عدة، بأسماء حيوانات وطيور وغيرها (تأمل هذه الأسماء: الحَمَل، الثور، الجَوَزاء، السرطان، الأسد، السُّبُلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت). تختلف هذه النجوم وعددها وخطوطها وأسمائها من شعب إلى آخر ومن وقت إلى آخر. أخيرًا، في عام ١٣٥٤هـ (الموافق ١٩٣٣م) قرر الاتحاد الفلكي الدولي في باريس جعل عدد الكوكبات ٨٨ كوكبة، علمًا بأن أشكال وأسماء البروج والكوكبات هي أعراف بشرية وليس لأشكال و/أو أسماء هذه البروج والكوكبات أي قيمة علمية<sup>٣</sup>. هل بقية الـ٧٦ كوكبة (أي: مجموعات و"أشكال" النجوم وليس الأسماء) لم تكن موجودة من قبل؟ بلى، كانت موجودة ولا زالت. لماذا لم يأخذها ممارسو التنجيم في دجلهم؟ اسألوهم. سؤال أخير، هل إذا انفجر نجم (يعرف بالمُسْتَعِر nova أو بالمُسْتَعِر الأعظم supernova، اعتمادًا على حجمه) في أحد هذه البروج تنفجر معه الحياة العاطفية (أو أي سلوك آخر، مثل زوال ماله أو سلطانه) لكل الأفراد الذين ولدوا في هذا البرج؟ لقد سجل العلم انفجارات نجوم عديدة ولم يلاحظ أحد أي تأثير جماعي على أي بشر في أي وقت!

## تأثير! أي تأثير؟

في العصر الحديث يستخدم ممارسو التنجيم علم الفلك والرياضيات وحتى الحاسوب للتدليل على أهمية وحتى "علمية" ما يفعلون. والحقيقة، أن كل المنجمين يستخدمون المعرفة الفلكية لمواقع الشمس والقمر وكواكب ونجوم (وهذا هو الجزء الصحيح والعلمي في ممارستهم) ولكنهم يربطون ذلك بدجلهم. لكن، هل إذا استخدم أطفال أو مجرمون بعض قوانين الفيزياء وحواسيب يجعل منهم علماء فيزياء ومن عملهم عملاً علمياً أو عملاً صالحاً؟ أو يجعل علم الفلك والرياضيات والحواسيب غير مُعتد بها؟ أو يجعل صلة بين الإجرام والعلم؟ والجواب هو النفي القاطع؛ لأنه من الحماقة الربط بينهما. وهو نفس النفي لوجود علاقة بين التنجيم وحساب مواقع وأوجه القمر أو أي جرم سماوي آخر. فالحقيقة، أن الأثر الوحيد لكل هذه النجوم وكل أعضاء المجموعة الشمسية (ما عدا الشمس والقمر فلهما تأثيرات إضافية) وتشكيلاتها، سواء بشكل فردي أو جماعي أي اصطفاف الكواكب planets alignment، على كل سكان الكرة الأرضية المواجه لتلك الكتلة وبالتساوي هو الجاذبية gravity وليس هناك أي تأثير آخر يُذكر غير الجاذبية على كل نظم الحياة على الأرض (أما أي ضوء أو إشعاعات أو موجات كهرومغناطيسية تصدرها هذه الأجرام السماوية وتصل على سطح الأرض المواجه لها بشكل متساو، فهي من القدر الضئيل جداً بحيث إنها تهمل. والغلاف الجوي الذي يحمي الأرض ليس فقط لا يفرق بين فرد وفرد، بل بين البشر وبقية الأحياء الأخرى، بل لا يفرق بين الحياة والجماد). إن للشمس تأثيرات هائلة على كل أنواع الحياة على الأرض. فبالإضافة لتأثير جاذبية الشمس على الأرض، توجد تأثيرات هائلة يومية وتكاد تكون آتية أخرى للشمس على كل أنواع ونظم الحياة ونظم أخرى على سطح الأرض وليس لهذه التأثيرات أي دخل لما يدعيه هؤلاء المنجمون. بينما القمر له تأثيرات أقل على كل الحياة الفطرية على سائر

سطح الأرض المواجه له وبالتساوي، (تأثير المدّ والجزر القمري أكبر من المد والجزر الشمسي بأكثر قليلاً من الضعف وليس لأي منهما تأثير واضح على سير حياة ومستقبل أي إنسان). ويكون تأثير جاذبية أي جُرم سماوي (نجم، الشمس، القمر) المتساوي على سطح الأرض المواجه له (مقابل سطح الأرض غير المواجه له) أكبر بنسبة ضئيلة جداً بحيث لا تؤخذ بالاعتبار.

أما النجوم ولبعدها الشاسع عن الأرض أي ثبات المسافة النسبي، فإن جاذبية هذه النجوم على الأرض تعتبر ثابتة على مدار السنة وحتى بضعة آلاف من السنين. وجاذبية هذه النجوم هي من الصَّغَر المتناهي بحيث إن جاذبية شاحنة تمر من جنبك وأنت تسوق سيارتك هي أكبر بكثير على أي إنسان من جاذبية أقرب نجم إلى مجموعتنا الشمسية وهو النجم ألفا سنتوري alpha centauri والذي يبعد عنا ٤,٣ سنة ضوئية أو ما مقداره ٦٨٠,١٢٦,٢٧١,٢٧١,٢٧١,٢٧١ كيلومتراً (يُقرأ هذا الرقم كالتالي: ٤٠ تريليون ٦٨٠ بليون ٢٧١ مليون ١٢٦ ألف و١٨٠ كلم، ويحتاج الإنسان إلى أكثر من ٧٧,٠٠٠ سنة لكي يصل ذهاباً فقط مستخدماً أسرع مركبة فضائية صنعها الإنسان<sup>٥</sup>. أما خمسة الكواكب، بدون أقمارها، فكانت هي كل ما يستطيع المنجمون في زمانهم أن يروها بالعين المجردة وكأن الكواكب الأخرى (يورانس ونبتون وبلوتو وما قد يُكتشف لاحقاً) والأقمار والمذنبات والأجرام السماوية الأخرى ليس لها دور. ومنْ يجعل الآن للكواكب الأخرى تأثيراً، فأين كان تأثيرهم بالأمس؟ حقيقة أخرى عن مواقع النجوم، إذا رأينا نحن من موقعنا نجمين أو أكثر تشكل رسمة جميلة في إطار سماوي بديع أو برج رائع وديع، فهذا لا يعني أنهم على صفحة واحدة في السماء أو ذي علاقة جسمية أو حميمة جمعاء. كل الذي يعني أنها في نفس الاتجاه وأنها أجرام سماوية صماء.

أما من حيث جاذبية أي كوكب منها وزاوية موقعه وتشكيلاتها، سواء

بشكل فردي أو مرصوص، فإن جاذبية بناية كبيرة تقف أنت بجانبها (أو لنقل إنها المستشفى الذي ولدت فيه) هي أكبر بكثير على ذرات وجزئيات جسمك من جاذبية أي منها (حتى من جاذبية كوكب المشتري الذي تبلغ كتلته ٣١٧,٨٩٢ مرة كتلة الأرض وحجمه ١,٣٢١ مرة حجم الأرض). لنكن أكثر دقة، إن جاذبية هذه البناية على أي إنسان هي أكبر بمقدار ١٠ مرات من مجموع جاذبية كل ثمانية الكواكب و٥٠٠,٠٠٠ مرة أكبر من جاذبية نجم ألفا سنتوري. كما أن جدار البناية تمنع معظم الإشعاعات المنبعثة من الأجرام السماوية، فالأضواء والإشعاعات في غرفة الولادة تفوق في قوتها أي إشعاعات كونية<sup>٦</sup>. إن الحقيقة العلمية، أن هناك علاقة طردية بين كتلة الجرم السماوي والجاذبية فكلما تزداد الكتلة تزداد الجاذبية، ولكن هناك علاقة عكسية بين الجاذبية والمسافة فكلما زادت المسافة ضعفت الجاذبية، الجدول ١١. أضف إلى ذلك أن المسافة تتغير بين الأرض وكل كوكب من هذه الكواكب والقمر (لأن فلك كل منها ليس دائرياً بل إهليلجياً elliptical، وبهذا فالأرض وأي كوكب آخر في المجموعة الشمسية مرة يكونان في حالة اقتران conjunction (أي: أنهما على نفس خط الطول السماوي ولكن أحدهما على الجهة الأخرى من الشمس كما يُرى من الأرض)، ومرة (ولكن ليس عطارداً ولا الزهرة) يكونان في حالة استقبال opposition (أي: أنهما على نفس خط الطول السماوي ولكن الكوكب الآخر خلف الأرض). إن هذا الفرق المتغير الشاسع في المسافة مع ثبات الكتلة (فمثلاً، تختلف المسافة بين الأرض والمريخ بمقدار ثمانية أضعاف) يجب أن يعني تغيراً شاسعاً فيما يسمى تأثير الكواكب على الأفراد، ولكن المنجمين كاذبون وجاهلون لأنهم يُثبتون هذا التأثير المزعوم ويجعلونه مستقلاً عن المسافة بينه وبين الأرض - لأنهم لم يعلموها من قبل ولا يجرؤون على فعلها الآن.

الجدول ١١: التأثير النسبي لجاذبية الكواكب على الأرض

الكواكب	الكتلة × ٢٢١٠	المسافة × ٢٢١٠ كيلومتر	الجاذبية	المدُّ والجزر
القمر	٧,٤	٣٨٤	١	١
عطارد	٣٣	٩٢,٠٠٠	٠,٠٠٠٠٨	٠,٠٠٠٠٠٠٣
الزُّهرة	٤٩٠	٤٢,٠٠٠	٠,٠٠٠٦	٠,٠٠٠٠٠٠٥
المريخ	٦٤	٨٠,٠٠٠	٠,٠٠٠٢	٠,٠٠٠٠٠٠١
المشتري	٢٠٠,٠٠٠	٦٣٠,٠٠٠	٠,٠١	٠,٠٠٠٠٠٠٦
زحل	٥٧,٠٠٠	١,٢٨٠,٠٠٠	٠,٠٠٠٧	٠,٠٠٠٠٠٠٠٢
يورانس	٨,٧٠٠	٢,٧٢٠,٠٠٠	٠,٠٠٠٠٢	٠,٠٠٠٠٠٠٠٠٣
نبتون	١٠,٠٠٠	٤,٣٥٤,٠٠٠	٠,٠٠٠٠١	٠,٠٠٠٠٠٠٠٠٠١
بلوتو	١~	٥,٧٦٤,٠٠٠	٠,٠٠٠٠٠٠٠٠٦	٠,٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٤

الجدول ١١، يوضح التأثير النسبي على كوكب الأرض للمدِّ والجزر ولجاذبية كواكب المجموعة الشمسية مقارنة بالقمر<sup>٧</sup>. فلو حُسبت جاذبية القمر بـ ١ لاتضح جاذبية كل كوكب على الأرض نسبة لـ ١. إن الأثر الوحيد والمتساوي لهذه الأجرام السماوية على الأرض هو الجاذبية، ولو كان أي منها يقرَّر أو حتى يؤثِّر (وهو لا يؤثِّر) في حياة ومستقبل أي إنسان لفاز القمر بجدارة. عِلْمًا أن الأثر الحقيقي المتساوي لجاذبية القمر على أي فرد على سطح الأرض هو ٣ مليمتر مقارنة لتأثير جاذبية الأرض عليه<sup>٨</sup>. الجدول ١١، يُظهر وبوضوح أنه حتى لو اصطفت كل الكواكب على خط طول سماوي واحد ماركًا بمركز كل منهما وهو نادر الحدوث جدًّا، أو اصطفت الكواكب على خط دائرة البروج أي الرؤية الظاهرية للكواكب في السماء، فلن يسبب هذا أي كوارث طبيعية آتية على كوكب الأرض على الإطلاق<sup>٩</sup> أو على أي منها حتى وإن ادعى المنجمون ذلك.

أما تكوين هذه الكواكب فمختلف (عطارد والزُّهرة والمريخ تكوينها

صخري، بينما المشتري وزُحل فتكوينهما غازي). أما من حيث أفلاك هذه الكواكب والنجوم فقد أكد هؤلاء المنجمون الضالون أنها تدور حول الأرض لأن الأرض مركز الكون، وهما خطآن واضحان لطلبة المدارس الابتدائية. ولم تقتصر معرفة المنجمين الأوائل على عدم وجود هذه الكواكب الثلاثة (يورانس ونبتون وبلوتو) فقط، بل تعداه إلى عدم علمهم بوجود المادة الداكنة dark matter والطاقة الداكنة dark energy وأجرام سماوية أخرى كالمجرات (تظهر للرائي كنجوم) والثقوب السوداء والسدم، وهذا يُظهر مبلغ علمهم. وهذه المجموعة التي اتخذها المنجمون الأوائل هي نفسها التي يستخدمها المنجمون المعاصرون، حيث لم يطور المنجمون تنجيمهم ولا آلياتهم (سوى استخدام بعضهم أوراقاً خاصة بهم، والبعض الآخر في السنين الأخيرة برامج كمبيوتر) وعلى مدى آلاف السنين. وهذا يخبرك شيئاً عن حقيقة دجلهم ورغبة البعض في تصديقهم وحتى إغنائهم بالمال.

لو كان التنجيم بهذه الدقة - وهو قطعاً ليس كذلك - فلمَ اقتصرت مواضيعه على العلاقات العاطفية والرزق والسلطة والصحة والموت بين الأفراد؟ وإذا كان التنجيم له قوة التنبؤ هذه - وهو ليس له ذلك - فلمَ لم تأخذ به دوائر وأجهزة الاستخبارات العالمية المتقدمة بدلاً من استخدام الأقمار الصناعية وأجهزة الكمبيوتر الخارقة والتكنولوجية الحديثة وتوظيف العلماء الأفاضل ووفروا على أنفسهم بلايين بل تريليونات الدولارات؟ هذا يُظهر لك عدم علمية ومدى دجل وكذب هذه الممارسات.

### نظرة تاريخية

إن الحقيقة، أن هذه الممارسة بدأت على أيدي كهنة قبل حوالي ٦,٠٠٠ سنة في بابل<sup>١</sup>، العراق حيث راقبوا السماء وسمّوا كل ما رأوا نجماً بما في ذلك ما يعرف الآن بكوكب ولم يستطيعوا إلا رؤية خمسة كواكب وهكذا دخلت في ممارستهم. وظنوا هم وشعوب غيرهم أن هذه الكواكب الخمسة آلهة (فعطارد Mercury إله التجارة والزهرة Venus إله الحب والجمال والمريخ



Mars إله الحرب والمشتري Jupiter إله الآلهة" والناس وزحل Saturn إله الزراعة) تُدير حياتهم وديانهم وأنها والشمس والقمر تسبح حول الأرض لمراقبتهم وإدارة شؤون حياتهم (لماذا آلهة لهذه العلاقات ولا يوجد إله للعلوم والتكنولوجيا وآخر للفنون والأدب والموسيقى وآخر للاختراعات وآخر للاقتصاد والمنشآت وآخر للكمبيوتر ولانترنت، على سبيل المثال؟ والجواب بكل بساطة، لقد اخترعوا آلهة على حسب نمط حياتهم). ثم ربطوا بين حدوث تكرار سنوي لأشكال معينة لنجوم (والتي سميت أبراجًا) مع ولادة ملوكهم وكهنتهم وكبرائهم وحدث كوارث طبيعية وبين رغبة هؤلاء في معرفة مستقبلهم الشخصي. وهكذا بدأت عملية التنبؤ أو إن شئت فقل التنجيم.

ولكن لم يعلم هؤلاء الكهنة أن "ثبات" مواقع النجوم كان نسبيًا. فالنجوم، وبالتالي تشكيلاتها أي الأبراج، تسبح كل في فلكه. فبعد مرور أكثر من ٦,٠٠٠ سنة تغيرت مواقع كل برج ونجومه في السماء نسبة إلى الأرض<sup>١٢</sup>، وهو تغير يُعرف بمبادرة الاعتدالين precession of the equinoxes. فالأبراج التي يدعي المنجمون أن لها شأنًا في تسيير حياة الفرد الذي ولد فيها تغيرت مواقعها نسبة إلى الأرض وذلك لأن محور الأرض Earth's rotational axis يترنح precesses ويشكل محورًا ذا شكل مخروطي فوهته في القطب السماوي الشمالي north celestial pole وتكتمل دائرة المخروط في السماء كل حوالي ٢٥,٨٠٠ سنة<sup>١٣</sup>. فمثلاً، قبل حوالي ٢,٢٠٠ سنة كان الاعتدال الربيعي vernal equinox، (والذي يؤرخ حاليًا في ٢١ مارس أو ١ الحمل) يحدث في برج الحمل بينما هو الآن حقيقة يحدث في برج الحوت وليس الحمل (لا زال ٢١ مارس) وسوف يحدث في برج الدلو بعد ٢,٦٠٠ سنة. فهل هي الأبراج أو المواقع التي في السماء التي تؤثر في حياة الناس أم هي ادعاءات المنجمين المضلين الضالين غير العلمية؟ فمن ولد، مثلاً في ٢١ مارس ٢٠٠٣م، فبرجه هو الحمل حسب قول المنجمين، والحقيقة العلمية، أن البرج في ذلك الوقت هو الحوت، انظر الجدول ١٢. كما يفترض المنجمون أن كل برج من الاثني عشر برجًا يُشكل مستطيلاً عرضه ١٦° وطوله ٣٠°، ولكن الحقيقة، أن النجوم

موزعة بشكل غير منتظم؛ فكل برج له أضلاع مختلفة وشكل مختلف<sup>١٤</sup>.

الجدول ١٢: البروج والتواريخ

التاريخ ٢٠٠٤م	البروج قديماً	البروج حديثاً
٢١ مارس	الحمل	الحوت
٢١ إبريل	الثور	الحمل
٢٢ مايو	الجوزاء	الثور
٢٢ يونيو	السرطان	الجوزاء
٢٣ يوليو	الأسد	السرطان
٢٣ أغسطس	السنبلة	الأسد
٢٣ سبتمبر	الميزان	السنبلة
٢٣ أكتوبر	العقرب	الميزان
٢٢ نوفمبر	القوس	العقرب
٢٢ ديسمبر	الجدي	القوس
٢١ يناير	الدلو	الجدي
٢٠ فبراير	الحوت	الدلو

لم يصحح المنجمون هذا الخطأ العلمي حتى الآن، ولا يجرون (مع الأسف حتى التقاويم لم تصحح هذا الخطأ). ولم يعلم هؤلاء الكهنة أن تأثير جاذبية مجرتنا درب التبانة على كل المجموعة الشمسية وبالتالي الأرض هي أكبر بكثير من أي كوكب أو نجم رأوه، وأن جاذبية الشمس على الأرض أكبر بكثير من مجموع جاذبية كل النجوم في مجرتنا. لقد احتاجت البشرية إلى الانتظار حوالي ٤,٠٠٠ سنة (نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات الميلادية من القرن العشرين) لكي تعلم أن هناك مجرات وأجراماً سماوية أخرى لا تحصى تملأ هذه الكون الفسيح. فعدد نجوم مجرتنا فقط يفوق الـ ٢٠٠ بليون نجم، منها حوالي ٩,٠٠٠ نجم<sup>١٥</sup> ترى بالعين المجردة لكل الكرة الأرضية، وهذه

الـ ٢٠٠ بليون نجم هي في مجرتنا درب التبانة فقط من حوالي عدة مئات البلايين من المجرات. وبالرغم من هذا العدد الهائل، فقد قُدِّرت كتلة كل هذه المجرات والسدم وكل المادة المرئية بحوالي ٤٪ من مجموع كل المادة الموجودة في الكون (السماء الدنيا). فهل يعقل أن ٥ كواكب وشمس وقمر فقط - من كل هذا الكم الهائل من المادة الهامدة والمشعة في الكون - تؤثر في البشر بالطريقة التي يدعيها المنجمون؟ أليس أسهل لهم أن يقولوا أن المؤثر هو الخالق والقيوم لكل هذه الأجرام السماوية والبشر؟

## الفرق بين العلم والهو

ولكن كيف تتم معرفة وحساب كل ذلك؟ كيف تتم معرفة وحساب موقع جرم سماوي، سواءً كان القمر أو غيره، وسرعته وعلاقته بأجرام سماوية أخرى؟ إن الجواب بسيط: إن هناك معرفة دقيقة جدًا لهذا الكون، ولا زال البشر يسبرون ويتعلمون أسراره. ويرجع الفضل في ذلك إلى سنن الله الكونية الثابتة والدائمة والتي أتاحتها الله لكل البشر (القوانين الطبيعية) وعلمها من أجدد نفسه لمعرفتها ومعرفة السبل إليها من علم الطبيعة والرياضيات وحساب التفاضل والتكامل والهندسة *geometry*. إن معرفة قوانين الطبيعة *the laws of Physics* وقوانين الفيزياء الفلكية *the laws of Astrophysics* وتطبيقها ليس شعوذة أو سحرًا أو كفرًا أو تنجيماً أو ما يسميه البعض خطًا بحساب النجوم؛ ومن يُبلِّغ ذلك فهو جاهل ولا يعلم أنه جاهل. إنها قوانين علمية بُنيت وطُوِّرت بشكل تراكمي على مدى آلاف السنين وتُدْرَس في جامعات العالم وموجودة في الكتب العلمية<sup>١١</sup> وفي كل مكان ومتاحة لكل راغب ومجتهد. إن اتخاذ موقف سلبي تجاه هذه العلوم يُظهر مدى معرفة ووعي ذلك الفرد أو الجماعة أو المجتمع ولا يعني قطعاً عدم وجود هذه القوانين أو أنها غير قطعية. بل، في الحقيقة، يُظهر مدى موقفهم باللاحاق بركب التقدم العلمي والتكنولوجي، ومدى تشويهم للإسلام ليس بين أبنائه فقط ولكن أيضًا في عيون أعدائه.

وهناك من لا يعترف بعلم الفلك الحديث ويصر على تسميته بالتنجيم أو علم النجوم أو علم الحساب ولا يذكرونه في بحثهم إلا بأهله: علماء النجوم أو المُنَجِّمون وعلماء الحساب أو الحُسَّاب. ويُعرِّفون الحاسب بأنه: "هو الذي يدَّعي معرفة الأوقات بمنازل القمر وسيره. والمُنَجِّم: هو الذي يزعم معرفة الأوقات والأحداث بسير الكواكب". ثم يقسمون التنجيم إلى نوعين: "حسابي: وهو الذي يعرف به الأوقات؛ كطلوع الشمس، ودلوها، وغروبها، ويعرف به كسوف الشمس، وخسوف القمر، وفصول السنة مثلاً. واستدلالي: وهو ما يزعم المنجم من العلم بالحوادث التي ستقع في المستقبل عن طريق معرفته بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، وقد يعتقد أن لها تأثيراً في الأحداث،...".<sup>١٧</sup> وهذا موقف منحاز ضد علم الفلك، إما عن جهل به وإما من قبيل: لا تشوش علي بالحقائق، فلقد اتخذت قراري. وخطأ من حيث تسمية التنجيم علماً وهو ليس بعلم، وتسمية ممارسيه علماء وهم ليسوا علماء. أضف إلى ذلك أن هذه تعريفات مبسطة وموغلة في القدم ولا تتوافق مع التعريفات العلمية الحديثة. كما أنها تعطي نتيجة معروفة مسبقاً وهي أن معرفة الأهلة من التنجيم والتنجيم حرام وبالتالي معرفة الأهلة لا يُعتبر بها. وهذا قد يكون جواباً مريحاً ولكنه جواب غير دقيق ولا يبحث في أصل المسألة الكونية التي بُني عليها حكم شرعي ولا يأخذ في الاعتبار المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية.

وهناك من يُقسِّم التنجيم إلى نوعين (بدون التفريق بين مصطلح علم الفلك ومصطلح التنجيم). النوع الأول يسميه علم التأثير [أي: التنجيم] وهو أن يعتقد المرء أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة بذاتها وهو شرك مخرج من الملة، أو أن يستدل بحركتها وتنقلاتها على ما يحدث في المستقبل وهو كفر مخرج من الملة، أو أن يعتقد أنها سبب لحدوث الخير والشر وهو شرك أصغر. أما النوع الثاني فيسميه علم التسيير [أي: علم الفلك] وهو أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية، فهذا مطلوب وإذا كان على مصالح دينية واجبة كان ذلك واجباً، كما لو أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة. أو أن يستدل بها على

المصالح الدنيوية وهذا لا بأس به وجائز، كأن يستدل بها على الجهات أو أن يستدل بها على الفصول وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر، فهذا كرهه بعض السلف وأباحه آخرون، والصحيح عدم الكراهية<sup>١٨</sup>. وهذه تعاريف غير أكاديمية، وتظهر أن الحكم الشرعي معلق ليس على طبيعة المادة العلمية بل على فهم الفقيه لهذا العلم وعلى ما يظنه أنه وقر في قلب الآخر. وبهذه الصيغة يمكن أن ينطبق هذا التعريف على أي علم، تجريبي أو اجتماعي.

والحقيقة، أن التنجيم هو التكهن أو العِرافة الذي ذمه الإسلام لأن ممارسيه يدعون علم الغيب الذي اختص الله ﷻ به نفسه. وليس للتنجيم صلة بعلم الفلك على الإطلاق كما ظهر في أول الفصل. أما استخدام المنجمين لعلم الفلك وقوانين الفيزياء الفلكية فلا يعيب علم الفلك، وإلا فهناك منجمون يستخدمون أدوات أخرى كالأصداف البحرية وأوراق اللعب (الكوتشينة) وغير ذلك، بل يستخدمون حتى القرآن الكريم وحروفه. فهل القرآن لا يُعتبر به؟ حاشا وكلا.

### ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾

وأخيراً، يكفي تذكير من يسأل ويمارس ويعتقد في التنجيم بقول سيدنا رسول الله ﷺ: عن «عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» أخرجه مسلم وأحمد وهذا لفظ أحمد، هذا فقط لمن يسأل المنجم. أما من يسأل ويصدق المنجم، فليتذكر قول حبيبتنا وسيدتنا محمد ﷺ: عن «أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي وهذا لفظ أحمد. أما حقيقة الأمر فهي: قول الحق ﷻ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾﴾ الأعراف. فالله المنفرد بقدرته الإيجاد هو الله

الخالق للسموات والأرض وما فيهن بما في ذلك الشمس والقمر والكواكب والنجوم والفضاء وأي مادة وأي طاقة، وهو الله الخالق لكل القوانين الطبيعية وهو المهيمن عليها جميعاً. كما أن البشر وجميع أمورهم وأمور الكون كله راجع له، فسبحانه جلت قدرته وتعاضم أمره. وإني والله أتعجب من أفراد على مستوى من العلم science يأخذون بالتنجيم، قراءة ومشاهدة واتصالاً، ثم يحيكون مجرى حياتهم أو جزء منها على ما قال المنجم (وفي عصرنا الحاضر، ما قالت المنجمة). هذا والله سُخِّفَ بالعقل والعلم. نسأل الله السلامة والهداية لنا ولهم.



## الخاتمة

﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

لقد تعهد الله ﷺ بحفظ كتابه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩) الحجرات، وأخبرنا سيدنا رسول الله ﷺ أن الله يُسَخِّرُ لدينه من يجدهه على مرّ الزمن «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» أخرجهُ أبو داود. ولقد سجل التاريخ الإسلامي، بعد وفاة سيدنا محمد ﷺ، فكر وجهد أئمة وعلماء مجتهدين ممن جَدَّدوا هذا الدين وأحدثوا ثورة في فقه العبادات والمناسك وعلوم الدين. وفي وقت كل منهم قُوبِلَ فكر واجتهاد بعضهم بعدم القبول تارة والعنف الرسمي و/أو الفردي تارة أخرى؛ وذهب الرجال وبقي الفكر. الآن، ومرة أخرى، تحتاج الأمة الإسلامية إلى كثير من التسامح وتقديم فكر فقهي جديد واجتهاد إسلامي مبدع للشعوب الإسلامية (وحتى غيرها) في عصر متسارع يتصف بمعارف وفتوحات علمية وتكنولوجية مذهلة واكتشافات كونية هائلة واتصالات آنية متيسرة وشعوب وأعراق مختلفة وعقائد متفرقة ومفاهيم متضاربة وإمكانات متاحة وشهوات مستباحة. لمواجهة كل ذلك، لا مكان لرأي فقهي أحادي يصادر من يخالفه ويضطهد من يعارضه.

ما يحتاجه بعض علماء الشريعة الإسلامية إلى فهمه والتوقف عن محاولة فرضه هو أن يفرقوا بين العودة إلى الماضي والعودة إلى الإسلام؛ وشتان بينهما. بعبارة أخرى، إن ما تحتاجه الشعوب الإسلامية ليس أن تعود الشعوب ١٤٠٠ سنة إلى الإسلام، بل هو تقديم الإسلام ١٤٠٠ سنة إلى الشعوب الإسلامية وغيرها في عصرها الحاضر بكل مشاكله ومستحدثاته، وإيجاد حلول

عصرية خلّاقة لمشاكلهم ومسائلهم. وسأعطي مثالين بسيطين عن العودة والتقدم<sup>٢</sup> إلى الإسلام: تعامل بعضنا بزكاة الفطر والأضحية (ذبح أنعام في الحج). فهناك من يتشدد ويُصر (أي: يُخطئ غيره إذا أخرج نقدًا) على إخراج زكاة الفطر طعامًا كما ورد في الأحاديث النبوية الصحيحة؛ أي: إخراج صاع من بُرٍّ أو شعير أو تمر أو أقط أو زبيب (مع أنه يُجيز إخراج رز والحديث لم يذكره، وهو تناقض ذاتي)؛ وهذا مثال فقه العودة ١٤٠٠ سنة. على الجانب الآخر، الأضحية ورد أيضًا فيها أحاديث نبوية صحيحة بأن يقوم المُضحّي بنفسه بشراء وذبح وتوزيع أضحيته وأكل ثلثها وإهداء أقارب والتصدق على فقراء. ولكن الآن هناك من يُجيز توكيل حتى شخصيات اعتبارية لشراء وذبح (ليس بالضرورة في مكان المُضحّي) وتوزيع الأضاحي وديغ واستعمال جلودها بدون أن يرى أو يعلم المُضحّي مصير أضحيته أو يأخذ شيئًا منها بل وحتى نقلها خارج المشاعر المقدسة؛ وهذا مثال على تقديم الإسلام ١٤٠٠ سنة لمواجهة مسائل وحل مشاكل تعاني منها الشعوب الإسلامية في هذا العصر وليس شعوبًا أخرى في أزمنة ماضية.

ما أحوج الأمة الإسلامية إلى فقه الواقع الذي هو ببساطة شديدة "النزوع إلى واقع الناس للتعرف على مشكلاتهم التي يعانون منها والبحث عن الأحكام التي تعالج هذه المشكلات في الواقع واستيعابه لهذه الأحكام. وأيضًا معرفة ما يمكن تطبيقه من هذه الأحكام وما لا يمكن نظرًا للظروف المحيطة أو عدم الاستطاعة. وبعبارة مختصرة، هو الفهم العميق لمشكلات الناس وتنزيل الحكم الشرعي عليها بقدر استيعاب الواقع لهذا الحكم"<sup>٣</sup>. إنه فقه يرتبط بالأصل ويتصل بالعصر، فقه التيسير والمستطاع وليس فقه الأمثل والعزائم لأننا في عهد استضعاف وتكوين لا في عهد استخلاف وتمكين. إنه فقه يواجه ويحجب بشكل معاصر على أسئلة شبابنا وفتياتنا وليس فقط يعطيهم أجوبة أجدادنا، الذين أبدعوا في زمانهم وأحدثوا ثورة في فقههم. إنه فقه يُقنّن علاقات المجتمع وسلوك الفرد بدلًا من أن يحجر على المجتمع ويلاحق الأفراد. إنه فقه يأخذ نظرة شمولية للدين (العلم الشرعي) ويتبنى معرفة عصرية



للخلق (العلم الكوني). وقدوتنا في ذلك هو أن سيدنا محمد رسول الله ﷺ ما حُيِّر بين أمرين قط في الإسلام إلا أخذ أيسرهما وذلك طيلة حياته وبالذات في حجة الوداع.

هذا الكتاب ناقش مسألة إسلامية بنظرة شمولية وبعلم عصري، وعرض حلاً لها. إن المحور الرئيسي لهذا الكتاب هو كيف ينظر ويشرح فرد نصوصاً شرعية بنظرة شمولية، ذاتية التناسق، ومتكاملة مع ما خلق الله؟ إذا أخذ أحدنا نظرة شمولية لكل الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها في هذا الكون وذاتية التناسق، فشرحه لمسألة ما سيختلف عمن يبتسر نظرة انتقائية وأحادية وظاهرية لنص شرعي وبدون مراعاة إلى ما خلق الله ويظن أنه خرج بحكم "شرعي". في النظرة الشمولية يتضح تناسق أحكام الشرع والصورة الكلية لمراد الشارع، وأيضاً تناسق الشرع مع الخلق. أما من يبتسر نظرة انتقائية وأحادية وظاهرية لنص شرعي وبدون مراعاة أيضاً إلى ما خلق الله، فينشغل صاحبه بإظهار عدم التناقض الذي أنتجه فكره، وليس المبني في الشريعة الإسلامية، وذهابه إلى أقصى حد لتركيب شرح أن الدين صالح لكل زمان ومكان بينما العلة فيما ارتأى والهفوة في حَجْرِهِ على من خالفه من الورى. بقي أن ندرك أن إظهار التناسق في الشريعة نفسها هو مسألة فقهية، بينما إظهار التناسق بين الشرع والخلق هو مسألة تجريبية empirical. هذه النظرة الشمولية، بشكلها الفقهي والتجريبي، هي النقطة المحورية في هذا الكتاب.

قضية تؤكد النقطة المحورية في هذا الكتاب هي استخدام الشريعة الإسلامية لوسائل وأدوات طبيعية لتطبيق تعاليمها؛ ومن هذه الوسائل ركز هذا الكتاب على شرح دور ظواهر (وأدوات) طبيعية في تحديد بدء وإقامة تكاليف شرعية؛ بفرعيها العبادات والمعاملات. مرة أخرى، إن العبادة هي كيفية محددة في توقيت محدد وفي/ل مكان محدد ولأفراد مكلفين؛ أي: أن هناك ثلاثة عناصر: العبادة وهي ثابتة، والدالة على العبادة وهي أيضاً ثابتة، وطريقة تحديد تلك الدالة وهي متغيرة (مثلاً، الصلاة والصوم والحج عبادة، والدالة عليها هي مواقع الشمس، وطريقة تحديد مواقع الشمس هو علم مُكتسَب

متغير. مثال آخر، الصوم والحج عبادة، والدالة على بدء الشهر هو مواقع الهلال، وطريقة تحديد مواقع الهلال هو علم مُكتسب متغير). ولا أجادل هنا في العبادة والدالة عليها (مثل أن نغير ميقات صلاة الظهر أو أن لا نتبع الشهر القمري للصوم أو للحج)، لكنني أجادل في أن وسائل تحديد بدء زمن العبادة ليست جزءاً من العبادة. إن استخدام ظواهر وأدوات طبيعية وعرفية وبديلة إما أن يأتي عن طريق نص شرعي أو يُستنبط قياساً. أما كونها تأتي عن طريق نص شرعي، فليست الظاهرة الطبيعية أو العرفية أو البديلة هي المقصودة شرعاً بحد ذاتها كعبادة. وأما كونها قياساً، فالقياس قاعدة فقهية. في كلتا الحالتين، الأمر ما بين نص وقياس وكلاهما ترخيص للمسلمين كي يستخدموا ظواهر (أدوات) طبيعية و/أو عرفية أخرى كي يُقيموا التكاليف الشرعية.

لقد أثبتنا أن الشريعة الإسلامية تستخدم وسائل عديدة لتحديد بدء زمن تكاليف شرعية. والحكم الفقهي لهذه الوسائل لا يخرج عن ثلاث حالات: إما أن كل هذه الوسائل جزء من العبادة التالية وبالتالي يجب العمل بكل وسيلة أتى بها الشرع لأن الوسيلة أيضاً عبادة، أو أن كل هذه الوسائل ليست جزءاً من العبادة التالية لأن الوسيلة ليست عبادة في ذاتها، أو أن لكل وسيلة حكم فقهي مستقل. الحالة الأولى فيها تناسق ذاتي ولكن تُورطنا في جعل بعض الوسائل تعبدية بينما لا يمكن - وأحياناً يحرم - جعلها عبادة، كالبلوغ والحيض، كما أنها تؤدي إلى اختلافات تطبيقية شاسعة بين المسلمين. الحالة الثانية فيها أيضاً تناسق ذاتي، لا تُورطنا في السقطة السابقة، تشرح لنا لماذا استخدم الإسلام ما خلق الله لتحديد بدء زمن ما شرع الله، تتنبأ ببعض ما أخبر به سيدنا رسول الله ﷺ، تُظهر الشريعة الإسلامية كنظام متماسك ومتربط، وتُظهر تناسقاً مع ما خلق الله ﷻ. الحالة الثالثة تُظهر تضارباً في الشريعة ذاتها، تنافراً مع العلم العصري (الكون)، انتقائية في النص وشرحه، تعطيلاً أو ليّ عنق لنصوص أخرى، وانشغال صاحبه لإثبات ما لم يكن ضرورياً لإثباته ولا يمكن إثباته - لا يمكن أن نُظهر فقهاً انتقائياً أحادياً ثم نصرخ أن الشريعة الإسلامية نظام متناسق ومتماسك.

إن دور ظواهر طبيعية في تحديد بدء زمن تكاليف شرعية هو في كونها وسائل لأن الأصل في التكليف الشرعي هو العبادة وليس الوسيلة وذلك لاستحالة أن يُقام تكليف شرعي بدون وسيلة، ولتغيير استخدام ظواهر (أدوات) طبيعية لنفس التكليف الشرعي أو لتكليف آخر، ولوجود قيود طبيعية و/أو شرعية على هذه الوسائل. فوسيلة دخول رمضان هي رؤية الهلال (بمعنى العلم به؛ أي: معرفة دخول الشهر) والشرع نفسه أتى ببديلين آخرين لرؤية الهلال وبالتالي دخول الشهر وهما إكمال عدة شعبان ثلاثين أو التقدير للهلال لوجود عائق طبيعي وهو الغيوم. كما أُستخدِمَ ظهور الهلال لبدء شوال وذو الحجة ومحرم. أما من يقول بما يسمى اختلاف المطالع فعليه مواجهة حل مشاكل تطبيقية عديدة. وفي محاولته هذه، فهو يواجه إما أن يكون انتقائياً أو متناسقاً مع نفسه أو أن يتشبث بالإنكار وبذلك يجعل الشريعة الإسلامية ذات بنية غير متناسق في ذاتها ومع ما خلق الله. حتى القبلة التي يُتعبَدُ بها لأنها شرط من شروط الصلاة (وقد حَلَّتْ البوصلة في عصرنا محل الاتجاه التقديري للقبلة، بل إن اتجاه القبلة يُحسب الآن بأجهزة عصرية<sup>٥</sup>، فيجوز للمسلم في حالة عدم معرفته لاتجاه القبلة أن يجتهد ويتجه إلى أي اتجاه يراه ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...﴾ البقرة: ١١٥، فالقبلة وسيلة والكعبة رمز والصلاة هي القصد وهي العبادة - والعبادة فقط لا تسقط. حتى الماء الذي لا يتم الوضوء والطهارة إلا به، له بدائل: التيمم والاستنجاء والاستجمار وغيره، فالقصد هو التَّطَهُّرُ. أما البلوغ وهو أم الوسائل لكل التكاليف الشرعية فيعتره أولاً اختلال طبيعي (تفاوت سن البلوغ وفترة الحيض أو انقطاعه)، وعليه ثانياً قيد تكميلي (فليس كل من بلغ يُكَلَّفُ شرعاً: فيجب أن يكون مسلماً ثم عاقلاً ثم واعياً، فالمجنون والنائم ومن في غيبوبة ومن في حكمه يقف عنه التكليف حتى يستيقظ)، وله ثالثاً بديل عرفي (عُمُرٌ محدد). ولكن ليس للعبادة بديل، فقد تُقصر العبادة (الصلاة للمسافر) أو تُسقط (الصلاة عن الحائض والنفساء) أو تُقضى (الصيام للحائض والنفساء) ولكن لا تُستبدل غيرها. والشرع أتى باللفظ (أي: النطق بالإيجاب والقبول) لانعقاد الزواج وإيقاع الطلاق وتنفيذ

الرجعة، ولكن ينجز الآن الزواج والطلاق لفظًا وكتابة وإشارة، بل يجب على المرء في هذا العصر أن يسجل ويوثق رسميًا زواجه وطلاقه. إن حقيقة كون بعض الظواهر الطبيعية لا تتحقق وأن العبادة المرتبطة بها ثابتة، يُظهر بوضوح أن كل الظواهر الطبيعية التي استخدمها الشرع هي وسائل لا يُتعبد بها، وأن القصد أو الهدف هو العبادة الثابتة.

لقد رأينا في صفحات سابقة أنه من المستحيل أن تكون بعض الظواهر الطبيعية، أو غيرها من الوسائل، لإقامة تكاليف شرعية بحد ذاتها عبادة، كالحيض والاحتلام واللّعان وشعر العانة وشراك النعل وغيرها. إن كل وظائف الظواهر الطبيعية محايدة بذاتها، ووجودها على وجه الأرض سابق للشرعية وللإنسان. فحينما نستخدم الشريعة الإسلامية ظواهر طبيعية كوسائل فإنها تقيم الحجة على البشر؛ لأن معرفة الظواهر الطبيعية لا تحتاج إلى علم مكتسب والإسلام لا يشترط الكتابة والقراءة لاعتناقه. فرسول الإسلام أمي وقومه أميون ويخلق الله كل البشر أميين، ولكن هذه ليست دعوة شرعية للأمم. كما لا يفهم من كل الآيات الواردة في القرآن أن السمع والبصر والفؤاد وسائل حصرية للتعلم؛ أي: لا يجوز استخدام غيرها، وهكذا في استخدام معادن أو بقول أو حبوب أو أجرام سماوية أو المشي أو استخدام عظام اليدين أو مقاييس طبيعية. وأخيرًا ظهر لنا، أن التكليف الشرعي لا يسقط بعدم توفر ظاهرة شرعية طبيعية أو وسائلها؛ ولكن العكس غير صحيح؛ أي: لا توجد ظاهرة (أداة) طبيعية شرّعت وحدها كعبادة. لكن تيسيرًا من المشرّع الكريم يُستعاض أحيانًا بظاهرة طبيعية أخرى أو بأداة عرفية أخرى أو طريقته لتحديد العبادة. كما لا يتعطل نص بتكليف شرعي باستخدام ظاهرة طبيعية أو عرفية بديلة لأن النص يبقى هو المرجع.

الآن ماذا نستفيد من هذه النظرة الشمولية لدور ظواهر طبيعية في تحديد تكاليف شرعية؟ الجواب كالتالي:

- أولاً: على المسلم والمتخصص أيضًا في الشريعة الإسلامية أن يكون متناسقًا مع نفسه عندما ينظر إلى، ويتفقه في، أحكام الله وهدى رسوله سيدنا

محمد ﷺ. عدم حصول ذلك يُظهِر للغير أن أحكام الشريعة الإسلامية تُناقض نفسها، بينما هو موقف فردي أو مذهبي. إن التناقض الفكري (أو عدمه) للفرد أو للاتجاه ليس له علاقة بأصل أحكام الشريعة الإسلامية. ومن الشطط والتسلط أن يجعل فرد من نسيج فكره وقدرة فهمه ومدى علمه حكرًا لمراد الله ﷻ وحكرًا لمراد رسوله سيدنا محمد ﷺ؛ أي: يُخطئ غيره لأنهم اختلفوا معه ويصادر فكرهم لأنهم عارضوه.

- ثانيًا: على المسلم أن يعلم أن شرع الله وَحْدَهُ كُليّة متناسق في ذاته متناغم مع خلقه سبحانه - فالتكاليف الشرعية شرع الله والظواهر الطبيعية خَلَقَ الله، والله هو الحق الحكيم.

- ثالثًا: أن الإسلام ليس فقط دينًا سماويًا بل دينًا طبيعيًا أيضًا وذلك لاستخدامه الخلق في تحديد أمور الشرع. كما سيَسَهّل شرح سلوك (مثلاً، السنّ المبكر للزواج والجهاد وضرب العنق لتنفيذ حكم الإعدام) للمتسائلين ولغير المسلمين.

ما هي النتيجة، إذًا، لهذه النظرة الشمولية الجديدة؟ إذا سلمنا أن غرض استخدام الشرع لظواهر طبيعية هو كونها وسائل وليست عبادة، فسوف تتهاوى مشاكل ما فتئ مسلمون يجلبونها على أنفسهم وعلى دينهم.

سوف يتوحد توقيت أركان للإسلام (الصوم والحج)، ليس على أساس سيادة الدولة أو سياسة الجماعة أو جنوح الفرد بل على أساس وَحدة المصدر لخلق هذا الكون وقوانينه، وتشريع هذا الدين الإسلامي. سوف تتوحد أيضًا تقاويم وأعياد المسلمين على أساس أن كتاب الله المنظور متناسق بل متطابق مع كتاب الله المسطور. وسوف تُعرَف ويُعرَف بمواقيت ظواهر كونية (كسوف الشمس وخسوف القمر وأوقات تساقط شهب وحتى ارتطام نيازك) وأعياد وأداء العبادات اللازمة لها ومواقيت مناسبات إسلامية مجيدة. لقد أنشأ سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه تقويمًا للمسلمين مَبْنِيًا على شرعهم تميّزًا لهم عن غيرهم. بعد حوالي ١٤٠٠ سنة من عدم اليقين يظل هذا التقويم الهجري

غير مُستخدَم إلا من قلة وفي أرجاء أقل منها لأنه لا يخدم مصالحهم الآنية ولا المستقبلية. فالدول (بما في ذلك كل الدول الإسلامية) في ميزانياتها والمؤسسات والشركات في أعمالها المالية وأفراد عديدون لا يستخدمون إلا التقويم الميلادي الغربي (الشمسي) وإن سُمِّي أحياناً بأسماء مختلفة. لقد آن الأوان للمسلمين لكي ينظروا نظرة شمولية لظاهرة الهلال الطبيعية وعلاقة ذلك بحياتهم اليومية والشرعية وعلى مدى طويل وذلك بتأسيس تقويم قمري منهجي، فالدافع موجود والمصلحة ملحة والقاعدة الآن ميسرة، والتعذر غير مقبول. إن الحقيقة، أن التقويم الهجري يحتضر، وعلى المسلمين أن يلوموا أنفسهم فقط لأنهم لم يطوروه.

سوف تتوحد معاملات وأحوال مدنية وحقوقية لشؤون المسلمين اليومية في الإثبات والأدلة. لن تكون هناك ازدواجية أو نفور بين النص الشرعي في الشهادة الشخصية في عملية إثبات أحوال مدنية أو جنائية أو أخلاقية أو تعريف أشخاص، وبين الوسائل الحديثة والعلمية في التحقيق والإثبات.

وقبل كل ذلك سوف ينشأ شباب مسلم لا يعاني من انقسام في شخصيته (إن لم يكن قد نشأ) محاولاً التوفيق بين دينه واعتزازه به وعلمه وارتباطه به، وبين أساتذة الفقه والتوحيد والتفسير من جهة وأساتذة العلوم والطبيعة والكيمياء والجغرافيا من جهة أخرى.

وأخيراً، لن يكون هناك مجال لانتهاج الإسلام بالتخلف وعدم قبول العلوم sciences.

إن الله خالق الأكوان هو نفسه مُنزل الحكمة والقرآن وهو قطعاً الحق الحكيم الرحمن، وقول الله لا يناقض خَلقه ولا خَلقه يناقض قوله. وهو نفسه القائل ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ﴿٩٥﴾ العلق. فهل علمنا حقاً ما خلق ربنا وعلمنا أيضاً سننه الكونية وتفكرنا في ذلك؟ إن فهم فرد للكون وقوانينه يضيفي بأثره، سلبيًا أو إيجابيًا، على فهمه لشرع الله. إن فهم أحدهما لا يتم بسوء فهم الآخر. بل إن من عدم تنزيه الله في صفاته أن يجعل فرد من فهمه، غير العلمي

non-scientific، أو العلم الزائف pseudo-science للكون وقوانينه أساس مراد الله أو رسوله ﷺ في شرعه. وصدق الحق القائل في كتابه المسطور:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَن ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبِرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ بَّحْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ آل عمران. صدق الله العظيم، صدق الخالق المبدع القيوم.

ما أعظم هذه الآية! قدمت المادة وقوانينها والعقلاء على الذكر ولم يحدّد الله سبحانه جنس الذاكر. وما أجمل هذا المزج بين ما خلق الله وشرّع، وبين الفكر والذكر! وما أجلّ الحق الذي لم يُفرّق بين الذكر والأنثى في الفكر والذكر والثواب! وما أروع هذا التناسق والتطابق بين كتاب الله المنظور وكتاب الله المسطور! وما أحسن الجزاء لمن علّم وعَمِلَ بالفهم والدعاء!

تم بحمد الله وفضله وبركته إعادة قراءة الكتاب في طبعته الثانية في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٩ آذار/مارس ٢٠٠٩م (١٨ الحوت ١٣٨٧هـ ش). فإن أحسنت فمن الله وبتوفيقه وإن أخطأت أو قصّرت فمن نفسي. أسأل الله الحليم الحكيم المغفرة والقبول لي ولوالدي، اللّذين لهما الفضل والثواب، ولمشايخي العلماء العاملين المتسامحين الهينين اللينين. رحمهم الله جميعاً رحمة الأبرار وأجزل لهم الخير بما هو أهل له. فهم الذين غرسوا في حب الله ورسوله وآل بيته وجميع أصحابه وقد كنت يافعاً ارتاد حلقاتهم في الحرم المكي (وأخص بالذكر سادتي وأحبائي الكرام: العلامة القُطب السيد محمد أمين كتبي والعلامة الجليل السيد علوي عباس مالكي

والعلامة الفاضل القاضي حسن مشاط والشيخ الحليم محمد نور سيف<sup>١</sup> والشيخ الرباني محمد العربي التباني والشيخ اللغوي عبد الله دردوم والعلامة الأستاذ الدكتور السيد محمد علوي مالكي). رحمهم الله جميعاً رحمة الأبرار وأسكنهم فسيح جناته ويمنحهم صُحبة حبيبه سيدنا ومولانا محمد ﷺ. وأسأل الله أن يجزي خيراً كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب وقراءه الكرام.

وهناك شكر خاص لمن علّمنا (وأنا أحد طلبته، وهناك الكثير منّا من يعتبره لهذا اليوم أباً روحياً لنا) حُب العلم وأصول الكتابة ومراعاة اللغة في سنوات الجامعة ليس في البحوث التي قدمناها له فقط ولكن حتى في أوراق الاختبارات، بحُسن خُلقه وحُسن معاملته وتقديره لكل واحد كإنسان له كيان. لقد أراد لنا الخير؛ فجزاك الله عنّا (وأنا واثق من "عنا" هذه) خير الجزاء. لقد بذرت يا سيدي وها أنا ذا أحصد فضلك.

سبحانك اللهم وبحمدك وتعالى جدك وصلى الله وسلم على مولانا وحبيبنا وشفيعنا سيدنا محمد سيد وأشرف الخلق أجمعين وعلى آله السادة الأطهار الغُر الميامين وصحبه الأبرار الصالحين والتابعين بإحسان وعنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. آمين، آمين يا رب العالمين. اللهم ألحقنا بهم بحبنا لهم، فما قدمت قليل وجُلّه هزيل، ولكن عفوك يا ربي جزيل. آمين. والحمد لله رب العالمين.

<sup>١</sup>في يوم ما وقد كنت في عنفوان سن المراهقة ذهبت إلى حلقة سيدي محمد نور سيف (هكذا رُبيننا أن نخاطب علماءنا الكرام؛ سيدي) في المسجد الحرام بعد صلاة المغرب، كعادة كثير من شيوخ وشبان مكة المكرمة، وسألته (بعد أن انتهى الدرس مع أذان العشاء) سؤالاً "معرفتاً" في مسألة من مسائل الدين. فنظرتي، رحمه الله رحمة الأبرار، برفق وحنان وقال لي: ليه يا ولدي هذا السؤال؟ فقلت: لهذا أتيتك. فرددها وهو يتسم في وجهي. أخذ بيدي وقد كنت أمامه وأجلسني بجانبه. وبعد انتهاء صلاة العشاء التفت إلي وأخذ يحادثني. فوالله لم يؤنّبني أو ينهرني، بل هدأ من روعي وأنسني. لقد كان مربياً وعالماً جليلاً. رحمه الله ونفع بعلمه المسلمين وجعله ذلك في ميزان حسناته.



## الملحق أ

اصطلاح "توافق مطالع القمر أو اختلاف المطالع" هو اجتهاد فقهي مبني على فهم كوني. هذا الملحق، مع ما سبق ذكره، يوضح حقائق تاريخية وعلمية لإعادة النظر في هذا الاجتهاد الفقهي.

حديث الصحابي كريب رضي الله عنه يُحتج به على وجود "اختلاف مطالع القمر" لأن مسلمين رأوا الهلال في دمشق ولم يروه في المدينة المنورة في نفس الليلة، واستنتجوا أن الهلال طلع في دمشق ولم يطلع في المدينة المنورة. فهل توجد دلائل فلكية تؤيد هذا الاستنتاج الفقهي الذي هيمن على الأمة الإسلامية لما يزيد عن ألف سنة؟ حديث كريب رضي الله عنه يعطينا الحثيات التالية:

- المدينة المنورة.
- دمشق.
- عبد الله بن عباس.
- معاوية بن سفيان.
- دخول شهر رمضان.

فقط لا غير. فالحديث، مثلاً، لا يذكر شيئاً عن حالة الطقس أو صحة وكيفية الأفراد الذين تراءوا الهلال في أي من المدينتين - لن نهتم بهذه العوامل لاستحالة معرفتها الآن لأي بشر. كما لا يذكر الحديث السنّة ذات العلاقة أو الفصل، ولكن هذا ليس بأمر مستحيل. إذن، علينا أن نبحث عن تلك السنّة.

في محرم ٤١هـ (مايو ٦٦١م) بدأت الدولة الأموية بقيادة الصحابي

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. توفي معاوية في ١ رجب ٦٠هـ (٧ إبريل ٦٨٠م) بينما توفي سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنه في ٦٨هـ. إذا، رمضان المقصود في حديث الصحابي كريب رضي الله عنه محصور بين الأعوام ٤١ و٥٩هـ (أي: ١٩ سنة)، وأن رمضان بدأ في دمشق يوم الجمعة وفي المدينة المنورة يوم السبت كما ورد في حديث كريب.

يبين الجدول ١٣: الأهلة في دمشق والمدينة، في نهاية هذا الملحق اسم اليوم والتاريخ الهجري والتاريخ الميلادي الذي ولد فيه الهلال ووقت ولادته ووقت غروب الشمس وغروب القمر وزاوية ارتفاع القمر عن الأفق altitude والانفصال الزاوي angular separation بين الشمس والقمر بعد غروب الشمس رأساً لكل من المدينة المنورة ودمشق. بعد معرفة اليوم الذي ولد فيه الهلال، وهو الشرط الضروري الأول، نفحص فيما إذا توفر في هذا اليوم الزوالي الشرطان الضروريان الأخيران وهما أن يغرب الهلال بعد الشمس، وأن تكون زاوية ارتفاع القمر عن الأفق  $5^\circ$  أو أكبر وأن يكون الانفصال الزاوي (أي: زاوية انفصال القمر عن الشمس)  $7^\circ$  أو أكبر (لنتذكر أن  $^\circ$  تعني درجة قوسية وأن  $^{\circ}$  تعني دقيقة قوسية مثل:  $58' 2^\circ$ ، أي: ٢ درجة و٥٨ دقيقة قوسية حيث كل درجة تقسم إلى ٦٠ دقيقة قوسية). وإلا وجب علينا أن نأخذ اليوم التالي، وربما الذي بعده، لنبحث فيما إذا كانت ليلته هي أولى ليالي رمضان وذلك لكل السنين. ثم نختار من التسعة عشر يوماً تلك الليالي التي دخل فيها شهر رمضان إما في ليلة الجمعة (أي: أن رمضان بدأ يوم الجمعة) أو في ليلة السبت (أي: أن رمضان بدأ يوم السبت).

تمت الحسابات كلها في هذا الملحق وفي الجدول ١٣: الأهلة في دمشق والمدينة، بالتاريخ الميلادي (ثم ذُكر ما يوافقه بالتاريخ الهجري)، كما أن كل الأوقات المذكورة هي بالتوقيت الزوالي<sup>٤</sup> إلا حينما نذكر ليلة الجمعة، مثلاً أو أي ليلة يوم آخر، فإننا نقصد الليلة التي تمتد بعد عصر يوم الخميس أو ذلك اليوم - وهو تناقض في استخدام منهجين مختلفين للتوقيت الكاتب لم يوجد له ولكننا نعيشه ونعرف أسبابه. فمثلاً، ولد الهلال الساعة ٤٢: ١١ صباحاً

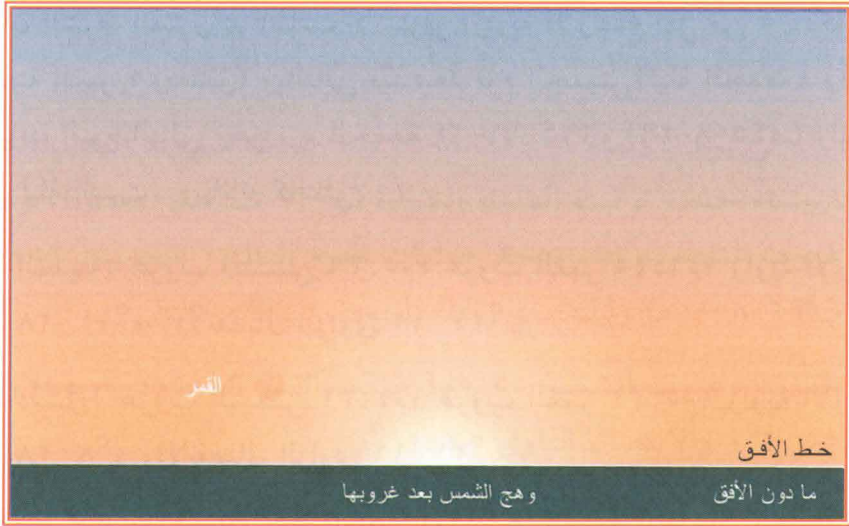
بتوقيت المدينة المنورة يوم الاثنين ٢٧-١٢-٦٦١م الموافق لـ ٢٨-٨-٤١هـ.  
وهذا التاريخ الهجري حسب كالتالي:

- يوم ١-٨-٤١هـ يوافق ٣٠-١١-٦٦١م،
- من ٣٠-١١-٦٦١م حتى ٢٧-١٢-٦٦١م هناك ٢٨ يوماً،
- إذن، ولد الهلال يوم الاثنين ٢٨-٨-٤١هـ.

الآن لنطبق الشروط الثلاثة الضرورية الواردة في بداية الفصل الرابع لمواقع الشمس والقمر على اليوم السابق لرمضان (ليلة رمضان) للفترة ما بين ٤١-٥٩هـ. سوف نستخدم اثنين من أحسن البرامج الفلكية<sup>٥</sup> والتميزة بالدقة والصحة والرسومات التوضيحية للتحقق من هذه الشروط ومعرفة اسم اليوم لكل من المدينة المنورة (على ساكنها سيدنا محمد ﷺ أفضل صلاة ربي وسلامه) ودمشق.

تطبيق الشروط الثلاثة الضرورية سهل وواضح. لنأخذ مثلاً على ذلك من الجدول ١٣، يوم الاثنين ٢٧-١٢-٦٦١م الموافق لـ ٢٨-٨-٤١هـ (لاحظ أن فصل الشتاء قد دخل لتوه). يجب أن نعلم أولاً أن الهلال ولد في المدينة المنورة الساعة ٤٢: ١١ صباحاً، و٤٢: ١٠ من صباح نفس اليوم في دمشق. لاحظ أن ولادة الهلال كانت في نفس الزمن لكلا المدينتين وذلك لفارق التوقيت - وهذا يحقق الشرط الأول. ثانياً: أن وقت غروب الشمس ثم غروب القمر في المدينة المنورة هو ٤٦: ٥ مساءً و٥٥: ٥ مساءً، بالتوالي، بفارق ٩ دقائق؛ أي: أن الشمس غربت أولاً ثم القمر. ووقت غروب الشمس وغروب القمر في دمشق هو ٣٩: ٤ مساءً و٤٥: ٤ مساءً، بالتوالي، بفارق ٦ دقائق؛ أي: أن الشمس غربت أولاً ثم القمر. هنا نستطيع أن نقف. إن الفارق الزمني بين الغروبين في المدينة المنورة ودمشق هو من الصغر بحيث لا نحتاج لأن نبحت عن زاوية ارتفاع القمر والانفعال الزاوي، فالرؤية معدومة رغم وجود الهلال في السماء. ولكننا سنستمر في مثالنا للتدليل على المنهج. المطلوب أن لا تقل زاوية الارتفاع عن ٥° وهي هنا حوالي نصف دقيقة قوسية في المدينة المنورة

وأقل من ذلك في دمشق. مرة أخرى، نستطيع أن نقف ولا نبحت عن الانفصال الزاوي فلن يجدي البحث لأن زاوية الارتفاع المطلوبة هي  $5^\circ$  والموجودة قريبة من الصفر. ولكن سوف نستمر لإيضاح المنهج، فالانفصال الزاوي المطلوب هو  $7^\circ$  والموجود حوالي  $3^\circ$  تقريباً لكلتا المدينتين، للتفصيل راجع (الجدول ١٣). إذاً، اليوم التالي الثلاثاء ليس رمضان - فالقمر رغم كونه موجوداً في السماء إلا أن رؤيته كانت مستحيلة ليلة الثلاثاء في المدينة المنورة (وبالتالي دمشق لأننا في الشتاء). يُظهر (الشكل ١٨-أ) محاكاة بالحاسوب لغروب الشمس وقرص القمر كما في يوم الاثنين/ليلة الثلاثاء ٢٧-١٢-٦٦١م، وقد غربت الشمس عن خط الأفق بدقيقتين ووهجها لازال ظاهراً. وبالرغم من تقريب الصورة (مجال الرؤية  $14^\circ = \text{field of view}$ ) لكي يُرى القمر نسبة إلى الشمس، إلا أن الهلال لم يتكون بعد، وبالتالي لا يُرى، نظراً لصغر عمره (٦ ساعات و١٣ دقيقة) ولقربه الشديد من الشمس والأفق.



الشكل ١٨-أ: الهلال بعد غروب الشمس

لنطبق المنهج المشروح سابقاً والذي اتبعناه في المثال السابق آخذين الأرقام من نفس الجدول لمعرفة أي رمضان بدأ بيوم الجمعة وأيه بدأ بيوم السبت. العرض التالي يلخص ذلك:

١- في يوم الجمعة ١٦-١٢-٦٦٢م (٢٨-٨-٤٤٢هـ)؛ أي: تقريبًا فصل الشتاء، ولد الهلال الساعة ٦:٠٢ مساءً أي بعد غروب شمس يوم الجمعة ليلة السبت بتوقيت المدينة المنورة (٥:٠٢ مساءً في دمشق)، هذا يعني أن الهلال غَرَبَ قبل غروب الشمس في كلا المدينتين. إذًا، تؤخذ حيثيات اليوم التالي وهو السبت ١٧-١٢-٦٦٢م (٢٩-٨-٤٤٢هـ) وليلته؛ أي: ليلة الأحد، لحساب بقية الشروط. ولكن لا حاجة بنا إلى ذلك لأننا نريد رمضان الذي يبدأ بيوم الجمعة أو السبت في المدينة المنورة ودمشق. نفس الشرح ليوم السبت ٢٣-١١-٦٦٤م (٢٧-٨-٤٤٤هـ) حيث ولد الهلال بعد غروب الشمس.

٢- في يوم الخميس ١٣-١١-٦٦٥م (٢٨-٨-٤٤٥هـ) ولد الهلال الساعة ١:٠٥ صباحًا (بعد منتصف ليل يوم الأربعاء أو ليلة الخميس والتي غرب فيها القمر قبل الشمس) بتوقيت المدينة (١٢:٠٥ صباحًا بتوقيت دمشق). أما حيثيات يوم الخميس/ليلة الجمعة فبالرغم من توفر الشرطين الضروريين فيها إلا أن الشرط الضروري الثالث لا يتوفر (زاوية الارتفاع أقل من  $٥^\circ$  لكل من المدينة المنورة ودمشق) وبالتالي فيُسْتَبَعَدُ يوم الخميس/ليلة الجمعة، وتؤخذ حيثيات اليوم التالي وهو يوم الجمعة ١٤-١١-٦٦٥م (٢٩-٨-٤٤٥هـ) وليلته؛ أي: ليلة السبت، وبياناته كالتالي:

أ - المدينة: غروب الشمس ٥:٣٦م؛ غروب القمر ٦:٤٥م؛ زاوية الارتفاع  $٢٨' ١١''$ ؛ والانفصال الزاوي  $٢١''$ .

ب - دمشق: غروب الشمس ٤:٣٢م؛ غروب القمر ٥:٣٢م؛ زاوية الارتفاع  $٢٨' ٠٨''$ ؛ والانفصال الزاوي  $٢١''$ .

ت - النتيجة: تتحقق الشروط الثلاثة الضرورية، ولهذا فليلة السبت هي أولى ليالي رمضان (أي: رمضان يبدأ السبت ١٥-١١-٦٦٥م) لكل من المدينة المنورة ودمشق. يُظهِرُ (الشكل ١٨-ب) محاكاة بالحاسوب لغروب الشمس والهلال كما في يوم الجمعة/ليلة السبت ١٤-١١-٦٦٥م، للمدينة المنورة وقد غربت الشمس عن خط الأفق بأربع دقائق ووهجها لا زال

ظاهراً. ولو لم يتم تحسين صورة الهلال في الصورة وتقريبها (مجال الرؤية =  $33^\circ$ ) لَظَلَّ شاحِبًا نظرًا لصغر عمره، (٤٠ ساعة ونصف الساعة منذ ولادته) ولقربه من الشمس والأفق.



### الشكل ١٨-ب: الهلال بعد غروب الشمس

٣- في يوم الأربعاء ١١-١٠-١٦٦٨ م (٢٨-٨-٤٨هـ) ولد الهلال الساعة ٨:٠٤ مساءً حسب توقيت المدينة المنورة (٧:٠٤ مساءً في دمشق)، وغرب بعد غروب الشمس. إذاً، تؤخذ حيثيات اليوم التالي، الخميس ١٢-١٠-١٦٦٨ م (٢٩-٨-٤٨هـ) وليلته؛ أي: ليلة الجمعة، وبياناته كالتالي:

أ - المدينة: غروب الشمس ٥:٥٥ م؛ غروب القمر ٦:١٣ م؛ زاوية الارتفاع ٥٥' ٢°؛ والانفصال الزاوي ٣٦' ١٢°.

ب - دمشق: غروب الشمس ٥:٠١ م؛ غروب القمر ٥:١١ م؛ زاوية الارتفاع ٥٠' ١°؛ والانفصال الزاوي ٤٨' ١٢°.

ت - النتيجة: لا يتحقق شرط زاوية الارتفاع في كل من المدينة المنورة ودمشق في ليلة الجمعة؛ أي: بالرغم من وجود الهلال في السماء إلا أنه لا يمكن رؤيته لقربه من الأفق.

٤- إذن، تؤخذ حيثيات اليوم التالي الجمعة ١٣-١٠-٦٦٨م وليلته؛ أي: ليلة السبت، وبياناته كالتالي:

أ - المدينة: غروب الشمس ٥:٥٤م؛ غروب القمر ٦:٥٩م؛ زاوية الارتفاع ٤٦' ١١°؛ والانفصال الزاوي ١٥' ٢٥°.

ب - دمشق: غروب الشمس ٥:٠٠م؛ غروب القمر ٥:٥٢م؛ زاوية الارتفاع ٥٩' ٧°؛ والانفصال الزاوي ٢٧' ٢٥°.

ت - النتيجة: تتحقق الشروط الثلاثة الضرورية، ولهذا فليلة السبت هي أولى ليالي رمضان (أي: رمضان يبدأ السبت ١٤-١٠-٦٦٨م) لكل من المدينة المنورة ودمشق. ونلاحظ أن زاوية الارتفاع كبيرة جدًا وذلك لمضي أكثر من ٢٤ ساعة على ولادة الهلال.

٥- في يوم الجمعة ٢٠-٩-٦٧٠م (٢٨-٨-٥٥٠هـ) ولد الهلال الساعة ٤:٥٢ صباحًا بتوقيت المدينة أي قرب الفجر (٣:٥٢ صباحًا في دمشق). بفحص حيثيات يوم الجمعة ٢٠-٩-٦٧٠م (٢٨-٨-٥٥٠هـ) وليلته؛ أي: ليلة السبت، نجد أن بياناته كالتالي:

أ - المدينة: غروب الشمس ٦:١٧م؛ غروب القمر ٦:١٦م؛ زاوية الارتفاع ١٨' ١٠°؛ والانفصال الزاوي ٥٢' ٧°.

ب - دمشق: غروب الشمس ٥:٣١م؛ غروب القمر ٥:٢٣م؛ زاوية الارتفاع ٣٤' ٢°؛ والانفصال الزاوي ١٠٤' ٨°.

ت - النتيجة: استحالة رؤية الهلال ليلة السبت في كل من المدينة المنورة ودمشق لوجوده تحت الأفق. ولا حاجة لنا في حساب ليلة الأحد.

٦- في يوم الخميس ١٨-٨-٦٧٣م (٢٨-٨-٥٥٣هـ) ولد الهلال الساعة ١:٠٦ صباحًا بتوقيت المدينة المنورة (١٢:٠٦ صباحًا في دمشق). نلاحظ أن شروطًا أخرى لا تتحقق في كلتا المدينتين. إذن، تؤخذ حيثيات يوم الجمعة ١٩-٨-٦٧٣م (٢٩-٨-٥٥٣هـ) وليلته؛ أي: ليلة السبت، وبياناته كالتالي:

أ - المدينة: غروب الشمس ٦:٤٨ م؛ غروب القمر ٧:٤٨ م؛ زاوية الارتفاع ١٠٩' ١٢°؛ والانفصال الزاوي ٣٩' ٢٣°.

ب - دمشق: غروب الشمس ٦:١٢ م؛ غروب القمر ٧:٠٠ م؛ زاوية الارتفاع ٣٩' ٠٨°؛ والانفصال الزاوي ٠١' ٢٤°.

ت - النتيجة: تتحقق الشروط الثلاثة الضرورية، ولهذا فليلة السبت هي أولى ليالي رمضان (أي: أن رمضان يبدأ يوم السبت ١٩-٨-٦٧٣م) لكل من دمشق والمدينة المنورة.

٧ - في يوم الأربعاء ١٦-٧-٦٧٦م (٢٨-٨-٥٦هـ) ولد الهلال الساعة ٧:١٨ مساءً بتوقيت المدينة المنورة (١٨:٦ مساءً في دمشق). حيث إن الشروط لا تتوفر في كلتا المدينتين، فيؤخذ اليوم التالي، الخميس ١٧-٦-٦٧٦م (٢٩-٨-٥٦هـ) وليلته، ليلة الجمعة، وبياناته كالتالي:

أ - المدينة: غروب الشمس ٧:٠٩ م؛ غروب القمر ٧:٤١ م؛ زاوية الارتفاع ٤٥' ٥°؛ والانفصال الزاوي ٣٥' ١١°.

ب - دمشق: غروب الشمس ٦:٤١ م؛ غروب القمر ٧:٠٨ م؛ زاوية الارتفاع ١٩' ٤°؛ والانفصال الزاوي ٥٦' ١١°.

ت - النتيجة: تحققت الشروط الثلاثة في المدينة المنورة، وبذلك فرمضان يبدأ الجمعة ١٨-٧-٦٧٦م. أما دمشق فتكاد تستوفي كل الشروط. فرغم وجود القمر في سماء دمشق لمدة ٢٧ دقيقة بعد غروب الشمس، إلا أن المطلوب هو ٥° لزاوية الارتفاع والموجود هو أقل من ذلك بقليل (١٩' ٤°). فالهلال كان في سماء دمشق ولكنه ليس مرتفعاً عن الأفق كما حُدِّد في مؤتمر اسطنبول.

٨ - في يوم الخميس ٢٤-٦-٦٧٨م (٢٧-٨-٥٨هـ) ولد الهلال الساعة ١١:١١ مساءً بتوقيت المدينة المنورة (١١:١٠ مساءً في دمشق)؛ أي: أن الهلال ولد بعد غروب الشمس. إذاً، تؤخذ حيثيات اليوم التالي، الجمعة ٢٥-٦-٦٧٨م (٢٨-٨-٥٨هـ) وليلته؛ أي: ليلة السبت، وبياناته كالتالي:



أ - المدينة: غروب الشمس ١١:٧؛ غروب القمر ٧:٤٣؛ زاوية الارتفاع ٢٣' ٥°؛ والانفصال الزاوي ٤٤' ٨°.

ب - دمشق: غروب الشمس ٦:٤٦؛ غروب القمر ٧:١٦؛ زاوية الارتفاع ٢٣' ٤°؛ والانفصال الزاوي ١٠٧' ٩°.

ت - النتيجة: تحققت الشروط الثلاثة في المدينة وبذلك فرمضان يبدأ السبت ٢٦-٦-٦٧٨م. أما دمشق فتكاد تستوفي كل الشروط. فبالرغم من وجود القمر في سماء دمشق لمدة ٣٠ دقيقة بعد غروب الشمس، إلا أن المطلوب هو ٥° لزاوية الارتفاع بينما الموجود هو أقل من ذلك بقليل (٢٣' ٤°). بعبارة أخرى، إن الهلال كان في سماء دمشق لمدة طويلة ولكنه ليس مرتفعاً عن الأفق كما حُدِّد في مؤتمر اسطنبول؛ وهي نتيجة عكس ما ورد في حديث كريب.

بقية السنين لا يأتي فيها رمضان في يوم الجمعة أو السبت.

### الجدول ١٣: الأهلة في دمشق والمدينة

اليوم	التاريخ		ولادة الهلال		غروب		زاوية الارتفاع	زاوية الانفصال	الموقع
	الهجري	الميلادي	وقت	الشمس	القمر	دقيقة درجة	دقيقة درجة		
الاثنين	٢٨-٨-٤١	٢٧-١٢-٦٦١	١١:٤٢ ص	٥:٤٧ م	٥:٥٥ م	٠٠ ٢٤	٢ ٥٨	المدينة	
			١٠:٤٢ ص	٤:٣٩ م	٤:٤٥ م	٠٠-٠٩	٣ ٠٤	دمشق	
الجمعة	٢٨-٨-٤٢	١٦-١٢-٦٦٢	٦:٠٢ م	٥:٤٠ م	٥:٣٢ م	٢-٤٨	٢ ٢٤	المدينة	
			٥:٠٢ م	٤:٣٢ م	٤:٢١ م	٣-٠٢	٢ ٣١	دمشق	
الثلاثاء	٢٨-٨-٤٣	٥-١٢-٦٦٣	٦:٠١ م	٥:٣٦ م	٥:٢٥ م	٣-١٤	٢ ٥٨	المدينة	
			٥:٠١ م	٤:٢٩ م	٤:١٥ م	٤-٠٥	٣ ٠٣	دمشق	
السبت	٢٧-٨-٤٤	٢٣-١١-٦٦٤	٦:١٧ م	٥:٣٥ م	٥:٢١ م	٣-٥١	٣ ٣٤	المدينة	
			٥:١٧ م	٤:٢٩ م	٤:١٢ م	٤-٣٦	٣ ٣٩	دمشق	
الخميس	٢٨-٨-٤٥	١٣-١١-٦٦٥	١:٠٥ ص	٥:٣٦ م	٥:٥٤ م	٢ ٢١	٩ ١٥	المدينة	
			١٢:٠٥ ص	٤:٣٣ م	٤:٤٤ م	١ ٥٣	٩ ٢٢	دمشق	
الاثنين	٢٨-٨-٤٦	٢-١١-٦٦٦	٢:٢٥ ص	٥:٤١ م	٥:٣٠ م	٣-١٥	٤ ٤٩	المدينة	
			١:٢٥ ص	٤:٤١ م	٤:٢٥ م	٣-٥٥	٤ ٥٨	دمشق	
السبت	٢٨-٨-٤٧	٢٣-١٠-٦٦٧	٦:١٧ ص	٥:٤٧ م	٥:٥١ م	٠٠-١٦	٨ ٠٤	المدينة	
			٥:١٧ ص	٤:٥١ م	٤:٤٧ م	١-٣٤	٨ ١٥	دمشق	
الأربعاء	٢٨-٨-٤٨	١١-١٠-٦٦٨	٨:٠٤ م	٥:٥٧ م	٥:٣٤ م	٦-٠٧	٥ ٣٤	المدينة	
			٧:٠٤ م	٥:٠٣ م	٤:٣٧ م	٦-١٦	٥ ٣٧	دمشق	

اليوم	التاريخ		ولادة الهلال		غروب		زاوية الارتفاع		زاوية الاتصال		الموقع
	الهجري	الميلادي	وقت	الشمس	القمر	دقيقة حوجة	دقيقة درجة				
الاثنين	٤٩-٨-٢٨	٦٦٩-١٠-١	٣:٤٤ م	٦:٠٦ م	٦:٠٧ م	٤٨-٠٠	٢٨ ٨	المدينة			
			٢:٤٤ م	٥:١٦ م	٥:١٠ م	١٧-٢	٤٠ ٨	دمشق			
الجمعة	٥٠-٨-٢٨	٦٧٠-٩-٢٠	٤:٥٢ م	٦:١٨ م	٦:١٦ م	٣٨-١	٥٢ ٧	المدينة			
			٣:٥٢ م	٥:٣١ م	٥:٢٣ م	٣٨-٢	٠٤ ٨	دمشق			
الثلاثاء	٥١-٨-٢٨	٦٧١-٩-٩	٥:١٨ م	٦:٢٩ م	٦:٢٨ م	٢١-١	٥٥ ٧	المدينة			
			٤:١٨ م	٥:٤٦ م	٥:٢٩ م	٢٨-٢	٠٩ ٨	دمشق			
السبت	٥٢-٨-٢٧	٦٧٢-٨-٢٨	١١:٤٤ م	٦:٤٠ م	٦:٣١ م	٥٥-٢	٢٢ ٦	المدينة			
			١٠:٤٤ م	٦:٠١ م	٥:٤٧ م	٤٨-٣	٣٥ ٦	دمشق			
الخميس	٥٣-٨-٢٨	٦٧٣-٨-١٨	١:٠٦ م	٦:٤٩ م	٧:٠٤ م	١٣-٢	٥٢ ١٠	المدينة			
			١٢:٠٦ م	٦:١٣ م	٦:٢١ م	٣٧-٠٠	١٤ ١١	دمشق			
الاثنين	٥٤-٨-٢٨	٦٧٤-٨-٧	٥:٥٠ م	٦:٥٨ م	٦:٤٢ م	٢٨-٤	١٥ ٥	المدينة			
			٤:٥٠ م	٦:٢٥ م	٦:٠٥ م	٥٠-٤	٢١ ٥	دمشق			
السبت	٥٥-٨-٢٨	٦٧٥-٧-٢٨	٩:١٩ م	٧:٠٤ م	٧:٠٨ م	١٤-٠٠	٣٠ ٦	المدينة			
			٨:١٩ م	٦:٣٤ م	٦:٣٤ م	١٠-١	٥١ ٦	دمشق			
الأربعاء	٥٦-٨-٢٨	٦٧٦-٧-١٦	٧:١٨ م	٧:٠٩ م	٦:٥٤ م	٠٨-٤	٢٤ ٤	المدينة			
			٦:١٨ م	٦:٤١ م	٦:٢٤ م	٢٣-٤	٢٧ ٤	دمشق			
الأحد	٥٧-٨-٢٧	٦٧٧-٧-٥	١٠:٢١ م	٧:١١ م	٦:٥٣ م	٤٧-٤	٢٥ ٤	المدينة			
			٩:٢١ م	٦:٤٥ م	٦:٢٥ م	٥٤-٤	٢١ ٤	دمشق			
الخميس	٥٨-٨-٢٧	٦٧٨-٦-٢٤	١١:١١ م	٧:١١ م	٦:٥٣ م	٤٩-٤	١٢ ٤	المدينة			
			١٠:١١ م	٦:٤٦ م	٦:٢٦ م	٤٨-٤	٠٥ ٤	دمشق			
الثلاثاء	٥٩-٨-٢٨	٦٧٩-٦-١٤	٤:٥٥ م	٧:٠٩ م	٧:٢٦ م	١٦-٤	٣٧ ٦	المدينة			
			٣:٥٥ م	٦:٤٤ م	٧:١٠ م	٣١-٣	٠١ ٧	دمشق			

## ملاحظات على الجدول

■ استُخِمْ برنامج: TheSky6 Professional Astronomy Software, Version 6.0.0. (ما عدا التواريخ الهجرية فهي من كتاب التوفيقات الإلهامية) لإعداد هذا الجدول وُوجِعَت أرقامه مع/ ووافقت كتاب: التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرانكية والقبطية، علماً أن الكتاب لم يذكر المعايير التي استخدمها في تحديد بداية الشهر العربي. كما ووجِعَت أرقامه مع برنامج: Starry Night Pro Plus, Version 6.2.3, 2008. وفي حالة اختلاف الأرقام بين البرنامجين أُخِذَت أرقام برنامج TheSky6 Professional لبقته المتناهية.

■ إحداثيات المدينة المنورة هي: خط الطول  $٣٩^\circ$  شرقاً و  $٣٦^\circ$  دقيقة، وعلى خط العرض  $٢٤^\circ$  شمالاً و  $٢٩^\circ$  دقيقة، و  $٦٢٥$  متراً فوق مستوى سطح البحر. وإحداثيات دمشق هي: خط الطول  $٣٦^\circ$  شرقاً و  $١٨^\circ$  دقيقة، وعلى خط العرض  $٣٣^\circ$  شمالاً و  $٣١^\circ$  دقيقة، و  $٧٣٠$  متراً فوق مستوى سطح البحر.

- توقيت المدينة المنورة = قرينيتش GMT + ٣، بينما توقيت دمشق = قرينيتش GMT + ٢ .
- لم يراع أي توقيت صيفي لأي من المدينتين.
- كل التواريخ حُسبت بالتقويم الميلادي وكل التواقيت في الجدول حُسبت على طريقة التوقيت الزوالي.
- قُرِّبت جميع الثواني في المواقيت إلى دقائق، كما يوجد فرق دقيقة واحدة بين البرنامجين في بعض الأحيان. وكل من أراد حساب الجدول السابق سوف يجد فرقاً، قل أم كثر، حسب معايير برنامجه والبرنامجين المستخدمين هنا.
- قُرِّبت ثواني زاوية الارتفاع والبعد الزاوي إلى دقيقة إذا كانت الثواني ٣١ ثانية أو أكثر، وأُهملت الثواني إذا كانت ٣٠ ثانية أو أقل.
- أنيط حرف ص ليعني صباحاً، وحرف م ليعني مساءً.

## المراجع

## المراجع العربية

- آيات القرآن الكريم، من المصحف الرقمي المقدم من شركة هاي برس، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م.
- العريس، القرآن الكريم: موسوعة شاملة للتلاوة والتفاسير والتجويد، (بيروت: شركة العريس للكمبيوتر، الإصدار الرابع، ٢٠٠٢م)، برنامج إلكتروني يعمل بنظام التشغيل مايكروسوفت ويندوز إكس بي. راجعت تفسير الآية في كل التفاسير الموجودة في البرنامج وهي الطبري والقرطبي وابن كثير والسعدي والجلالين، واقتباس سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه مأخوذ من تفسير الطبري.
- حرف، موسوعة الحديث الشريف، (القاهرة: شركة حرف لتقنية المعلومات، ١٩٩٨م)، برنامج إلكتروني يعمل بنظام التشغيل مايكروسوفت ويندوز إكس بي، الإصدار ٢،١.
- الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، (الرياض: دار القاسم للنشر، ١٤٢١هـ).
- أمين، أحمد، فجر الإسلام، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م).
- أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد بن، وتحقيق محمد أحمد عاشور، الصمت وحفظ اللسان، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٤٠٦هـ).
- ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٩هـ).
- باشا، محمد مختار، دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة، كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ).
- الخصاونة، عوني محمد، تطبيقات علم الفلك في الشريعة الإسلامية، (عمان، الأردن: المطابع العسكرية، ١٩٩٩م).
- الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، (دمشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ).

- الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦م).
- سابق، السيد، فقه السنة، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ).
- السبكي، علي بن عبد الكافي، تعليق محمد جمال الدين القاسمي، كتاب العلم المنشور في إثبات الشهور، (الرياض، مكتبة الشافعي، ١٤١٠هـ).
- السليمان، فهد بن ناصر، جمع وترتيب، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤١٣هـ).
- شاكر، أحمد محمد، أوائل الشهور العربية: هل يجوز شرعاً إثباتها بالحساب الفلكي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية للطباعة ونشر الكتب السلفية، ١٤٠٧هـ).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٩هـ).
- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ).
- الطنطاوي، علي، فتاوى علي الطنطاوي، (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ).
- العجيري، صالح، التقويم الهجري، (الكويت: مكتبة العجيري، ١٤٠٩هـ).
- -----، علم الميقات، الجزء الأول (الكويت: مكتبة العجيري، ١٩٨٨م).
- -----، المواقيت والقبلة: قواعد وأمثلة، (الكويت: مكتبة العجيري، ١٤٠٨هـ).
- الغماري، الشريف أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق، توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار، (عمّان، الأردن: دار النفائس، ١٤١٩هـ).
- فاغور، علي؛ حامد، حسان؛ الشطي، إبراهيم محمد، الأطلس الجديد للعالم، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٦م).
- فرانكلن، جوزف، ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي، العلاقات الدولية، (جدة: مطبوعات تهامة، ١٤٠٤هـ).
- الفرفور، محمد عبد اللطيف، بلغة المُطالع في بيان الحساب والمطالع، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٨هـ).
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقوسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ).

- القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، (المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).
- -----، المدخل لدراسة السنة النبوية، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ).
- -----، من هدي الإسلام: فتاوى معاصرة، (المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ).
- -----، فقه الزكاة: دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٥م).
- القصيبي، غازي عبد الرحمن، ثورة في السنة النبوية، (بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٣م).
- الكردي المكي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، (مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٢هـ).
- كيلي، كلين دبليو، محرر، الكوكب الوطن، (نيويورك: أديسون - ويسلي للطباعة والنشر، لا يوجد تاريخ).
- الماجدي، خزعل، موسوعة الفلك عبر التاريخ، (عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).
- المالكي، محمد بن بخيت، "ملاحظات على أسباب الاختلاف بين الرؤية الشرعية والحساب الفلكي لهلال الشهر الإسلامي"، بحث غير منشور، وتاريخ ١-٨-١٤٢١هـ (٢٨-١٠-٢٠٠٠م).
- مرعشلي، نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والعلوم، (بيروت: دار الحضارة العربية، ١٩٧٥م).
- معلوف، لويس وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦م).
- مغربي، محمد علي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وفي بعض القرون الماضية: ١٣٠١-١٤٠٠هـ، الجزء الثالث، (القاهرة، المؤسسة السعودية بمصر، ١٤١٠هـ).
- المنيع، عبد الله بن سليمان، مجموع فتاوى وبحوث، (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ).

- مور، باتريك، ترجمة مركز التعريب والترجمة، موسعة غينيس في علم الفلك، (بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٩٩٤م).
- الوابل، يوسف بن عبد الله، أشراط الساعة، (الدمام، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١١هـ).
- يمانى، أحمد زكي، الشريعة الخالدة ومشكلات العصر، (جدة، المملكة العربية السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٣٩٠هـ).

### الجرائد

- الحياة اللبنانية العدد ١٥٩٩٨ في الاثنين يوم ٣-١-١٤٢٨هـ الموافق (٢٢-١-٢٠٠٧م).
- الجزيرة السعودية العدد ١٢٥٣٤ في يوم الاثنين ٣-١-١٤٢٨هـ الموافق (٢٢-١-٢٠٠٧م).
- الرياض العدد ١٣٣٢٩، في يوم الثلاثاء ٩-١١-١٤٢٥هـ الموافق (٢١-١٢-٢٠٠٤م).
- الشرق الأوسط الأعداد:
  - ٥٢٣٠ في يوم الأربعاء ١-١٠-١٤١٣هـ الموافق (٢٤-٣-١٩٩٣م).
  - ٥٩٣٦ في يوم السبت ٢٩-٩-١٤١٥هـ الموافق (٢٥-٢-١٩٩٥م).
  - ٦٧٣٩ في يوم الأحد ٤-١-١٤١٨هـ الموافق (١١-٥-١٩٩٧م).
  - ٧٧١٨ في يوم السبت ٨-١٠-١٤٢٠هـ الموافق (١٥-١-٢٠٠٠م).
  - ٨٠٥٠ في يوم الثلاثاء ١٦-٩-١٤٢١هـ الموافق (١٢-١٢-٢٠٠٠م).
  - ٨٤٤٥ في يوم الجمعة ٢٧-١٠-١٤٢٢هـ الموافق (١١-١-٢٠٠٢م).
  - ٨٥٨٩ في يوم الثلاثاء ٢٣-٣-١٤٢٣هـ الموافق (٤-٦-٢٠٠٢م).
  - ٨٦٠١ في يوم الأحد ٥-٤-١٤٢٣هـ الموافق (١٦-٦-٢٠٠٢م).
  - ٨٧٣٦ في يوم الثلاثاء ٢٣-٨-١٤٢٣هـ الموافق (٢٩-١٠-٢٠٠٢م).
  - ٨٨٦٩ في يوم الثلاثاء ٨-١-١٤٢٤هـ الموافق (١١-٣-٢٠٠٣م).
  - ٨٩٩١ في يوم الجمعة ١١-٦-١٤٢٤هـ الموافق (١١-٧-٢٠٠٣م).
  - ٩٣٣٤ في يوم الجمعة ٣٠-٤-١٤٢٥هـ الموافق (١٨-٦-٢٠٠٤م).
- عكاظ العدد ١٤٠٢٣ في يوم الاثنين ٧-١٢-١٤٢٥هـ الموافق (١٧-١-٢٠٠٥م).
- المدينة العدد ١٥١٤٩ في يوم الخميس ٣٠-٨-١٤٢٥هـ الموافق (١٤-١٠-٢٠٠٤م).

- الوطن السعودية الأعداد:

- ١١٥٣ في يوم الأربعاء ٢-١٠-١٤٢٤هـ الموافق (٢٦-١١-٢٠٠٣م).
- ١٤١٤ في يوم الجمعة ٢٧-٦-١٤٢٥هـ الموافق (١٣-٨-٢٠٠٤م).
- ١٤٤٤ في يوم الأحد ٢٧-٧-١٤٢٥هـ الموافق (١٢-٩-٢٠٠٤م).
- ١٤٧٣ في يوم الاثنين ٢٧-٨-١٤٢٥هـ الموافق (١١-١٠-٢٠٠٤م).
- ١٥٠٣ في يوم الأربعاء ٢٧-٩-١٤٢٥هـ الموافق (١٠-١١-٢٠٠٤م).
- ١٥٩٤ في يوم الأربعاء ٣٠-١٢-١٤٢٥هـ الموافق (٩-٢-٢٠٠٥م).

## المراجع الإنجليزية

### Books

- Boulet, Dan, Methods of Orbit Determination For the Micro Computer, (Richmond, VA, USA: Willmann-Bell, Inc., 1991).
- Chapront-Touze, Michelle and Chapront, Jean. Lunar Tables and Programs from 4000 B.C. to A.D. 8000, (Richmond, VA, USA: Willmann-Bell, Inc., 1991).
- Duett-Smith, Peter, Practical Astronomy With Your Calculator, (New York: Cambridge University Press, 1988).
- -----, Astronomy With Your Personal Computer, (New York: Cambridge University Press, 1991).
- -----, Easy PC Astronomy, (New York: Cambridge University Press, 1997).
- Espenak, Fred, Fifty Years Canon of Solar Eclipses: 1986-2035, (Greenbelt, MD, USA: National Aeronautic and Space Administration (NASA): Scientific and Technical Information Office, 1987), the January 1994 Revised Edition by Sky Publishing Corp.
- Ilyas, Mohammad, A Modern Guide to Astronomical Calculations of Islamic Calendar, Times & Qibla, (Kuala Lumpur, Malaysia: Berita Publishing SDN. BHD., 1984).
- -----, Astronomy of Islamic Times for the Twenty-first Century, (New York: Mansell Publishing Ltd., 1989).
- Kaufmann, William, Universe: Second Edition, (New York: W. H. Freeman and Company, 1986).



- McKechnie, Jean L., Editor, Webster's New Twentieth Century Dictionary of the English Language: Unabridged, (NA, William Collins Publisher, Inc., 1979).
- Meeus, Jean, Astronomical Algorithms, (Richmond, VA, USA: Willmann-Bell, Inc., 1991).
- Mish, Frederic C., Editor in Chief, Webster's Ninth New Collegiate Dictionary, (Springfield, MA, USA, Merriam-Webster Inc., Publisher, 1990).
- Mitton, Jacqueline, A Concise Dictionary of Astronomy, (New Work: Oxford University Press, 1991).
- Moore, Patrick, Guide to the Moon, (London: Lutterworth Press, 1976).
- -----, Ed., The International Encyclopedia of Astronomy, (New York: Orion Books, 1987).
- Ottewell, Guy, The Astronomical Companion, (Greenville, SC, USA: Astronomical Workshop, Furman University, 1989).
- Pannekoek, Anton, A History of Astronomy, (New York: Dover Publications, Inc., 1989).
- Sagan, Carl, Cosmos, (New York: Random House, 1980).
- Seidelmann, P. Kenneth, Editor, Explanatory Supplement to the Astronomical Almanac, (Mill Valley, CA, USA: University Science Books, 1992).
- Zeilik, Michael; Gregory, Stephen A.; and Smith, Elske P. Introductory Astronomy and Astrophysics, (New York: Saunders College Publishing, 1992).

## Encyclopedia

- Aretê Publishing Company, Inc. Academic American Encyclopedia, (Princeton, NJ, USA, 1980).

## Magazines

- Ask Astro, *Astronomy* magazine, (September 2002): 64.
- Bakich, Michael E., "Astrology: Fact or Fiction?" in *Astronomy* magazine, (December 2004): pp. 50-56.
- Bakry, A., A Study of Some Peculiar Cases of New Crescent Visibility" in *al-Azhar Bulletin of Science*, June 1995, pp. 865-877.

- Berman, Bob, "Strange Universe", in *Astronomy* magazine, (May 2000).
- Eicher, David, "The End of the Line", in *Astronomy* magazine, (July 1994).
- Ratclie, Martin, "Sky Show" in *Astronomy* magazine, (March 2001).
- Sheehan, William, "The Moon Illusion" in *Mercury* magazine, January/February 2001.
- -----, "The Historic Hunt for Moons" in *Mercury* magazine, March/April 2001, p. 28, a Periodical of the Astronomy Society of the Pacific, San Francisco, CA, USA.

### Applications

- Ahlgren, J. R., USA,, Version 8.4, a Windows-based program, 2002.
- Software Bisque, TheSky6 Professional Astronomy Software, (Golden, CO, USA, 2008), a Windows-based program, Version 6.0.0.61.
- Imaginova Canada Ltd., Starry Night Pro Plus, (Toronto, ON, Canada, 2008), a Windows-based program, Version 6.2.3, pcEW.
- Google Corp., USA, Google Earth, Version 5.0.11337.1968, a Windows-based program, 2009.
- Zephyr Services, USA, Moon Tracker, a DOS based program, 1990.

### Internet sites

- <http://www.ummah.net/ildl/mooncalc.html>
- [http://xjubier.free.fr/en/site\\_pages/SolarEclipsesGoogleEarth.html](http://xjubier.free.fr/en/site_pages/SolarEclipsesGoogleEarth.html)
- [http://www.moonsighting.com/faq\\_ms.html](http://www.moonsighting.com/faq_ms.html)
- <http://search.nasa.gov/search/search.jsp?nasalInclude=earth+moon>
- <http://www.nineplanets.org/intro.html>
- <http://www.badastronomy.com/bad/misc/planets.html>
- <http://www.badastronomy.com/bad/movies/tombraider.html>
- <http://www.griffithobs.org/SkyAlignments.html>
- <http://www.etsu.edu/physics/etsuobs/starparty/22099dg/planalign.html>
- <http://www.nso.edu>
- <http://www.alriyadh.com/2004/12/21/article2408.html>



## الملاحظات

## ملاحظات المقدمة

هذه الآيات الكريمة هي: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٧﴾﴾ آل عمران؛ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ١٠٩؛ ﴿... فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ النحل: ٣٦؛ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ النمل؛ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ وَمَا عَمَرُوهَا وَحَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمُ اللَّهُ لِيُظِلِّمَهُمُ وَلَا يَكُونُوا مِّنَ الْمُظَلِّمِينَ ﴿٩١﴾﴾ الروم؛ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانُوا أَكْثَرُهم مَّشْرِكِينَ ﴿٢٢﴾﴾ الروم؛ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانُوا لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ فاطر؛ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٦١﴾﴾ غافر؛ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَخْفَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ غافر؛ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْبُلُوكَ مِن مِّثْلِهَا ﴿١١١﴾﴾ محمد. والفعالان "سيرا" و"انظروا" مندوب إليهما على سبيل الاعتبار والتفكير والتدبير وتفعيل الإيمان، وليس المعنى الظاهري لصيغة فعل الأمر. هل هناك بديل لـ "سيرا" و"انظروا" للوصول إلى نفس الغرض؟ نعم، الدراسات والبحوث والعلم.

يقول الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٦١﴾﴾ الحج. هذه دعوة لعلماء الفلك والأحياء وغيرهم لعمل ما ينفعهم.

٤ انظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾ العنكبوت. فهذه دعوة لعلماء الأحياء والفلك وغيرهم كثير لاستنباط ما ينفعهم.

٤ انظر إلى قول الخالق سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ أَيَّامٌ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٧٥﴾ الأعراف؛ ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٦١﴾ يونس؛ ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ﴿٦﴾ ق؛ وآيات أخرى عديدة. فهل الأجرام السماوية بذاتها مقدسة أو حتى النظر إليها مقدس بذاته لأن نصا ورد بالنظر إليهم؟ إن القصد هو الاعتبار والتفكير وتفعيل الإيمان.

٥ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٥م)، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ٤٢٩.

٦ هناك اختلاف كبير في مكان ظهور المسيح الدجال. ولكن باستخدام النظرة الشمولية التي أقدمها في هذا الكتاب، فإنني أتنبأ - والله أعلم - أن أول منطقة يظهر فيها الدجال هي الدائرة القطبية الشمالية أي المحيط المتجمد الشمالي (نفس التحليل ينطبق على الدائرة القطبية الجنوبية. ولكن الذي دعاني لاختيار المحيط المتجمد الشمالي على الجنوبي أن هناك اتصالاً أرضياً بين المحيط المتجمد الشمالي وبقية المناطق التي سوف يظهر فيها الدجال كما ورد ذكرها في أحاديث أخرى، وكل هذه المناطق الوارد ذكرها في الأحاديث الأخرى تقع في النصف الشمالي للكرة الأرضية). الآن لننظر إلى الدليل الشرعي لهذا التنبؤ وتطبيقه على شكل وجغرافية الأرض: «عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، . . . قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبُئُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: أَرَبِعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرِ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: لَا. أَقْدَرُوا لَهُ قَدْرَهُ. . .» أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه وأبو داود وأحمد وهذا لفظ مسلم. كلمة يوم التي تكررت في الحديث أتت بمعانٍ زمنية نسبية مختلفة. هناك تعاريف متعددة لكلمة يوم سوف نتطرق لواحد منها: يوم هو مجموع الليل والنهار.

هناك مناطق في الكرة الأرضية ليلها طويل وكذلك نهارها، مرة يتساويان في المدة ومرة يختلفان. هذان الليل والنهار يبدآن بطول الليل والنهار الاعتياديين (١٢ ساعة لكل منهما) على خط الاستواء وفي أو حول وقت الاعتدالين وعلى كل الكرة الأرضية. ثم يزداد الليل وينقص النهار تدريجيًا كلما اتجهنا شمال أو جنوب خط

الاستواء إلى طول يوم أي ٢٤ ساعة وأكثر، ثم تدريجيًا إلى طول أسبوع وأكثر، ثم تدريجيًا إلى طول شهر وأكثر إلى أقصى مدة وهي ٦ أشهر وذلك لكل من الليل والنهار، بحيث يصبح مجموع الليل والنهار يومًا وأكثر، ثم أسبوعًا وأكثر، ثم شهرًا وأكثر إلى ١٢ شهرًا.

ما بين الأشهر الستة الأولى والثانية هناك شروق بعد ليل طويل ثم غروب ثم شروق، في خلال ٢٤ ساعة، ثم نهار طويل. والعكس صحيح، غروب بعد نهار طويل ثم شروق ثم غروب، في خلال ٢٤ ساعة، ثم ليل طويل. إذن، ليل طوله ستة أشهر زائد نهار طوله ستة أشهر يساوي يومًا - وهو يوم كسنة. هو يوم لمن كان في أعلى بقعة في الدائرة القطبية حيث إنه أمضى ليلًا واحدًا ونهارًا واحدًا، ولكن سنة لمن كان دون الدائرة القطبية، قل، مثلًا، في المدينة المنورة.

ولكن ليل ونهار الدائرة القطبية ليسا سواء. فهناك يوم (أي: مجموع ليلة ونهارها) لمن كان في بقعة معينة وفي زمن مُحدّد ما بين ٦٦:٣٣ درجة شمالًا إلى ٩٠ درجة شمالًا، ولكنه كشهر لمن كان خارجها، مثلًا، في مكة المكرمة. ثم هناك يوم آخر في بقعة معينة أخرى لمن كان ما بين ٦٦:٣٣-٩٠:٠٠ درجة شمالًا، في زمن آخر مُحدّد، ولكنه كجمعة لمن كان خارجها، مثلًا، في القدس. إن العبرة هنا هي بالزمن أي دخول وخروج الليل أو النهار وباختلاف المكان في نفس الدائرة القطبية، حيث يتغير طول الليل والنهار في أماكن مختلفة في الدائرة القطبية ذاتها وفي أزمنة مختلفة. أما من كان دون ٦٦:٣٣ درجة شمالًا فأيامه كأيام غيره وإن طال نهاره في الصيف أو ليله في الشتاء ولكن لن يصل أي منهما إلى ٢٤ ساعة وذلك في أي فترة من السنة، وهذا تفسير علمي لقول سيدنا رسول الله ﷺ: «وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» أي حين يكون الدجال قد رحل عن الدائرة القطبية الشمالية متجهًا جنوبًا وأصبح بين ظهرانينا. فأول ٣ أيام للدجال = ٣٦٥+٧+٤٠٢ يوم (و ٣٦٥ يومًا لأنه يجب أن تكون سنة شمسية) وبقي له ٣٧ يومًا قبل أن يُهلك. بعبارة أخرى، فإن مجموع أيام (بحساب ٢٤ ساعة) الدجال، كما وردت في الحديث، هي: ٤٠٢+٣٧=٤٣٩ يومًا؛ أي: حوالي سنة قمرية واحدة وثلاثة شهور. إن الانتقال من منطقة السنة إلى منطقة الشهر ومن منطقة الشهر إلى منطقة الأسبوع ومن منطقة الأسبوع إلى منطقة اليوم (تبلغ المسافة بين ٩٠ درجة إلى ٦٦:٣٣ درجة حوالي ٢,٦٠٠ كيلومترًا) مشيًا على الأقدام أو على دابة أو أي وسيلة أخرى يحتاج إلى وقت؛ والتدرج الزمني في الحديث من سنة إلى شهر إلى أسبوع إلى يوم يوحي بذلك.

هذا التنبؤ يمكن فحصه من قبل أي إنسان إما نظريًا (عن طريق برامج كمبيوتر

عن علم الفلك، وهذه متاحة للعامة، أو علماء الفلك الذين يستطيعون عمل ذلك) أو تجريبياً عن طريق رحلة علمية ستستغرق سنة وبضعة شهور يسبقها تمويل وتخطيط واستعداد جيد (علم وخبرة وأجهزة ومعدات).

<sup>٧</sup> هناك ثلاثة عوامل - إما بشكل أحادي للعامل الأول أو بشكل متداخل - تؤدي إلى ظهور الهلال، والقمر بصفة عامة، بشكل أكبر. هذه العوامل هي:  
- تغير في فلك القمر نسبة إلى الأرض حيث يقترب القمر من الأرض (غير محتمل لأن القمر يتعد ببطء شديد عن الأرض)،  
- تغير في حركة وسرعة القمر ومداره بحيث يتم المحاق دائماً عند (أو قبل بقليل) نقطة الحضيض، محتمل،

- تغير في الغلاف الجوي للأرض، كما هو الحال عند ظهور البدر في الشرق أو في الغرب، أكثر احتمالاً. أرجو مراجعة الفصل الرابع "والقمر بحسبان: آية القمر" لمزيد من التفاصيل.

<sup>٨</sup> لو أن زاوية ميل مدار القمر نسبة إلى مدار الأرض تغيرت من ٥ درجات إلى، مثلاً، صفر لكان هناك كسوف للشمس عند مطلع كل شهر عربي وكسوف للقمر في منتصف كل شهر عربي. أرجو مراجعة الفصل الرابع لمزيد من التفاصيل.

<sup>٩</sup> هذا كلام جميل من شيخ جليل هو العلامة جودت سعيد كما أوردته جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٩٩١ في يوم الجمعة ١١-٦-١٤٢٤هـ (١١-٧-٢٠٠٣م)، صفحة ١٨. وهو يتحدث عن تسلط البعض فكرياً وحتى فعلياً باسم الدين لمصادرة آراء آخرين لأنهم اختلفوا في الرأي؛ أي: أن البعض يستخدم الإكراه (السيف) أكثر من الإقناع (القلم). وهناك نوع آخر يُفترض أن يكون البحث العلمي والحقيقة هدفهم - وقد تدربوا على ذلك - يُلَوِّن حقائق علمية وَيَلْبَسُون قبعات غيرهم لينتهزوا حظوة لدى مؤسسات دينية.

## ملاحظات الفصل الأول

<sup>١</sup> كلمة cosmos كلمة يونانية الأصل وتعني النظام في العالم order of the universe وهي عكس معنى الفوضى chaos. وتتضمن الترابط العميق لكل الأشياء. وتعطي أيضاً معنى الروعة للطريقة الدقيقة والحاذقة التي وضع فيها كل شيء مع بعضه البعض. وتعني أيضاً الكون بكل ما فيه من مادة وطاقة وقوانين طبيعية في ماضيه وحاضره ومستقبله. انظر:

إن cosmetic والتي تعني جميل و cosmopolitan والتي تعني عالمي مشتقتان من كلمة cosmos .

<sup>٢</sup> لا يقتصر استخدام الإسلام للظواهر الطبيعية كمحددات بل أيضًا لإقامة شرعه كأدوات تنظيم وعقوبة لمن لا يؤمن به أو يخرج عنه. هناك آيات وأحاديث عديدة تحدد ظواهر وكوارث طبيعية (شهب، نيازك، انفجار نجم، دخان من السماء، زلازل، براكين، طوفان، أعاصير، أمطار، الريح، الصيحة، المرض، الصواعق، برق، رعد، والزمن وغير ذلك) لمعاقبة من يكفر أو يعصى الله. وهذه كلها وسائل ولا يمكن أن تكون عبادة بحد ذاتها أو أن يكون لها أي ثقل تعبدية وإن كانت تقود إلى عبادة - التوبة والعودة إلى الله ﷻ والصبر والاحتساب والجزاء من الله. ويقصد بالثقل التعبدية هنا الالتزام والأخذ توقيفًا بهذه الوسائل كعبادة لتحديد تكليف شرعي. ولا يقصد أن هذه الوسائل لا تملأ قلب المؤمن بعظمة الله وخوفه، وهذا السلوك هو قطعًا نوع من أنواع العبادة ولكنه غير المقصود في هذا الكتاب.

<sup>٣</sup> كمثال للإساءة إلى الإسلام بسبب سلوك بعض أهله وحقد غيرهم، انظر مقال أمير طاهري، زاوية كتب، ص ١٩، في جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٦٠١ في يوم الأحد ٥-٤-١٤٢٣هـ (١٦-٦-٢٠٠٢م)، حيث قدر الكاتب أنه "... ظهر في ستة الشهور الأخيرة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ما يزيد عن ٤٠٠ كتاب ومشور، صنفت جميعها الإسلام كعدو". وينقل الكاتب عن ادعاء أحد هذه الكتب "... أن المسلمين لم يسهموا أبدا في العلوم أو الفن أو الفلسفة".

<sup>٤</sup> القرطبي، المجلد الرابع، الجزء السابع، ص ٦١.

<sup>٥</sup> رحم الله السلف الصالح لم يُنعم الله ﷻ عليهم بعلم عن الكون وقوانينه كما أتاحه لنا في عصرنا الحاضر، ومع ذلك فقد اجتهدوا بما علموا، وتسامحوا فيما بينهم ولم يفرضوا قولهم على أحد أو صادر أحدهم فكر أحد. سوف نعطي مثالين عن فهم بعض سلفنا الصالح رحمهم الله جميعًا للكون وقوانينه وأثر ذلك الفهم على الفقه الذي كتبه. المثال الأول عن شرح آية ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ﴿١٥﴾ نوح، أورد أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٩هـ)، الجزء الرابع، ص ٤٥٣-٤٥٤، "... فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضًا فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة، وأما بقية الكواكب وهي



الثوابت [يقصد النجوم] ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسي، والفلك التاسع وهو الأطلس والأثير...". ونحن الآن نعلم علم اليقين أن كل الكواكب الخمسة التي ذكرها الإمام ابن كثير (عطارذ والزهرة والمريخ والمشتري وزحل) والأربعة التي لم يذكرها (الأرض ونبتون ويورانس وبلوتو) والشمس والقمر وكل النجوم والمجرات والسدم وغيرها من الأجرام السماوية، موجودة في السماء الدنيا. لأن السماء الثانية والثالثة إلى السابعة لا يدخلها بشر أو مركباتهم إلا بإذن، ومركبات البشر - غير المسلم - وطئت القمر والزهرة والمريخ والمشتري ووصلت زحل وأبعد من ذلك. أما الأثير فليس له وجود كما تخبرنا الفيزياء الحديثة. أما الأطلس Atlas ففي الأساطير الإغريقية هو أحد الجبابرة الذي أجبر على حمل السماء على كتفيه كعقاب له لمحاربه كبير آلهة الإغريق زيوس Zeus وذلك بعد هزيمة الجبابرة على أيدي الآلهة الأولمبية Olympian gods. انظر:

Aretê Publishing Company, Inc. Academic American Encyclopedia, (Princeton, NJ, USA, 1980), Volume 2, p. 297.

ونحن نعلم يقيناً أن الله سبحانه جلت قدرته هو وحده في السماء دون أي إله آخر مهزوم أو منتصر. ونحن نعلم يقيناً أن السماوات سبع وليست ثمان أو تسع، وأن لا أحد من دون الله يعلو الكرسي إلا الله سبحانه. ونحن نعلم أيضاً أن أحداً لم يكفر الإمام ابن كثير، ولم يمنع كتابه لما ذكره سابقاً أو لأن كل كتابه لا يصلح، أو طالب أحد بحذف جملة أو تغييرها، أو عرض كتابه على أحد لتقييمه و/أو لأخذ الإذن بطبعه. لقد اجتهد، رَحِمَهُ اللهُ وَجِزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وضم اجتهاده في تفسير كتاب الله ونال ثواباً.

أما المثال الثاني فعن فهم بعضهم لحديث. فقد أورد أبو عيسى الترمذي رَحِمَهُ اللهُ، صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي، (بيروت: دار الكتاب العربي، لا توجد سنة الطبع)، الجزء الثالث، ص ٢١١-٢١٢، ما يلي: "وقد كنا في شهر (سنة خمس وثمانين وأربعمائة) في البحر فطلع الشمس والقمر علينا من الماء ويغربان في الماء فكنا نجلس على ظاهر المركب حتى إذا غربت [الشمس] صعد ملاح إلى الساري الأصغر فيقول لم تغب بعد ثم نمكث قليلاً فنقول قد غابت ويصعد آخر إلى الساري الأوسط فيقول لم تغب بعد ثم نمكث قليلاً فنقول قد غابت ثم يصعد الملاح في الساري الأطول فيقول لم تغب بعد ثم نمكث قليلاً أكثر من مكث ذينك الأولين ثم يقول قد غابت فيفطر الناس حينئذ والبحر سطح مستو لا عوج فيه ولا

أمتا فسبحان الله الخالق للجميع المتعبد بما شاء". إننا نعلم علم اليقين أن البحر وإن ظهر لنا مستويًا إلا أنه منحني شأنه شأن الأرض الكروية، وهذا يفسر لِمَ لم تغب الشمس عليهم كلما صعّدوا ساريًا أعلى من الذي قبله. والقارئ يستطيع أن يقوم بهذه التجربة بنفسه ولكن بدون عناء ركوب البحر. اجلس على شاطئ أي بحر قرب أي ميناء وانتظر قدوم أي سفينة أو مغادرتها. سوف ترى رأس الساري يظهر أولاً ثم جزءًا آخر منه ثم كل الساري ثم جزءًا من السفينة ثم السفينة كلها، والعكس في مغادرتها. وإذا لم يكن بجوارك بحر فجبل أو حتى عمارة كبيرة تكفي للقيام بهذه التجربة. اجلس على سفح الجبل (مستوى الأرض) والشخص الآخر على رأس الجبل (أو سطح عمارة)، ستري أنت أن الشمس غربت قبل الشخص الآخر؛ وهو يرى شروق الشمس قبلك.

هذان نصان صريحان، وهناك الكثير، يظهران كيف أن الفقيه يتأثر بالفهم السائد عن الكون وظواهره. مرة أخرى، لم يُصادر فكر الإمام الترمذي أو مُنع كتابه لأنه أورد تلك القصة. رحم الله السلف الصالح لقد كانوا علماء في علوم زمانهم أتقياء لربهم سُمحاء فيما بينهم.

جريدة الرياض العدد ١٣٣٢٩، في يوم الثلاثاء ٩ ذو القعدة ١٤٢٥هـ (٢١-١٢-٢٠٠٤م)، أو الموقع:

<http://www.alriyadh.com/2004/12/21/article2408.html>

يقدم الدكتور حمزة المزيني أستاذ اللسانيات تفسيراً للحديث «نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيُونَ لَا نَحْسُبُ وَلَا نَكْتُبُ» نُشر في جريدة الوطن السعودية العدد ٢٩١١ الصادر في يوم الخميس ١٨-١-١٤٢٩هـ (١٨-١-٢٠٠٨م). وهذا نص المقال، ويمكن قراءته على الموقع التالي:

[http://www.alwatan.com.sa/news/writerdetail.asp?issueno=2911&id=7420&Rname=25.](http://www.alwatan.com.sa/news/writerdetail.asp?issueno=2911&id=7420&Rname=25)

أعود في هذا المقال إلى التأمل في الحديث الشريف الذي رواه الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّه قَالَ: إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَعَقَدَ الْإِبْهَامَ فِي الثَّلَاثَةِ. وَالشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا" وأول ما يلحظ أنه لم يذكر فيه لفظ "رمضان"، ولا "الصوم" ولا بداية الشهر ولا نهايته، ولا "الهلال". ويشير هذا قضية مهمة عن صلة هذا الحديث بالاحتجاج المعهود لمنع استخدام الحساب الفلكي في إدخال شهر رمضان وإخراجه.

ومن المسائل الجوهرية عند تأمل ألفاظ هذا الحديث السؤال عما إن كانت "أل" التعريف في كلمة "الشهر" هنا للعهد؟ وهو ما يعني الإشارة إلى "الشهر المعهود في أذهان المخاطبين، وهو شهر رمضان"، أم أنها لاستغراق الجنس؟ وهو ما يعني أنها تشير إلى جنس الشهر. وهذا ما يوجه المعنى إلى أن الحديث لا يخرج عن كونه بيانا لعدد أيام الأشهر القمرية؛ أي: أنها لا تخرج عن أن تكون تسعة وعشرين أو ثلاثين.

ومن الواضح أن الذين استدلوا بهذا الحديث الشريف، ومنهم ابن تيمية، والمجلس الأعلى للقضاء في المملكة، على منع الأخذ بالحساب الفلكي في إثبات دخول شهر رمضان وخروجه قد أخذوا هذه الـ"أل" على أنها للعهد؛ أي: أن "الشهر" يعني رمضان، مع أنه لم يذكر فيه - كما قدمت - أي: لفظ يتعلق بالصيام أو رمضان.

وإذا قبلنا هذا التوجيه فإن هناك سؤالاً لا بد من الإجابة عنه. وهو: ما دام أن هذا الحديث يمنع استخدام الحساب الفلكي في إثبات دخول رمضان وخروجه فقط، فهل يصح لنا أن نقول إنه لا بأس من استخدام الحساب الفلكي في إثبات أوائل الشهور الأخرى، ومن أهمها شهر ذي الحجة؟ وهل يقبل المجلس الأعلى للقضاء هذه النتيجة المنطقية اللازمة؟ ولو قبل المجلس الموقر هذه النتيجة فمن المؤكد أنها ستؤدي إلى معالجة إحدى المشكلات الصعبة التي يواجهها المسلمون في كل عام، داخل المملكة، وخارجها على الأخص، نتيجة لعدم معرفتهم المسبقة بتحديد بداية شهر ذي الحجة وتعيين يوم عرفة. ذلك أنه سيكون من الممكن لهم أن يحددوا حجوزات رحلاتهم التي لا بد من جدولتها قبل أيام الحج بزمن طويل. كما سيؤدي إلى تمكينهم من تأكيد مواعيد ارتباطاتهم الأخرى التي كانوا يعانون كثيراً من تثبيت مواعيدها بسبب تأخر المجلس في إصدار القرار المحدد لأول شهر ذي الحجة ويوم عرفة. أما لو كانت "أل" لاستغراق الجنس فيلزم من ذلك أن يمنع استخدام الحساب الفلكي في إثبات أوائل الشهور القمرية كلها، لا رمضان وحده. وهذا ما سيؤدي إلى تكرار الجدل والارتباك المعهود الآن في قضية إثبات بداية رمضان وخروجه مع كل شهر هجري. ولا يمكن أن يتعلل المانعون بأن لرمضان خصوصية عن الأشهر الأخرى. ومحصلة هذا التحليل أنه لا بد للمجلس الأعلى للقضاء أن يوضح موقفه من هذين التأويلين حتى نتجنب الإرباك غير الضروري.

ونتقل الآن إلى قوله ﷺ في هذا الحديث الشريف: "لا نكتب ولا نحسب".

ومن المستبعد أن يكون المقصود هنا منع الكتابة والحساب بمعنييهما المعهودين. وقد أوضح ابن تيمية هذا الأمر بجلاء. فماذا يمكن أن نفهم من هذه العبارة، إذن؟ من المؤكد أن في أذهان الذين سمعوا هذا الحديث من الرسول ﷺ معنى معهودا مقصودا للكتابة والحساب اللذين يمنعهما. فما ذلك المعنى المقصود؟

من المستبعد أن يكون العرب في تلك الفترة يحسبون فلکيا بدايات الأشهر القمرية ونهاياتها. لكننا نعرف أنه كان هناك نظامان حسابيان فلکيان كانا مستخدمين في البيئة الحجازية في تلك الفترة. أحدهما التقويم العبري المعمول به في المدينة المنورة، وأشارت إليه في عدد من المقالات. والثاني التقويم المعهود في مكة وأسواق العرب الأخرى، وكنت أشرت إليه كذلك في بعض المقالات السابقة. وقد فرض صيام رمضان في السنة الثانية من الهجرة. وكان من الأولويات التي يجب أن ينتبه لها حينذاك الطرق التي تحدد أول رمضان وآخره. ولما كان الصوم مرتبطا بشهر رمضان فمن المؤكد أن مشكلة مهمة ستنشأ إذا لم يخلص الشهر المبارك من الارتباط بالتقويم الذي كان يلائم بين التقويم القمري والتقويم الشمسي، وهو التقويم العبري المعمول به في المدينة.

ويتضح من هذا أن الكتابة والحساب المنهي عنهما ربما يكونان المتعلقين بالتقويم العبري وحده. ذلك أن الرسول ﷺ لم يكن له سلطان على مكة حينذاك، ولا على أكثر الجزيرة العربية. ونتيجة لذلك لم يكن بإمكانه - ﷺ - أن يلغي النظام الحسابي المعمول به خارج المدينة. واستمر العمل بذلك التقويم العبري حتى حجة الوداع، ثم ألغاه القرآن الكريم، وعادت الأشهر القمرية في الجزيرة العربية كلها حرة من الارتباط بتلك العمليات الحسابية التي تلائم بينها وبين الأشهر الشمسية وينتج عنها أن تتداخل بشكل يؤدي إلى زحزحتها لتدخل في الأشهر القمرية التالية لها. ومما يشهد بهذا أن أبا بكر رضي الله عنه حج بالناس في السنة التاسعة من الهجرة ووافق ذلك شهر ذي القعدة، كما يقول المؤرخون.

ونأتي الآن إلى لفظ "الأمية". وقد حاول ابن تيمية أن يفسر الارتباط بين الأمية في هذا الحديث وما يرى أنه نهي النبي ﷺ عن استخدام الحساب في إثبات دخول شهر رمضان وخروجه. ومن البين أن محاولات ابن تيمية في هذا الصدد لم تكن مقنعة. ذلك أنه انتهى إلى الدفاع عن "أمية" الرسول ﷺ وأنها مزية له. لكن المشكل هنا ليس في تبين فضل أميته ﷺ، بل في استخدامه ﷺ في هذا الحديث ضمير الجمع "إنا" مما يشير إلى جماعة المسلمين، لا إلى نفسه وحسب. ويتبين من هذا أن الارتباط بين "الأمية" وعدم الحساب في هذا الحديث ليس واضحا في

تأويل ابن تيمية. ومن المؤكد أن الارتباط سيكون أوضح إن فهمنا الحديث على أنه وصف لحال المسلمين في تلك الفترة، واتخاذ هذه الأمية عذرا لعدم القدرة على الحساب والكتابة فيما يخص الهلال. لكن ابن تيمية يجادل ضد هذا التأويل. فهو يرى أن الله يمتن في القرآن الكريم على المسلمين بأن سخر لهم الشمس والقمر ليعلموا عدد السنين والحساب، وأن كثيرا من الصحابة كانوا يكتبون ويقرؤون، وهو ما ينفي وصف الأمية عنهم. يضاف إلى ذلك أن ابن تيمية يمنع استخدام الحساب في إثبات دخول شهر رمضان حتى مع زوال الأمية.

ونخلص من هذا إلى أنه ربما لا يمكن استخدام هذا الحديث الشريف في الاحتجاج لمنع استخدام الحساب الفلكي. ذلك أن المعنى الذي يظل أكثر وجاهة هو أن الحديث يتضمن إعلان الرسول الله ﷺ الاستقلال عن متابعة اليهود في المدينة المنورة في مسألة التقويم. فمقتضى هذا الحديث أنه ﷺ يقول إننا لسنا يهودا حتى نتبعهم في تقويمهم، بل نحن أمة أخرى ممن يصفهم اليهود بـ"الأميين"، وهو ما يتطلب الاستقلال عن متابعتهم. ثم يعلن أن عدد أيام الشهر القمري، عموماً، لا تنقص لتصل إلى ثمانية وعشرين يوماً، ولا تزيد حتى تبلغ واحداً وثلاثين يوماً، كما هي الحال في التقويم العبري. فعدد أيام الشهر القمري الآن إما تسعة وعشرون يوماً أو ثلاثون. وهذا ما يتوافق مع الحقيقة الطبيعية للهلال في أول الشهر الذي يعلن نهاية الشهر السابق وبداية الشهر اللاحق. يضاف إلى ذلك أن عدد أيام الشهر القمري ليست موضع خلاف حتى يُمنع الحساب في حله. أما المشكل فهو تحديد أول الشهر ونهايته، وهو ما لم يشر إليه الحديث الشريف. ومما يؤيد التأويل بأن "أل" التعريف في هذا الحديث الشريف لاستغراق جنس الشهر أن ابن تيمية نفسه يقول: "وَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ لَمْ يَعُدَّ أَيَّامَ الشَّهْرِ يَتَوَهَّمُ أَنَّ السَّنَةَ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ يَوْمًا. وَأَنَّ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثُونَ يَوْمًا فَقَالَ ﷺ الشَّهْرُ الثَّابِتُ اللَّازِمُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ". وجاء ذلك في عرضه المفصل لبعض الأحاديث الشريفة المشابهة لحديث "إن أمة أمة". وربما كان ورود كلمة "الحساب" في هذا الحديث هو ما أغرى القدماء بالاحتجاج به في منع استخدام الحساب الفلكي بسبب عدم معرفتهم ببعض الظروف التي كانت سائدة في المدينة المنورة في تلك الفترة المبكرة.

ويأتي تأويلي هنا في سياق ما قدمته في مقالات سابقة من وجوب البحث المدقق في سياق الأحاديث الشريفة الخاصة بشهر رمضان وألفاظها لكي نجد طرقا جديدة لمحاولة الخروج من الاضطراب المتجدد سنويا في مسألة إجازة الطرق الحديثة في الثبوت من دخول شهر رمضان وخروجه أو منعها.

إن القدرات الوظيفية والمحاكية physiological and imitative utterance abilities للنطق لدى الإنسان موجودة بشكل طبيعي، أما القدرة على الكلام فهي مكتسبة. إن النطق عند الإنسان ظاهرة طبيعية.<sup>١٢</sup>  
لقد وردت نصوص كثيرة لحفظ اللسان والحث على الصمت تجدها في كتاب الصمت وحفظ اللسان.

<sup>١٣</sup> لمزيد من التفاصيل لأراء الفقهاء حول أركان الزواج وصيغ الإيجاب والقبول راجع: الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلتها، (دمشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ)، الجزء التاسع، ص ٦٥٢١-٦٥٢٦. وفي أمور الطلاق، فينظر في ص ٦٨٦٣-٧٠٠٦، أما شروط الرجعة فينظر في ص ٦٩٨٦-٧٠٠٠.  
<sup>١٤</sup> هذا التقدير والإحلال ينطبق على الظواهر الطبيعية والأدوات الطبيعية. انظر الملاحظتين رقم ٤ و ٥ في ملاحظات الخاتمة.

<sup>١٥</sup> الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ)، المجلد الثالث، ص ١٢٣-١٢٤.

<sup>١٦</sup> نفس المصدر، المجلد الثاني، ص ١٢١.

<sup>١٧</sup> القرطبي، المجلد الخامس، الجزء العاشر، ص ٩١-٩٢.

النجوم، لمن يعرف استخدامها لتحديد الاتجاهات الأربع، أكثر دقة من البوصلة المغناطيسية؛ فنجم الجُدي Polaris، نجم القطب الشمالي، يحدد اتجاه الشمال بدقة انحراف أقل من درجة واحدة من الاتجاه الصحيح، ونجم المنطقة (وهو أقصى نجم من جهة اليمين في حزام كوكبة الجبار) يحدد اتجاه الغرب بدقة انحراف أقل من درجة واحدة من الاتجاه الصحيح. قارن هذا بتحديد البوصلة لنفس الاتجاهين بدقة انحراف أكثر من ١٠ درجات من الاتجاه الصحيح في أكثر أماكن العالم. كما أن البوصلة فيها عيب آخر، فخطوط الحقول المغناطيسية تمضي متوازية لسطح الأرض ما بين مداري السرطان والجدي فقط، وكلما اتجهنا شمال مدار السرطان وجنوب مدار الجدي كلما انحرفت البوصلة المغناطيسية أكثر.

<sup>١٨</sup> حتى عندما ذكر الله ﷻ في سورة الكهف آية ١٩ ﴿... فَابْتَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾، فإن الورق أو الوزق أو الورك تعني الدراهم المضروبة أي العملة المصكوكة المعدنية وليس الورق النقدي كما هو معروف في زماننا، (القرضاوي، يوسف، فقه الزكاة: دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ)، الجزء الأول، ص ٢٤٦. وفسّر ابن كثير

(الجزء الثالث ص ٨١) ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ "بفضتكم"، وذكر القرطبي (المجلد الخامس، الجزء العاشر، ص ٢٧٥): "وقال ابن عباس: كان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم".

١٥ الآيات التي شرّعت اللعان هي ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُونَ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾ النور.

١٦ نشرت جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٤٤٥ وتاريخ الجمعة ٢٧-١٠-١٤٢٢هـ الموافق (١١-١-٢٠٠٢م) وصفحة ٢٢، قرارات وتوصيات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في الفترة ٢١-٢٦ شوال ١٤٢٢هـ. وجاء أيضًا في الجريدة نقلا عن هذه التوصيات والقرارات بخصوص البصمة الوراثية "... أنها من الناحية العلمية وسيلة تمتاز بالدقة، لتسهيل مهمة الطب الشرعي، ... [و] أن نتائج البصمة الوراثية تكاد تكون قطعية في إثبات نسبة الأولاد إلى الوالدين أو نفيهم عنهما، في إسناد العينة (من الدم أو المني أو اللعاب) التي توجد في مسرح الحادث إلى صاحبها، فهي أقوى بكثير من القيافة العادية (التي هي إثبات النسب بوجود الشبه الجسماني بين الأصل والفرع)، وأن الخطأ في البصمة الوراثية ليس واردا من حيث هي، وإنما الخطأ في الجهد البشري أو عوامل التلوث ونحو ذلك، وبناء على ما سبق قرر ما يأتي:

"أولاً: لا مانع شرعاً من الاعتماد على البصمة الوراثية في التحقيق الجنائي واعتبارها وسيلة إثبات في الجرائم التي ليس فيها حد شرعي ولا قصاص لخبر (ادءوا [كذا] الحدود بالشبهات) وذلك يحقق العدالة والأمن للمجتمع، ويؤدي إلى نيل المجرم عقابه وتبرئة المتهم، وهذا مقصد مهم من مقاصد الشريعة.

"ثانياً: أن استعمال البصمة الوراثية في مجال النسب لا بد أن يحاط بمنتهى الحذر والحيطه والسرية، ولذلك لا بد أن تقدم النصوص والقواعد الشرعية على البصمة الوراثية.

"ثالثاً: لا يجوز شرعاً الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب ولا يجوز تقديمها على اللعان".

إذن، بعد أن أقر المجلس أن البصمة الوراثية "وسيلة تمتاز بالدقة"، و"الاعتماد على البصمة الوراثية في التحقيق الجنائي واعتبارها وسيلة إثبات في الجرائم"، عاد وقلص دور هذه الوسيلة في إثبات الجرائم ثم نفى دورها تماماً في

الجرائم التي فيها حد شرعي وفي إثبات نفي النسب وقدم اللعان على البصمة الوراثية، ليس لِقَصْر في البصمة الوراثية ولكن لورود اللعان في نص شرعي بحجة "... إن الخطأ في البصمة الوراثية ليس وارداً من حيث هي، وإنما الخطأ في الجهد البشري أو عوامل التلوث ونحو ذلك".

هل إذا وُجد خطأ في الجهد البشري أو أي عوامل أخرى في اللعان، يعني بالضرورة التخلي عن اللعان كوسيلة؟ أو أن يحاط اللعان "بمنتهى الحذر والحيطه والسرية"؟ إن آية اللعان نفسها كما وردت في القرآن الكريم في سورة النور، بالإضافة إلى أنها علنية وكما طبقها علانية رسول الله ﷺ، تأخذ احتمال "الخطأ في الجهد البشري" أو كذب أحد المتلاعنين أو كليهما؛ تدبر قول الحق سبحانه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ... إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ... إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ... إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ... إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦). فالحق بدأ بفعل يرمون أي يسبون أو يؤذون بالقول بمعنى يقذفون وهو إدعاء إذا صرَّح به فإنه يحتاج إلى برهان. فالعملية رغم قساوة العذاب بدأت بتفحص قول المُخْبِر واحتمال كذبه. "الخطأ في الجهد البشري" ثبت أيضاً بالتجربة مرتين أمام سيدنا رسول الله ﷺ: مرة باللفظ ومرة "بالبصمة الوراثية" (كما هي معروفة في ذلك الوقت) إذا حصل الحمل. ففي الحديث «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ هَلَالَ بِنِ أُمَيَّةَ قَدَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكَ ابْنِ سَحْمَاءَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْبَيْتَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيْتَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: الْبَيْتَةُ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ. فَقَالَ: هَلَالٌ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلْيَنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبْرِئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ. فَنَزَلَ جَبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦). فَأَنْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا. فَجَاءَ هَلَالٌ فَشَهِدَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنْ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ. ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفُوهَا وَقَالُوا إِنَّهَا مُوجِبَةٌ. قَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ. ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ. فَمَضَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِعَ الْأَلْيَتَيْنِ حَدَلَجَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكَ ابْنِ سَحْمَاءَ. فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ لَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ» أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد بصيغ مختلفة وهذا لفظ البخاري. ملاحظة: تمعن في ما يريد أن يقرر سيدنا رسول الله ﷺ وقد سأله الصحابي: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيْتَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: الْبَيْتَةُ



وَالْأَحَدُ فِي ظَهْرِكَ". سيدنا رسول الله ﷺ يقرر بديهيتين من أهم قواعد القانون: أولاً: أن الفرد لا يطبق القانون بيده بل هناك هيئة لذلك. ثانياً: أن هناك إجراء قانونياً *due process of law* أقره القانون لتطبيق القانون (أي: تحديد الأدلة وطريقة الأخذ بها).

فالخطأ البشري الأول في آلية اللعان كشفه رسول الله ﷺ بقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ». أما الخطأ البشري الثاني في آلية اللعان فقد كشفه أيضاً رسول الله ﷺ بقوله: «أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ سَابِعِ الْأَيْتَيْنِ خَدَلَجِ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكَ ابْنِ سَحْمَاءَ». وفي رواية أخرى لمسلم «حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَأَنَا أَرَى أَنَّ عِنْدَهُ مِنْهُ عِلْمًا فَقَالَ: إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ بِشَرِيكَ ابْنِ سَحْمَاءَ وَكَانَ أَخَا الْبِرَاءِ بْنِ مَالِكٍ لِأُمِّهِ وَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ لَاعَنَ فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ: فَلَاعَنَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَبْيَضَ سَبْطًا قَضِيءَ الْعَيْنَيْنِ فَهُوَ لِهَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ جَعْدًا حَمَشَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكَ ابْنِ سَحْمَاءَ. قَالَ: فَأَنْبِثُ أَنَّهَا جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ جَعْدًا حَمَشَ السَّاقَيْنِ».

”نص الحديث هو: «عن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا مَسْرُورًا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ فَقَالَ: أَلَمْ تَرِي [أي: ألم تعلمي] أَنَّ مُجَزَّرًا [اسم رجل يمتهن القيافة وهو الذي يتبع الآثار ويعرف النسب من الشبه] نَظَرَ آتِفًا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَقَالَ: هَذِهِ الْأَفْدَامُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. قَالَ: أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ عُيَيْنَةَ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُرْوَةَ عَنِ عَائِشَةَ وَزَادَ فِيهِ أَلَمْ تَرِي أَنَّ مُجَزَّرًا مَرَّ عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَدْ عَطَيَا رُءُوسَهُمَا وَبَدَتْ أَفْدَامُهُمَا فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الْأَفْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. وَهَكَذَا حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبْدُ وَاحِدٍ عَنِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُرْوَةَ عَنِ عَائِشَةَ. وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَدْ احْتَجَّ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذَا الْحَدِيثِ فِي إِقَامَةِ أَمْرِ الْقِيَافَةِ»، أخرجه الترمذي والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد بصيغ مختلفة، وهذا لفظ الترمذي.

إذن، رسول الله ﷺ يقر تقرير القائف، بدون أن يسأله أحد، أن زيد بن حارثة هو أبو أسامة بن زيد من أرجلهما فقط، رغم أن الأول أبيض من القطن والثاني شديد السواد بعد أن شكت العرب في نسب أسامة ﷺ. أليس هدف البصمة

الوراثية هي نفس هدف القيافة ولكن بمراحل متقدمة؛ كالطائرة والجمل؟ ورفع الأذان عبر الشاشة بالأقمار الصناعية والحنجرة؟

<sup>١٨</sup> انظر النصين الكاملين للحديثين في الملاحظة رقم ١٦ أعلاه. الحديثان السابقان (وكل الأحاديث في هذا الكتاب) نُسخا وأُصقا إلكترونياً من: حرف، موسوعة الحديث الشريف، (القاهرة: شركة حرف لتقنية المعلومات، ١٩٩٨م)، برنامج إلكتروني يعمل بنظام التشغيل مايكروسوفت ويندوز.

<sup>١٩</sup> الزحيلي، الجزء السابع، ص ٥٣٧٢-٥٣٧٣.

<sup>٢٠</sup> لتفاصيل أكثر عن شروط الساعة انظر: الوايل، يوسف بن عبد الله، أشراط الساعة، (الدمام، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١١هـ).

<sup>٢١</sup> القرطبي، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٣٤١-٣٤٣.

<sup>٢٢</sup> القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط،

(المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ)، ص ١٤٥.

<sup>٢٣</sup> المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٢.

<sup>٢٤</sup> ليس فقط كل ما أمر أو حرم الله ﷻ ورسوله سيدنا محمد ﷺ يعتبر نسيباً بل أيضاً الإيمان بالله ورسوله ﷺ ودينه يعتبر نسيباً. يقول الحق سبحانه ﴿فَأَقْوَ بِاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾ التغابن: ١٦، ويقول سيدنا محمد ﷺ ﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَنْ تَطِيقُوا أَوْ لَنْ تَفْعَلُوا كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ سَدُّوا وَأَبْشَرُوا...﴾ أخرجه أحمد وأبو داود. وأما الإيمان بالله ودينه فيقول الحق سبحانه أيضاً ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ...﴾ غافر: ٢٨. إن التطبيق الصحيح لما أمر أو حرم الله ورسوله ﷺ هو فقه الشريعة الإسلامية بكلياتها ومقاصدها (أي: نظرة شمولية) وإلا أصبح فقهاً منحازاً أو مشوهاً. والشرط هو أن يغمر الإيمان قلب المرء (وئصدقه الجوارح، من حيث أنه لا يقبل من غير المؤمن أي عمل صالح) يقول الحق سبحانه ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل. وهذه الآية الكريمة نزلت في حالة سيدنا عمّار بن ياسر حين عذبه المشركون فقال ﷺ ما لا يرضاه قلبه وبكى وشكا ذلك إلى سيدنا رسول الله ﷺ. فقال له ﷺ: «كَيْفَ تَجِدَ قَلْبَكَ؟ قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ. قَالَ: فَإِنْ عَادُوا فَعُدُّ،» أخرجه القرطبي الجزء ١٠ ص ١٨٠. وحتى القتل الذي سنَّ الله له القصاص في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة قد يكون خطأ أو دفاعاً عن النفس أو العرض أو المال. ولهذا يُستغرب أفراد حديث رؤية الهلال لتحديد بداية الشهر القمري، برواياته المختلفة، بكل هذا الوجوب والتفسير الحرفي

له والتشدد في تنفيذه بغض النظر عن النصوص الشرعية الأخرى ومقاصد وكليات شرع الله .

ويجادل الشيخ أحمد بن الفقيه المكي الشيخ حسن يماني في كتابه: الشرعية الخالدة ومشكلات العصر، الصفحة ٣٤ " أن الشرعية [الإسلامية] مخلوق ينمو ويتطور مع نمو المجتمع وتطوره وأنه يتكيف في نموه مع حاجات المجتمع واختلاف البيئة . . . " . ويجادل أيضًا أن " جميع الأحكام التي جاء بها القرآن والسنة فيما عدا أحكام العبادات يجب أن تكون مبنية على مصلحة عامة للمجتمع أرادها الله . . . " وأن المصلحة العامة أساس لتعديل بعض الأحكام وإلغائها، ويدلل على هذا التغير و/أو الإلغاء بأمثلة وأراء بعض الفقهاء؛ الصفحات ٣٧-٤٨. ويذكر أن العرف وعوامل أخرى تؤدي أيضًا إلى تغير وتطوير أحكام الشرعية؛ الصفحات ٤٩-٥٤. والهدف من ذكر النقطتين السابقتين، مقاصد وأولويات الشرعية (أي: النظرة الشمولية للنصوص الشرعية)، وحركية وقدرة الشرعية لمقابلة مصالح العباد، هو أن أخذ نص أو التشدد المذهبي في أمر خلافي يؤدي إلى تجنّب مقاصد الشرعية الإسلامية الكلية وينفّر مسلمين كثيرين ويعطي سمعة سيئة للإسلام عند بعض أهله وعند غير المسلمين .

### ملاحظات الفصل الثاني

<sup>١</sup> نقلت جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٧٣٦ الصادرة في ٢٣-٨-١٤٢٣هـ (٢٩-١٠-٢٠٠٢م)، ص ١٨ حديثاً حصيفاً لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد الطيب الحسّاني مفتي مصر حول هذا الاختلاف. يقول فضيلته:

إن قضية استطلاع هلال رمضان تحولت بفعل تراكمات عديدة إلى عقدة من العقد الفقهية والعلمية بينما هي في حقيقتها تبدو أوضح الواضحات وأبسط البسائط .

...

نلاحظ أن 'الرؤية' كأنها سبب لوجوب الصوم في الحديث الشريف. وأياً ما كان أمر الخلاف في تحديد بداية الصوم هل هو رؤية الهلال أو ولادته بغض النظر عن رؤيته، فإن الرؤية البصرية كانت هي الوسيلة الوحيدة المتاحة على حال الهلال في ذلك الوقت، ومن المنطقي بل والطبيعي أن يؤمر المسلمون باتباعها في استطلاع هلال رمضان .

وأشار الدكتور الطيب: أن معنى 'فاقدروا له' يعني كما يقول جمهور العلماء أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً ثم صوموا بعد ذلك. لكن بعضاً من علماء قلائل فطنوا منذ أكثر من ألف سنة مضت إلى أن المقصود بعبارة 'فاقدروا له' هو

'الحساب' وتحديدًا حساب منازل القمر. وقد نادى هذا البعض بوجود الاعتماد على حساب النجوم أو علم الفلك في الاصطلاح الحديث وفي حال تعذر رؤية الهلال لسبب أو لآخر. من هؤلاء القلائل الإمام الكبير أحمد بن سريج من عظماء أئمة المذهب الشافعي توفي ٣٠٦هـ الذي قال: إن معنى 'فاقدروا له' هو 'قدروه بحساب المنازل' ويكون الحديث أمرًا صريحًا بالرجوع إلى حساب الفلك إذا تعذر الرؤية البصرية أو اضطرب أمرها.

وقال الدكتور الطيب: إن أغلب الظن أن فقهاء الرؤية البصرية ربما سبق إلى اعتقادهم أن علم حساب المنازل ذو صلوات بعلوم التنجيم والعرافة ومحاولة الاطلاع على الغيب ولذلك رفضوه جملة وتفصيلاً ولم يعولوا عليه في إثبات حكم شرعي. وإذا كنا نعذر فقهاءنا القدامى في هذا التحفظ الذي أملاه عليهم ورعهم وتحوطهم لدينهم وأمانتهم فما هو عذر فقهاءنا المعاصرين في بعض الأقطار الإسلامية بعدما تخلص علم الفلك من هذه الأخلاط والخرافة والشوائب اللاعلمية وأصبح بأجهزته ومراصده وقياساته الرياضية البالغة الدقة علماً تجريبياً له ما للعلوم التجريبية الأخرى من مناهج القطع واليقين.

ويختتم مفتي مصر حديثه: إن الباحث المدقق المنصف لا يسعه إلا أن يردد القول بوجود إثبات هلال رمضان بحساب علم الفلك توحيداً لشمّل المسلمين وإبراءً للذمة في صوم صحيح وفطر صحيح أيضاً كما فعل فقهاء مصر منذ الثلاثينات في القرن الماضي إذ كانوا على وعي تام بهذه الثغرة في الرؤية البصرية فكان الشيخ المراغي شيخ الأزهر يرد شهادة الشهود بالرؤية البصرية إذا كان الحساب الفلكي يقطع بعدم إمكان رؤية الهلال.

احتوت المقابلة كما ظهرت في الجريدة على أخطاء نحوية وإملائية تتناسب مع ما يطبع في الجرائد ولكن لا تتناسب مع فضيلته وعلمه، فُصِّحت. يلاحظ من حديث فضيلة الشيخ أنه يعتبر الهلال وسيلة لتحديد بدء عبادة الصوم كما هو نهج هذا الكتاب. سيتم مناقشة ما يسمى علم التنجيم وعلاقته المزعومة بحياة البشر في الفصل السادس: علم الفلك والتنجيم.

<sup>٢</sup> نشرت جريدة الوطن السعودية العدد ١٤١٤ في يوم الجمعة ٢٧-٦-١٤٢٥هـ الموافق ١٣-٨-٢٠٠٤م، الصفحة ٥، الخبر التالي: "دعا مجلس القضاء الأعلى عموم المسلمين في السعودية إلى تحري رؤية هلال شهر رجب مساء يوم الأحد المقبل الموافق ٢٩/٦/١٤٢٥هـ ليلة الاثنين الموافق ٣٠/٦/١٤٢٥هـ حسب تقويم أم القرى. جاء ذلك في إعلان أصدره المجلس فيما يلي نصه: الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد، فإن مجلس القضاء الأعلى يرغب من عموم المسلمين في هذه البلاد تحري رؤية هلال شهر رجب مساء يوم الأحد الموافق ١٤٢٥/٦/٢٩هـ ليلة الاثنين الموافق ١٤٢٥/٦/٣٠هـ حسب تقويم أم القرى. ويرجو المجلس ممن يراه إبلاغ أقرب محكمة إليه وتسجيل شهادته لديها أو إبلاغ الجهة التابعة لأمانة المنطقة في بلده إذا لم يكن في البلد قاض لتسهيل له مهمة الوصول لأقرب محكمة. كما يرجو المجلس الاهتمام بترائي الهلال والاحتساب في ذلك لما فيه من التعاون على البر والتقوى. والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم". أما تقويم أم القرى فيعلن عن نفسه وعلى صفحة كل أول شهر التالي: ["تنويه" (التقويم اصطلاحى مدني واعتمد في حسابه على إحدائيات المسجد الحرام. ويعتمد في حساب أوائل الأشهر على الرؤية الشرعية للهلال)]. وبهذا التنويه فقد أصدر تقويم أم القرى شهادة وفاته كتقويم يُعتمد عليه. كما نشرت جريدة الوطن السعودية العدد ١٤٤٤ في يوم الأحد ٢٧-٧-١٤٢٥هـ الموافق ١٢-٩-٢٠٠٤م، الصفحة ٧، رغبة مجلس القضاء الأعلى من عموم المسلمين في السعودية تحري رؤية هلال شهر شعبان مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٩-٧-١٤٥٢هـ ليلة الأربعاء ١-٨-١٤٢٤هـ حسب تقويم أم القرى. وتكرر الإعلان في جريدة الوطن السعودية العدد ١٤٧٣ في يوم اثنين ٢٧-٨-١٤٢٥هـ الموافق ١١-١٠-٢٠٠٤م، الصفحة ١٠، "فلأنه ثبت دخول شهر شعبان ليلة الأربعاء الموافق ١-٨-١٤٢٥هـ حسب تقويم أم القرى فإن مجلس القضاء الأعلى يرغب من عموم المسلمين في هذه البلاد [السعودية] تحري رؤية هلال شهر رمضان المبارك مساء يوم الأربعاء ليلة الخميس الموافق ٣٠-٨-١٤٥٢هـ [١٤-١٠-٢٠٠٤م] حسب تقويم أم القرى".

<sup>٣</sup> رواد بيت الله الحرام في مكة المكرمة ومسجد نبيه سيدنا محمد ﷺ في المدينة المنورة وبعض المساجد في العالم الإسلامي يشاهدون العديد من الساعات المبرمجة إلكترونياً والمعلقة في جميع أرجاء الحرمين الشريفين والتي تظهر أوقات الصلوات الخمس والشروق ليوم كامل وعلى مدار السنة.

<sup>٤</sup> للشيخ أحمد بن عبد العزيز بن باز مقالة نشرتها جريدة الشرق الأوسط في عددها ٨٨٦٩ الصادرة في يوم الثلاثاء ٨ محرم ١٤٢٤هـ (١١-٣-٢٠٠٣م) وهي كما يلي:

"الانتقائية النصوية أو النصوصيون الانتقائيون، سمهم أو سمها ما شئت، المهم أنها معضلة يصعب إنكارها أو تجاهلها، تلك المتمثلة في المنهجية التي

نتعامل بها مع النصوص الشرعية وطريقة إنزالها على القضايا الواقعية. هذه المنهجية التي يمكن تلخيصها واختصارها في كلمة واحدة هي 'الانتقائية'. تلك الانتقائية التي لا ترى في النص مصدرًا شرعيًا علميًا يتم تنزيله على الواقع لتحديد حكمه الشرعي، وإنما ترى فيه أداة لتعليل حكم محدد بشكل مسبق في أذهان أصحابه. وربما كان هذا الحكم ينطلق في الأساس من رؤية سياسية أو توجه حزبي أو رغبات شخصية تظهر باسم الخوف على الأمة أو القوة في إظهار الحق أو حتى الجهل. ومع ذلك فإن البعض لا يجد حرجًا في استخدام نص بعينه وإهمال آخر أو اللجوء إلى ليّ عنق النصوص وتأويلها تأويلًا يخرج بها عن مقاصدها الشرعية للوصول إلى النتيجة التي يريدها.

"إن هذه الظاهرة التي تنتشر بين عدد غير قليل من الباحثين وطلاب العلم وحتى التيارات الإسلامية، هي ظاهرة خطيرة تحتاج إلى جهود مكثفة للتصدي لها وتصويبها وتقليل تأثيرها الفكري والعلمي خاصة في ظل الواقع المعاصر الذي أصبح فيه باب الفتوى مفتوحًا على مصراعيه وأصبحت وسائل الاتصال الحديثة وسيلة لنشر بعض الآراء السياسية على أنها فتاوى فقهية بل والارتقاء بقوة بعضها إلى قوة النص الذي اعتمدت عليه بحيث يبدو وكأنه الحكم الشرعي الوحيد في القضية المطروحة.

"إنني حين أطرح هذه القضية لا أعني بها مصادرة حق الفتوى أو البحث العلمي، لكن الذي أنكره - وبوضوح - هو النظر إلى إحدى القضايا من زاوية دون غيرها والنظر إلى النص الذي بني عليه رأي معين باعتباره النص الوحيد الذي يحكم القضية أو المسألة، في الوقت الذي توجد فيها نصوص أو أدلة لا تقل عنه حجية وربما ترجحها في الدلالة أو الثبوت.

"ونتيجة لهذه المعضلة الفكرية والمنهجية صدرت الكثير من الفتاوى الشرعية مبنية على معايير سياسية، وتوجهات حزبية وأسس غير علمية وليست على منهج فقهي سليم يقوم على استنباط الرأي الشرعي بعد دراسة الموضوع وتنزيل الأدلة تنزيلًا صحيحًا".

هذا الفعل - يرى - عجيب وثير بمعانيه واشتقاقاته، وهي قطعًا ليست محصورة في رؤيا العين المجردة فقط أي البصر ولكن أيضًا العلم بالشيء ومعرفته والشهادة له. انظر في أي معجم لألفاظ القرآن الكريم تحت "رأى" وتفسير اشتقاق الفعل في كل آية وسترى عجبًا. انظر أيضًا: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقوسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ)، ص ١٢٨٥-١٢٨٦.

أي "أَحَبَّ [إبراهيم] أن يرتقي من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة...". ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٩هـ)، الجزء الأول ص ٣٢٢.

٢ الصابوني، المجلد الأول، ص ٥٠٧.

٣ معلوف، لويس وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦م)، ص ٢٤٣.

٤ ابن كثير، الجزء الثالث، ص ٧٩-٨٠.

٥ مرعشلي، نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والعلوم، (بيروت: دار الحضارة العربية، ١٩٧٥م)، ص ٣٥٦.

٦ ابن كثير، الجزء الثامن عشر، ص ٣٠٤.

٧ وهناك من يقصر معنى الفعل يرى في الحديث الشريف «صُومُوا لِرُؤْيَيْتِهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْتِهِ» على معنى واحد وهو يُبصر، ويحمل غيره على هذا الرأي. ويذكر أهل هذا الرأي "أن الرؤية في الحديث بصرية؛ لتعديها لمفعول واحد، ولأن الصحابة فهموا ذلك، وجرى عليه العمل في عهدهم، ولو كان معنى الرؤية أوسع من لفظها لكان الصحابة أفهم له منا، ولرجعوا عند الحاجة إلى الحساب؛ لوجودهم بين أظهرهم، وإن كانوا قلة"؛ (الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، (الرياض: دار القاسم للنشر، ١٤٢١هـ)، المجلد الثالث، ص ١٥). والحقيقة، أن فعل رأى يتعدى إلى مفعول واحد إذا أتى بمعنى الرؤية بالعين، ويتعدى إلى مفعولين إذا أتى بمعنى عِلْمٍ، يقال: رأيت زيدًا عالمًا؛ ورأى رأيًا ورؤيةً وراءه. ومن المعلوم بالضرورة أن كتاب الله القرآن الكريم هو الحجة الفاصلة في اللغة العربية، وقد أتت آيات عديدة للفعل رأى بمعنى عِلْمٍ. ومن المعلوم أيضًا أن رسول الله سيدنا محمد ﷺ هو خير من نطق باللغة العربية، واستخدامه لهذا الفعل هو تناسق مع منهج الشريعة الإسلامية في استخدام الظواهر الطبيعية في تحديد بدء تكاليف شرعية، كما أن اختلاف معاني الفعل هو لاختلاف السياق وقصد المُشرِّع والأزمة ومدى علم البشر بكون الله سواء من حيث عدم نمطية بعض أجزاء الكرة الأرضية في أوقات معينة (القطبين الشمالي والجنوبي) أو أفلاك الشمس والقمر والأرض. وبهذا يكون استخدام هذا الفعل معجزة بلاغية لرسول الله ﷺ لتلائم معانيه مع اختلاف المفاهيم والأزمة. إن اللغة العربية وآيات قرآنية وأحاديث كثيرة تدل دلالة واضحة على أن الفعل يرى يأتي أيضًا بمعنى يعلم. ومن أنكر ذلك فقد افترى على الله ورسوله، ومن جهل ذلك فهو جاهل ولا يعلم أنه

جاهل، ومن استثنى هذا المعنى من هذا الحديث فقد ضيق واسعاً، ومن ابتغى وراء ذلك فقد حمل على عباد الله ما ليس له.

أما القول "ولو كان معنى الرؤية أوسع من لفظها لكان الصحابة أفهم له منا" فدين الله ليس لزمن معين ولا جماعة معينة بل لكافة الناس وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يُقدّم شرح بشري على شرع إلهي. وكل المساهمات الجليّة (مع اختلافهم فيما بينهم حول مسائل فقهية) التي قدمها الصحابة، رضوان الله عليهم جميعاً، والتابعين والأئمة الفقهاء، جزاهم الله خيراً، هي فهمهم لتلك النصوص (يُستهدى به) وليست دليلاً شرعياً بحد ذاته (يُلتزم به). ثم إن هذه المقولة وإن كانت استنتاجاً إلا أنها نفي يحتاج إلى دليل من مدعيه بأن الصحابة أنفسهم لم يعلموا هذا المعنى، وهناك فرق بين علمهم بهذا المعنى وبين اختيارهم له لحاجة أو رأي. أما قول "ولرجعوا عند الحاجة إلى الحساب؛ لوجودهم بين أظهرهم، وإن كانوا قلة". فهي مقولة غير متناسقة مع نفسها. فالمقولة تقترح أن الصحابة لم يرجعوا إلى الحُساب لعدم الحاجة وقد وجد الحُساب، ولهذا فالحساب غير جائز. ثم تفترض أنه لن تكون هناك حاجة للحُساب في المستقبل ولهذا فالحساب غير جائز. لقد كان العرب لا يعرفون إلا القمر والشمس لحساباتهم القريبة، أما السنين فلم يعدوا لها حساباً إلا اصطحاب سنة ما بكارثة ما. أما الآن فالكثير من المسلمين لا يعرفون حتى أسماء الشهور العربية. فهل يُفترض في البشرية أن يكونوا في نفس الحالة النوعية التي كان فيها العرب؟ كيف يكون الإسلام لكل الناس وفي أي بقعة وأي زمان؟ أخيراً، إذا صح لنا أن نستخدم استنتاجاً كهذا فيجب أن يصح أيضاً أن يقول قائل: "ولو كانت الكتابة أوسع من اللفظ لكان الصحابة أفهم لها منا، ولرجعوا عند الحاجة إلى الكتاب؛ لوجودهم بين أظهرهم، وإن كانوا قلة"؟ فالشريعة الإسلامية، مثلاً، أتت باللفظ في ركن الزواج (الإيجاب والقبول) وإيقاع الطلاق. ولكننا نعرف أن انعقاد الزواج وإيقاع الطلاق لا يتمان الآن في حياتنا المعاصرة المعقدة إلا كتابة وتسجيلاً. إنني أرجو أن يكون هذا استنتاجاً يأخذه البعض من باب الاجتهاد الشخصي، ولا يكون افتتاً أو حمل الغير على ما يراه.

<sup>١٣</sup> ابن كثير، الجزء الرابع، ص ٨٥.

<sup>١٤</sup> ابن كثير، الجزء الرابع، ص ١١٣.

<sup>١٥</sup> الصابوني، المجلد الأول، ص ٣٩١، وذلك كما في آيتي ٤٦-٤٧ من سورة

الأنعام.

<sup>١٦</sup> ابن كثير، الجزء الرابع، ص ٩٥.



- <sup>١٧</sup> ابن كثير، الجزء الرابع، ص ٥٦٥.
- <sup>١٨</sup> الصابوني، المجلد الثالث، ص ٥٨٢.
- <sup>١٩</sup> الصابوني، المجلد الثاني، ص ١٩٨.
- <sup>٢٠</sup> الصابوني، المجلد الثالث، ص ٤٤٣.
- <sup>٢١</sup> القرطبي، المجلد الرابع، الجزء الثامن، ص ٢٥٢.
- <sup>٢٢</sup> العريس، القرآن الكريم: موسوعة شاملة للتلاوة والتفاسير والتجويد، (بيروت: شركة العريس للكمبيوتر، الإصدار الرابع، ٢٠٠٢م)، برنامج إلكتروني يعمل بنظام التشغيل ويندوز. راجعتُ تفسير الآية في كل التفاسير الموجودة في البرنامج وهي الطبري والقرطبي وابن كثير والسعدي الجلالين.
- <sup>٢٣</sup> النعماري، الشريف أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق، توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار، (عمّان، الأردن: دار النفائس، ١٤١٩هـ)، ص ٣٤.
- <sup>٢٤</sup> القرطبي، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٢٩٠-٣٠٠.
- <sup>٢٥</sup> مرعشلي، ص ٥٧٥.
- <sup>٢٦</sup> معلوف، ص ٤٠٦.
- <sup>٢٧</sup> ابن كثير، الجزء الأول، ص ٣٦١.
- <sup>٢٨</sup> القرطبي، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص ٤٢.
- <sup>٢٩</sup> نقلت جريدة الشرق الأوسط العدد ٥٢٣٠ الصادرة في ١-١٠-١٤١٣هـ (٢٤-٣-١٩٩٣م) ص ٢٧ أنه في "ليلة الثلاثين من شهر رمضان المبارك يسود الناس جو من الترقب والانتظار يلجؤون خلاله إلى متابعة الراديو أو التلفزيون للاستماع إلى خبر رؤية هلال العيد الذي قد يعلن في تلك الليلة أو يتأخر... وفي أثناء هذه اللحظات التي يعيش فيها الناس حالة الترقب وانتظار سماع خبر الهلال فإن هناك أناساً آخرين يعيشون جواً آخر إنهم شوافة الهلال... [أحد هؤلاء الشوافة يرى] بأن عملية رؤية الهلال تحتاج بالإضافة إلى حدة البصر إلى خبرة ومعرفة خاصة... لقد تعلمت رؤية الهلال ومعرفة منازل من صديق لي، وأقوم بمراقبة الهلال إذا بقي في الشهر أربعة أيام حيث أجلس في مكان مرتفع مناسب لرؤية الهلال فوق قمم الجبال وفي الأماكن التي جهزناها لذلك بوضع علامات بالحجارة [كذا] عبارة عن مقاييس". وفي نفس الجريدة العدد ٥٩٣٦ في ٢٩-٩-١٤١٥هـ (٢٥-٢-١٩٩٥م) ص ٢٣ يُظهر خبر كيف أن مناطق ورجلاً يتنافسون في رؤية الهلال. "... اشتهر أناس في تلك المناطق برؤية الهلال ويتميز

هؤلاء بقوة البصر ومعرفة منازل الهلال واكتسابهم خبرة في الأماكن التي يهل منها الهلال منذ أيام لمعرفة أوقات وأماكن غياب القمر. كما يضع بعضهم حجاراً فوق الجبل يستدلون من خلالها على موقع الهلال وبخبرتهم يتوقعون إهلاله في الوقت المعين... ويحرص الكثير منهم على أن يشاهد الهلال في منطقته التي تكتسب محبة عند الناس وشهرة عند رؤية الهلال فيها... وقامت نفس الجريدة عدد ٧٧١٨ في ٨-١٠-١٤٢٠هـ، صفحة ١٦ بمقابلة من سمته بأشهر رجل معروف رسمياً لدى المحاكم بصدقه وثبته من رؤية الأهلة. "ولاحظنا وجود أماكن مخصصة في منزله عبارة عن فجوات موزعة على ١٢ فجوة حسب الشهور الهجرية وأخرى مماثلة في مزرعته...". إذن، هؤلاء الشوافة يستخدمون وسائل لرؤية الهلال ووسائلهم مقبولة من المؤسسات الدينية الرسمية في دول إسلامية. وسائل وأدوات رؤيتهم هي قمم جبال وحجارة وفجوات مقابل مراصد وبرامج وكمبيوترات، ومدى معرفتهم هي خبرات مكتسبة من أصدقاء وأقارب مقابل علوم ورياضيات وحساب التفاضل والتكامل والهندسة. نخلص إلى أن الإصرار على الرؤية هو موقف فهم وليس موقف فقه.

<sup>٣٠</sup> المنيع، عبد الله بن سليمان، مجموع فتاوى وبحوث، (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ)، المجلد الثاني، ص ٢٦٤-٢٧٠. وهناك أسئلة عديدة تتعلق بالموضوع أجاب عليها المؤلف على صفحات ٢٧٢-٢٩٤ و ٣٨٥-٣٨٨.

<sup>٣١</sup> الكردي المكي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، الجزء السادس، (مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٢هـ)، ص ٢٠٠.

<sup>٣٢</sup> انظر الملاحظة السابقة رقم ٢٩ في هذا الفصل.

<sup>٣٣</sup> هذه هي المقالة الوثيقة كما نشرتها جريدة الحياة اللبنانية العدد ١٥٩٩٨ في الاثنين يوم ٣-١-١٤٢٨هـ الموافق (٢٢-١-٢٠٠٧م) ص ١١، ونشرتها أيضاً جريدة الجزيرة السعودية العدد ١٢٥٣٤ في يوم الاثنين ٣-١-١٤٢٨هـ الموافق (٢٢-١-٢٠٠٧م) ص ٨.

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه وبعد، فلقد اطلعت على ما كُتب في الساحة المفتوحة في الإنترنت، مما نسب إلى معالي الشيخ صالح اللحيدان في الحلقة التي بثها معاليه في قناة «المجد» في برنامج «الجواب الشافي»، في ما يتعلق بمسائل الهلال وإثباته. وقد رغبت في المداخلة مع معاليه، إذ يظهر أن فضيلته يعينني ضمن من يعني بقوله، ولي رجاء أن يعيد معاليه بعض

إطلاقاته، إذ إن ما ذكره يحتاج إلى توضيح وتقييد وإعادة نظر. وقبل أن أبدأ مداخلتي مع معاليه أؤكد محبتي ومودتي وتقديري لمعاليه، كما أقر بسلامة قصده واتجاهه للدفاع عن بلادنا وأمنها العقدي والأخلاقي والقضائي والانتمائي مع قادتنا الأعداء، كما أؤكد اعترافي بمرجعيتيه العلمية والاجتماعية، وشجاعته في تقديم النصح بصراحة لأئمة بلادنا وعامتهم، فجزاه الله خيراً وأكثر من أمثاله، وزاده توفيقاً وسداداً ومرونة مع إخوانه في التفاهم والحوار والنقاش، والشعور بأن الكمال لله وحده، وأن الجميع خطاؤون وخير الخطائين التوابون الأوابون، وأن الجميع في سفينة واحدة إن نجت نجا الجميع وإن غرقت غرق الجميع. وبعد: فلقد نَسِبَ لمعاليه أنه قال ما يأتي:

دعوا أمور الشرع لأهل الشرع، آن الأوان أن تعترفوا وأنتم الآن مختلفون - يقصد معاليه مَنْ يُطالب بالاستفادة من علم الفلك في إثبات الأهلة - انبذوا الهوى، واثبتوا على الشرع، وألزمو الجماعة، واتقوا الله ربكم. أما قول معاليه: دعوا أمور الشرع لأهل الشرع.

فهل أهل الشرع فئة محددة وبقية المسلمين ليسوا من أهل الشرع؟ هل صيام شهر رمضان وإنهاء صيامه وتحديد عرفة ويومي العيد خاص بفئة من أهل الشرع، أم هو لجميع المسلمين من أهل الشرع؟ وإذا كان أمر هذه المسائل موكولاً من حيث الإثبات لجهة مختصة من أهل الشرع، ووجد في هذه الجهة المختصة تقصير في الأداء، أليس من النصح الواجب على المستطيع من المسلمين لفت النظر إلى تقصير هذه الجهة والتعاون معها في إكمال النقص أو العدول عن الخطأ؟ فالنصيحة واجبة لأئمة المسلمين وعامتهم على كل مستطيع.

وأما قول فضيلته: آن الأوان أن تعترفوا وأنتم الآن مختلفون. فما هو الاختلاف يا معالي الشيخ؟ جميع علماء الفلك متفقون على أن الولادة - ولادة الهلال - تتم في لحظة واحدة بالنسبة إلى الراصد من الأرض في جميع أنحاء الأرض، والاختلاف في تحديد ذلك بالنسبة إلى توقيت كل مكان في الأرض.

#### • معنى الاقتران

وفي ما يأتي تعريف معنى الاقتران ومعنى الولادة، وهو تعريف صادر عن المعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية، مُوقَّع عليه من الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان أستاذ الفيزياء الشمسية في قسم بحوث الشمس والفضاء في المعهد القومي في حلوان في مصر، ومن الأستاذ الدكتور صلاح محمد محمود مدير المعهد. وهذا نص التعريف:

الاقتران هو وقوع مركز القمر على خط الاقتران، وهو الخط الواصل بين مركزي الأرض والشمس، وتكون مساحة الجزء المضاء من القمر بالنسبة إلى الراصد على الأرض صفرًا، نظرًا إلى سقوط أشعة الشمس عموديًا على سطح القمر، فتنعكس إلى سطح الشمس ثانية. أما الميلاد فهو بعد أن يفارق مركز القمر خط الاقتران بلحظة، تسمح بوجود أية نسبة مُضاءة من سطح القمر ولو ضئيلة. وإن كانت هذه النسبة لا تسمح برؤيتها على سطح الأرض إلا حينما يغادر القمر خط الاقتران بنحو ثماني درجات. اهـ.

وعلى أية حال، لا يستطيع شيخنا ومن يستعين به أن يجدوا اختلافًا بين علماء الفلك في الولادة وحصولها في لحظة واحدة، باعتبار الراصد من الأرض. فأى اختلاف فرح به شيخنا ليحين الأوان للاعتراف بالاختلاف وبطلان الإجماع على تحديد ولادة الهلال بلحظة واحدة؟

فالاختلاف في إمكان الرؤية بعد الولادة وليس في الولادة. ونحن نقول بأن هذا الاختلاف بعد الولادة لا قيمة له، فمتى ولد الهلال قبل غروب الشمس ولو بزمن يسير، وجاء من يشهد برؤيته بعد غروب الشمس، أمكن اعتبار هذه الرؤية لانفكاكها عمّا يكذبها.

ونصيحة فضيلته لإخوانه علماء الفلك، ومَن يرى من علماء الشرع الاستعانة بعلم الفلك، بأن يبنذوا الهوى، ويثبتوا على الشرع، ويلزموا الجماعة، ويتقوا الله ربهم.

فنقول: جزاك الله خيرًا يا أبا محمد على هذه النصيحة التي نحن وأنت محتاجون إليها، وسامحك الله إن كنت ترانا نتبع الهوى، فأى هوى نتبعه؟ هل علم الفلك آراء شاذة لا يقول بها إلا من يتبع الهوى؟ أم هوى علم له مقوماته وقواعده وأصوله ونظرياته، التي وصلت بالإنسان إلى أن يتخطى الأرض وغلافها ويصل إلى آفاق من الكون وغرائب الفضاء، واستكشاف الكثير من خصائص الكون وتركيباته؟ ونحن تجاه التشكيك في هذا العلم أو إنكاره كالنعامة تدفن رأسها في التراب وتنكر ما حولها. أما النصيحة بالثبات على الشرع فهو توجيه سليم، إلا أنه مغلف بالقول بأن علم الفلك ونظرياته ونتائجه العلمية والميدانية والتطبيقية، وأهل هذا العلم، ليسوا مع الشرع ولا على الثبات عليه. ويا ليت شيخنا يستغفر الله ويدعو لإخوانه كفارة لظنه فيهم، فأى ميل عن الشرع يكون من علماء الفلك حينما يقولون باستحالة رؤية الهلال بعد غروب الشمس آخر الشهر، والحال أن الهلال لا يولد إلا بعد غروب الشمس. بمعنى أن الهلال متقدم على الشمس فهو يغرب قبلها وهي تغرب بعد غروبه.

### • المشكلة في الشهادة

هل مخالفة الشرع في رد شهادة لم تنفك عما يكذبها من حيث الحس والواقع؟ أم إن مخالفة الشرع في قبول شهادة لم تنفك عما يكذبها؟ فأَي الفريقين أولى بالمخالفة؟ هل شهادة الشاهد على الرؤية مقبولة مطلقاً أم أن قبولها مشروط بشرطين: أحدهما أن تكون الشهادة ممكنة الوقوع، والثاني أن يكون الشاهد عدلاً؟ فإذا كانت الشهادة غير ممكنة الوقوع مرتبطة بما يكذبها، فهل الشرع يقبل هذا الشهادة أم يرفضها فيردها؟ وهل رد القاضي هذه الشهادة يعتبر جنوحاً وميلاً عن الشرع ومخالفة له؟

وإذا كان معاليه يرى أن ربط إثبات رؤية الهلال بالولادة قبل غروب الشمس أو بعده نوع من الميل عن الشرع، فهذا مما يستغرب أن يصدر عن مرجعية شرعية مختصة بإثبات الرؤية. وبالتالي لا يستغرب أن تصدر الاستنكارات والانتقادات لقرارات الرؤية داخل بلادنا وخارجها. كما لا نستغرب تززع الثقة بالقرارات الصادرة عن تلك الجهة في ما يتعلق بإثبات دخول الشهر أو خروجه، بالنسبة إلى من كان خارج بلادنا أو داخلها. ولا يضيرنا ذلك لو أخذنا بوسائل العلم المتاحة لدينا التي هي الآن حجة علينا، بعد أن تغيرت أحوالنا من الجهل إلى العلم ومن الأمية إلى القدرة على الكتابة والقراءة والحساب والإدراك والنظر، فنحن حينما نقول باعتبار وقت ولادة الهلال قبل غروب الشمس أو بعده، ونعلق حكم سماع الشهادة بالرؤية على ذلك، فإننا نأخذ بالشرع ونثبت عليه، ونأخذ بأسباب قبول الشهادة وموانع ردها، وهذا والله هو الشرع، فمن أهم أسباب قبول الشهادة انفكاكها عما يكذبها. فأَي الفريقين أحق بالأخذ بالشرع والثبات عليه؟

ولعل سماحة شيخنا يقول: إنكم تقولون برد شهادة من يشهد برؤية الهلال. ورسول الله ﷺ يقول: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته». وهذه هي مخالفة الشرع وعدم الأخذ به. فإذا قال هذا قلنا لسماحته: إننا لم نرد قول رسول الله ﷺ وحاشانا ذلك والحمد لله، ولكننا نقول بأن رسول الله ﷺ أمرنا بقبول الشهادة المنفكة عما يكذبها، أما الشهادة الموصوفة بما يبطلها فقبولها منكر شرعاً وعقلاً وقضاء وإفتاء، ورسول الله ﷺ يعلل الأخذ بقبول شهادة من يشهد بالرؤية بواسطة الوسائل المبدولة للجميع بقوله: «إننا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب...» إلى آخر الحديث. فمتى تغير هذا الوصف عن أمتنا تعين علينا الأخذ بما يكون أكثر ضبطاً وإتقاناً.

### • المسلمون تجاوزوا مرحلة الأمية

والأمة الإسلامية الآن تغيرت وانتقلت من محيط الأمية إلى محيط العلم

المختلفة مَيَادِينُهُ . فأصبحت تكتب وتحسب وتدلي بدلوها في جميع مناحي العلم من طب وهندسة وفلك وفلسفة، وفي جميع مجالات التقنية والطاقة، فعسى الله أن يهيئ لإخواننا أسباب النزول إلى ميادين الحياة العامة، لتكون مرجعيتهم لإخوانهم عن كُتُبٍ وتصور حالٍ وميدانٍ مشورة ونظر، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ . وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ .

ونحمد الله يا أبا محمد على أن إخوانك ملتزمون بجماعة المسلمين، ومن المعلوم أن جماعة المسلمين ليسوا فئة خاصة بجهة معينة أو مكان محدود، بل جماعة المسلمين منتشرون في أرض الله، وكلهم ينادي بالاستفادة من العلم، فالله تعالى يقول وقوله الحق: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ . وقد ذكر هذه الآية الكريمة ختاماً للفتته النظر إلى آيات الله ومخلوقاته وعجائب تكوينها . ونخشى أن يكون التخلف عن الأخذ بما عليه المسلمون من الاعتراف بالعلم والنَّهْلِ من مناهله وينابيعه، اعتزالاً لجماعة المسلمين، وشذوذاً عمّا عليه المسلمون، وبعداً عن الالتزام بما عليه المسلمون .

وأما الوصية بتقوى الله فهي وصية الله لعباده، ووصية رسوله ﷺ لأُمَّته، وليس أمامنا تجاه ذلك غير السمع والطاعة والانقياد والقبول، وكما وجّه سماحته إخوانه إلى تقوى الله فإن إخوانه يبادلونه النصح بذلك .

وبعد... . فيا سماحة الشيخ - حفظك الله - ما وجه القول بأن الاستعانة بعلم الفلك في ما يتعلق بولادة الهلال مخالف للشرع؟

نحن نقول ويقول إخوانك علماء الإسلام في البلدان الإسلامية الأخرى، بضرورة الالتزام بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته». ولا شك في أن رسول الله ﷺ يأمر بالأخذ بالرؤية الصحيحة المنفكة عمّا يكذبها، أما الشهادة المتعلقة بما يكذبها فهي رؤية باطلة، والشهادة بها مردودة .

وبيان هذا أنه إذا قرر علم الفلك أن الهلال آخر الشهر لا يولد إلا بعد غروب الشمس، وجاء من يشهد برؤيته، فهذه الشهادة باطلة، إذ كيف يُرى بعد غروب الشمس ويغيب بعدها والحال أنه متقدم عليها نحو الغرب وهي متأخرة عنه نحو الشرق؟ أما إذا كانت الولادة قبل غروب الشمس، بمعنى أن الشهر بدأ فلكياً ولكن لم يُرَ الهلال، فيجب الأخذ بالتوجيه النبوي امتثالاً لقوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته». وهذا يعني أننا نأخذ بالحساب الفلكي في ما يتعلق بالنفي، ونأخذ بالتوجيه الشرعي في ما يتعلق بالإثبات .

وأخذنا بالحساب الفلكي في ما يتعلق بالنفي هو أخذ بالمقتضى الشرعي، إذ إن دعوى الرؤية والحال أن الشمس غربت قبل ولادة الهلال دعوى باطلة، فهي شهادة لم تنفك عما يكذبها فلا اعتبار لها ويجب ردها. وبهذا يتضح لمريد الحق والنصف، أن الأخذ في إثبات دخول الشهر بالحساب في حال النفي، وفي إثبات دخول الشهر بالرؤية في حال الإثبات، هو أمر متفق مع المسالك الشرعية والنصوص الصحيحة.

### • اتفاق الرؤية مع الحساب

أقول هذا، وأذكر سماحة شيخنا بأن حسابي المرتبط بولادة الهلال لشهر رمضان وشهر شوال وشهر ذي الحجة، متفق مع الرؤية الشرعية لأهله هذه الشهور الثلاثة، وما صدر عن المجلس من قرارات إثبات. إذ إن أهله رمضان وشوال وذو الحجة مولودة قبل غروب شمس آخر يوم من كل شهر منها، والحمد لله على توفيق الله المجلس في ذلك، إذ إن الحساب الفلكي لهذه الشهور الثلاثة متفق مع الرؤية الشرعية لهذه الشهور. ولكن ساءنا من سماحته القول بأن الفلكيين مختلفون في ما بينهم، والحال أن الإجماع بينهم منعقد على الاتفاق على لحظة ميلاد كل شهر. والاختلاف بينهم في ما يتعلق بإمكان رؤية الهلال بعد غروب الشمس والحال أنه مولود قبل غروب الشمس، ونحن لا نقول بذلك، بل متى ولد الهلال قبل غروب الشمس وجاء من يشهد بالرؤية تقبل شهادته إذا كان عدلاً. لانفكاك الشهادة عما يكذبها حساً وعقلاً وعلماً.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولإخواني ولشيخنا الجليل، ونأمل بأن يتسع صدره لهذه المداخلة، وإن لم يتسع فليوسع... فالحق أحق أن يتبع، والله المستعان.

عبد الله بن سليمان المنيع، عضو لجنة تقويم أم القرى.

ورأي فضيلة الشيخ المنيع هذا ليس بجديد؛ ففي رأي مخالف لأعضاء هيئة كبار العلماء في السعودية، سَطَّرَ ومعه كل من الشيخ محمد بن جبير والشيخ عبد المجيد حسن "وجهة نظر" تعليقاً على «ملحق لبحث إثبات الأهلة والقرار رقم ٢» المحرر في ١٤-٢-١٣٩٥هـ (٢٥-٢-١٩٧٥م). جاء في "وجهة نظر" ما يلي:

فقد استعرضنا البحوث المقدمة للمجلس في موضوع (حكم العمل بالحساب في ثبوت دخول الشهر أو خروجه) وقرارات المؤتمرات المنعقدة؛ لبحث ذلك الموضوع، وأعدنا النظر في البحث المعد من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في ذلك، ولم نجد فيما اطلعنا عليه من البحوث المذكورة بحثاً في الموضوع من أهل الاختصاص في علم الفلك.

وحيث إن الحكم في رأينا يختلف بالنسبة لأمرين: قطعية النتائج أو ظنيتهما، حيث إن القول بقطعية نتائج الحساب الفلكي يقضي برد الشهادة برؤية الهلال دخولاً أو خروجاً إذا تعارضت معها؛ لأن من شروط اعتبار الشهادة بالإجماع: أن تكون منفكة عما يكذبها حساً و عقلاً، فإذا قرر الحساب الفلكي عدم ولادة الهلال، وجاء من يشهد برؤيته - كانت شهادته ملازمة لما يكذبها عقلاً، وهو القول باستحالة الرؤية للقطع بعدم ولادة الهلال، . . . .

ونظراً إلى أن القول بقطعية نتائج الحساب الفلكي أو ظنيتهما من قبيل الدعوى من الطرفين، وأن القول في الأمور الشرعية يقتضي التحقيق والتثبيت والاستقصاء - فقد طلبنا من المجلس استخدام أصحاب اختصاص في علم الفلك؛ لمناقشتهم في ذلك والتحقق منهم فيما يدعيه الطرفان، كما تقتضي بذلك المادة ( ) من لائحة المجلس، فأرى المجلس بالأكثرية عدم الحاجة إلى استخدامهم.

وعليه فإننا نؤكد ضرورة استخدام خبراء في علم الفلك لُتُحَقَّق دعوى قطعية نتائج الحساب الفلكي أو ظنيتهما، وعلى ضوء ذلك نقرر ما نراه.

انظر: الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، (الرياض: دار القاسم للنشر، ١٤٢١هـ)، المجلد الثالث، ص ٤٤-٤٥.

### ملاحظات الفصل الثالث

للاطلاع على عينة تمثل اختلافات المسلمين الحادة حول "رؤية" الهلال و بروز هذه الاختلافات إلى العلن و ذهاب كل منهم ببيان هيئته الدينية الرسمية بثبوت رؤية الهلال بشهادة عدول وأحياناً في مدينة واحدة وفي مسجد واحد، أو على الجانب الآخر تقرير دخول الشهر مسبقاً، وتنازع هذه الفرق على صحة موقف كل منهم، انظر إلى أسئلة وأجوبة لأحوال المسلمين في الدول الغربية والتعددية حيث تصوم كل فرقة على حدة في الموقع التالي الذي يلخص اضطراب وتنازع كل منهم على صحة موقفه:

[http://www.moonsighting.com/faq\\_ms.html](http://www.moonsighting.com/faq_ms.html)

<sup>٢</sup> باشا، محمد مختار، دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة، كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الإفرنكية والقبطية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ)، المجلد الأول، ص ٩.

<sup>٣</sup> قد تكون ليلة القدر في ليلة ٢١ لدى كل دولة أو جماعة، فتكون ٤ ليال قدر في ٤ أيام مختلفة؛ وهذا مثال على ١٣ أواخر. أو قد تكون في ليلة ٢٥ لدى الدولة



أ وليلة ٢٤ لدى الدولة ب وليلة ٢٣ لدى ج و٢٢ لدى د، فتكون ليلة قدر واحدة في ليلة كونية واحدة ولكنها ليال فردية وزوجية مختلفة تقويمياً عند ٤ جماعات مختلفة؛ وهذا مثال على ٦ أواخر مشتركة. كل الاحتمالات الأخرى هي تكرر لما سبق.

٤ عدم وجود نص شرعي يوجب رؤية هلال شهر ذي الحجة، مثل "حجوا لرؤيته" كما هو الحال لشهر رمضان، دليل على بُعد نظر وصدق نبوة ورحمة سيدنا محمد ﷺ بأمتة. لو وجد هذا النص لربما حصل في الحج نفس ما يحصل في رمضان ولكن بنتائج أسوأ بكثير مما يحصل في دخول رمضان. فرمضان مدته شهر ويؤدي المسلمون في غالبهم الصيام في أماكنهم. مناسك الحج، على الجانب الآخر، يجب أن تتم في مكان معين ومدتها بضعة أيام. بإمكان المرء أن يتخيل الصعوبات العملية الجمة وإدارة هذه العمليات التي تواجه أي هيئة مشرفة على تنظيم الحج وذلك بوجود أكثر من حج واحد (ربما ٤ أو أكثر وربما حتى في غير شهر ذي الحجة) من حيث استقبال وتفويج وتسفير عدة جماعات كل منها تبلغ مئات الألوف من البشر وفي اتجاهات متعكسة. الأمر لا يتوقف هنا، فالحجاج أنفسهم سوف يكونون في حالة من التشويش والفوضى التي تضيع عليهم خشوع وجلال وربما أداء المناسك فمعظم الحجاج أميون أو شبه أميين. إن عدم وجود نص شرعي يوجب رؤية هلال شهر ذي الحجة كما هو حال شهر رمضان بالرغم من كون الحج شهراً قمرياً يدل بشكل غير مباشر على أن رؤية القمر وسيلة وليست مقصودة في ذاتها. إن هدف الحجة التي نستعرضها هنا هو: هل هناك تناسق ذاتي لدى أي باحث إسلامي أم لا؟

٥ الكردي المكي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، الجزء الخامس، (مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٢هـ)، ص ٣٨٧-٣٩١.

٦ مغربي، محمد علي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وفي بعض القرون الماضية: ١٣٠١-١٤٠٠هـ، الجزء الثالث، (القاهرة، المؤسسة السعودية بمصر، ١٤١٠هـ)، ص ٥٤-٥٥. ويوم السبت ٩-١٢-٦٨٨هـ الموافق ٢٤-١٢-١٢٨٩م هو الصحيح فلكياً، كذلك يوم الخميس ٩-١٢-٨١١هـ الموافق ٢٥-٤-١٤٠٨م هو الصحيح فلكياً، المؤلف.

٧ الزحيلي، الجزء الثالث، ص ١٦٥١-١٦٥٦.

٨ لعل أحد أشهر علماء السلف ممن لم يحصر الدخول في والخروج من رمضان برؤية الهلال فقط هو الإمام السبكي. انظر: السبكي، على بن عبد الكافي، تعليق محمد جمال الدين القاسمي، كتاب العلم المنشور في إثبات الشهور، (الرياض،

مكتبة الشافعي، ١٤١٠هـ)؛ ومن المعاصرين شاكر، أحمد محمد، أوائل الشهور العربية: هل يجوز شرعاً إثباتها بالحساب الفلكي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية للطباعة ونشر الكتب السلفية، ١٤٠٧هـ)، والفرفور، محمد عبد اللطيف، بُلغة المُطالع في بيان الحساب والمَطالع، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٨هـ)، والغماري، الشريف أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق، توجيه الأنظار لتوحيد المسلمین في الصوم والإفطار، (عمّان، الأردن: دار الفنائس، ١٤١٩هـ).

<sup>٩</sup> في رمضان هذا العام (١٤٠٩هـ) ثبت دخول رمضان يوم الخميس الموافق السادس من إبريل ١٩٨٩م في المملكة العربية السعودية والكويت وقطر والبحرين وتونس وغيرها، كلها برؤية المملكة. وثبت دخوله في مصر والأردن والعراق والجزائر والمغرب وغيرها يوم الجمعة. أما باكستان والهند وعمّان وإيران وغيرها فصاموا السبت. [في رمضان ١٤٢٤هـ صامت مصر والسودان والأردن وغيرها يوم الأحد ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٣م، وصامت السعودية ودول الخليج العربي وغيرها يوم الاثنين، بينما صامت باكستان يوم الثلاثاء، وعيّد الناس في إيران في يومين مختلفين وفي العراق في ثلاثة أيام مختلفة].

<sup>١٠</sup> القرضاوي، يوسف، المدخل لدراسة السنة النبوية، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ)، ص ١٨٢-١٨٣.

<sup>١١</sup> في رمضان ١٤١٢هـ كان الفرق ٤ أيام بين بعض هذه الدول، حيث بدأ رمضان في المملكة العربية السعودية وغيرها يوم الأربعاء ٣٠-٨-١٤١٢هـ حسب تقويم أم القرى الموافق ٤-٣-١٩٩٢م (هناك بعض الدول بدؤوا الخميس وآخرون بدؤوا الجمعة) وبدأت إندونيسيا وبنغلادش وغيرها يوم السبت ٧-٣-١٩٩٢م، وهذا هو أساس (الشكل البياني ١). وتكرر فرق أربعة الأيام مرة أخرى في عيد عام ١٤٢٠هـ، حيث بدأت نيجيريا العيد يوم الخميس ٦-١-٢٠٠٠م وفي السعودية والأردن يوم الجمعة ٧-١-٢٠٠٠م وفي مصر والمغرب يوم السبت ٨-١-٢٠٠٠م وفي الهند وباكستان يوم الأحد ٩-١-٢٠٠٠م.

وفي يوم الأربعاء ٣٠-٨-١٤١٢هـ حسب تقويم أم القرى (٤-٣-١٩٩٢م) اتصلت هاتفياً بمجلس القضاء الأعلى، الهيئة المسؤولة عن إثبات دخول الأشهر الدينية وعرفته بنفسه وأنتني بدأت اليوم صيام رمضان بناءً على بلاغ مجلسهم. ودار الحوار التالي مع من عرف نفسه بأنه أمين المجلس، مختصراً:

• يا فضيلة الشيخ، اليوم ليس فقط أول رمضان بل غداً الخميس ليس أول رمضان.

- لماذا؟

• ليس فقط لأن الهلال لم يغرب بعد غروب شمس يوم الثلاثاء، بل لأن الهلال لم يولد يوم الثلاثاء. وللتدليل على صحة كلامي فإنني مستعد اليوم إلى المجيء إلى حيث أنت ثم الذهاب معك ومن تحب إلى مكان ما لمشاهدة الهلال. فإن كان بلاغ رؤية الهلال صادقاً فسوف يرى الهلال كبيراً وواضحاً وبعيداً عن الغروب. ولكنني أقول لك حتى في هذه "الليلة الثانية من رمضان" سوف لن يرى الهلال: وبالتالي حتى يوم الخميس ٥-٣-١٩٩٢م ليس أول أيام رمضان.

- ولكن نحن لا نحتاج إلى رؤية الهلال مرتين.

• يا شيخ، هذا الذي ادعى أنه رأى الهلال أشهدك وأشهد الله أنني سوف أوقفه أمام الله ﷻ يوم القيامة وأقول له أنت لم تر الهلال: وهؤلاء المسلمون ذنبهم في رقبتك.

- نحن مطالبون شرعاً بأخذ مُبلِّغ واحد لدخول الشهر ولكننا البارحة أخذنا مُبلِّغين ومُزكَّين لكل منهما. ولكن ما الذي يدريك أن رمضان يبدأ يوم الجمعة؟ هل قرأت الجرائد المحلية، جريدة المدينة؟

• لم أقرأها. أنا عندي كمبيوتر وبرامج وأحسب دخول الشهر.

- نحن لا نؤمن بكمبيوتراتكم ونحن لا نؤمن بحساباتكم. نحن لا نؤمن إلا بالشرعية.

وهذه وإن بدت إجابة لبقة في بعضها إلا أنها في الواقع تهرب من معرفة الحقيقة ومُغالطة. ولكنني شكرته على سعة صدره ولسان حالي يقول: ولكن منذ متى كانت الشريعة الإسلامية ضد العلم وثورة الكمبيوتر؟ ولكنني لم أسأله، لعلي لم أجرو، أو لعلي أعرف الإجابة. في شعبان ١٤٢٤هـ، أعلنت مصر والأردن واليمن والسودان والجزائر أن رمضان سوف يبدأ يوم الأحد ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٣م، بينما أعلنت السعودية يوم السبت ٢٥ أكتوبر أن رمضان لم يثبت ليلة الأحد وبهذا فإن رمضان سيبدأ يوم الاثنين ٢٧ أكتوبر، بينما صامت باكستان يوم الثلاثاء ٢٨ أكتوبر. أما العراق فأعلنت جماعة فيه أن رمضان يبدأ يوم الأحد ٢٦ أكتوبر بينما أعلنت جماعة أخرى أن رمضان يبدأ يوم الاثنين ٢٧ أكتوبر، وكما هو متوقع أعلنت جماعة في العراق أن عيد الفطر هو يوم الاثنين ٢٤ نوفمبر (وكذلك ليبيا ونيجيريا) وأعلنت أخرى أن عيد الفطر هو الثلاثاء ٢٥ نوفمبر وجماعة ثالثة الأربعاء ٢٦ (جريدة الشرق الأوسط العدد ٩١٢٩ في ٢ شوال ١٤٢٤هـ الموافق ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٣م صفحة ٤). بينما أعلنت إيران أن العيد الأربعاء. وأوردت جريدة الوطن السعودية العدد ١١٥٣

الصادرة في يوم الأربعاء ٢ شوال ١٤٢٤هـ (٢٦-١١-٢٠٠٣م) صفحة ٢٣ أن المسلمين في هولندا أعلنوا عيدهم في ثلاثة أيام مختلفة: الاثنين ٢٤ نوفمبر والثلاثاء ٢٥ نوفمبر والأربعاء ٢٦ نوفمبر، حيث كل جالية اتبعت دولتها وهو ما يحدث في كل دول العالم الديمقراطي. هذا يثبت أن فقه السيادة (سيادة الدولة أو الجماعة) وليس الرؤية أو اختلاف المطالع هو المُقرّر للهِلال ثم يُدَلّل عليه.

<sup>١٢</sup> راجع الملاحظة رقم ٥ في الفصل الأول.

<sup>١٣</sup> للرجوع لهذا الاجتهاد الفقهي، انظر: الزحيلي، الجزء الثالث ص ١٦٥٧-١٦٦٢.

<sup>١٤</sup> الغماري، ص ٩٣.

<sup>١٥</sup> جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٠٥٠ الصادرة في ١٦-٩-١٤٢١هـ ص ١٦.

<sup>١٦</sup> انظر (الملحق أ) لمعرفة الأعوام التي بدأ فيها رمضان يوم الجمعة ويوم السبت ومواعيد غروب الشمس والقمر ليلة رمضان في تلك السنين.

<sup>١٧</sup> في بداية عام ٤١ هجرية (منتصف ٦٦٠م) بدأت الدولة الأموية بقيادة معاوية بن أبي سفيان، وتوفي في ١ رجب ٦٠هـ (٧ إبريل ٦٨٠م). إذن، رمضان محصور في ١٩ سنة بين الأعوام ٤١-٥٩هـ. انظر (الملحق أ) لمزيد من التفاصيل.

<sup>١٨</sup> الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نبيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٩هـ)، الجزء الرابع، ص ٦٧٠-٦٧١. ملاحظة من المؤلف: لقد استبدلت بعض الفواصل (،) لكثرتها بنقاط (.) إذا كانت الجملة كاملة ليستقيم المعنى. وكلمة بريد تساوي فرسخين والفرسخ يساوي ثلاثة أميال والميل يساوي ١,٦٢ كيلومتر. لمزيد من الشرح والتحليل لحديث كريب انظر أيضاً الغماري ص ١١١-١٣٤ حيث أورد تسعة عشر وجهاً لشرح الحديث.

<sup>١٩</sup> الزحيلي، الجزء السابع ص ٥١٠٢. القرار رقم ٦ من قرارات وتوصيات الدورة الثالثة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقدة في عمّان، الأردن في ٨ - ١٣ صفر ١٤٠٧هـ الموافق ١١-١٦ أكتوبر ١٩٨٦م.

<sup>٢٠</sup> سابق، السيد، فقه السنة، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ)، المجلد الأول، ص ٤٣٦.

<sup>٢١</sup> القرضاوي، يوسف، من هدي الإسلام: فتاوى معاصرة، (المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة،

١٤١٥هـ)، ص ٢٠٩. للشيخ الجليل العلامة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي إجابة شافية جامعة لأراء الفقهاء عن دخول رمضان في الصفحات ٢٠٧-٢٢٤ من نفس الكتاب.

<sup>٢٢</sup> نفس المصدر، ص ٢١١.

<sup>٢٣</sup> ليس الهدف هنا إعطاء تفسيرات علمية لهذه الظاهرة والتي تظهر أيضًا عند غروب القمر ولحجم قرص الشمس أيضًا. ولكن لمن أراد أن يستزيد فليراجع:

Sheehan, William, "The Moon Illusion" in *Mercury* magazine, January/February 2001, p. 12, a periodical of the Astronomical Society of the Pacific, San Francisco, CA, USA. Or just search in Google and you'll find a number of resources.

<sup>٢٤</sup> المنيع، المجلد الثاني، ص ٢٦٤-٢٧٠.

<sup>٢٥</sup> القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص ١٥٣.

<sup>٢٦</sup> الطنطاوي، علي، فتاوى علي الطنطاوي، (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ)، ص ٢٢٢.

<sup>٢٧</sup> هناك احتمال وحيد في أن تكون "العشر الأواخر" تسعة أواخر ويكون ذلك صحيحًا وبالتالي جائزًا وهو أن يتحد المسلمون في دخول رمضان والخروج منه ويكون الشهر ٢٩ يومًا. لا يوجد احتمال آخر.

<sup>٢٨</sup> حرف، موسوعة الحديث الشريف، (القاهرة: شركة حرف لتقنية المعلومات، ١٩٩٨)، برنامج إلكتروني يعمل بنظام التشغيل مايكروسوفت ويندوز.

<sup>٢٩</sup> ألم ينظر سيدنا عمر رضي الله عنه إلى الحجر الأسود في الكعبة المعظمة وقال: والله إنني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك. فهذا حجر ليس له ثقل تعبدي بذاته وإن كان وسيلة أو أداة لعبادة.

<sup>٣٠</sup> السليمان، فهد بن ناصر، جمع وترتيب، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤١٣هـ)، المجلد الثاني، صفحة ١٨٨.

## ملاحظات الفصل الرابع

'هذه ثلاثة أجرام سماوية مختلفة: فالشمس نجم star؛ أي: جرم سماوي مشتعل بذاته بواسطة الاندماج النووي nuclear fusion الذي يحدث في قلب الشمس؛ والأرض كوكب planet؛ أي: جرم سماوي هامد ليس فيه أي تفاعل

نووي. والكوكب إما أن يكون جرمًا صخريًا (كعطارد والزهرة والأرض والمريخ وبلوتو) أو غازيًا بشكل كبير (كالمشتري وزحل ونبتون ويورانوس)، والقاعدة أن كل كوكب يدور حول شمس. والقمر تابع satellite للأرض وهو جرم سماوي صخري. وكل ما يتبع كوكبًا يسمى قمرًا وتابع ويكون له اسم آخر كنوع، وقمرنا the Moon اسمه أيضًا قمر moon تابع، وكل الأقمار في مجموعتنا الشمسية صخرية.

<sup>٤</sup> كل كواكب المجموعة الشمسية التسعة تظهر عليها صفة الأوجه هذه وليس فقط كوكب الزهرة ولكننا نحتاج إلى مكبرات ضخمة لرؤية أوجه كل منها.

<sup>٥</sup> هناك صور عديدة ومختلفة لكوكب الزهرة وهو يبدو كالهلال ويمكن رؤيتها (في مواقع عديدة في الإنترنت مثل NASA) أو في بعض كتب علم الفلك مثل:

Kaufmann, William, Universe: Second Edition, (New York: W. H. Freeman and Company, 1986), p. 63.

<sup>٦</sup> لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة انظر: الخصاونة، عوني محمد، تطبيقات علم الفلك في الشريعة الإسلامية، (عمّان، الأردن: المطابع العسكرية، ١٩٩٩)، ص ٤٨ - ١٠٨.

<sup>٧</sup> في الحقيقة، لم تقتصر مساهمات المسلمين، وغيرهم، في وضع معايير لمعرفة أين ومتى يظهر الهلال لأول مرة على معيار مؤتمر اسطنبول. الدكتور منظور أحمد Monzur Ahmed يذكر معايير أخرى في ملف Readme.txt في برنامجه Moon Calculator. انظر الملاحظة ١٧ أدناه.

<sup>٨</sup> أما الرؤيا عبر مقراب فهي أقل من ذلك. فقد نشرت جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٥٨٩ يوم الثلاثاء ٢٣-٣-١٤٢٣هـ (٤-٦-٢٠٠٢م) ص ١٤ الخبر التالي: "سجل معهد الفلك والجيوفيزياء بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية [الرياض، المملكة العربية السعودية] رقما قياسيًا عالميًا في رصد هلال بداية الأشهر القمرية. حيث تم رصد هلال شهر محرم لعام ١٤٢٣هـ، من قبل الباحثين بالمعهد الدكتور زكي المصطفى ومعتز كردي بمشاهدة الهلال بواسطة تليسكوب عاكس من نوع Mead LX وذلك يوم الخميس ١٤ من مارس (آذار) ٢٠٠٢م الساعة ٦:٠٦ مساءً بتوقيت الرياض. وسجلت قراءات الرصد أن ارتفاع الهلال كان ٤ درجات و ٢٠ دقيقة [قوسية] و ٢٦ ثانية [قوسية]، مما جعل الباحثين يتجاوزان الرقم القياسي العالمي وهو ارتفاع ٦ درجات و ٢٧ دقيقة [قوسية] و ١٠ ثوان [قوسية] الذي تم رصده بولاية أريزونا الأمريكية عام ١٩٩٦م". هذه المعلومات وغيرها تأكدت في رسالة خاصة من د. زكي المصطفى إلى المؤلف.

يستخدم مصطلح elongation أو angular distance أو angular separation<sup>٩</sup> ليعني نفس الشيء: البُعد الزاوي مرئياً من الأرض الذي يفصل بين جرمين سماويين (كالشمس والقمر) مقدراً بالدرجات.

<sup>٩</sup>العجيري، صالح، التقويم الهجري، (مكتبة العجيري: الكويت، ١٤٠٩هـ)، ص ١٠٠-١٠٥. حضر المؤتمر الذي انعقد في اسطنبول في ذي الحجة ١٣٨٩هـ الوفود العربية والإسلامية التالية: آسيا الوسطى وغانرستان (الاتحاد السوفيتي)، أفغانستان، إندونيسيا، باكستان، البحرين، بنغلادش، تركيا، تونس، الجزائر، الإمارات، الكويت، السودان، العراق، قبرص، لبنان، ماليزيا، الأردن، السعودية، والمغرب. كما حضر مندوب عن كل من: رابطة العالم الإسلامي، المركز الإسلامي في باريس، المركز الإسلامي في بروكسل، بلجيكا. لمزيد من المعلومات العلمية عن شروط الرؤية، انظر أجوبة الأسئلة ٤,١ إلى ٤,٥ في الموقع التالي:

[www.moonsighting.com/faqs.html](http://www.moonsighting.com/faqs.html)

<sup>9</sup>Seidelmann, P. Kenneth, Editor, Explanatory Supplement to the Astronomical Almanac, (Mill Valley, CA, USA: University Science Books, 1992) p. 694.

<sup>١٠</sup>أرجو من كل الأخوة والأخوات (واخص الأطفال بالذات) أن لا ينظروا في الشمس على الإطلاق بعينهم المجردة. لا بد من استخدام أجهزة حماية للعين من الشمس (سواء وجد كسوف أم لم يوجد)؛ حماية للعين من شدة ضوء الشمس ومن أشعة الشمس الضارة والتي تؤدي إلى العمى الدائم.

يبدأ كسوف الشمس فوق مكة المكرمة حوالي الساعة ١٢:٠٥ ظهراً ولكن لن يرى كسوف الشمس في ذلك الوقت لوهج الشمس الشديد. يختفي نصف قرص الشمس حوالي الساعة ١٢:٥٥ ظهراً، ويحس الناس والطيور والدواب حتى الكاسرة منها بانحسار الضوء. ويختفي قرص الشمس تماماً حوالي الساعة ١:٢٥ ظهراً ويخيم الليل وتعود الطيور والحيوانات إلى جحورها. ويظل قرص الشمس مختفياً لـ ٦ دقائق ويضع ثوانٍ إلى حوالي الساعة ١:٣٢ حين يبدأ قرص الشمس في الظهور من الجهة الأخرى، ويظهر نصفه حوالي الساعة ١:٥٤ ظهراً. وينتهي الكسوف تماماً حوالي الساعة ٢:٤٥ بعد الظهر. وذكرت "حوالي" لأن الزمن بالثواني والموقع بالثانية القوسية لم يحسبها، وبالتالي فالفرق في هذه المواقيت بالثواني وليس بالدقائق. فمثلاً، أفضل منطقة لمشاهدة الكسوف من حيث مدة اختفاء الشمس هو الموقع عند خط العرض ٢١ درجة و ٢٨ دقيقة قوسية و ٤٨ ثانية قوسية شمالاً، وخط

الطول و٣٨ درجة و٤٢ دقيقة قوسية و٢٤ ثانية قوسية شرقاً. ولكن هذه منطقة في وسط البحر، وأقرب أرض يابسة لهذا الموقع هي قرية ساحلية على البحر الأحمر جنوب جدة تسمى العُبة. وسوف تختفي الشمس فوق العُبة لمدة ٦ دقائق وبضع ثوانٍ، وكلما ابتعدنا عن دائرة الغبة (قطرها ٢٥٨,٦٠ كيلومتر) كلما قلت مدة اختفاء الشمس. لمزيد من التفاصيل انظر:

Espenak, Fred, Fifty Years Canon of Solar Eclipses: 1986-2035, (Greenbelt, MD, USA: National Aeronautic and Space Administration (NASA): Scientific and Technical Information Office, 1987), the January 1994 Revised Edition by Sky Publishing Corp. pp. 30, 55-57, 127 and 233.

هذا ليس تنجيماً، بل علم يقيني ما أراد الخالق ﷻ لقوانين الفلك الطبيعية *astrophysics laws* أن تظل، وقد ظلت لآلاف ملايين السنين. هو علم قابل للبرهنة؛ لأنه بإمكان أي إنسان فحصه الآن سنة ١٤٣١هـ، وفي ٢٩ صفر ١٤٤٩هـ.

”شرحُ مرة كسوف شمس للمصلين في أحد المساجد من الناحية الفلكية ثم قام إمام المسجد، وهو خريج كلية شريعة بدرجة ماجستير، وشرح الكسوف من الناحية الشرعية ولكنه أسهب في ذِكر أن الكسوف لا يحدث إلا بسبب كثرة ذنوب الناس، وأن الكون يضطرب لهذه الذنوب وأن كوارث كونية قد تحدث نتيجة لذلك، وأننا لا نعلم ماذا سيحدث أثناء وبعد الكسوف مما قدره الله. لهذا يجب أن نسارع إلى التوبة والرجوع إلى الله. فقلت للإمام: ولكن الكون لا يضطرب ولا تحدث كوارث كونية أثناء الكسوف، لا في الكون ولا حتى على الكرة الأرضية، وأن كسوفاً يحدث في مناطق على الكرة الأرضية حيث لا يوجد فيها بشر، وأن كسوفات تحدث دائماً وأبداً في الفضاء وعلى كواكب أخرى حيث لا بشر على الإطلاق. الحقيقة: أن هناك مناطق على بُعد عدة مئات من الكيلو مترات من خط الكسوف لا تنكسف فيها الشمس. فاستغرب وقال: ولكن يجب أن نُخوِّف الناس حتى يعودوا إلى الله. ولسان حالي ينادي: ولكن لو عرف الناس حقيقة عظمة وجمال خلق الله، ألا يعودون إلى الله؟“

”إن حقيقة كون اليوم والشهر يبدأان في نفس اللحظة، بعد غروب الشمس، قد يظهر تناقضاً ظاهرياً *paradox* لكل من اليوم والشهر. تذكر أن أحد أهم خصائص الشكل الهندسي الكروي هو أنه محدّد ولكن لا حدود له *bounded but borderless* بمعنى أي نقطة تحدّد لكي تكون بداية ونهاية هي نقطة اختيارية وليست تقسيماً طبيعياً. يظهر هذا في اليوم والشهر. خط التوقيت الذي يحدد اليوم يقسم عدة جزر



بل جزيرة واحدة إلى يومين مختلفين بالرغم من اشتراكهما في لحظة الزمن (الساعة والدقيقة) ولكن هنا الجمعة وبجواره السبت؛ تناقض ظاهري ولكنه الحقيقة. نفس الشيء للشهر العربي، يبدأ مع غروب الشمس ويبدأ معه اليوم. إلى جوار خط التوقيت (بغض النظر أين وضعت) من جهة الشرق هو يوم الأمس والشهر السابق بل وحتى السنة، وعلى الخط الفاصل وإلى يساره هو اليوم والشهر الحالي والسنة الجديدة. فإذا جعل خط الطول الحالي لمكة المكرمة هو خط التوقيت، هل يصوم الناس الذين على خط طول أكبر؛ أي: شرق مكة المكرمة، إذا رأوا الهلال قبل أن تصوم مكة المكرمة؟ لنفترض أن جاكرتا، إندونيسيا رأت الهلال بعد غروب الشمس وبالتالي بدء يوم السبت؛ أي: أن رمضان في جاكرتا بدأ يوم السبت (الوقت في مكة المكرمة هو يوم الجمعة بعد الظهر)، هل يصوم أهل جاكرتا ولم يبدأ يوم السبت بعد في مكة المكرمة؟ حسناً وماذا عن مدينة شرق جاكرتا، مانيلاً مثلاً، أو طوكيو؟ وماذا عن هونولولو أو حتى لوس أنجلوس؟ هل أذكر ماذا يوجد شرق لوس أنجلوس؟ ما أود ذكره هو، بإمكان ذكر مدينة أخرى شرق أختها وهكذا حتى نصل إلى مكة المكرمة. إذا، لا بد من وضع خط فاصل لليوم وللشهر في مكان ما على سطح الكرة الأرضية. هذا المكان اختاره الله ﷻ؛ إنه مكة المكرمة.

<sup>١٣</sup> لا يعتمد هذا التوقيت على التوقيت الحقيقي لقرينيتش بل على متوسط توقيت الشمس mean solar time لأن معدل دوران الأرض في فلكها حول الشمس خلال سنة غير ثابت نظراً لميل محور الأرض ولأن فلك الأرض حول الشمس ليس دائرياً بل إهليلجياً elliptical. إن متوسط توقيت الشمس يفترض فلكاً دائرياً حول خط الاستواء السماوي وبسرعة ثابتة. وسمي التوقيت الزوالي بذلك لأنه عندما تكون الشمس عمودية على قرينيتش تضبط الساعة على ١٢:٠٠ ولكن يبدأ اليوم بعد مرور ١٢ ساعة أخرى، وهذا ليس دائماً منتصف الليل على أية بقعة على وجه الأرض.

<sup>١٤</sup> الجدول ١٤-أ والجدول ١٤-ب، يوضحان أوقات غروب الشمس لمكة المكرمة حسب ثلاثة معايير: التوقيت الزوالي، التوقيت الغروبي والتوقيت الغروبي المنهجي. وقد حُدِّد التوقيت الغروبي المنهجي مرة بالاعتدال الربيعي (الجدول ١٤-أ) ومرة بالاعتدال الخريفي (الجدول ١٤-ب). كما يُظهر الجدولان فرق غروب الشمس بالدقائق بين التوقيت الغروبي والتوقيت الغروبي المنهجي وذلك لكل منهما. ويقصد بالتوقيت الغروبي أن تضبط الساعة على الساعة ١٢:٠٠ عند غروب الشمس يومياً في كل مكان على الأرض. ويقصد بالتوقيت الغروبي المنهجي أن تشير الساعة إلى ١٢:٠٠ عند غروب الشمس إما في أول يوم من أيام الربيع (أي: ٢١ آذار/

مارس الموافق لـ ١ الحمل) أو أول يوم من أيام الخريف (أي: ٢٣ أيلول/سبتمبر الموافق لـ ١ الميزان)، وليس هناك فرق في حقيقة الأمر بين هذين اليومين. ويظل هذا التوقيت ثابتاً طول السنة ولا يتغير بتغير غروب الشمس اليومي.

#### الجدول ١٤-أ: التوقيت الغروبي المنهجي بحساب الاعتدال الربيعي

التوقيت	الزوالي	الغروبي	المنهجي	الفرق بالدقائق
أول الشتاء	٥:٤٣	١٢:٠٠	١١:١٢	٤٨
أول الربيع	٦:٣١	١٢:٠٠	١٢:٠٠	٠
أول الصيف	٧:٠٥	١٢:٠٠	١٢:٣٤	٣٤

#### الجدول ١٤-ب: التوقيت الغروبي المنهجي بحساب الاعتدال الخريفي

التوقيت	الزوالي	الغروبي	المنهجي	الفرق بالدقائق
أول الشتاء	٥:٤٣	١٢:٠٠	١١:٢٦	٣٤
أول الخريف	٦:١٧	١٢:٠٠	١٢:٠٠	٠
أول الصيف	٧:٠٥	١٢:٠٠	١٢:٤٨	٤٨

<sup>١٥</sup> هناك من قسّم الكرة الأرضية إلى ثلاث مناطق دائرية. المنطقة أ: وتتكون من شمال ووسط وجنوب القارتين الأمريكيتين. المنطقة ب: وتتكون من أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا. المنطقة ج: وتتكون من الهند وباكستان وبنغلادش وماليزيا والصين وإندونيسيا وأستراليا. ولكن حتى بهذا التقسيم لا يمكن رؤية الهلال في نفس الوقت في كل منطقة. هذا التقسيم لا يقدم حلاً جذرياً لمسألة رؤية الهلال لكل المسلمين، وهو يعتمد على تقسيم جغرافي عشوائي وليس شرعياً، كما أنه لا يتطرق لأحد أهم المسائل الفلكية وهي قرب الهلال للأفق عند غروب الشمس كلما ابتعدنا عن خط الاستواء شمالاً وجنوباً، وفي كل منطقة من هذه المناطق الثلاث هناك أراضٍ تبتعد كثيراً عن خط الاستواء. إن طريقة التقسيم هذه لا تحل الاختلافات التي تعم المسلمين في مناسباتهم الدينية بل تأصل لها. أخيراً، تبقى هناك بعض الأراضي (في آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية) التي لا تشملها ثلاث المناطق الرئيسة. انظر:

Monzur, Ahmad, Moon Calculator, (a DOS based Program, version 6),  
Readme.pdf, pp. 22-23, Trizonal Calendar.

<sup>16</sup>Mish, Frederic C..Editor in Chief, Webster's Ninth New Collegiate Dictionary, (Springfield, MA, USA, Merriam-Webster Inc. Publisher, 1990), p. 736.

<sup>17</sup>McKechnie, Jean L. Editor, Webster's New Twentieth Century Dictionary of the English Language: Unabridged, (NA, William Collins Publisher, Inc. 1979), p. 1116.

<sup>18</sup>مرعشلي، نديم وأسامة، ص ١٢.

<sup>19</sup>لا يقصد هنا أن مكة المكرمة - زادها الله شرفاً - تقع في مركز الأرض أو تتوسط الكرة الأرضية، فهي غير ذلك. لأن للكرة الأرضية محوراً تدور عليه وهذا يجعل للكرة الأرضية وبشكل طبيعي اتجاه الشمال واتجاه الجنوب، ومكة المكرمة لا تقع في منتصف هذا الاتجاه أي خط الاستواء، حيث تقع مكة المكرمة على بعد ٢١ درجة شمال خط الاستواء.

<sup>20</sup>هناك برنامج رائع ومجاني من تأليف الدكتور منظور أحمد يوضح - بالجداول والرسوم - المواقع التي سوف يظهر فيها الهلال لأول مرة في موقع ما على الأرض ويمكن الحصول عليه من الموقع:

<http://www.ummah.net/ildl/mooncalc.html>

<sup>21</sup>فرانكلن، جوزف، ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي، العلاقات الدولية، (جدة: مطبوعات تهامة، ١٤٠٤هـ)، ص ١٥ و ٢٠. انظر أيضاً:

Aretê Publishing Company, Inc., Academic American Encyclopedia, (Princeton, NJ, USA, 1980), Volume 18, pp. 113 and 228-233.

<sup>22</sup>البعض يقول علماني من علم وهذا خطأ. والصحيح علماني secular (أي: غير مُقدَّس أي مدني) وهي مشتقة من عالم worldly أو إن شئت فقل دنيا. والمعنى: الفصل بين أمور الدين وأمور الدولة؛ أي: الدين للفرد والدولة للجميع وتطبيق القانون المدني وأن الفرد أساس التشريع.

<sup>23</sup>لنعط مثلاً بسيطاً على عدم صحة القياس بين مطالع الشمس وما يسمى مطالع القمر. لنفرض وجود مدينتين على نفس خط الطول (مكة المكرمة والمدينة المنورة كلاهما على خط طول ٣٦° ٣٩'). هل تبدأ المدينتان شهر رمضان في نفس الزمن؟ نعم. هل يتسحران ويفطران في نفس الزمن؟ ليس شرطاً. الشرط هو شروق وغروب الشمس. فالشمس في يوم ما تغرب في مكة قبل المدينة، وفي يوم آخر في نفس اللحظة، وفي يوم غيره تغرب الشمس في مكة بعد المدينة (ونفس الوتيرة لشروق الشمس). إن أفطر أفراد القياس في نفس اللحظة كل الأيام ليبرهنوا على صحة

قياسهم فسد صومهم (أو خالفت المدينة الأولى سنة المصطفى ﷺ بتأخيرها الإفطار، وهي حيلة يمكن دحضها بسهولة إذا كان الفارق الطولي ١٢ درجة، مثلاً). وإن لم يصوموا فسد قياسهم.

<sup>٢٤</sup>مرعشلي، نديم وأسامة، ص ٦٧٦.

<sup>٢٥</sup>الحديث أخرجه مسلم والنسائي والترمذي، ولم أجد في شرح أي منهم ما يدل على السنة أو الفصل.

<sup>٢٦</sup>هذا يوضح عدم دقة فكرة لدى فقهاء مفادها "جواز دخول رمضان والخروج منه في بلد ما إذا ما رأى بلد آخر الهلال لأنهما يشتركان في جزء من الليل". فليس هناك علاقة فلكية بين رؤية الهلال ومكان ما ومساحة ذلك المكان، فمكان ظهور الهلال لأول مرة على الأرض والمساحة التي يضيئها يتغيران كل شهر، وبالتالي ف"اشتراك بلد مع آخر" فكرة فقهية ليس لها دعم علمي. كما أنه ليس هناك علاقة فلكية بين رؤية الهلال وليل مكان ما سوى أن الهلال لا يُرى إلا بعد غروب الشمس ثم يغرب بعد بضع دقائق. فقد لا يُرى الهلال في جاكرتا، إندونيسيا ولكن قد يُرى في كراتشي، باكستان وهما يشتركان في كثير من الليل، وبالتالي ف"اشتراك بلد مع آخر في جزء من الليل" فكرة فقهية ليس لها دعم علمي. والحقيقة، أن عمر الهلال يزداد كلما اتجهنا غرباً في نفس تلك الليلة (تزداد زاوية ارتفاع القمر والبعد الزاوي بين الشمس والقمر كلما اتجهنا غرباً، ويقالان كلما اتجهنا شرقاً). كما أن المقولة السابقة تناقض فكرة أخرى "اختلاف المطالع" والتي استنبطها البعض، بدون أي أساس علمي، من حديث كريب حيث تكاد تشترك المدينة المنورة ودمشق في كل الليل في كثير من أشهر أي سنة.

<sup>٢٧</sup>في سبيل تحديد أين ومتى يمكن رؤية الهلال (وُسع المساحة المضئة الظاهرة للهلال) لأول مرة ظهرت بحوث وكتب علمية جادة، وبالتالي ظهرت طرق لتحديد أعلاها. انظر مؤلفات البروفيسور محمد إلياس منها:

Ilyas, Mohammad, A Modern Guide to Astronomical Calculations of Islamic Calendar, Times & Qibla, (Kuala Lumpur, Malaysia: Berita Publishing SDN. BHD., 1984), pp. 51-140; and Astronomy of Islamic Times for the Twenty-first Century, (New York: Mansell Publishing Ltd., 1989), pp. 3-68.

<sup>28</sup>Zeilik, Michael; Gregory, Stephen A.; and Smith, Elske P., Introductory Astronomy and Astrophysics, (New York: Saunders College Publishing, 1992), p. 53.

<sup>29</sup>Moore, Patrick, Guide to the Moon, (London: Lutterworth Press, 1976), pp. 45-51.

فلك القمر حول الأرض قد يسبب صدادًا للبعض ولكن هذه حقيقة الوضع . فكر فيها كالتالي : لو كان فلك القمر دائرة مغلقة حول الأرض لعنى ذلك أن الأرض في مكانها لا تتحرك، وهذا غير صحيح . إذن، الأرض تسبح في فلكها وتجر القمر معها بفعل الجاذبية والذي يعني بالضرورة كسر الدائرة المغلقة التي افترضت سابقًا . الآن ارجع إلى الرسمة السابقة ومعك هذه الفكرة .

<sup>30</sup>Kaufmann, pp. 23 and 35-7.

<sup>31</sup>Seidelmann, p. 576.

<sup>32</sup>الدائرة تحتوي على ٣٦٠ درجة، كل درجة تُقسّم إلى ٦٠ دقيقة قوسية، وكل دقيقة قوسية تُقسّم إلى ٦٠ ثانية قوسية؛ أي: أن ثانية قوسية واحدة تساوي ١ من ٣,٦٠٠ جزء من الدرجة .

<sup>33</sup>هناك كتاب ألفته ونشرته وكالة الفضاء الأمريكية ناسا NASA عن أزمنة ومواقع كسوف الشمس في العالم للفترة ١٩٨٦ - ٢٠٣٥ ميلادية وهو:

Espenak, Fred, Fifty Years Canon of Solar Eclipses: 1986-2035, (Greenbelt, MD, USA: National Aeronautic and Space Administration (NASA): Scientific and Technical Information Office, 1987), the January 1994 Revised Edition by Sky Publishing Corp.

<sup>34</sup>Seidelmann, p. 701.

<sup>35</sup>لمزيد من التفاصيل، انظر:

Kaufmann, pp. 35-48

<sup>36</sup>الفيروزآبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقوسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ)، ص ١١٥٢ .

<sup>37</sup>في بيان طويل أحادي الاتجاه وشديد اللهجة لصالح اللحيان، رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية، ضد من اختلفوا معه في الرأي وأشار إليهم بـ "أناس، ممن ليسوا من أهل العلم في الشريعة، لطالب الحق الراغب بمعرفته بصدق ومرشدا للحيران الذي لم يعرف كيف يهتدي للطريق فيما يتلبس عليه من الأمور، من يتعجلون بتغليط الآخرين أو يكتبون ما يربك العامة في أمر دينهم، من كتب في الصحافة، طلبة العلم، والمنتسبين إلى العلم الشرعي" يدافع فيه عن موقف المجلس لقبول شهادة من أدعى رؤية هلال شهر شوال ١٤٢٥هـ في يوم الجمعة ليلة السبت ١٣/١٢ نوفمبر ٢٠٠٤م بدلاً من اليوم التالي الأحد كما ينبغي أن يكون حسب ما قال الفلكيون، جاء فيه " . . . وفي يوم [١٣ نوفمبر، أول] العيد مساء السبت [يقصد يوم السبت ليلة الأحد] رؤى الهلال

عاليا ومكث يشاهد إلى الساعة السادسة إلا عشر دقائق ويتوقع أن لا يغيب إلا الساعة السادسة". وهذا استدلال فلكي ولكنه مع الأسف استدلال مبني على معلومة فلكية خاطئة وبالتالي الفقه الذي بني عليه فقه خاطئ. انظر نص البيان في جريدة الرياض العدد ١٣٣٢٩، الصادر في يوم الثلاثاء ٩ ذو القعدة ١٤٢٥هـ (٢١-١٢-٢٠٠٤م)، أو الموقع:

[www.alriyadh.com/2004/12/21/article2408.htm](http://www.alriyadh.com/2004/12/21/article2408.htm)

<sup>٣٨</sup> في بحث غير منشور للدكتور محمد بن بخيت المالكي (malmalki@yahoo.com)، دكتوراه في الفلك، وتاريخ ١-٨-١٤٢١هـ (٢٨-١٠-٢٠٠٠م) بعنوان "ملاحظات على أسباب الاختلاف بين الرؤية الشرعية والحساب الفلكي لهلال الشهر الإسلامي"، يدعي المؤلف: "هناك بعض الحالات الخاصة، لم تُؤخذ في حساب الفلكيين ولا في تعريفاتهم، بل ويجهلها كثير منهم. مثل أن الهلال قبل الولادة الفلكية يمكن أن يغرب بعد الشمس". بعد قراءتك لهذا الموضوع واطلاعتك على ملخص دراسة الأستاذ الدكتور بكرى (الملاحظة التالية)، سيظهر لك من يجهل ماذا.

<sup>٣٩</sup> أوردت جريدة الوطن السعودية العدد ٢١٤٨ الصادرة في يوم الخميس ٢٣-٧-١٤٢٧هـ (١٧-٨-٢٠٠٦م) ص ١٩ وكذلك جريدة الشرق الأوسط العدد ١٠١٢٤ الصادرة في يوم الخميس ٢٣-٧-١٤٢٧هـ (١٧-٨-٢٠٠٦م) ص ١٤، خبراً عما أسماه فضيلة الشيخ عبد الله المنيع استشكال مني ورغبة في تفسير علمي فلكي؛ وهذا أسلوب يدل على أخلاق العلماء الكبار وتواضعهم. والشيخ عبد الله المنيع أحد كبار العلماء في المملكة العربية السعودية وله اهتمام معروف بعلم الفلك.

<sup>40</sup> A. Bakry, "Study of Some Peculiar Cases of New Crescent Visibility" in *Azhar Bulletin of Science*, June 1995, pp. 865-877.

## ملاحظات الفصل الخامس

<sup>١</sup> كل المعلومات عن تقويم أم القرى مُستقاة من: زكي عبد الرحمن المصطفى وياسر عبد الرحمن حافظ، تقويم أم القرى: التقويم المعتمد في المملكة العربية السعودية، بحث قُدّم في: المؤتمر الفلكي الإسلامي الثاني: التطبيقات الفلكية في الشريعة الإسلامية ٢٩-٣١ تشرين الثاني [نوفمبر] ٢٠٠١م، عمان، الأردن؛ ومساعد عبد الله السدحان، تقويم أم القرى، في الدارة: مجلة فصلية مُحكمة تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، العدد الثالث، السنة الثلاثون، ١٤٢٥هـ، ص ٣٥-٥٢.

تبدأ السنة الهجرية الشمسية بشهر الميزان وتنتهي بشهر السنبله. ويوافق بداية شهورها الفصول الأربعة كالتالي:

- ١ - الميزان (يوافق ٢٣ أيلول/سبتمبر)، أول الخريف.
- ١ - العقرب (يوافق ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر).
- ١ - القوس (يوافق ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر).
- ١ - الجدي (يوافق ٢٢ كانون الأول/ديسمبر)، أول الشتاء.
- ١ - الدلو (يوافق ٢١ كانون الثاني/يناير).
- ١ - الحوت (يوافق ٢٠ شباط/فبراير).
- ١ - الحمل (يوافق ٢١ آذار/مارس)، أول الربيع.
- ١ - الثور (يوافق ٢١ نيسان/إبريل).
- ١ - الجوزاء (يوافق ٢٢ أيار/مايو).
- ١ - السرطان (يوافق ٢٢ حزيران/يونيو)، أول الصيف.
- ١ - الأسد (يوافق ٢٣ تموز/يوليو).
- ١ - السنبله (يوافق ٢٣ آب/أغسطس).

<sup>٣</sup>جريدة المدينة العدد ١٥١٤٩، الخميس ٣٠-٨-١٤٢٥هـ (١٤-١٠-٢٠٠٤م)، ص ٣.

<sup>٤</sup>جريدة الوطن السعودية العدد ١٤٧٣، الاثنين ٢٧-٨-١٤٢٥هـ (١١-١٠-٢٠٠٤م) ص ١٠.

<sup>٥</sup>جريدة الوطن السعودية العدد ١٤٧٣، الاثنين ٢٧-٨-١٤٢٥هـ (١١-١٠-٢٠٠٤م) ص ١٠.

<sup>٦</sup>جريدة الشرق الأوسط العدد ٩٤٨٢، السبت ١-١٠-١٤٢٥هـ (١٣-١١-٢٠٠٤م) ص ١٢.

<sup>٧</sup>تم تقديم أيام دخول شهري رمضان وشوال من سنة ١٣٨٠ إلى ١٤٢٤هـ كما أُعلن عنها رسمياً في المملكة العربية السعودية من قبل مركز الدراسات والمعلومات بمؤسسة عكاظ للصحافة والنشر بجدة بموجب عقد بين المؤلف ومركز الدراسات والمعلومات بموجب خطاب رسمي رقم ١١٠/١٠/خ وتاريخ ١٩-٧-١٤٢٥هـ وتوقيع الدكتور عبد الجليل طاشكندي مدير المركز. أما دخول شهري رمضان وشوال للأعوام ١٤٢٥-١٤٢٩هـ فكانت متابعة شخصية من المؤلف. كما تم تقديم أيام دخول شهر ذو الحجة من سنة ١٣٨٠ إلى ١٤٢٩هـ كما أُعلن عنها رسمياً في المملكة العربية السعودية من قبل مركز الدراسات والمعلومات بمؤسسة عكاظ

للصحافة والنشر بجدة بموجب عقد بين المؤلف ومركز الدراسات والمعلومات بموجب خطاب رسمي بتاريخ ٧-١-١٤٣٠هـ وتوقيع الدكتور عبد الرحمن عبيد القرني مدير المركز.

إن رمضان شهر قمري والفصول الأربعة تعتمد على دورة كاملة للأرض حول الشمس؛ أي: أن شهور كل فصل هي شهور شمسية. إن الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية هو أن السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بـ ١٠,٨٧٥١١ يومًا. فالسنة الشمسية المدارية  $\text{tropical} = 365,2421967298$  يومًا بينما السنة القمرية  $= 354,36706623727$  يومًا، وبالتالي فإن الفرق بين السنتين (مقرب إلى خانيتين فقط) هو  $365,248 - 354,367 = 10,881$  يومًا. بحساب آخر،  $365,248 \div 10,881 = 33,58$  سنة وهو الفرق الزمني بين دورة قمرية كاملة ودورة شمسية كاملة كي يلتقيا حول ذلك اليوم. بعبارة أخرى، لو أن ١ رمضان ١٤٢١هـ بدأ في ٦ القوس ١٣٧٩هـ (٢٧ نوفمبر ٢٠٠٠م) فبعد مرور ٣٤ سنة قمرية (حوالي ٣٣,٥٨ سنة شمسية) يصادف ١ رمضان ١٤٥٥هـ الموافق ٢٦ العقب ١٤١٢هـ (٢٢ نوفمبر ٢٠٣٣م). وهناك برامج عديدة وميسرة لتحويل تاريخ هجري إلى ميلادي أو بالعكس. أيضًا انظر: الفصل ١٢ من كتاب:

P. Kenneth Seidelmann Ed., Explanatory Supplement To The Astronomical Almanac, (Mill Valley, California: University Science Books, 1992), pp. 576, 580-584, 589-591 & 603-605.

لقد وُصف رئيس مجلس القضاء الأعلى الشخصين اللذين ادعيا رؤية هلال شهر ذي الحجة ١٤٢٥هـ بعد غروب يوم الاثنين ٢٩-١١-١٤٢٥هـ (١٠ يناير ٢٠٠٥م) بأنهما "... رجال وليسوا بأطفال أو أنهم يخفى عليهم حال القمر لأنهم أهل رعي وإبل". انظر جريدة عكاظ العدد ١٤٠٢٣ يوم الاثنين ٧-١٢-١٤٢٥هـ (١٧-١-٢٠٠٥م) الصفحة ١. وبهذا كانا شهود المستحيل لأن الهلال غرب قبل غروب شمس يوم الاثنين وبالتالي يستحيل رؤيته في كل أرجاء آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية. وبهذا اظهر المجلس المعيار الذي يعتمد عليه.

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان أستاذ الفقه وأصول الدين وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة سابقًا وعضو هيئة كبار العلماء بالسعودية في مقابلة مع جريدة الوطن السعودية العدد ١٥٩٤، يوم الأربعاء ٣٠-١٢-١٤٢٥هـ (٩-٢-٢٠٠٥م) ص ٢٦.



## ملاحظات الفصل السادس

<sup>١</sup>لمزيد من الطرح، انظر:

Berman, Bob, "Strange Universe", in *Astronomy* magazine, (May 2000): p. 93-4.

<sup>٢</sup>لمعرفة أحدث الاكتشافات عن أعداد وأسماء أقمار كواكب المجموعة الشمسية (علمًا أن بعض هذه الأقمار حول كوكبها لا يوجد اتفاق علمي على أنها قمر وتسمى كويكبات asteroids أمسكت بها جاذبية ذاك الكوكب) انظر الموقعان التاليان:

[http://ssd.jpl.nasa.gov/?sat\\_phys\\_par](http://ssd.jpl.nasa.gov/?sat_phys_par)

<http://www.nineplanets.org/data.html>

انظر أيضًا:

Sheehan, William, "The Historic Hunt for Moons" in *Mercury* magazine, March/April 2001, p. 28, a periodical of the Astronomical Society of the Pacific, San Francisco, CA, USA.

<sup>٣</sup>Bakich, Michael E., "Astrology: Fact or Fiction?" in *Astronomy* magazine, (December 2004): pp. 50-56.

<sup>٤</sup>Moore, Patrick, Ed., *The International Encyclopedia of Astronomy*, (New York: Orion Books, 1987), pp. 104-5.

لقد سمي اليونانيون الأبراج بدائرة الحيوانات zodiakos kyklos.

<sup>٥</sup>إن سرعة الضوء في فراغ هي ٢٩٩.٧٩٢.٤٥٨ متر/الثانية، وفي سنة واحدة يقطع الضوء مسافة (أي: السنة الضوئية) ٩,٤٦٠,٥٢٨,١٦٨,٨٧٤ كم. وحيث إن نجم ألفا سنتوري يبعد عنا ٤,٣ سنة ضوئية، إذا المسافة هي: ٤,٣ × ٩,٤٦٠,٥٢٨,١٦٨,٨٧٤ = ٤٠,٦٨٠,٢٧١,١٢٦,١٥٨ كم. أما السرعة فهي سرعة المركبة الفضائية فيوجر، وهي أسرع مركبة اخترعها الإنسان، حوالي ٦٠,٠٠٠ كم/الساعة، أما سرعتها في السنة = ٨,٧٦٠ × ٦٠,٠٠٠ = ٥٢٥,٦٠٠,٠٠٠ كم. الآن العلمية بسيطة: الزمن = المسافة ÷ السرعة. إذا الزمن الذي يحتاجه الإنسان للوصول إلى أقرب نجم إلى الشمس هو: ٧٧,٣٩٨ سنة. الآن، هل تعلم أن أبعد جرم سماوي يبعد عنا بمقدار ١٥ بليون سنة ضوئية؟ وهذا في السماء الدنيا فقط وفي اتجاه واحد، أما بقية السماوات فعلمها عند الله. وصدق الحق سبحانه القائل في محكم كتابه العظيم: ﴿وَمَا فَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ الزمر، وصدق

الخالق ﷻ القائل: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٧٦﴾ الحج .  
صدق الله العظيم .

<sup>٦</sup>Bakich, Michael E., "Astrology: Fact or Fiction?" in *Astronomy* magazine, (December 2004): pp. 50-56.

<sup>٧</sup>اقتبس هذا الجدول من الموقع التالي:

<http://www.badastronomy.com/bad/misc/planets.html>

<sup>٨</sup>Cooke, Bill, NASA/Marshall Space Flight Center, "Ask Astro" in *Astronomy* magazine, (July 2008): p. 62.

<sup>٩</sup>لمزيد من المعلومات العلمية حول خرافة تأثير رصف كوكبين أو أكثر في المجموعة الشمسية على الأرض والتسبب في كوارث طبيعية، انظر المواقع التالية:

<http://www.ninepanets.org/intro.html>

<http://www.badastronomy.com/bad/misc/planets.html>

<http://www.badastronomy.com/bad/movies/tombaider.htm>

<http://www.grithobs.org>

<http://www.etsu.edu/physics/etsuobs/starprty/22099dgl/planalign.htm>

<http://www.nso.edu/>

<sup>١٠</sup>لمعرفة تاريخ التنجيم على أرض الرافدين، انظر:-

Pannekoek, Anton, A History of Astronomy, (New York: Dover Publications, Inc., 1989), pp. 28-62.

ولسرد تاريخي لتطور التنجيم وأساسه وأدواته في وادي الرافدين والنيل انظر أيضاً: الماجدي، خزعل، موسوعة الفلك عبر التاريخ، (عمّان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).

"يا له من إله (عوضاً عن أن يكون إله الآلهة!) لم يستطع أن يفك نفسه من جاذبية الشمس الهائلة لبلايين السنين وها هو يتعرض لضربات مئات القطع (كما تعرض هو وغيره من كواكب المجموعة الشمسية ولملايين السنين لعدد لا يحصى من النيازك) وعلى مدى عدة أيام في ٨-١٥ صفر ١٤١٥ هـ الموافق لـ (١٦-٢٢ يوليو ١٩٩٤م) لحطام نيزك بقوة طاقة تقدر بـ ١٠ تريليون (أي: ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) طن من مادة ال تي إن تي، علماً أن الطاقة التفجيرية لـ ١٣,٠٠٠ طن من مادة ال تي إن تي تعادل الطاقة التفجيرية لقبلة واحدة نووية كتلك التي ألقيت على هيروشيما. كيف يؤثر إله الآلة على حياة بشر وهو على بعد ٦٢٨ مليون كيلومترٍ عنهم وهو نفسه لم يستطع حماية نفسه! انظر:

Eicher, David, "The End of the Line", in *Astronomy* magazine, (July 1994): p. 73.

١٢ انظر:

Kaufmann, p.25.

<sup>13</sup>Mitton, Jacqueline, A Concise Dictionary of Astronomy, (New Work: Oxford University Press, 1991), p. 300

<sup>14</sup>Ottewell, Guy, The Astronomical Companion, (Greenville, SC, USA: Astronomical Workshop, Furman University, 1989), p. 19.

<sup>15</sup>هذا يفترض أن أقل درجة سطوع magnitude نجم يرى بالعين المجردة = ٦,٥ (وهو تقدير جيد لنظر جيد في سماء صافية)، كما يفترض أن الجو صحو (أي: أن نجوم الأفق تُرى بوضوح كما ترى نجوم السمات) انظر:

"Ask Astro", in *Astronomy* magazine, (September 2002): p. 64.

<sup>16</sup>هناك كتب كثيرة لا تحصى باللغة العربية والإنجليزية والمترجمة. لعل واحدًا من أشهر ما ألف في نهاية السبعينات الميلادية والذي أشبع رغبات كثير من هواة علم الفلك هو كتاب:

Duett-Smith, Peter, Practical Astronomy With Your Calculator.

ثم بعد ثورة الكمبيوتر الشخصي طوّر البروفيسور دفيت - سميث كتابه لكي تكون الحسابات بالحاسب الآلي وليس بالآلة الحاسبة، فألف Astronomy With Your Personal Computer ثم في عام ١٩٩٧م طوّر الكتاب الثاني إلى Easy PC Astronomy لنفس الناشر. إلا أن هناك كتبًا أخرى تعتبر مراجع لهواة ومحترفي علم الفلك لشمولية ودقة مواضيعها ومعادلاتها. من هذه الكتب الكتاب المذكور أعلاه لـ Seidelmann ومرجع آخر مخصص لبرمجة الكمبيوتر هو:

Boulet, Dan, Methods of Orbit Determination For the Micro Computer.

هناك كتاب يعتبر مرجعًا لكثير من المبرمجين لبرامج علم الفلك وهو:-

Meeus, Jean, Astronomical Algorithms.

كما أن هناك العديد من الجداول التي تعطي محددات جاهزة لكثير من الأجرام السماوية أذكر منها ما يخصنا هنا عن القمر وهو كتاب:

Chapront-Touze, Michelle, and Jean Chapront. Lunar Tables and Programs from 4000 B.C. to A.D. 8000,

ثم كتاب آخر:

Zeilik, Michael; Gregory, Stephen; and Smith, Elske; Introductory Astronomy and Astrophysics.

ثم هناك كتب مترجمة أذكر منها: باتريك مور، موسوعة غينيس في علم الفلك، ترجمة مركز التعريب والترجمة.

هناك أيضاً كتاب عوني محمد الخصاونة، تطبيقات علم الفلك في الشريعة الإسلامية، وفيه معادلات رياضية لحساب أوقات الصلاة وأخرى لتحديد أوائل الشهور العربية وتحديد اتجاه القبلة. الكتاب غني بمعلوماته الفلكية، ولكن ثمة عناية أكثر كان يجب أن تبذل لتخريج وتشكيل آياته وأحاديثه وسلامة لغته ودقة طباعته وطريقة عرضه.

أخيراً هناك كُتِبَ الدكتور صالح العُجيري منها: التقويم الهجري، وعلم الميقات، والمواقيت والقبلة: قواعد وأمثلة؛ وكلها من منشورات مكتبة العجيري، الكويت وتوزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

<sup>١٣</sup> الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، (الرياض: دار القاسم للنشر، ١٤٢١هـ)، المجلد الثالث، ص ٩-٤٨. ظهرت هذه التعريفات في "ملحق لبحث إثبات الأهلة" في الصفحة ٩، والذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في الهيئة ولم يُذكر تاريخ إصداره. والبحث له ملحقات حيث يتلوه في صفحة ٣٢ نص القرار رقم ٢ المُتخذ في الدورة الثانية المنعقدة في شهر شعبان ١٣٩٢هـ (سبتمبر ١٩٧٢م)، ثم في صفحة ٣٥ نص القرار رقم ٣٤ وتاريخ ١٤-٢-١٣٩٥هـ (فبراير ١٩٩٥م)، ثم في صفحة ٤٤ نص "وجهة نظر" للأفاضل الشيوخ عبد الله بن منيع ومحمد بن جبير وعبد المجيد حسن والتي حُررت في نفس اليوم. وهنا فقط يظهر ولأول مرة مصطلح علم الفلك والحساب الفلكي في صفحة ٤٤ و ٤٥.

والبحث تقليدي في شكله ومنهجه ولا يأتي بفقهِ جديد أو معاصر، حيث يُسجَل وباختصار شديد أقوال فقهاء سابقين رحمهم الله المبنية على فهمهم السائد لعلوم الكون في زمانهم فيما يخص الأهلة. ثم يُسهب البحث في نقل عدت صفحات من كتاب مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمته الله عن مسألة علمية فلكية لكي يصل إلى رأي شرعي عن الأهلة. ولكن نلاحظ تعدد آراء ابن تيمية في هذا النقل (مثلاً: ينقل البحث بجواز وعدم جواز العمل بحساب الأهلة)، وحتى عدم تناسقه في أحيان أخرى، مثلاً قوله: "فإن الله سبحانه لم يجعل لمطلع الهلال حساباً مستقيماً" (نفس المصدر ص ٢٣). والحقيقة، أن الله سبحانه لم يُنزل آيةً واحدة تنص أو تشير إلى

هذا؛ كما لم يرد عن سيدنا رسول الله ﷺ ما ينص على ذلك. إذًا، هو تقييم لابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ للعلم السائد في زمنه عن القمر وفلكه وإصدار رأي شرعي على هذا الفهم. ثم يتقل البحث عن ابن تيمية جملاً أخرى تدل دلالة واضحة أن هناك حساباً مستقيماً للقمر على عكس تأكيده السابق، أنقل منها اثنتين: "...إنما هو بناء على أنه كل ليلة لا يمكث [القمر] في المنزلة إلا ستة أسابيع ساعة لا أقل ولا أكثر،..." (نفس المصدر ص ٢٣) وقوله "ومن معرفة الحساب الاستسرار [أي: الاقتران] والإبدار [أي: البدر] الذي هو الاجتماع والاستقبال، والناس يعبرون عن ذلك بالأمر الظاهر من الاستسرار الهلالي في آخر الشهر وظهوره في أوله، وكمال نوره في وسطه، والحساب يُعبرون بالأمر الخفي من اجتماع القرصين الذي هو وقت الاستسرار، ومن استقبال الشمس والقمر الذي هو وقت الإبدار، فإن هذا يُضبط بالحساب. وأما الإهلال فلا له عندهم من جهة الحساب ضبط؛ لأنه لا يضبط بحساب يُعرف كما يُعرف وقت الكسوف والخسوف، فإن الشمس لا تُكسف في سنة الله التي جعل لها إلا عند الاستسرار، إذا وقع القمر بينهما وبين أبصار الناس على محاذاة مضبوطة، وكذلك القمر لا يخسف إلا في ليالي الإبدار على محاذاة مضبوطة، لتحول الأرض بينه وبين الشمس. فمعرفة الكسوف والخسوف لمن صح حسابه مثل معرفة كل أحد أن ليلة الحادي والثلاثين من الشهر لا بد أن يطلع الهلال، وإنما يقع الشك ليلة الثلاثين". (نفس المصدر ص ٢٥).

والمُلاحظ أولاً: أن كل ما ورد في الفقرة السابقة ليس فقهاً شرعياً بل فهم لعلم كوني. ثانياً: هذه الفقرة كلها صحيحة إلا جملة "وأما الإهلال فلا له عندهم من جهة الحساب ضبط؛ لأنه لا يضبط بحساب يعرف" لأنها تناقض عدة جمل احتوتها نفس الفقرة. فالشيخ يعترف أن الاقتران يُضبط بالحساب وأن معرفة وقت الكسوف معروفة شائعة. ولكن آلية كسوف الشمس هي نفس آلية الاقتران أو المحاق والتي يسميها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الاستسرار مع جزئية أخرى صغيرة للكسوف؛ أي: أن الاقتران يتطلب علماً أقل، (فالاستسرار هو الشرط الضروري لظهور الهلال (راجع الفصل الرابع). إن من لديه كل هذا العلم عن الاقتران وسير القمر وأوجهه ويؤمن بصحته، لا ينقصه إلا جزئية صغيرة لمعرفة ظهور الهلال لأول مرة (شرح كل ذلك في الفصل الرابع). هذه الجزئية كانت معلومة في زمن الشيخ وقبله. إن لم يعلمها، فقد كانت موجودة (وهي قطعاً معلومة الآن وبدقة مذهلة، فلا حجة لمن جهلها أو ادّعى عدم قطعيتها)؛ وإن علمها ولم يؤمن بها، فهذا شأنه ولكن هذا يؤثر على حكمه الفقهي في المسألة؛ وإن اختلفوا (في ذلك الوقت أو الآن) في وضع تعريف لظهور الهلال لأول مرة (وهي حجة الشيخ وآخرين)، فقد اختلف العلماء كلهم

(وحتى صحابة) على أمور كثيرة حتى في تفسير كلام الله ﷺ (وأحاديث رسوله سيدنا محمد ﷺ). فالاختلاف رحمة، ولا يجعل الاختلاف حول أي نص أو مسألة موضع البحث لا يُعتبر بها، فهذا تطرف في الرأي، أو يصادر أحدهما رأي الآخر، فهذا تطرف في المنهج. إن ما يجب على أي مسلم هو أن يؤمن بالله وكتابه ورسوله سيدنا محمد ﷺ وسنته، والمسلم غير مُلزم بإتباع أي إنسان آخر، والله جلّ غلاه لا يحاسبه على ذلك. إن الإسلام ليس لقوم أو زمن معين بل هو لكل الأزمنة ولكل البشرية ومن أراد أن يُصادر رأي غيره فعليه أن يهيب جوباً لله العزيز الجبار حين يلقاه يوم لا ينفع لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والله وحده هو الحكم.

<sup>١٨</sup>السليمان، فهد بن ناصر، جمع وترتيب، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤١٣هـ)، المجلد الثاني، صفحة ١٨٧-١٩٣.

### ملاحظات الخاتمة

<sup>١</sup>اقرأ ما عاناه بعض هؤلاء الأئمة لأنهم فقط أتوا بفقهِ جديد، على سبيل المثال، في كتاب الشرقاوي، عبد الرحمن، شخصيات إسلامية: أئمة الفقه التسعة، (بيروت: دار اقرأ، ١٤٠١هـ).

<sup>٢</sup>هناك أمثلة أخرى لتقديم الإسلام ١٤٠٠ سنة لمعاصري هذا الزمن من مسلمين وغير مسلمين. انظر على سبيل المثال: القصيبي، غازي عبد الرحمن، ثورة في السنة النبوية، (بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٣م). الأمثلة هنا أتت بها الشريعة نفسها ولكن فهمها (أي: معرفة ما تضمنته) كان ثورياً.

<sup>٣</sup>الشرق الأوسط العدد ٩٣٣٤، يوم الجمعة ٣٠-٤-١٤٢٥هـ (١٨-٦-٢٠٠٤م) صفحة ١٠. مقابلة مع فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر والمفتي السابق لمصر.

<sup>٤</sup>هناك أدلة شرعية عديدة على جواز استخدام بدائل لأدوات طبيعية يستخدمها المُشرِّع لتحديد أمور شرعية. هاك بعضها:

الرضاعة ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ...﴾ البقرة: ٢٣٣. هل يمكن لغير الوالدات أن يُرضعن أولاداً غير أولادهن؟ نعم ﴿... فَسَرَّضْ لَهُ أُخْرَى﴾ الطلاق: ٦، أداة طبيعية بدلاً من أداة طبيعية وإن كانت الأولى أكثر طبيعية. هل يمكن للأولاد أن يرضعوا عن طرق غير بشرية؟ نعم، وإن وجد نص شرعي صريح وبصيغة الأمر،

وهذا مثال على إحلال أداة عُرفية بدلاً من أداة طبيعية. إن القصد هو إرضاع الجنين لكي ينمو وليس حلماً وحليب أمه، ولا يُستساغ أن يُستدل أننا نُتَعَبَد بالرضاعة لورود نص شرعي. كذلك مدة الرضاعة فقد حددها الله ﷻ بـ ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ...﴾ البقرة: ٢٣٣، فالرضاعة أداة طبيعية استخدم لها عدد لتحديدها. وحتى هذا العدد ليس بملزم ﴿...لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ...﴾ لا تُضَكَّرُ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَالِدِهِ...﴾ البقرة: ٢٣٣، فالقصد هو حياة الرضيع وليس عدد السنين.

الماء يستخدم للوضوء أو إزالة الخارج من السيلين (التطهر) أو إزالة الجنابة. المصلي الذي لا يجد الماء أو أن الماء يؤديه يتيمم بتراب، وهذه أداة طبيعية بدلاً من أداة طبيعية ﴿...فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا...﴾ النساء: ٤٣، والمائدة: ٦، أو يستجمر أو حتى يحثو على نفسه التراب أو وسيلة أخرى لكي يزيل الحدث ويتطهر. ومن الخطأ أن يقال إننا نُتَعَبَد بالحجر والتراب لورود نص شرعي.

المسلم قد يستعيز بفرشاة ومعجون أسنان بدلاً من مسواك لتنظيف فمه، وهذه أداة عُرفية بدلاً من أداة طبيعية. إن القصد هو نظافة الفم.

الشهادة في إثبات أحوال مدنية أو جنائية أو أخلاقية أو تعريف أشخاص قد يُستعاض عنها ببطاقات تعريف رسمية أو أدلة مادية أو رهان مقبوضة أو كتابة أو قرائن، وكلها أدوات عُرفية بدلاً من أدوات طبيعية.

\*أوردت جريدة الشرق الأوسط العدد ٦٧٣٩ في ٤-١-١٤١٨هـ صفحة ١٠ الخبر التالي: "بعد أن كان تحديدها يعتمد على الاجتهاد: تحديد اتجاه القبلة بالأقمار الصناعية في ٢٠٠ موقع... فقد قامت وزارة الشؤون الإسلامية بالاستعانة بأحد المراكز العلمية بتحديد اتجاه القبلة في أكثر من ٢٠٠ موقع. وقال المسؤول في ذلك المركز العلمي إن هذه الخطوة تمت باستخدام أفضل وأحدث الأجهزة من حيث الدقة في الرصد وتحديد الإحداثيات الجغرافية لتلك المواقع وربطها بموقع الكعبة المشرفة... وأوضح أن تحديد القبلة في كثير من المساجد المنتشرة... كان يخضع للاجتهاد اعتماداً على الحكم الشرعي في قبول الانحراف اليسير عن المواقع البعيدة عن الكعبة، ولكن مع ظهور الأجهزة الحديثة كالحاسبات الآلية وآلات الرصد الدقيقة وتطور علم الجغرافيا ورسم الخرائط والمساقط في العصر الحديث أصبح في الإمكان تحديد اتجاه القبلة من أي بقعة في الكرة الأرضية وبدرجة عالية من الدقة. وأوضح المسؤول أن المعادلات الرياضية استخدمت لتحديد اتجاهات القبلة وأوقات الصلوات في عدد من المدن والقرى". ما يقوله هذا

الخبر هو أنه يجوز استخدام وسائل أخرى غير التي ورد فيها نص شرعي وبمشاركة هيئة دينية رسمية.

### ملاحظات الملحق أ

<sup>١</sup> أمين، أحمد، فجر الإسلام، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م)، ص ٣٠٥. ويتفق معه في هذا التاريخ محمد مختار باشا، انظر الملاحظة التالية.  
<sup>٢</sup> باشا، ص ٧٣ و ٩٢.

<sup>٣</sup> الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦م)، المجلد الرابع، ص ٩٥.

<sup>٤</sup> اختير اليوم الزوالي؛ أي: أن اليوم يبدأ عند منتصف الليل وليس عند الغروب، ليس فقط لأن البرنامج المذكور يعمل بذاك المقياس الزمني والتاريخي ولكن - وبكل أسف - لأن الأمة الإسلامية لم تؤسس ولم تتفق على آلية عمل تاريخ هجري بشكل علمي. إن أي حسابات فلكية بالتاريخ الهجري والوقت الغروبي لا يمكن عملها - في الوقت الحاضر - بدون الاعتماد على التاريخ الميلادي أو التاريخ اليوليوسي Julian Date؛ إنها الحقيقة.

<sup>٥</sup>Software Bisque, TheSky6 Professional Astronomy Software, (Golden, CO, USA, 2008), a Windows-based program, Version 6.0.0.61.

وأيضًا:

Imaginova Canada Ltd., Starry Night Pro Plus, (Toronto, ON, Canada, 2008), a Windows-based program, Version 6.2.3, pcEW.



## قالوا عن الكتاب

بدون شك هذا الكتاب

يثرى المكتبة العربية بنظراته الفقهية الشمولية وربط ذلك بعلم الفلك وبالمعلومات الفلكية المستفيضة والأدلة الشرعية التي يعرضها بأسلوب علمي رصين وسهل.

الأمير مقرن بن عبد العزيز  
أمير منطقة المدينة المنورة

أنه [كتاب الأهلة] صالح للنشر والتداول

وليس بالكتاب ما يخالف ما هو معلوم من الدين بالضرورة  
الأزهر الشريف

إن هذا البحث لجدير بأن يطلع عليه

كل مسلم غيور فضلاً عن أن يكون عالماً أو داعية إصلاح

أستاذ الفقه وأصول الدين  
جامعة الملك خالد

لقد اطلعت على كتاب [الأهلة]

وأجده كتاباً متميزاً علمياً لما يحتويه لبعض الأفكار الجديدة  
والتي ستثري المهتمين بهذا العلم بحد كبير

رئيس قسم الفلك  
جامعة الملك عبد العزيز

أود أن أعبر عن خالص تقديري

على مجهودكم غير البسيط في إظهار الكتاب بالصورة العلمية المشرفة  
وأعتقد أنه مرجع وإضافة مهمة وقيمة للمكتبة العربية والإسلامية

رئيس قسم الفيزياء  
جامعة البترول والمعادن

فقد اطلعت وقرأت المؤلف الذي أعد من قبل الأستاذ عدنان قاضي  
ووجدت فيه موضوعات متنوعة مهمة ذات فائدة كبيرة للقارئ العام  
والمختص على حد سواء.

رئيس قسم الفيزياء  
جامعة الإمارات